رسائل جامعية (٧٦)

أسماء القرآن

وأوصافه في القرآن الكريم

إعداد

عمر بن عبد العزيز بن عبد المحسن الدهيشي

شاركت الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه في
طباعة هذا الكتاب

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية نال بها الباحث درجة الماجستير بتقدير ممتاز بقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود في سنة ١٤٢٨هـ

أسماء القرآن

وأوصافه في القرآن الكريم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣٠هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - حي الفلاح - مقابل جامعة الإمام - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - الخبر - ت: ٨٩٩٩٣٥٦ - فاكس: ٨٩٩٩٣٥٧ - **بيروت** - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ -

القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

البريد الإلكتروني: **aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com**

مُقدِّمــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، أما بعد:

فإن للمعارف على تعدد أنواعها، واختلاف طرقها، فوائدَ لا تجحد، وثمراتٍ لا تنكر، وإن أعظم المعارف، وأجل العلوم، دراسةُ كتاب الله تعالى، والعلمُ به، فهو أولى ما صرفت فيه الساعات، وأعظم ما عمرت به الأوقات، وأبرك ما فنيت فيه الأعمار.

والله تعالى أنزل كتابه الكريم مشتملاً على كل خير، حاوياً كل فضل، دالاً على ما فيه صلاح المعاش والمعاد، فلا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذر منه، ولا سعادة ولا فلاح ونجاح إلا حث عليه ورغب فيه، إذ هو الهدى والنور، والرحمة والذكر، والموعظة والبشرى، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا عوج فيه ولا ريب، تنزيل من حكيم حميد.

وبما أن القرآن نزل على أمة جاهلية، تعيش في تخبط وظلام، وجهالة وضلالة، لا علم لها بكتاب، ولا معرفة لها بخطاب رباني، ذكر الله تعالى في ثناياه أسماء وأوصافاً، تبين لهم حقيقته وصدقه، وبيانه وإرشاده، وبركته وتأثيره؛ علَّهم يعودون إلى رشدهم، ويرتدعون عن باطلهم، ويهتدون بكتاب خالقهم وموجدهم، حتى ينالوا الدرجات العلى، والمكانة الأسمى، في الدنيا والأخرى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩].

وإن تعدد أسماء الشيء وكثرة نعوته، مما يدل على شرفه وفضله، أو كماله في أمر من الأمور، يقول الفيروزآبادي [٨١٧هـ]: «اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمَّى، أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علو رتبته، وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه، وفضيلته»(١).

وقد اهتم العلماء ـ رحمهم الله ـ بأسماء القرآن وأوصافه، فلا يخلو ـ غالباً ـ كتاب تفسير أو علوم قرآن، إلا ويتطرق إليها، ويذكر طرفاً منها، وبعضهم دبج كتابه بها؛ لأهمية معرفتها ودراستها؛ إذ العلم بها ينتج عنه المعرفة الكاملة لحقيقة هذا الكتاب، وبيان منزلته، وعلو مكانته، ودلالة صدقه وبيانه وإرشاده، وإيضاح بركته وتأثيره، وجلالة قدر من أنزله وتكلم به ﷻ، وعظم من آمن به واتبعه، وخسارة من صد عنه، وكفر به، وإظهار إعجازه اللفظي والمعنوي..

وحيث إن الذي تولى ذكر هذه الأسماء، ونعت هذه الأوصاف، هو الله ﷻ، الخالق العالم بما يصلح خلقه، والمحيط بكل شيء، في آيات كثيرة، ومواضع عديدة، بأسلوب غضٍ طري، جامعاً بين السلاسة والجزالة،

---

(١) بصائر ذوي التمييز (١/٨٨).

والقوة والعذوبة، في أساليب متنوعة، واستعمالات مختلفة.. مما يستوجب دراستها، ويتعين معرفتها، والاهتمام بها ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

وقد جهدت وسعي، وبذلت طاقتي، في جمع ما يتعلق بهذا الموضوع، حتى انتهى بي المطاف إلى الأرض المقدسة ـ مكة المكرمة ـ في مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز، بجامعة أم القرى، للبحث عن مراجع ومصادر تتعلق بالموضوع، بل وإلى القاهرة حيث ترددت على مكتبات الجامعات هناك، كمكتبة جامعة الأزهر، وعين شمس، ومركز صالح كامل للبحوث والدراسات الإسلامية؛ علِّي أظفر بمزيد مراجع ورسائل تعين الباحث في بحثه، وتجمع له شتات موضوعه.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في النقاط الآتية:

١ ـ أن الموضوع تناوله القرآن الكريم بأساليب شتى، وفي سياقات متعددة، مما يبين أهمية الجمع بين تلك المواضع مع دراستها، واستخراج الدلالات والإشارات في ذلك.

٢ ـ أن من تكلم عن الموضوع منهم من فرق بين ما هو اسم أو وصف، ولكنهم اختلفوا في ذكر عدد الأسماء وما هي، وكذلك الأوصاف[(١)]، ومنهم من لم يفرق بين ما هو اسم أو وصف بل جعلها كلها أسماء، ثم تجدهم يضطربون في ذكر عدد الأسماء، فمنهم من أوصلها إلى مائة اسم، ومنهم من اقتصر على أربعة أسماء فقط كابن جرير مثلاً[(٢)]، وفي هذا البحث محاولة للتفريق بين ما هو اسم أو وصف، وما يصح أن يكون اسماً أو يكون وصفاً.

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن، د/ مناع القطان (١٧)؛ ودراسات في علوم القرآن د/ فهد الرومي (٣٥)؛ والمقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع (٤٩١).

(٢) انظر: مقدمة تفسيره (١/ ٨٩).

٣ - اهتمام العلماء بهذا الموضوع، فلا يخلو - غالباً - كتاب تفسير أو علوم قرآن إلا ويتطرق إلى الموضوع، وبعضهم يصدر به كتابه، كما سبق.

٤ - كون الموضوع لم يفرد ببحث مستقل متكامل، رغم أهمية الموضوع، وتعلقه المباشر بكتاب الله تعالى، وفي دراسته خدمة لهذا الكتاب المجيد.

٥ - كون الموضوع يتناول في طياته أبحاثاً متنوعة، ويدرس جوانب متعددة؛ كشموليته لجوانب الحياة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وأنه سبب السعادة البشرية ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨] وكمظاهر الشفاء والهدى والبشرى.. في القرآن.

أسباب اختيار الموضوع:

مما حدا بي إلى اختيار الموضوع أسباب كثيرة، وأمور عديدة، في مقدمتها:

١ - خدمة كتاب الله تعالى والنصيحة له، بجمع أسمائه وأوصافه، ودراستها دراسة علمية مرتبطة بالآيات التي وردت فيها، والسياق التي ذكرت فيه.. لعلي أقدم إلى المكتبة القرآنية خدمة في علم من علومه، ومجال من مجالاته.

٢ - سعة الموضوع، وتنوع مباحثه، مما يتيح للباحث فرصة الوقوف على جُلِّ كتب التفسير وعلوم القرآن، المختلفة المشارب، المتنوعة المقاصد، والاستفادة منها، والنهل من علومها، ومعرفة مناهجها واتجاهاتها.

٣ - إزالة ما قد يبدو من تعارض متوهم بين الآيات ذات الصلة بالموضوع، ودراستها دراسة قرآنية متخصصة، مستوحاة من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، مستنيراً بأقوال العلماء، وكتابات المفسرين فيها.

٤ - عمق الموضوع وطرافته، في الربط والاستدلال.

٥ ـ القناعة الجازمة بأن هذا الموضوع لم يدرس دراسة متخصصة تجمع متفرقه، وتلمُّ أشتاته، وتفرِّق بين متشابهه، وتعنى به استقراء وتحليلاً.

أهداف البحث:

هذه الدراسة تهدف إلى أمور مهمة منها:

١ ـ حصر جميع ما ورد في القرآن الكريم من أسماء وأوصاف للقرآن، مع دراستها.

٢ ـ ربط الاسم أو الوصف بسياق الآية التي ذُكر فيها، مع الجمع بين الآيات ذات المعاني المختلفة للاسم أو الوصف.

٣ ـ إيضاح دلالة الأسماء والأوصاف، وإبراز معانيها وأبعادها.

٤ ـ التفريق بين أسماء القرآن وأوصافه، والأوصاف التي يكون ظاهرها الترادف والتماثل.

٥ ـ التحقق من أسماء وأوصاف للقرآن ذُكرت ولم تثبت.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وهي على النحو التالي:

* **المقدمة**: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث ومنهجه.

* **التمهيد**: ويشتمل على:

ـ تعريف الأسماء.

ـ تعريف الأوصاف.

ـ الفرق بين الاسم والوصف.

ـ مصدر تسمية القرآن ووصفه.

الباب الأول: أسماء القرآن الكريم

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: الأسماء الثابتة.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: القرآن، إطلاقاته، وكثرة الأوصاف المضافة إليه.

المبحث الثاني: الكتاب، إطلاقاته ومدلولاته.

المبحث الثالث: الفرقان، إطلاقاته ومعانيه المضافة إلى القرآن.

المبحث الرابع: الذكر، إطلاقاته ومعانيه المراد بها القرآن.

المبحث الخامس: التنزيل إطلاقاته، والتفريق بين الإنزال والتنزيل.

الفصل الثاني: الأسماء المردودة المنسوبة للقرآن الكريم.

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: الأثارة.

المبحث الثاني: أمر الله.

المبحث الثالث: تبصرة.

المبحث الرابع: الحجة.

المبحث الخامس: الرسالة.

المبحث السادس: سبيل الله.

المبحث السابع: شرعة ومنهاجاً.

المبحث الثامن: القسط.

المبحث التاسع: النعمة.

الباب الثاني: أوصاف القرآن الكريم

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: الأوصاف الصريحة الدالة على حقيقة القرآن وصدقه.

وفيه سبعة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: وصف القرآن بأنه آيات.
المبحث الثاني: وصف القرآن بأنه بلاغ.
المبحث الثالث: وصف القرآن بأنه أحسن الحديث.
المبحث الرابع: وصف القرآن بأنه الحق.
المبحث الخامس: وصف القرآن بأنه (صحف).
المبحث السادس: وصف القرآن بأنه الصدق.
المبحث السابع: وصف القرآن بأنه عربي.
المبحث الثامن: وصف القرآن بأنه عزيز.
المبحث التاسع: وصف القرآن بأنه عظيم.
المبحث العاشر: وصف القرآن بأنه عليٌّ.
المبحث الحادي عشر: وصف القرآن بأنه القول.
المبحث الثاني عشر: وصف القرآن بأنه قيِّم.
المبحث الثالث عشر: وصف القرآن بأنه (كلمات) و(كلام الله).
المبحث الرابع عشر: وصف القرآن بأنه متشابه.
المبحث الخامس عشر: وصف القرآن بأنه مجيد.
المبحث السادس عشر: وصف القرآن بأنه مهيمن.
المبحث السابع عشر: وصف القرآن بأنه الوحي.
الفصل الثاني: الأوصاف الصريحة الدالة على بيان القرآن وإرشاده.
وفيه تسعة مباحث:
المبحث الأول: وصف القرآن بأنه بشير.
المبحث الثاني: وصف القرآن بأنه بصائر.
المبحث الثالث: وصف القرآن بأنه الحكيم.
المبحث الرابع: وصف القرآن بأنه (ذكرى) و(تذكرة).
المبحث الخامس: وصف القرآن بأنه مبين.

المبحث السادس: وصف القرآن بأنه (مفصل) و(تفصيل).

المبحث السابع: وصف القرآن بأنه موعظة.

المبحث الثامن: وصف القرآن بأنه نذير.

المبحث التاسع: وصف القرآن بأنه هدى.

الفصل الثالث: الأوصاف الصريحة الدالة على بركة القرآن وتأثيره.

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: وصف القرآن بأنه خير.

المبحث الثاني: وصف القرآن بأنه رحمة.

المبحث الثالث: وصف القرآن بأنه شفاء.

المبحث الرابع: وصف القرآن بأنه (عجباً).

المبحث الخامس: وصف القرآن بأنه كريم.

المبحث السادس: وصف القرآن بأنه مبارك.

المبحث السابع: وصف القرآن بأنه مثاني.

المبحث الثامن: وصف القرآن بأنه نور.

الفصل الرابع: الأوصاف المختلف فيها.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الأوصاف الراجحة.

المبحث الثاني: الأوصاف المرجوحة.

* **الخاتمة:** وتشتمل على أهم نتائج البحث والتوصيات.

* **الفهارس:** وتشتمل على فهرس الآيات، والأحاديث والآثار، وتراجم الأعلام، وثبت المصادر والمراجع، والموضوعات.

منهج البحث:

من أبرز الملامح التي سار عليها الباحث في بحثه، هي:

١ - حصر الآيات للاسم أو الوصف وجمعها، من خلال المعجم

المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، جمع: مجمع اللغة العربية، مع إثبات جميع الآيات التي ورد فيها الاسم أو الوصف في الحاشية، ومن ثمَّ عرضها جميعاً على كتب التفسير؛ كتفسير ابن جرير الطبري، والنكت والعيون، والتفسير الكبير، وزاد المسير، وتفسير القرآن العظيم، والتسهيل لعلوم التنزيل، والتحرير والتنوير.. وغيرها؛ لدراسة الاسم أو الوصف، وذكر الآيات المختلف في وصفيتها، مع أقوال المفسرين فيها، والترجيح بينها، مع ذكر المسوغات والمرجحات في ذلك ـ قدر الاستطاعة ـ، واستبعاد ما ليس بوصف للقرآن.

٢ ـ التأصيل اللغوي لكل اسم أو وصف في بداية المبحث.

٣ ـ بيان وجه وسبب التسمية أو الوصف، لكل اسم أو وصف للقرآن.

٤ ـ عزو الآيات القرآنية، بأرقامها إلى سورها، بعد الآية مباشرة في صلب البحث، كي لا تطول الحواشي.

٥ ـ تخريج الأحاديث النبوية، وعزوها إلى مراجعها من كتب السنة، بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث إن كان في الصحيحين أو الكتب الستة، مع نقل أقوال أهل العلم في درجة الحديث، إن كان خارج الصحيحين.

٦ ـ تخريج الآثار عن الصحابة ومن بعدهم، وعزوها إلى مراجعها من كتب السنة؛ كمصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة..، وذلك بذكر الجزء والصفحة.

٧ ـ إثبات أسماء المصادر والمراجع في الحاشية باسم الكتاب الحقيقي ـ غالباً ـ، كـ«التفسير الكبير» و«تفسير القرآن العظيم» و«إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»، وفي المتن باسم الشهرة؛ كالرازي، وابن كثير، وأبي السعود.. وهكذا، وترتيبهم على حسب الأقدمية في سنة الوفاة ـ قدر الاستطاعة ـ.

٨ ـ التعريف بالأعلام السابقين غير المشهورين، تعريفاً موجزاً، وأما أصحاب الكتب الذين نقلت أقوالهم، فأكتفي بذكر اسم الشهرة في المتن،

متبعاً ذلك بتأريخ وفاته فقط، وإن كان ممن اختلف في سنة وفاته، فأذكر أحد الأقوال، وأسير عليه في سائر البحث ما أمكن.

٩ ـ التفريق في الحاشية بين عبارة: (المرجع نفسه) وعبارة (المرجع السابق)، فأعني بـ(المرجع نفسه) المرجع الأخير المتكرر مباشرة بدون فواصل، وبـ(المرجع السابق) المرجع قبل الأخير؛ أي: أن بينهما فاصل.

١٠ ـ التعريف بالكتاب في الحاشية عند أول ذكر له ـ غالباً ـ.. خاصة إن كان غير كتاب تفسير؛ لكثرة ورودها، وتكرارها وشهرتها.

١١ ـ الإحالة إلى معاجم اللغة، إن كان المعجم يحتوي على جزء واحد كمختار الصحاح والمصباح المنير.. وهو مرتب على الحروف، وواضح الترتيب، فأكتفي بذكر مادة الكلمة فقط، وأما غيرها فأحيل إلى المادة والجزء والصفحة.

١٢ ـ عدم الالتزام ـ غالباً ـ بإيراد ألقاب العلماء، أو الترحم عليهم، رحمهم الله، وليس ذلك من تنقص كلا، وإنما التزام ذلك يطول ويشق، رحمهم الله جميعاً وأسكنهم الفردوس الأعلى من الجنة.. آمين.

هذه أبرز ملامح البحث الذي يسر الله تعالى لي من أجله رحلة علمية مباركة، بين كتب التفسير وعلوم القرآن والعلوم الشرعية عموماً.. ومع هذا الجهد والحرص في الجمع والدراسة والاستقصاء، فإني لا أدعي الكمال، إذ النقص من طبيعة البشر، والكمال لله وحده، يقول الشافعي [٢٠٤هـ]: «لقد ألَّفت هذه الكتب ولم آلُ فيها، ولا بد أن يوجد فيها الخطأ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه»[(١)].

وقال بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو عُورض كتابٌ سبعين مرة لوجد فيه خطأ، أبى الله أن يكون كتاب صحيحاً غير كتابه»[(٢)].

وكما قيل:

---

(١) المقاصد الحسنة (٥٣).

(٢) موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ١٤).

كـم مـن كـتـاب قـد تـصـفـحـتـه وقـلـت فـي نـفـسـي أصـلـحـتـه
حـتـى إذا طـالـعـتـه ثـانـيـاً وجـدت تـصـحـيـفـاً فـصـحـحـتـه

ولكن حسبي أنني حاولت جاهداً أن يأخذ هذا الموضوع مكانه اللائق به في المكتبة القرآنية الفسيحة.

وفي الختام: أتوجه بدعائي وخالص ثنائي لله وحده، فالحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات، وأُثنِّي بالشكر لمن كانا السبب في وجودي بعد الله تعالى، فأسأل الله تعالى أن يغفر لهما ويرحمهما كما ربياني صغيراً.

ويسعدني أن أتقدم بالشكر والتقدير، والعرفان بالجميل، لفضيلة المشرف القدير، الدكتور: عادل بن علي الشدي ـ أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك ـ الذي لم يأل جهداً في النصح والتوجيه، والحث والتشجيع، بعبارات صادقة، ورسائل إيجابية، كما أشكر الأستاذين الكريمين، والشيخين الفاضلين:

١ ـ د. بدر بن ناصر البدر.

٢ ـ د. ناصر بن محمد المنيع.

على مناقشة الرسالة في يوم الأحد الموافق ٢/١/١٤٢٨هـ، وإبداء التوجيهات والتوصيات على ما جاء فيها، فجزاهما الله خير الجزاء وأوفاه.

كما أتقدم بالشكر لكل من مد لي يد العون والمساعدة في هذا الجهد العلمي، أو سددني بنصح وتوجيه، من المشايخ وطلبة العلم، أسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أشكر زوجتي وأبنائي على ما وفروه لي من أجواء معينة على البحث والدراسة، والجد والاجتهاد فلا حرمهم الله الأجر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عمر بن عبد العزيز بن عبد المحسن الدهيشي
الرياض
للتواصل:
omar700@gawab.com

التمهيد

ويشتمل على:

- تعريف الأسماء.
- تعريف الأوصاف.
- الفرق بين الاسم والوصف.
- مصدر تسمية القرآن ووصفه.

تمهيد

تعريف الأسماء:

[أسماء] جمع اسم، وألفه ألف «وصل»، قال الزجاج[(١)]: «والاسم ألفه ألف وصل، والدليل على ذلك أنك إذا صغرت الاسم قلت: سُمَي، والعرب تقول: هذا اسمٌ وهذا سُمٌ، وأنشد:

باسم الذي في كلِّ سورة سُمُه»[(٢)]

اشتقاقاته:

الاسم «مشتق من سَمَوتُ لأنه تنويه ورفعة، وتقديره افْعٌ، والذاهب منه الواو؛ لأن جمعه [أسماء] وتصغيره [سُمَي]»[(٣)] وهو رأي البصريين.

وقيل: إنه مشتق من [الوسم] وهو العلامة، وذهب إليه بعض الكوفيين، جاء في المصباح المنير: «وذهب بعض الكوفيين إلى أن أصله [وَسْم] لأنه من [الوسم] وهو العلامة، فحذفت الواو، وهي فاء الكلمة، وعوِّض عنها

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن السَّري بن سهل، أبو إسحاق، النحوي الزجاج، صاحب كتاب «معاني القرآن» كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد جميل المذهب، وله مصنفات حسان، ومنها كتاب «الإنسان وأعضائه» وكتاب «الفرس» وغيرها، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٨٩)؛ سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٩). وانظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: أحمد البردوني، الدار المصرية، مادة (سما) (١٣/ ١١٧). وانظر: لسان العرب مادة (سما) (١٤/ ٤٠١).

(٣) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تصحيح: محمد حلاق، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٩) مادة (س م ا). وانظر: تهذيب اللغة (١٣/ ١١٧)؛ ومعجم مقاييس اللغة مادة (سمو)؛ ولسان العرب (١٤/ ٤٠١)؛ والمصباح المنير مادة (سما).

الهمزة»[١] ويكون وزن الفعل (فعل).

ورأي البصريين والكوفيين من حيث اشتقاق المعنى متقارب، قال ابن يعيش [٦٤٣هـ] بعد أن ذكر القولين السابقين: «وكلاهما حسن من جهة المعنى، إلا أن اللفظ يشهد مع البصريين»[٢]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية [٧٢٨هـ]: «وهو مشتق من [السمو] وهو العلو كما قال النحاة البصريون، وقال النحاة الكوفيون: هو مشتق من [السِّمة] وهي العلامة، وهذا صحيح في الاشتقاق الأوسط وهو ما يتفق فيه حروف اللفظين دون ترتيبهما فإنه في كليهما السين والميم والواو والمعنى صحيح فإن السِّمة والسيما العلامة... لكن اشتقاقه من [السمو] هو الاشتقاق الخاص الذي يتفق فيه اللفظان في الحروف وترتيبها، ومعناه أخص وأتم؛ فإنهم يقولون في تصريفه: [سميت] ولا يقولون: [وسمت] وفى جمعه [أسماء] لا [أوسام] وفي تصغيره [سُمَى] لا [وسيم] ويقال لصاحبه: مسمى لا يقال: موسوم وهذا المعنى أخص»[٣].

وللاسم أربع لغات: كسر الهمزة وضمُها (أُسْم) مع إسكان السين، وكسر السين وضمها (سِم)[٤].

تعريف الاسم اصطلاحاً:

والاسم اصطلاحاً هو: «ما دل على معنى في نفسه غير مقترنٍ بأحد الأزمنة الثلاثة»[٥].

---

(١) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، اعتناء: يوسف الشيخ محمد، ط٢، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ) مادة (سما).

(٢) انظر: شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش النحوي، (بيروت: عالم الكتب) (١/ ٢٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤١٦هـ، (٦/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

(٤) انظر: مختار الصحاح مادة (س م ا)؛ ولسان العرب (١٤/ ٤٠٢)؛ والقاموس المحيط مادة (سمو).

(٥) التعريفات، علي محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ)، ص(٤٠). وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف (٦٣)؛ =

والاسم تارة يطلق ويراد به ما يقابل الصفة، وتارة ما يقابل الظرف، وتارة ما يقابل الكنية واللقب[(١)]، فالاسم: ما كان جنساً غير مأخوذ من الفعل، نحو: رجل وفرس وعلم. أما الصفة: ما كان مأخوذاً من الفعل، نحو اسم الفاعل واسم المفعول كـ[ضارب ومضروب][(٢)].

أما ما يقابل الظرف، فإن الاسم: قد لا يكون ذكر لأجل أمر وقع فيه، ولا هو زمان ولا مكان، وذلك كـ[زيداً] في «ضربت زيداً»، وقد يكون إنما ذكر لأجل أمر وقع فيه، ولكنه ليس بزمان، ولا مكان، نحو: «رغب المتقون أن يفعلوا خيراً» فإن المعنى في أن يفعلوا... أما الظرف فإنه: يكون مذكوراً لأجل أمر وقع فيه، وهو زمان أو مكان، وذلك كقول: «صمت يوماً»[(٣)].

أما ما يقابل الكنية واللقب، فإن الاسم إذا بدئ بأبٍ أو أم؛ كأبي بكر وأم بكر كان كنية، وإن أشعر برفعة المسمى؛ كزين العابدين، أو ضعته؛ كقُفّة فلقب، وإلا فاسم؛ كزيد وعمرو[(٤)].

۞ ۞
۞

= وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام (٣٧)؛ والكليات (٨٣)؛ والأزمنة الثلاثة هي الماضي والمضارع والأمر.

(١) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ)، ص(٨٤ ـ ٨٥).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) انظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢١هـ)، ص(٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٤) المرجع نفسه (١٦٩).

تعريف الأوصاف

[أوصاف] جمع وصف، و«الواو والصاد والفاء، أصل واحد، وهو تحلية الشيء»(١).

تصاريفه:

وَصَفَه يصِفُه وصفاً وصفةً، وهو وصفك الشيء بحليته ونعته، وهو من باب وعد(٢).

أنواعه:

الوصف قد يكون مدحاً؛ كقولك: «جاء زيد العاقل»، أو ذماً، كقولك: «جاء زيد الجاهل»، «والوصف قد يكون حقاً، وقد يكون باطلاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]»(٣).

تعريف الوصف اصطلاحاً:

تعريف الوصف أو الصفة اصطلاحاً يختلف باختلاف الفن الذي جرى استعمال هذا المصطلح فيه، فنجد أن النحويين يعرفونه بأنه: «التابع المشتق

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ) مادة (وصف) (١٠٥٤).

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامري، الجمهورية العراقية، دائرة الشؤون الثقافية والنشر (وصف) (٧/ ١٦٢). وانظر: مختار الصحاح؛ والمصباح المنير؛ والقاموس المحيط في مادة (وصف).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان، ط٣ (دمشق: دار القلم، ١٤٢٣هـ) مادة (وصف) (٨٧٣).

أو المؤول به، المباين للفظ متبوعه»[١]، والمشتق هو المأخوذ من المصدر، مثل: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، والمؤول بالمشتق؛ كاسم الإشارة، و(ذو) التي بمعنى صاحب وفروعها...

أما غيرهم فإنهم يعرفونه بأنه: «عبارة عما دل على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه، أي: يدل على الذات بصفة كأحمر، فإنه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود، وهو الحمرة..»[٢]، هذا هو الوصف عند الإطلاق، ولكن هل الوصف هو الصفة أم بينهما فرق؟

أهل اللغة لا يفرِّقون بين الوصف والصفة، بل جعلوهما من باب واحد، والهاء في الصفة، عوض عن الواو في الوصف؛ كالوعد والعدة[٣]، فيقال: وَصَفَ يَصِف وصفاً، ووصَف يَصِف صفة.

ونجد أن النحويين ـ أيضاً ـ لا يفرقون بينهما فهم يعرِّفون الوصف أو الصفة بأنه: «التابع المشتق أو المؤول به المباين للفظ متبوعه»[٤]، كما سبق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [٧٢٨هـ]: «وأما جماهير الناس فيعلمون أن كل واحد من لفظ الصفة والوصف مصدر في الأصل؛ كالوعد، والعدة، والوزن، والزنة، وأنه يراد به تارة هذا وتارة هذا»[٥].

وبعض النحاة[٦] أدخل من مترادفاتها ـ أيضاً ـ النعت، يقول الجوجري

---

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن هشام الأنصاري، ط٤ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢١هـ)، ص(٣١٦). وانظر: التحفة السنية في شرح المقدمة الآجرومية (١٠٢).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ)، ص(٧٢٦). وانظر: التعريفات للجرجاني (٣٢٦).

(٣) انظر: الكليات (٩٤٢)

(٤) شرح قطر الندى وبل الصدى (٣١٦). (٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٥).

(٦) كابن سيده في المخصص، السفر الثالث عشر (٤/ ١٦٦)؛ وابن يعيش في شرح المفصل (٣/ ٤٧) وغيرهما.

[٨٨٩هـ]: «الثاني من التوابع النعت، ويقال له: الوصف أو الصفة»[(١)].

ولكن معطلة الصفات من المتكلمين فرَّقوا بين الوصف والصفة، لكي يصلوا بذلك إلى نفي صفات الله تعالى الفعلية الاختيارية ـ كالنزول والمجيء ـ التي تكون بمشيئته وقدرته، فنفوا قيامها بذاته تبارك وتعالى، وذلك على مقتضى معتقدهم في التفريق بين ما يطلق على الله تعالى صفة، فهو قائم بذاته ـ على حد زعمهم ـ، وما يطلق عليه ﷻ فعلاً، فهو غير قائم بذاته، وجعلوا (الوصف) هو القول، و(الصفة) المعنى القائم بالموصوف، وأدخلوا في الوصف الذي هو القول ـ عندهم ـ صفات الأفعال الاختيارية، حتى ينفوا قيامها بالذات، وأدخلوا في الصفة التي هي المعنى القائم بالذات ـ عندهم ـ ما أثبتوه من الصفات؛ كصفات المعاني السبع وهي العلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام[(٢)]، يقول شيخ الإسلام [٧٢٨هـ]: «ثم كثير من المعتزلة ونحوهم يقولون: الوصف والصفة اسم للكلام فقط، من غير أن يقوم بالذات القديمة معاني، وكثير من متكلِّمة الصِّفاتية يفرقون بين الوصف والصفة، فيقولون: الوصف هو القول، والصفة المعنى القائم بالموصوف، وأما المحققون فيعلمون أن كل واحد من اللفظين يطلق على القول تارة وعلى المعنى أخرى، والقرآن والسنة قد صرحا بثبوت المعاني التي هي العلم والقدرة وغيرها كما قدمناه»[(٣)].

---

(١) شرح شذور الذهب، محمد بن عبد المنعم الجوجري، تحقيق: د. نواف الحارثي، ط١، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٤هـ، (٢/٧٦٩).

(٢) انظر: النفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والجماعة والمعطلة، أرزقي سعيداني، ط١ (الرياض: دار المنهاج، ١٤٢٦هـ)، ص(٥٥ ـ ٥٦). وللاستزادة في هذه المسألة راجع: مجموع الفتاوى (٦/١٤٧ ـ ١٤٨)؛ توضيح المقاصد (٢/٢٤٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/١٤٠ ـ ١٤١).

الفرق بين الاسم والوصف

بين الاسم والوصف فروق ذكرها علماء اللغة في المعاجم اللغوية، وفي كتب الفروقات، وذكر طرفاً منها مؤلفو كتب العقيدة عند مبحث أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى، ومن أبرز الفروق التي ذكروها، ما يلي:

الأول: أن الاسم لا يقع عليه الصدق أو الكذب، بخلاف الوصف، فإنه يقع عليه الصدق والكذب، فإذا أشرت إلى رجل فقلت: هذا صالح، وهو في الظاهر خلاف ذلك، فإن أردت أنه اسمه الذي سمي به صح، وإن أردت وصفه بذلك، فقد كذبت؛ لأن ظاهره يدل على خلافه، جاء في الفروق اللغوية: «ويقع الكذب والصدق في الصفة لاقتضائها الفوائد، ولا يقع ذلك في الاسم واللقب، فالقائل للأسود: أبيض على الصفة كاذب، وعلى اللقب غير كاذب»[١].

الثاني: أن الاسم يدل على الذات مع الوصف الذي تضمنه ذلك الاسم، أما الوصف فإنه لا يدل إلا على الوصف فقط، «فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد، ويقال: الاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم»[٢]، فكل اسم صفة، وليس كل صفة اسماً.

الثالث: أن الاسم يكون علماً على الشيء، بخلاف الوصف فإنه يكون مضافاً إلى الاسم، جاء في الفروق: «الصفة ما كان من الأسماء مخصِّصاً

(١) الفروق اللغوية، الإمام الأديب أبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة)، ص(٢٩ ـ ٣٠).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد عبد الرزاق الدويش، ط٤ (الرياض: مؤسسة العنود بنت عبد العزيز، ١٤٢٣هـ) (٣/ ١٦٠) رقم الفتوى [٨٩٤٢].

مفيداً، مثل: زيد الظريفُ، وعمرو العاقلُ، وليس الاسم كذلك»[(١)].

الرابع: أن الاسم يؤخذ منه صفة، فاسم (صالح) يؤخذ منه صفة الصلاح، و(يزيد) الزيادة، و(سعد) السعادة.. وهكذا، بخلاف الوصف فإنه لا يؤخذ منه الاسم، «وعليه فكل اسم يتضمن صفة، ولكن لا يشتق من الصفة اسم»[(٢)].

الخامس: أن الاسم يكون جنساً غير مأخوذ من الفعل، والصفة أو الوصف يكون مأخوذاً من الفعل نحو اسم الفاعل، واسم المفعول، قال أبو البقاء الكفوي [١٠٩٤هـ]: «والاسم غير الصفة، ما كان جنساً غير مأخوذ من الفعل نحو: رجل وفرس.. والصفة ما كان مأخوذاً من الفعل نحو: اسم الفاعل واسم المفعول؛ كـ[ضارب ومضروب] وما أشبههما»[(٣)].

السادس: أن إطلاق الاسم على الشيء يدل على الثبوت والدوام، بخلاف الوصف فإنه معرض للحدوث والتجدد، قال الكفوي [١٠٩٤هـ]: «والاسم لا يدل بالوضع إلا على الثبوت والدوام، والاستمرار معنى مجازي له، والفعل يدل على التجدد والحدوث»[(٤)].

هذه أبرز الفروق بين الاسم والوصف، وعلى ضوئها فإن أسماء القرآن - فيما ظهر لي - خمسة أسماء فقط، وهي: القرآن، والكتاب، والفرقان، والذكر، والتنزيل، والباقي إنما هي أوصاف للقرآن الكريم، ولذا فإن ابن جرير [٣١٠هـ] عندما ذكر القول في تأويل أسماء القرآن في مقدمة تفسيره قال: «إن الله ﷻ سمى تنزيله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ أسماءً أربعة، ومنهن: القرآن.. ومنهن: الفرقان.. ومنهن: الكتاب.. ومنهن: الذكر..»[(٥)] فقد

---

(١) الفروق اللغوية (٢٩).

(٢) دفع إيهام التشبيه عن أحاديث الصفات، محمد السمهري، ط١، (الرياض: دار بلنسية ١٤٢٠هـ)، ص(٣٨).

(٣) الكليات (٨٥).

(٤) المرجع نفسه (٨٤).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، ط١ (القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ) (١/ ٨٩ - ٩٠).

اقتصر على أربعة أسماء فقط، أما البقية فإنه يعدها أوصافاً للقرآن، وتبعه على ذلك ابن عطية [٥٤٦هـ] في تفسيره، حيث قال في تفسير أسماء القرآن: «وهو القرآن وهو الكتاب، وهو الفرقان، وهو الذكر»[١]، وغيرهما[٢].

وأما اسم (التنزيل) فإنه مما شاع على ألسنة العلماء، وتداولوه فيما بينهم، فأصبح علماً على القرآن، فتراهم يقولون: ورد في التنزيل كذا وكذا، ولم يرد في التنزيل كذا، إلى غير ذلك وهم يعنون بالتنزيل القرآن[٣].

وإذا تأملنا كتاب الله تعالى فإنا نجد كثيراً من الأوصاف تضاف إلى هذه الأسماء الخمسة، فعلى سبيل المثال لا الحصر قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [الحجر: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣]، وقوله سبحانه: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [النمل: ١]، وقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ١، ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١﴾ [فصلت: ٤١]، وغيرها مما سيتبين في ثنايا الكلام المفصل عن كل اسم أو وصف في محلِّه، مما يقوي القول بتخصيص هذه الأسماء للقرآن دون غيرها.

وأما كتب علوم القرآن التي ذكرت أسماء القرآن وأوصافه ضمن مباحثها، فإنها ـ غالباً ـ تقتصر على الأسماء الخمسة السابقة، والبقية تعدُّها أوصافاً[٤].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ) (٣١).

(٢) كالرازي في تفسيره حيث ذكر الأسماء الخمسة وزاد عليها (٢/١٣ ـ ١٥).

(٣) انظر: التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان، طاهر الجزائري، اعتناء: عبد الفتاح أبو غدة، ط٣، (بيروت، دار البشائر، ١٤١٢هـ)، ص(١٥٧).

(٤) انظر: على سبيل المثال الموسوعة القرآنية المتخصصة (٩٥ ـ ١٠٠)؛ البيان في علوم القرآن (٢٠ ـ ٢١)؛ مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (١٧ ـ ٢١)؛ التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان (١٥٠)... وغيرها.

وبعض العلماء اقتصر على اسم واحد فقط، وهو (القرآن)، وعدَّ البقية أوصافاً وأجناساً، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «فاسم القرآن هو الاسم الذي جُعل علماً على الوحي المنزل على محمد ﷺ، ولم يُسبق أن أطلق على غيره قبله، وهو أشهر أسمائه، وأكثرها وروداً في آياته، وأشهرها دوراناً على ألسنة السلف، وله أسماء أخرى هي في الأصل أوصاف أو أجناس أنهاها في الإتقان إلى نيِّفٍ وعشرين(١)، والذي اشتهر إطلاقه عليه منها ستة: التنزيل، والكتاب، والفرقان، والذكر، والوحي، وكلام الله»(٢).

وهذا القول له وجاهته وقيمته، فإن اسم (القرآن) أشهر الأسماء الخمسة، وهو لا ينافي ما سبق.

وأخيراً يبقى التحديد الدقيق والتفريق بين ما يصح اسماً أو وصفاً للقرآن محل اجتهاد، وتباين وجهات النظر ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

وأسماء القرآن وأوصافه بينهما اشتراك وامتياز «بمنزلة الأسماء المترادفة والمتباينة؛ كلفظ الصارم والمهند والسيف، فإنها تشترك في دلالتها على الذات، فهي من هذا الوجه كالمتواطئة، ويمتاز كل منها بدلالته على معنى خاص فتشبه المتباينة، وأسماء الله، وأسماء رسوله وكتابه من هذا الباب»(٣)، وجاء في خصائص القرآن: «وبين أسماء القرآن الكثيرة اشتراك وامتياز، فهي تشترك في دلالتها على ذات واحدة هي القرآن الكريم نفسه، ويمتاز كل واحد منها عن الآخر بدلالته على معنى خاص، فكل اسم للقرآن يدل على حصول معناه فيه، فتسميته مثلاً بالهدى يدل على الهداية فيه، وتسميته بالتذكرة يدل على أنه فيه ذكرى وهكذا...»(٤).

---

(١) الحقيقة أن السيوطي ذكر في الإتقان قول (شيذلة) وهي خمسة وخمسون اسماً، وليس نيفاً وعشرين. انظر: الإتقان (١/ ١١١).

(٢) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (تونس: دار سحنون) (١/ ٧١ ـ ٧٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٩٤).

(٤) خصائص القرآن الكريم، د. فهد الرومي، ط٧، (الرياض: دار طيبة، ١٤١١هـ)، ص(١٢٣).

مصدر تسمية القرآن ووصفه

ورد في كتاب الله تعالى أسماء وأوصاف كثيرة له، بلْه ما اختلف فيه، أو ذكر أنه اسم أو وصف ولم يثبت أصلاً.. وورد في سنة المصطفى ﷺ أحاديث فيها ذكر لأوصاف القرآن، ومن ذلك حديث الحارث الأعور قال: مَرَرْتُ في الْمَسْجِدِ فإذا الناس يَخُوضُونَ في الْأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ على عَلِيٍّ، فقلت: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ألا تَرَى أَنَّ الناس قد خَاضُوا في الْأَحَادِيثِ، قال: وقد فَعَلُوهَا؟ قلت: نعم، قال: أَمَا إني قد سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ألا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ**» فقلت: ما الْمَخْرَجُ منها يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**كِتَابُ اللهِ فيه نَبَأُ ما كان قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ ما بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ ما بَيْنَكُمْ وهو الْفَصْلُ ليس بِالْهَزْلِ من تَرَكَهُ من جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى في غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ وهو حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وهو الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وهو الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هو الذي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ ولا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ ولا يَشْبَعُ منه الْعُلَمَاءُ ولا يَخْلَقُ على كَثْرَةِ الرَّدِّ ولا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هو الذي لم تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾** [الجن: ١ - ٢] **من قال بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إليه هَدَى إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» خُذْهَا إِلَيْكَ يا أَعْوَرُ[(١)].

وحديث أبي الْأَحْوَصِ عن عبد اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن هذا الْقُرْآنَ

---

(١) رواه الترمذي في جامعه، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن، حديث [٢٩٠٦] وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، والدارمي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن، حديث [٣١٩٧]؛ والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٧٨) وعزاه إلى ابن شيبة والدارمي والترمذي وابن الأنباري في المصاحف.. وضعفه الألباني.

مَأْدُبَةُ اللهِ فَتَعَلَّمُوا من مَأْدُبَتِهِ ما اسْتَطَعْتُمْ، إن هذا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللهِ وَالنُّورُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ عصمةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ لَا يزيغ فَيَسْتَعْتِبُ ولا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ ولا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ولا يَخْلَقُ عن كَثْرَةِ الرَّدِّ فاتلوه فإن اللهَ يَأْجُرُكُمْ على تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ أَمَا أني لَا أَقُولُ ألم حرف وَلَكِنْ بِأَلِفٍ وَلَامٍ وَمِيمٍ)(١).

ولكن هل يتقيد بما ذكر في الوحيين فقط ويمنع إحداث زيادة عليها، فتكون «أسماء القرآن الكريم وصفاته توقيفية لا نسميه ولا نصفه إلا بما جاء في الكتاب أو في السنة النبوية الشريفة»(٢)؛ أم هو خاضع لاجتهادات العلماء واستنباطات المتأملين، فمنهم من يسميه بالتوراة الحديثة، ومنهم من يصفه بـ(الجامع) ويريد جمعه لخيري الدنيا والآخرة، ومن ذلك قول الإمام الألوسي [١٢٧٠هـ] في تفسيره: (وعندي أنها كلها ترجع بعد التأمل الصادق إلى القرآن والفرقان... فهما الأصل فيها)(٣).

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ الأول، وذلك لأمور:

١ ـ أنه إذا ورد في الوحيين أسماء أو أوصاف لشيء ما فالأولى الاقتصار عليها، وعدم تجاوزها؛ ولذا عاب النبي ﷺ على من سمى صلاة العشاء بالعتمة، وقد وردت في كتاب الله تعالى بهذا الاسم، فعن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول اللهِ ﷺ: **«لَا تَغْلِبَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ على اسْمِ صَلَاتِكُمْ الْعِشَاءِ فَإِنَّهَا في كِتَابِ اللهِ الْعِشَاءُ وَإِنَّهَا تُعْتِمُ بِحِلَابِ الْإِبِلِ»**(٤).

٢ ـ أنه لم يرد وصف القرآن على لسان الصحابة رضي الله عنهم إلا قليلاً جداً،

---

(١) رواه الدارمي في سننه (٢/ ٥٢٣) وغيره، وسيأتي قريباً.
(٢) دراسات في علوم القرآن، للدكتور: فهد الرومي (٢٧).
(٣) روح المعاني (١/ ٨).
(٤) رواه البخاري في كتاب: مواقيت الصلاة، باب: من كره أن يقال للمغرب العشاء (١/ ٢٠٦)، حديث [٥٣٨]؛ ومسلم في صحيحه، حديث [٦٤٤] (١/ ٤٤٥).

ومن ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه السابق، وقد اختلف في رفعه إلى النبي ﷺ ووقفه، فبعضهم يرويه مرفوعاً كالحاكم في مستدركه[(١)] وابن أبي شيبة في مصنفه[(٢)]، وبعضهم موقوفاً كالدارمي في سننه[(٣)] وعبد الرزاق في مصنفه[(٤)]... والأوصاف المذكورة في هذا الحديث قد وردت في حديث الأعور عن علي رضي الله عنه بنصها، أو بمعناها في بعض الجمل، وإن كان آخر الحديث يشهد له بالرفع حكماً؛ لأنه لا يمكن أن يقال بالرأي وهي قول: «**أَمَا أني لَا أَقُولُ الم حرف وَلَكِنْ بِأَلِفٍ وَلَامٍ وَمِيمٍ**» والله أعلم، مما يدل على الاكتفاء بما ورد عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ في ذلك، وغيرهم من باب أولى، وإن ورد فيكون من باب الإخبار عن الشيء وليس اسماً أو وصفاً له.

٣ ـ قال الإمام الزركشي [٧٩٤هـ] رحمه الله عن أسماء سور القرآن: «وينبغي البحث عن تعدد الأسامي: هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد»[(٥)]، وقال الإمام السيوطي [٩١١هـ] رحمه الله: «وقد ثبت أن جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار...»[(٦)].

وأسماء القرآن تقاس على أسماء سور القرآن بجامع أن كليهما ورد له تسمية في الوحيين فيقتصر عليهما ولا يتجاوز إلى غيرهما. والله أعلم.

وإن ورد عن بعضهم وصف القرآن بغير ما ورد في الوحيين فلعله يكون من باب الإخبار عن الشيء وليس وصفاً له، ولذا فرق الإمام ابن القيم رحمه الله بين الإخبار عن الله تعالى وبين الأسماء والصفات فقال رحمه الله: (ما يطلق عليه ـ أي: على الله تعالى ـ في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الإخبار لا يجب أن يكون توقيفياً؛ كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه..)[(٧)].

---

(١) حديث [٢٠٤٠] (١/ ٧٤١).
(٢) حديث [٣٠٠٠٨] (٦/ ١٢٥).
(٣) حديث [٣٣١٥] (٢/ ٥٢٣).
(٤) حديث [٥٩٩٨] (٣/ ٣٦٨).
(٥) البرهان (١/ ٢٧٠).
(٦) الإتقان (١/ ١٦٦).
(٧) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٥).

الباب الأول

أسماء القرآن الكريم

وفيه فصلان:

الأول: الأسماء الثابتة.

الثاني: الأسماء المردودة المنسوبة للقرآن.

الفصل الأول

أسماء القرآن الثابتة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: القرآن، إطلاقاته، وكثرة الأوصاف المضافة إليه.

المبحث الثاني: الكتاب، إطلاقاته ومدلولاته.

المبحث الثالث: الفرقان، إطلاقاته ومعانيه المضافة إلى القرآن.

المبحث الرابع: الذكر، إطلاقاته ومعانيه المراد بها القرآن.

المبحث الخامس: التنزيل إطلاقاته، والتفريق بين الإنزال والتنزيل.

مدخل

سمى الله ﷻ كتابه الكريم بأسماء عديدة، وكررها في أكثر من موضع من كتابه، حتى ورد بعضها أكثر من ستين مرة، ولأهمية معرفة هذه الأسماء نهض العلماء ـ رحمهم الله ـ قديماً على جمعها، والاستشهاد عليها بالآيات القرآنية[(١)]، إلا أنهم بين مستقلٍّ ومستكثرٍ، فبعضهم أوصلها إلى نيِّف وتسعين[(٢)]، واقتصر البعض الآخر على أربعة فقط[(٣)]، وذلك راجع ـ والله أعلم ـ إلى أن أولئك الذين تجاوزوا بالأسماء الخمسين وأكثر، أرادوا الأسماء المجردة للقرآن، وأما الذين اقتصروا على الخمسة وأقل، أرادوا أسماء الأعلام التي يصح إطلاقها على القرآن، والبقية إنما هي أوصاف للقرآن، وليست أعلام له، «وقد ذكر بعض العلماء للقرآن أسماء كثيرة، غير أن جُلَّها لا يظهر وجه لجعله من قبيل الأسماء، وكأنهم ظنوا أن كل ما وصفه الله تعالى به القرآن، أو أطلق عليه على أي وجه كان، يصح جعله اسماً من أسمائه»[(٤)].

وأسماء الأعلام خمسة هي: (القرآن، الكتاب، الفرقان، الذكر، التنزيل)، واسم (القرآن) يُعدُّ عَلَماً أصلياً على كتاب الله تعالى، يقول الطاهر

---

(١) ولعل أول من جمع الأسماء والأوصاف هو أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجملي القاضي المعروف بشيذلة، توفي سنة ٤٩٤هـ.

(٢) وهو أبو الحسن الحرالي المتوفى سنة ٦٣٧هـ. انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٠).

(٣) كابن جرير. انظر: تفسير الطبري (١/ ٨٩).

(٤) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان، طاهر الجزائري، ص(١٥٧).

ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «فاسم القرآن هو الاسم الذي جعل علماً على الوحي المنزل على محمد ﷺ ولم يُسبق أن أطلق على غيره قبله، وهو أشهر أسمائه وأكثرها وروداً في آياته، وأشهرها دوراناً على ألسنة العلماء»(١)، وأما الأسماء الأربعة الباقية فهي أعلام بالغلبة(٢).

وهذه الأسماء الخمسة هي التي شاع تداولها بين العلماء، واستعملوها أسماءً للكتاب الكريم، واقتصر عليها طائفة من العلماء(٣).

وفي هذا الفصل - إن شاء الله - سأخصص الحديث عن هذه الأسماء الخمسة التي يصح أن تطلق عَلَماً على القرآن، وثبتت له، وهي: (القرآن، الكتاب، الفرقان، الذكر، التنزيل).

(١) التحرير والتنوير (١/ ٧١).

(٢) والغلبة هي: (أن يكون اللفظ في أصل الوضع عاماً في أشياء، ثم يصير بكثرة الاستعمال في أحدها أشهر، بحيث لا يحتاج ذلك الشيء إلى قرينة، بخلاف سائر ما كان واقعاً عليه اسماً كان كابن عباس، أو صفة كالأسود للحية). الكليات (٦٦٧).

(٣) انظر: مناهل العرفان (١/ ١٧)؛ المدخل لأبي شهبه (٢٣)؛ الموسوعة القرآنية المتخصصة (٩٥ - ١٠٠)؛ البيان في علوم القرآن (٢٠ - ٢١)؛ مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (١٧ - ٢١)؛ التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان (١٥٠)... وقد اقتصر بعضهم على أربعة فقط، حيث أخرجوا اسم (التنزيل) كابن جرير وابن عطية، وقد بينت ذلك في «التمهيد».

المبحث الأول

القرآن، إطلاقاته، وكثرة الأوصاف المضافة إليه

اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في أصل كلمة (القرآن) هل هي مشتقة أم جامدة؟ وإذا كانت مشتقة، فمشتقة من ماذا؟ وهل تهمز أو لا تهمز؟ على أقوال خمسة، سأعرضها بإيجاز، مع اتفاقهم جميعاً على أنه اسم وليس بفعل أو حرف.

القول الأول:

أنه اسم جامد، ليس بمشتق، ولا مهموز، وضع ـ أول ما وضع ـ عَلَماً على القرآن، كما أن اسم التوراة عَلَمٌ على الذي أنزل على موسى عليه السلام، والإنجيل عَلَمٌ على الذي أنزل على عيسى عليه السلام.

ذهب إلى هذا الشافعي[1]، حيث يقول هو عن شيخه: «وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين[2] وكان يقول: القران، اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت؛ لكان كل ما قرئ قرآنا، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل، يهمز قرأت ولا يهمز القرآن، وإذا قرأت القرآن يهمز قرأت ولا يهمز القران»[3]، وعليه

---

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس أبو عبد الله الشافعي، الإمام زين الفقهاء، وتاج العلماء، نشأ بمكة وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول ﷺ وقدم بغداد مرتين وحدث بها وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته، ومن مؤلفاته كتاب «الأم» و«الرسالة»، توفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٥٦)؛ صفوة الصفوة (٢/ ٢٤٧).

(٢) هو إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، أبو إسحاق المخزومي، مولاهم المكي، المقرئ المعروف بالقسط، قارئ أهل مكة في زمانه، وقرأ عليه الشافعي، توفي سنة ١٩٠هـ. انظر: معرفة القراء (١/ ١٤١).

(٣) تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، بيروت، دار الكتب العلمية (٢/ ٦٢).

قراءة ابن كثير(١)(٢)، وقد خَالفَ السبعة في ذلك(٣).

القول الثاني:

أن الهمزة في اسم (القرآن) أصلية، وهو مصدر مهموز، بوزن الغفران والخسران، مشتق من (قَرَأ) أي: تلا، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٧ ـ ١٨]؛ أي: قراءته، «وفلان (قرأ) عليك السلام، و(أقراك) السلام بمعنى»(٤).

ذهب إلى هذا القول ابن عباس رضي الله عنهما(٥).

القول الثالث:

أن الهمزة في لفظ (القرآن) أصلية، وهو وصف على وزن فعلان، مشتق من (قَرَأ) الشيء (قُرءاناً) جمعه وضمه، ومنه سمي (القرآن)؛ لأنه يجمع السور ويضمها(٦).

قال ابن الأثير [٦٠٦هـ]: «والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته»(٧).

وذهب إلى هذا القول قتادة رحمه الله(٨)(٩).

---

(١) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة (١٢٥).

(٢) هو عبد الله بن كثير بن المطلب، الإمام أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي، إمام المكيين في القراءة، أصله فارسي، وكان دارياً بمكة وهو العطار مأخوذ من قوله عطر دارين، ودارين موضع بنواحي الهند، وقيل في نسبته الداري إنه قرشي من بني عبد الدار، تصدر للإقراء وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن، توفي سنة ١٢٠هـ. انظر: المنتظم (٧/ ٢٠٣)؛ معرفة القراء (١/ ٨٦).

(٣) انظر: لسان العرب (قرأ) (١/ ١٢٩)؛ والإتقان (١/ ١١١)؛ والبرهان (١/ ٣٧٤).

(٤) مختار الصحاح، مادة (ق ر أ).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ٩٠)؛ والبرهان (١/ ٣٧٣)؛ والإتقان (١/ ١١٢).

(٦) انظر: مختار الصحاح (ق ر أ)؛ لسان العرب (١/ ١٣٠).

(٧) النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٧).

(٨) هو قتادة بن دعامة السدوسي الأعمى الحافظ أبو الخطاب، البصري، ولد أكمه، أخذ القرآن ومعانيه، توفي سنة ١١٧هـ. انظر: تقريب التهذيب (٤٥٣)؛ طبقات المفسرين للداودي (١٤).

(٩) انظر: تفسير الطبري (١/ ٩١).

قال ابن جرير [٣١٠هـ] بعد أن ساق القولين ـ الثاني والثالث ـ: «ولكلا القولين وجه صحيح في كلام العرب..»[(١)]، وإذا أُسقطت الهمزة فيهما فهو للتخفيف، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها[(٢)].

القول الرابع:

أن الهمزة في (القرآن) غير أصلية، والنون أصلية، وهو مشتق من (قَرَن) يقال: قرن الشيء بالشيء إذا جمعه، وقرن بين الحج والعمرة إذا جمعهما في سفر واحد، قال ابن فارس [٣٩٥هـ]: «القاف والراء والنون أصلان صحيحان: أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء»[(٣)].

وذهب إلى هذا القول الأشعري[(٤)][(٥)].

القول الخامس:

أن الهمزة في (القرآن) غير أصلية، والنون أصلية، وهو مشتق من (القرائن)؛ لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً، وهي قرائن.

وهو قول الفراء[(٦)]، ورده الزجاج[(٧)].

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) انظر: التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، ص(١٥٧)، المدخل لأبي شهبة (١٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة (قرن)، ص(٨٥٢).

(٤) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر، أبو الحسن الأشعري المتكلم، من ذرية الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة، ومن كتبه «الفصول» في الرد على أهل البدع، و«الموجز»، و«الإبانة»، وصنف في تفسير القرآن، توفي سنة ٣٣٠هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)؛ طبقات المفسرين للداودي (٦٧).

(٥) انظر: البرهان (١/ ٣٧٤)؛ والإتقان (١/ ١١٢).

(٦) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الفراء مولى بنى أسد من أهل الكوفة، النحوي، وهو أجل أصحاب الكسائي، كان رأساً في النحو واللغة، وله مصنفات عدة، منها «الحدود» في النحو، و«معاني القرآن»، وتقدر تآليف الفراء ثلاثة آلاف ورقة، توفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٢٠)؛ شذرات الذهب (٢/ ١٩).

(٧) انظر: الإتقان (١/ ١١٢)؛ وعزاه الزركشي في البرهان إلى القرطبي (١/ ٣٧٤).

ويمكن أن تختصر هذه الأقوال إلى ثلاثة أقوال فقط، وهي:

القول الأول: أنه اسم جامد، وضع عَلَماً على القرآن.

القول الثاني: أنه مهموز، فيكون بمعنى (تلا)، أو بمعنى (جمع).

القول الثالث: أنه غير مهموز، ونونه أصلية، فيكون بمعنى (قرن)، أو بمعنى (قرائن).

ولعل القول الثاني أرجح الأقوال، وهو الذي يوافق قراءة الأئمة السبعة، ما عدا ابن كثير، وكونه بمعنى (تلا) أرجح من معنى الضم والجمع؛ لأن الله ﷻ غاير بين المعنيين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ٢٧]، فالقراءة هنا مغايرة للجمع، والأصل في العطف المغايرة، وكذلك إذا كان معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ٢٨] أي: ألفناه وجمعناه، للزم ألا يكون لزمه عليه الصلاة والسلام فرض ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق: ١]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ١، ٢]؛ لأنه لما يجتمع كله بعد، ولا أحد قال به[(١)].

التعريف الاصطلاحي:

«القرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، بحيث يكون تعريفه حداً حقيقياً، والحد الحقيقي له هو استحضاره معهوداً في الذهن أو مشاهداً بالحس، كأن تشير إليه مكتوباً في المصحف، أو مقروءاً باللسان فتقول: هو ما بين هاتين الدفتين..»[(٢)]، وذلك لاشتماله على الخصائص الكثيرة، والمزايا العديدة، المشتملة على خيري الدنيا والآخرة.. ولكن يمكن أن يُعرَّف ويُحدَّ حتى تقرب حقيقته بأنه «كلام الله تعالى، المنزل على نبيه محمد ﷺ المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٩٢).

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط٣،(الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ)، ص(١٦).

سورة الناس»[١]، وهذه الاحترازات والقيود في التعريف ليخرج ما يلي:

(كلام الله) كلام غيره من الجن والإنس والملائكة[٢].

(المنزل على نبيه محمد ﷺ) ما كان منزلاً من الكتب، ولكن على غيره من الرسل، كالتوراة والإنجيل والزبور.

(المعجز بلفظه) غير المعجز من كلام الله تعالى؛ كالأحاديث القدسية ـ على قول أن الألفاظ من عند الله ـ، والكتب السابقة، كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»** متفق عليه[٣].

(المتعبد بتلاوته) القراءات الأحادية، والتفسيرية، فإن الله تعالى لم يتعبدنا بتلاوتها وقراءتها.

(المنقول بالتواتر) ما سوى القرآن المتواتر، من منسوخ التلاوة، والقراءات الشاذة، فلا تسمى قرآناً.

(المكتوب في المصاحف) ما ليس مكتوباً في المصاحف كالآيات المنسوخة تلاوة وحكماً، أو تلاوة فقط[٤].

---

(١) انظر: المدخل لأبي شهبة (٢٠)؛ مباحث في علوم القرآن (١٧).

(٢) وهو كلام الله حقيقة، يقول شيخ الإسلام: (كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد عليه الصلاة والسلام هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف..). الفتاوى (٣/ ١٤٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، حديث [٤٦٩٥]؛ ومسلم في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، حديث [١٥٢].

(٤) انظر: المدخل (٢٠ ـ ٢١)؛ ومباحث في علوم القرآن (١٧)؛ ودراسات في علوم القرآن للرومي (٢١).

وهذه القيود الثلاثة الأخيرة إنما هي في الحقيقة لبيان الواقع لا للإخراج والاحتراز؛ لأن قيد (المعجز بلفظه) يكفي عنها كلها[١].

وجه التسمية:

سمى الله تعالى كتابه الكريم بـ(القرآن) وهو من أشهر أسمائه التي تطلق عليه، يقول الجاحظ[٢]: «سمى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل، سمى جملته قرآناً كما سموا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية»[٣].

وقد اختلفت أقوال المفسرين في بيان وجه وسبب التسمية بـ(القرآن) على ضوء اختلافهم في أصل اشتقاقه، فمن قال: إنه مشتق من (القرائن) كالفراء، ذكر أن آيات القرآن يصدق بعضها بعضاً، ويشبه بعضها بعضاً في الإحكام والإتقان والنظم والإعجاز[٤].

ومن قال: إنه مشتق من (قَرَن) كالأشعري، ذكر أن القرآن سمي بذلك لِقران السور والآيات والحروف فيه[٥]، ويقرب منه قول من قال: إنه مشتق من

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، إشراف وتقديم: ا. د: محمود حمدي زقزوق، (القاهرة: وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ١٤٢٣هـ)، ص(١٠٣).

(٢) هو عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ البصري، كان من متكلمي المعتزلة وهو تلميذ أبي إسحق النظام، وسمي جاحظاً لجحوظ عينيه؛ أي: نتوئهما، وكان موته بسقوط مجلدات العلم عليه، وله تآليف كثيرة منها «الحيوان» و«البيان والتبيين»، توفي سنة ٢٥٠هـ. انظر: المنتظم (١٢/ ٩٣)؛ شذرات الذهب (٢/ ١٢٢).

(٣) انظر: الإتقان (١/ ١١١)، وقد تعقب د. أحمد زكريا ياسوف هذا القول، بقوله: (أن هذا القول يحتاج إلى مناقشة، وليس له سند ديني أصلاً.. وذلك لأن كلمة (الديوان) الفارسية الأصل لم تكن معروفة في زمن نزول القرآن، فكيف تكون المعارضة، كذلك لم يطلق مصطلح البيت على الشطرين المعروفين، ولم يسم القرآن رؤوس الآيات فواصل، أما القصيدة فقد وجدنا معناها في العصر الجاهلي، فالمغايرة أنه أطلق اسم القرآن على ما هو مقروء لأول مرة.. (مجلة نهج الإسلام، إصدار وزارة الأوقاف في الجمهورية العربية السورية، العدد: ٧٧ ـ ٧٨، رئيس تحريرها: محمد زيادة) ص(١١٠).

(٤) انظر: الإتقان (١/ ١١٢)؛ والبرهان (١/ ٣٧٤).

(٥) انظر: البرهان (١/ ٣٧٤).

(قَرَأ) بمعنى جمع، وذلك لأنه يجمع السور والآيات، ويضمها بين دفتيه[١].

ومن قال: إنه مشتق من (قرأ) بمعنى تلا، فإنه أراد ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، يقول الراغب [٤٢٥هـ]: «وليس يقال ذلك لكل جمع، لا يقال: قرأت القوم: إذا جمعتهم»[٢].

وقيل: إن تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩][٣].

وقيل: سمي به لأنه جُمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد[٤].

وقيل: سمي قرآناً لأنه نظم على أسلوب تسهل تلاوته.. وما ذلك إلا لفصاحة تأليفه، وتناسب حروفه[٥].

وجميع الأقوال السابقة صحيحة، وذلك أن كتاب الله تعالى اشتمل على خصائص كثيرة، ومزايا عديدة، شاملة لخيري الدنيا والآخرة، فكل طائفة من العلماء تناولته من جانب دون جانب[٦]، ولعل أشملها وأوسعها قول من قال: لكونه جامعاً لثمرة جميع العلوم، وثمرة كتب الله المنزلة السابقة. والله أعلم.

وإطلاق هذا الاسم العظيم (القرآن) على الكتاب الكريم ليدل دلالة واضحة على عظمته ومكانته العالية، وتشريفه على بقية الكتب السماوية السابقة، حيث جمع ثمرتها وبركتها وزيادة، ويدل ـ أيضاً ـ على «وجوب تميز وتفرد الأمة الإسلامية ـ الأمينة على قرآنها، وعلى وجودها، وعلى البشرية من

---

(١) انظر: مختار الصحاح (ق ر أ)؛ النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٧).
(٢) المفردات ص(٦٦٩) مادة (قرأ)؛ وتعقبه الزركشي بقوله: (ولعل مراده بذلك في العرف والاستعمال، لا في أصل اللغة) البرهان (١/ ٣٧٤).
(٣) المرجع نفسه.
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، (بيروت: المكتبة العلمية) (٤/ ٢٦٣).
(٥) التحرير والتنوير (٧/ ٣١٤).
(٦) وقد أُلفت كتب مستقلة في خصائص القرآن، ومنها (خصائص القرآن الكريم) للدكتور الرومي.

حولها ـ بحيث لا تأخذ في مناهج حياتها من غير هذا القرآن الكريم»(١) الذي حوى واشتمل على أقوم وأعلى النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. وسائر جوانب الحياة البشرية.

وقد يطلق اسم (القرآن) على الكتب السابقة، بدلالة المعنى اللغوي، والاشتقاقي، من الضم والجمع(٢)، كما ورد في الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خُفِّفَ على دَاوُدَ عليه السَّلَام الْقُرْآنُ فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قبل أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ..**»(٣).

وقد ورد اسم (القرآن) في القرآن الكريم، ستاً وستين مرة(٤)، وجاء على استعمالات مختلفة، وأساليب متنوعة، فورد محلاً بـ(ال) إحدى وخمسين مرة(٥).

---

(١) مفاتيح للتعامل مع القرآن، صلاح الخالدي، ط١، (الأردن، مكتبة المنار، ١٤٠٦هـ)، ص(١٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي، ط١، (الرياض: دار السلام، ١٤١٤هـ) (٢/ ٦٧٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾.. حديث [٣٢٣٥].

(٤) وذكر الشيخ صالح البليهي في الهدى والبيان أنه ورد (٧٣) مرة (١/ ١٨٠)، وذكر محمد جميل غازي أنه ورد (٧٠) مرة ص(٣٦)، ود. الخمساوي ذكر أنه ورد (٦٨) مرة، ولعل التحقيق هو ما ذكرته على ما سأبين في موضعه إن شاء الله.

(٥) والآيات هي: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] ﴿تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ [المائدة: ١٠١] ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ [التوبة: ١١١] وبقية المواضع: [يونس: ٣٧] [يوسف: ٣] [الحجر: ٨٧، ٩١] [النحل: ٩٨] [الإسراء: ٩، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٦٠، ٨٢، ٨٨، ٨٩] [الكهف: ٥٤] [طه: ٢، ١١٤] [الفرقان: ٣٠، ٣٣] [النمل: ١، ٦، ٧٦، ٩٣] [القصص: ٨٥] [الروم: ٥٨] [سبأ: ٣١] [يس: ٢] [ص: ١] [الزمر: ٢٧] [فصلت: ٢٦] [الزخرف: ٣١] [الأحقاف: ٢٩] [محمد: ٢٤] [ق: ١، ٤٥] [الآيات من سورة القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠] [الرحمٰن: ٢] [الواقعة: ٧٧] [الحشر: ٢١] [المزمل: ٤، ٢٠] [الإنسان: ٢٣] [الانشقاق: ٢١].

وهي لتعريف النكرة[(١)]، ووردت في مواضع لبيان الجنس كما في قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ٢]، وربما وردت عهدية، كما في قول الله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وغيرها من الآيات.

إلا أن المفسرين اختلفوا في قول الله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩٠، ٩١] فقال بعضهم: إن المراد بـ(القرآن) هنا هو كتب المتقدمين، كالتوراة عند اليهود، والإنجيل عند النصارى، فآمنت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها، وكذلك النصارى في الإنجيل، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقوله: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]، وسميت كتبهم بـ(القرآن) على المعنى اللغوي؛ أي: الكتاب المقروء، قاله ابن كثير[(٢)] والألوسي[(٣)(٤)].

---

(١) تأتي (ال) على حالين بارزتين هما ١ ـ التعريف ٢ ـ الزائدة، والتي للتعريف تكون: ١ ـ جنسية، وعلامتها أن تصح كلمة ﴿كُلُّ﴾ محلها، ٢ ـ عهدية: لأن مصحوبها معهود للمتكلم والسامع، ٣ ـ موصولة: وهي المتصلة باسم الفاعل واسم المفعول، ٤ ـ (ال) النائبة عن الضمائر.. أما الزائدة فهي على نوعين: ١ ـ زيادة لازمة؛ كالأسماء الموصولة «الذي» «التي».. واسم الله، ٢ ـ غير لازمة: وتزاد في الضرورة أو في الاختيار. انظر: مغني اللبيب (١/ ١٠٣ ـ ١١١)؛ والأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم (٢٠٨ ـ ٢١٢).

(٢) هو الإمام المحدث الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصري، صاهر الحافظ أبا الحجاج المزي ولازمه وأخذ عنه، وأقبل على علم الحديث وأخذ الكثير عن ابن تيمية وقرأ الأصول على الأصفهاني وغيره، وله مصنفات كثيرة منها، «البداية والنهاية»، و«تفسير القرآن العظيم» «مختصر تهذيب الكمال»، توفي سنة ٧٧٤هـ وقبر بجوار شيخه ابن تيمية. انظر: طبقات الشافعية (٣/ ٨٦)؛ ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي (٣٦١).

(٣) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر محدث أديب، من المجددين، من أهل بغداد، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ، وعزل فانقطع للعلم، وصنف كتباً كثيرة، منها «روح المعاني» و«غرائب الاغتراب» و«حاشية على شرح القطر»، توفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام (٧/ ١٧٦).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٧٣٦)؛ روح المعاني (١٤/ ٨١).

وقيل: بل المراد بـ(القرآن) هنا الكتاب المنزل على محمد ﷺ، والمراد بالمقتسمين مشركو مكة، حيث قال بعضهم كما روى ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا شرف فيهم وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً، فقالوا: وأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به، قال: بل أنتم قولوا لأسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: ما هو بكاهن، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، قالوا: فنقول ساحر قال: ما هو بساحر، قالوا: فماذا نقول؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا هو ساحر، فتفرقوا عنه بذلك وأنزل الله فيهم ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ أصنافاً[(١)].

وهو رأي الجمهور كابن جرير[(٢)]، وابن الجوزي[(٣)] وعزاه إلى جمهور المفسرين، والشنقيطي[(٤)(٥)]، وغيرهم.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٦٣)؛ والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٥٨).

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة من أهل آمل طبرستان، رأس المفسرين، وله تصانيف كثيرة منها «جامع البيان عن آي القرآن» و«تاريخ الأمم والملوك» و«اختلاف العلماء» وغيرها كثير. توفي سنة ٣١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)؛ طبقات المفسرين للداودي (٥٠).

(٣) هو الإمام العلامة الحافظ المفسر شيخ الإسلام مفخرة العراق، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد، يمتد نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر، صاحب التصانيف، حيث بلغت نحواً من ثلاثمائة مصنف، منها «زاد المسير» و«جامع المسانيد» و«المنتظم».. توفي سنة ٥٠٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥)؛ البداية والنهاية (١٣/ ٢٨).

(٤) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، ولد سنة ١٣٠٥هـ، في شنقيط بموريتانيا، كان مدرساً بالمسجد النبوي، ودرس في الرياض، وله مؤلفات كثيرة منها «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» و«دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب» وغيرها، توفي سنة ١٣٩٣هـ. انظر: الترجمة في مقدمة أضواء البيان (١/ ٩).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٣٣)؛ زاد المسير (٤/ ٤١٨)؛ أضواء البيان (٢/ ١٠٨).

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن المراد بـ(القرآن) هنا، هو الكتاب الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ، وأن اليهود والنصارى وإن كانوا آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعضها ـ كما سبق ـ فهم ـ أيضاً ـ آمنوا ببعض القرآن مما يوافق هواهم، وكفروا ببعضه، فيصدق عليهم أنهم جعلوا الكتاب الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ عضين.

وكذلك الآيات التي تبين وصف مشركي مكة للقرآن حيث قالوا: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥]، وقالوا: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾ [المدثر: ٢٥] وغيرها من الآيات التي يصدق عليهم أنهم جعلوا القرآن أعضاء متفرقة.

فالقرينة في الآية الكريمة تؤيد القول الثاني، ولا تنافي القول الأول، فإنه يدخل في معناها ولا ينافيها، يقول ابن جرير [٣١٠هـ] بعد أن رجح القول الثاني: «وجائز أن يكون عنى بالمقتسمين أهل الكتابين..»(١)(٢).

فعلى هذا تكون الآيات التي ورد فيها اسم (القرآن) إحدى وخمسين آية.

وقد أقسم الله تعالى في أكثر من موضع من كتابه بهذا الاسم العظيم، قال تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ٢]، وقوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [ص: ١]، وقوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: ١]، وغير ذلك من الآيات، والعظيم لا يقسم إلا بما هو عظيم، فالقسم بالقرآن هنا كناية عن شرفه وقدره وتعظيمه عند الله(٣)، والله ﷻ لم يقسم بغيره من الأسماء إلا باسم (الكتاب) في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [الزخرف: ١، ٢].

وكثيراً ما تذكر الأوصاف والآثار لهذا الكتاب العزيز بعد هذا الاسم؛

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ١٣٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٣٣)؛ الكشاف (٣/ ٤١٨)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٧٣٦)؛ البحر المحيط (٥/ ٦٠٠)؛ التحرير والتنوير (٦/ ٨٦)؛ أضواء البيان (٢/ ١٠٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٣٤٥).

لكونه أشهر الأعلام وأبرزها، فعلى سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] فوصفه بأنه هدى، وأنه بينات، وقال تعالى: ﴿ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ①﴾ [ق: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ومن الآثار قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، كذلك ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ⑦⑥﴾ [النمل: ٧٦]، وغير ذلك من الآيات[١].

وقد ذكر الله تعالى التصريف الذي هو: صرف الشيء من حالة إلى حالة، ومن أمر إلى أمر[٢]، في كتابه وقرنه باسم (القرآن) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩]، وذلك في ثلاثة مواضع[٣].

وكذلك الضرب الذي هو الوصف والبيان[٤] باسم (القرآن) كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨][٥] مما يدل على علميته وأنه أشهر أسمائه.

وإن كان بعض المفسرين[٦] يرى أنهما بمعنى، كما قال عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ [الكهف: ٥٤]؛ أي: ضربنا[٧].

ومن أساليب ورود اسم (القرآن) في القرآن ما جاء بصيغة النكرة، فمرة

---

(١) وقد أحصيتها فبلغت خمس عشرة آية.
(٢) المفردات للراغب الأصفهاني (صرف) (٤٨٢).
(٣) مرتين في سورة الإسراء آيتي [٤٠، ٨٩]، ومرة في سورة الكهف [٥٤].
(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز (ضرب) (٣/ ٤٦٥).
(٥) وورد مرتين في: الروم [٥٨]، والزمر [٢٧].
(٦) كابن أبي زمنين.
(٧) تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: حسين عكاشة وآخرون، ط١، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ) (٣/ ٤٠).

يرفع، ومرة ينصب، ومرة يجر، وورد خمس عشرة مرة[١].

وتنكير اسم (القرآن) يدل على التفخيم والتعظيم[٢].

وقد وصف (القرآن) ـ بصيغة التنكير ـ بأنه عربي في سبعة مواضع، «مما يفيد الإبانة من جهتي لفظه ومعناه، فإن كونه قرآناً يدل على إبانة المعاني؛ لأنه ما جعل مقروءاً إلا لما في تراكيبه من المعاني المفيدة للقارئ، وكونه عربياً يفيد إبانة ألفاظه المعاني المقصودة للذين خوطبوا به ابتداء، وهم العرب، إذ لم يتبينوا شيئاً من الأمم التي حولهم؛ لأن كتبهم كانت باللغات غير العربية»[٣][٤].

أما إذا ورد لفظ (قرآن) مضافاً إلى ما بعده، فإنه لا يراد به كتاب الله تعالى[٥]، سواء كانت الإضافة إلى ظاهر، كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨]، فإن جمهور المفسرين فسروا هذه الآية بمعنى: ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن، قال ابن عباس: (وقرءان الفجر) صلاة الفجر، وهو قول قتادة وغيره[٦].

---

(١) والآيات هي: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥] ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ [يونس: ٦١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢] ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ [الحجر: ١] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١] وبقية المواضع: [الإسراء: ١٠٦] [طه: ١١٣] [الزمر: ٢٨] [فصلت: ٣، ٤٤] [الشورى: ٧] [الزخرف: ٣] [الجن: ١] [البروج: ٢١].

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ٩ ـ ١٠).

(٣) المرجع نفسه (٥/ ٢٠١).

(٤) وسيأتي مزيد بيان عن وصف القرآن بأنه عربي، عند الحديث الخاص لهذا الوصف.

(٥) انظر: لطائف قرآنية، صلاح الخالدي، ط٢، (بيروت: الدار الدمشقية، ١٤١٩هـ) ص(٣٢).

(٦) انظر: تفسيرالطبري (١٥/ ٣٣ ـ ٣٥)؛ المحرر الوجيز (١١٦٠)؛ والبحر المحيط (٦/ ٨٧)؛ التحرير والتنوير(٦/ ١٨٣).

وعُبِّرَ عن صلاة الفجر خاصة بالقرآن؛ لأن القرآن عُظْمُها، إذ قراءتها طويلة مجهود فيها، ويجهر بالقرآن في جميع ركوعها(١)، وهي صلاة مشهودة كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وهو أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يصلون**» متفق عليه(٢).

أو كانت الإضافة إلى مضمر، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة: ١٧ ـ ١٨]، فإن المفسرين ذكروا أن (قرآنه) هنا بمعنى القراءة؛ أي: قراءته للقرآن(٣)، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] قال: كان النبي ﷺ إذا نَزَلَ عليه جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ كان مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عليه، فَكَانَ ذلك يُعْرَفُ منه فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ أَخْذَهُ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ في صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ فتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ قال: أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ له ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ فَكَانَ إذا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فإذا ذَهَبَ قَرَأَهُ كما وَعَدَهُ الله» متفق عليه(٤).

فتحصل مما سبق أن ورود لفظ (قرآن) مضافاً، في المواضع الأربعة السابقة، ليس المراد بها كتاب الله ﷻ، بل القراءة والتلاوة.

وهناك فرق بين (القرآن) و(كلام الله) فالقرآن أخص من الكلام؛ لأن

---

(١) المراجع نفسها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، حديث [٥٣٠]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة العصر والمحافظة عليها، حديث [٦٣٢].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٥٠٣)؛ المحرر الوجيز (١٩٢٥)؛ الكشاف (٦/٢٦٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: قول الله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾، حديث [٤٦٤٤]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: الاستماع للقراءة، حديث [٤٤٨].

كلام الله تعالى يشمل القرآن والكتب السابقة وغيرها من كلامه ـ سبحانه ـ، و(القرآن) لا يطلق إلا على كتاب الله تعالى المنزل على محمد ﷺ، وكذلك بين (القرآن) و(كتاب الله)؛ لأن كتب الله تعالى عامة وشاملة للكتب السابقة، أما (القرآن) فإنه يختص بكتاب الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ[(١)].

و(القرآن) يطلق ويراد به بعض القرآن، كما في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]، ويطلق ويراد به جميع القرآن، كما في قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١) الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة، حسين بن علي الرجراجي، تحقيق: الأمين عبد الحفيظ الرغروغي، منشورات كلية الآداب والتربية، جامعة سبها. ص(٢١٣).

المبحث الثاني

الكتاب إطلاقاته ومدلولاته

«الكاف والتاء والباء (كتب) أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكِتَابُ والكتابة»[١].

وهو مصدر كتب يكتب كتاباً وكتابة، ويسمى المكتوب فيه كتاباً مجازاً، والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه، وفي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [النساء: ١٥٣] فإنه يعني صحيفة فيها كتابةٌ[٢].

والكتابة ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ، فالأصل في الكتابة: النظم بالخط لكن يستعار كل واحد للآخر؛ ولهذا سمي كلام الله تعالى ـ وإن لم يكتب ـ كتاباً؛ كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ﴾ [البقرة: ١، ٢][٣].

والكتاب على وزن (فِعَال) كقيام وصيام، وقيل: (فِعَال) بمعنى مفعول كلباس بمعنى ملبوس، فالكتاب إما باقٍ على المصدرية وسمي به المفعول للمبالغة، أو هو بمعنى المفعول، وإطلاقه على المنظوم عبارة قبل أن تنتظم حروفه التي يتألف منها في الخط، تسمية بما يؤول إليه مع المناسبة[٤].

وجه التسمية:

ذكر المفسرون أوجهاً متعددة لتسمية القرآن الكريم بهذا الاسم،

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (كتب) ص(٨٨٥).

(٢) انظر: المفردات للراغب مادة (كتب) ص(٦٩٩)؛ البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٣).

(٣) انظر المراجع نفسها؛ والتفسير الكبير (٢/ ١٣).

(٤) روح المعاني (١/ ١٠٦). وانظر: التفسير الكبير (٢/ ١٤).

وهي عائدة إلى الأصل اللغوي للكلمة، وهو الجمع والضم.

فقيل: لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار، على أبلغ وجه، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١، ٢][(١)].

وقيل: لأنه جُمع فيه مقاصد الكتب المنزلة على سائر الأنبياء عليهم السلام[(٢)].

وقيل: تسمية القرآن كتاباً إشارة إلى وجوب كتابته لحفظه، وإن كان نزوله على الرسول ﷺ لفظاً غير مكتوب، حيث إن كتابته فرض كفاية على المسلمين[(٣)].

وقيل: لما اجتمع فيه من المعاني كالأمر والنهي، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والحلال والحرام، ونبأ ما كان وما يكون، وما يحتاج إليه من أمر الدين، وتفصيل ما اختلف فيه من الأحكام ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١][(٤)].

وقيل: لأنه اشتمل على سور وآيات وحروف وكلمات[(٥)].

وقيل: لما فيه من الواجبات والفرائض التي يجب العمل بها[(٦)].

والأقوال السابقة كلها لها وجه صحيح، وسبب للتسمية ظاهر، إلا القول الأخير؛ فإن القرآن فيه الفرض والواجب، والقصص والأخبار.. وغير

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٤)؛ بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٢٩)؛ المدخل لأبي شهبة (٢٣).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٢٩).

(٣) التحرير والتنوير في الموضعين (١/ ٢٢١)، و(١٠/ ١٦٠).

(٤) جمال القراء، وكمال الإقراء، علي بن محمد السخاوي، تحقيق: عبد الكريم الزبيدي، ط١ (بيروت: دار البلاغة، ١٤١٣هـ) (١/ ١٦٩)؛ والهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ١٧٨).

(٥) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ١٧٨).

(٦) جمال القراء وكمال الإقراء (١/ ١٦٩).

ذلك، والتسمية إذا كانت شاملة وحاوية لأغلب أوصاف الشيء أولى من الاقتصار على جانب واحد.

ولعل أوسعها وأوجهها قولاً أن القرآن سمي (كتاباً) لكونه جامعاً لمقاصد الكتب السابقة المنزلة على الأنبياء ﷺ، ويصدقه قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وبما أن أصل كلمة (القرآن) تعني الجمع والضم، وكذلك الكتاب، فتسميته بـ(القرآن) باعتبار كونه متلواً بالألسن، من القراءة والتلاوة، وتسميته بـ(الكتاب) باعتبار كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه(١).

وقد ذكر الدكتور محمد دراز [١٩٥٨م] كلاماً رائعاً في وجه تسمية كتاب الله بهذين الاسمين، حيث قال: «وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل، على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.. وبهذا بقي القرآن محفوظاً في حرزٍ حريز، إنجازاً لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها بل وكلها إلى الناس.. والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها، فكان جامعاً لما

---

(١) النبأ العظيم، د. محمد دراز، (قطر إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٥هـ) ص(١٢).

فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته»[١]، ويُزاد عليه ما قاله الدكتور الخالدي، في هذا السياق، ليكتمل الكلام روعةً وجمالاً، وينتظم العقد: «وهذان الاسمان نموذجان لأهم وسائل حفظ الوثائق والنصوص، فمن أراد حفظ نصٍ، فإنه يقرأه أولاً ويحفظه غيباً، ثم يكتبه ويسجله، فإذا نسيه عاد إلى ورقته، . . ويحاكم المحفوظ إلى المكتوب. . كما يحاكم المكتوب إلى المحفوظ، فإذا طبعت طبعة من المصحف سُلمت النسخة لعالم حافظ ليدققها وينظر فيها. . ولم تتوفر هاتان الوسيلتان لأي كتاب أو نصٍ أو وثيقة في التاريخ البشري كله، كما توفرت للقرآن الكريم»[٢].

وقد ورد (الكتاب) اسماً للقرآن الكريم، في أربعة وستين موضعاً[٣]، وجاء في سياقات مختلفة، وأساليب متنوعة، فورد محلاً بـ(ال) التي لتعريف النكرة في ثمانية وأربعين موضعاً[٤]، وأكثر ما ترد للعهد كما في قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ

---

(١) المرجع نفسه. (٢) لطائف قرآنية، بتصرف (٢٩ ـ ٣٠).

(٣) ذكر الشيخ البليهي في الهُدى والبيان أنها تكررت (٧٣) مرة في القرآن (١/١٧٨)، أما د. جميل غازي فأوصلها إلى (٣١٩) مرة، ص(٣٢)، ود. الخمساوي (٢٦١) مرة، ص(١٧٣)، ولعل الدكتور غازي والخمساوي أرادا أصل كلمة (كتاب) بمعانيها المختلفة في القرآن، فأدخلوا ما أريد به التوراة أو الإنجيل أو كلاهما، والتي بمعنى فرض ووجب ـ مما سيأتي في آخر المبحث ـ من معاني (كتب) الواردة في القرآن، أما الباحث فاقتصر على ما أطلق خاصاً على القرآن فقط، دون ما كان للجنس فيشمل القرآن وغيره من الكتب السابقة؛ كقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أو ما ورد لمعانٍ أخرى كاللوح المحفوظ أو بمعنى فرض. . . إلخ.

(٤) والآيات هي ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩] ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٥١] ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١] ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وبقية المواضع هي: [النساء: ١٠٥، ١١٣، ١٢٧، =

إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] فاللام الأولى للعهد، والثانية للجنس[١]، وغيرها من الآيات السابقة.

وإن إطلاق اسم الجنس (الكتاب) على القرآن مع أن ما سبقه من كتب أطلق عليها هذا الاسم «إيذانٌ بكمال تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس، وكأنه هو الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب، دون ما عداه»[٢]، كما في فاتحة سورة آل عمران حيث سمى الله تعالى القرآن بالكتاب، ثم ذكر التوراة والإنجيل كما قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران: ٣].

وقد اختلف المفسرون في قول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، هل المراد بـ(الكتاب) هنا اللوح المحفوظ، أم القرآن الكريم، على قولين[٣]:

القول الأول: أن المراد بـ(الكتاب) في الآية اللوح المحفوظ، واستدلوا بما روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: أي: ما تركنا شيئاً إلا وقد كتبناه في أم الكتاب[٤].

= ١٣٦، ١٠٤] [المائدة: ٤٨] [الأنعام: ٣٨، ١١٤] [الأعراف: ١٩٦] [يونس: ١] [يوسف: ١] [الرعد: ١] [الحجر: ١] [النحل: ٦٤، ٨٩] [الكهف: ١] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [مريم: ١٦، ٤١، ٥١، ٥٤، ٥٧] [الشعراء: ٢] [القصص: ٢، ٨٦] [العنكبوت: ٤٧، ٥١] [لقمان: ٢] [السجدة: ٢] [فاطر: ٣١، ٣٢] [الزمر: ١، ٤١] [غافر: ٢، ٧٠] [الشورى: ٥٢] [الزخرف: ٢] [الدخان: ٢] [الجاثية: ٢] [الأحقاف: ٢] [الجمعة: ٢].

(١) انظر: الكشاف (٢/ ١٤٦)؛ وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٣/ ٤٨٥)؛ والتحرير والتنوير (٣/ ٢٢٢).

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: أحمد علي وآخرون، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٤هـ) (٢/ ٣٠١).

(٣) والذي دعاني إلى ذكر الخلاف والترجيح؛ لأن الخلاف فيها كبير بين المفسرين فلا بد من الإشارة إليه، مع ذكر مستند كل قول.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٢٣٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٦)؛ الدر المنثور (٣/ ٢٦٧).

وهو قول قتادة، وابن زيد[(١)]، ورجحه ابن جرير، والبغوي[(٢)]، وابن كثير[(٣)].. وغيرهم.

القول الثاني: أن المراد بـ(الكتاب) القرآن الكريم، وذلك بدلالة السياق، ونظام المعنى[(٤)]، ففي الآية السابقة طلبوا نزول آية وهي العلامة الدالة على صدق محمد ﷺ ولم يكتفوا بما هو بين أيديهم من الآيات العظيمة، فأراد الله تعالى أن يبين ويؤكد شمولية هذا الكتاب العظيم، وأن فيه ما يطلبونه، ويبحثون عنه ـ إن كانوا يعقلون ـ، حيث قال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وكذلك الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٩] والآيات هي الدلائل والمعجزات التي جاءهم بها محمد ﷺ ومن أعظمها وأكبرها وأجلها كتاب الله تعالى.

والألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن الكريم[(٥)].

ويشهد له أيضاً قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وكذلك ما ورد عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: «لعن الله تعالى الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم المدني، مولاهم المدني، روى عن أبيه وجماعة، توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: شذرات الذهب (١/ ٢٩٧)؛ وطبقات المفسرين للداودي (١١).

(٢) هو الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، أبو محمد، الفقيه المحدث المفسر كان بحراً في العلوم، وله مصنفات كثيرة منها (التهذيب) في الفقه، و(شرح السنة) في الحديث، وغيرها، توفي سنة ٥١٦هـ. انظر: الوافي بالوفيات (١٣/ ٤)؛ البداية والنهاية (١٢/ ١٩٣)؛ سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٢٣٢)؛ معالم التنزيل (٤١٨)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٩٧).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٦٢٠)؛ البحر المحيط (٤/ ١٦٠).

(٥) انظر: التفسير الكبير (١٢/ ١٧٧).

المغيرات خلق الله تعالى، فقالت له امرأة في ذلك فقال: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله تعالى، فقالت له: قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] قالت: بلى، قال: فإنه عليه الصلاة والسلام قد نهى عنه متفق عليه[١]. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أنزل في هذا القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن، وقال الشافعي رحمه الله: ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله تعالى الهدى فيها[٢]، والآثار في ذلك أكثر من أن تحصر.

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن المراد بكتاب الله في الآية، المعنى الخاص وهو القرآن، لما سبق بيانه، وهو قول ابن عطية[٣]، وأبي حيان[٤]، والرازي[٥]،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، حديث [٤٦٠٤]؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة، حديث [٢١٢٥].

(٢) والآثار عن السلف في ذلك كثيرة. انظر: الإكليل في استنباط التنزيل (١/ ٢٣٦ ـ ٢٥٢)؛ روح المعاني (٧/ ١٤٤)؛ أضواء البيان (٢/ ١٨٢).

(٣) هو الشيخ الإمام المفسر عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي، أبو محمد الغرناطي، فقيه عالم بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب، حسن التقييد له نظم ونثر، ومن أعظم مؤلفاته «المحرر الوجيز» في التفسير، توفي سنة ٥٤١هـ. انظر: طبقات المفسرين (٦٠)؛ نفح الطيب (٢/ ٥٢٦).

(٤) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الشيخ الإمام الحافظ العلامة، فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النحاة أثير الدين أبو حيان الغرناطي، وله مصنفات كثيرة، حتى ذكر بعض الحفاظ أنها تزيد على خمسين مصنفاً، منها «البحر المحيط» و«النهر الماد» في التفسير أيضاً، وشرح التسهيل، وغيرها، توفي سنة ٧٤٥هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٥/ ١٧٥)؛ طبقات الشافعية (٣/ ٦٩).

(٥) هو محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، أبو عبد الله الشافعي، المفسر، المتكلم، صاحب التصانيف المشهورة، ومنها «التفسير الكبير» و«المحصول» و«المنتخب» و«نهاية العقول»، توفي سنة ٦٠٦هـ. انظر: شذرات الذهب (٥/ ٢١)؛ وطبقات المفسرين للداودي (٢١٣).

والألوسي[١]، وغيرهم.

يقول صالح البليهي [١٤١٠هـ]: «كتاب جاء بالصلاح والإصلاح، جاء بما فيه خير البشرية في حاضرها ومستقبلها، كتاب الأمة الإسلامية، هو مجدها، هو عزها، هو فخرها، وبه نصرها، كتاب فيه حل لكل مشكلة من مشاكل الحياة الاجتماعية، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، والأسف شديد، والمحنة كبرى، والمصيبة عظمى، أكثر المسلمين في هذا الزمن يحكمون بغير ما أنزل الله، يحكمون بالقوانين الفرنسية والرومانية.. المخالفة للشريعة، وهي نحاتة أفكار، وزبالة أذهان.. وبسبب ذلك ضاعت الحقوق وشاعت الفوضى، وارتكبت الجرائم، وفعلت المحرمات.. فليس والله للمسلمين عز ونصر وفخار إلا بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[٢].

وقد أقسم الله تعالى بهذا الاسم في موضعين من كتابه الكريم، وذلك في سورتي الزخرف، والدخان، قال تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ [الزخرف: ٢] والقسم بالشيء فيه تقدير ورفعة له، خاصة إذا كان المقسم عظيماً.

وهنا نكتة بلاغية بديعة حيث أقسم الله تعالى بالقرآن، وجعل جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ٣] وهو القرآن، فتناسب القسم والمقسم عليه، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «وفي جعل المقسم به القرآن بوصف كونه مبيناً، وجعل جواب القسم أن الله جعله مبيناً، تنويه خاص بالقرآن؛ إذ جعل المقسم به هو المقسم عليه، وهذا ضرب عزيز بديع؛ لأنه يومئ إلى أن المقسم على شأنه بلغ غاية الشرف، فإذا أراد المقسم أن يقسم على ثبوت شرف له لم يجد ما هو أولى بالقسم به؛ للتناسب بين القسم والمقسم عليه»[٣].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦٢٠)؛ البحر المحيط (٤/ ١٦٠)؛ التفسير الكبير (١٢/ ١٧٧)؛ روح المعاني (٧/ ١٤٤).

(٢) الهدى والبيان في أسماء القرآن، بتصرف (١/ ١٧٨).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٩). وانظر: الكشاف (٥/ ٤٢٤).

وقد قرن الله تعالى اسم كتابه الكريم (الكتاب) بأوصاف عديدة للقرآن، مما يدل على أنه من أشهر أسمائه بعد (القرآن)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]، ووصفه بالحكمة ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ٢]، والإبانة ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، والهدى والرحمة والبشرى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، والإحكام والتفصيل ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١]، وغير ذلك من الأوصاف.

ويسترعي انتباه الباحث افتتاحية السور التي ورد فيها اسم (الكتاب)، فتارة يوصف الكتاب بالحكمة[١]، وتارة يوصف بالإبانة[٢]، ولعل هذا عائدٌ إلى موضوعات السورة التي اشتملت عليها، فإن سورة يونس ولقمان سور مكية، وغالب السور المكية تكون موضوعاتها إثباتاً لوحدانية الله تعالى، وشواهد وبراهين على صدق رسول الله ﷺ وتقريراً وتصديقاً للبعث بعد الموت، وكذلك بيان إعجاز ونزول القرآن، فناسب أن يوصف هذا (الكتاب) بهذا الوصف الذي هو في حقيقته وضع الشيء في موضعه، وأن كل ما ورد فيه من موضوعات إنما هو ناشئ من حكمة، وبما فيه صلاح للبشرية جمعاء، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «واختيار وصف (الحكيم) من بين أوصاف الكمال الثابتة للقرآن؛ لأن لهذا الوصف مزيد اختصاص بمقام إظهار الإعجاز من جهة المعنى بعد إظهار الإعجاز من جهة اللفظ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ٢]، ولما اشتملت عليه السورة من براهين التوحيد وإبطال الشرك»[٣].

وأما وصف (الكتاب) بالإبانة فَلِما اشتملت عليه السورة من قصص

---

(١) كسورتي يونس ولقمان، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.
(٢) كسورة يوسف والشعراء والقصص، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.
(٣) التحرير والتنوير (٥/ ٨٢).

للأنبياء السابقين، وأحوالهم مع أقوامهم، والقصص يمتدح القاص فيها بالوضوح والبيان في حكايته للقصة، وحسن عرضه لها، خاصة إذا كانت القصة لم تذكر في سورة أخرى كقصة يوسف ﷺ، فناسب أن يوصف (الكتاب) بهذا الوصف، وذلك من الإبانة والوضوح.

وقد وردت الإشارة لهذا الاسم في القرآن على صورتين، فمرة تكون الإشارة للقريب؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ومرة تكون للبعيد، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢]، أما الإشارة للقريب فلأنه حاضر بين أيديهم يقرؤونه ويتلونه، وينظرون إليه مكتوباً في العُسب والرقاع.. أو الصحف فيما بعد.

أما الإشارة للبعيد فقيل: أراد الإشارة إلى بعض الكتاب، والمقصود السور التي نزلت قبل هذه السورة؛ كالسور المكية مثلاً، فكما يطلق على بعض القرآن قرآناً، فكذلك يطلق على بعض الكتاب كتاباً، وقيل: وقعت الإشارة إلى قوله: (الم) بعد ما سبق التكلم به وتقضّى، والكلام المتقضي في حكم البعيد، وقيل: أشار إلى أسرار القرآن وحقائقه، التي يصعب على البشر الوصول إليها، فإنه وإن كان حاضراً نظراً إلى صورته، لكنه غائب نظراً إلى أسراره وحقائقه، وقيل غير ذلك،[(١)] ولكن إذا كانت الإشارة إلى القرآن بالبعيد، فإن فيه إظهاراً لمكانته وشرفه ورفعته «وقد شاع في الكلام البليغ تمثيل الأمر الشريف بالشيء المرفوع في عزة المنال؛ لأن الشيء النفيس عزيز على أهله، فمن العادة أن يجعلوه في المرتفعات صوناً له عن الدروس، وتناول كثرة الأيدي والابتذال»[(٢)].

وإن كان الله ﷻ قد أشار إلى (الكتاب) في أول سورة البقرة المدنية النزول، وهي خطاب للمسلمين، أو ممن يرجى إسلامهم، إلا إنه أثبت حقيقة الكتاب وصدقه ونزوله في سورة السجدة والزمر وغافر والأحقاف.. المكية النزول، قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر: ١]،

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥١)؛ الكشاف (١/ ١٤١)؛ التفسير الكبير (٢/ ١٢).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٢٢١)

«فقد جابه الله بها المشركين الذين لا يؤمنون بالإله الواحد، ولا يوقنون بالآخرة، فهم أصلب عوداً، وأشد كفراً»[١].

وقد عطف الله تعالى الحكمة على الكتاب في خمسة مواضع؛ كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩][٢]، وذكر المفسرون أقوالاً في المراد بـ(الحكمة) في الآيات، مع اتفاقهم على أن (الكتاب) هو القرآن، فقيل: الحكمة هي السنة ـ سنة النبي ﷺ ـ وبيان الشرائع، وهو قول قتادة، والشافعي[٣].

وقيل: الحكمة المعرفة بالدين، والفقه فيه، والاتباع له، وهو قول مالك[٤][٥].

وقيل: الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل، وهو مصدر بمعنى الحكم كالقعدة والجلسة، والمعنى: يعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم، وفصل أقضيتك وأحكامك[٦].

وجميع هذه الأقوال متقاربة، ولا منافاة بينها، كما قاله ابن كثير والقرطبي[٧][٨].

---

(١) المرجع نفسه (٨/ ٢٠٥).
(٢) والمواضع الأخرى في: [البقرة: ٢٣١]، و[آل عمران: ١٦٤]، و[النساء: ١١٣]، و[الجمعة: ٢].
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٧٧)؛ والتفسير الكبير (٤/ ٦١).
(٤) هو إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك، روى عنه أنه قال: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك، وكان من أئمة التابعين، حتى لقب بـ(إمام دار الهجرة)، صنف الموطأ في الحديث، وهو يعد كتاباً في الحديث والفقه على حد سواء، توفي سنة ١٧٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨)؛ شذرات الذهب (١/ ٢٩٢).
(٥) انظر: المحرر الوجيز (١٣٥).
(٦) انظر: التفسير الكبير (٤/ ٦١).
(٧) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، أبو عبد الله، كان إماماً عالماً، حسن التصنيف جيد النقل، وله كتب كثيرة، منها «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، و«جامع أحكام القرآن» وغيرها، توفي سنة ٦٧١هـ. انظر: نفح الطيب (٢/ ٢١١)؛ شذرات الذهب (٥/ ٣٣٥).
(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٥٣)؛ الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣١).

وقد جمع هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير [٣١٠هـ] فقال: «والصواب من القول عندنا في (الحكمة) أنها العلم بأحكام الله التي لا يُدرك عليها إلا ببيان الرسول ﷺ والمعرفة بها، وما دل ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من الحُكْم الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل بمنزلة الجِلْسَة والقِعْدة»[(١)].

وقد نص الله تعالى في سورة مريم عند سياق القصص الواردة فيها كقصة مريم وإبراهيم.. بذكر (الكتاب) فقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [مريم: ١٦]، وذلك ليدلل على أن هذه القصص من عند الله تعالى؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم هذا لا هو ولا قومه، كما صرح به في سورة هود بقوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ﴾ [هود: ٤٩][(٢)].

ومن أساليب ورود اسم (الكتاب) في القرآن، ما جاء بصيغة التنكير، وقد ورد ثلاث عشرة مرة[(٣)]، ومجيئه بأسلوب التنكير إما لإرادة التعظيم، كقولهم: «شر أهر ذا ناب»[(٤)] أي: شر عظيم، فتقول (هذا كتاب) وأنت تريد تعظيمه وإكباره، و(هذا رجل) وأنت تريد مدحه والثناء على رجولته، وإما

(١) تفسير الطبري (٢/ ٥٧٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم، المسمى «تفسير المنار»، محمد رشيد رضا، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م) (٤/ ٢٦٢).

(٣) والآيات هي ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٣] ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥] ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [الأعراف: ٢] وبقية المواضع: [الأعراف: ٥٢] [هود: ١] [إبراهيم: ١] [النمل: ١] [ص: ٢٩] [فصلت: ٣] [الأحقاف: ١٢].

(٤) وهو مثل يضرب في ظهور أمارات الشر ومخايله، لما سمع قائله هريراً أشفق من طارق شر، فقال ذلك تعظيماً للحال عند نفسه ومستمعه؛ أي: ما أهر ذا ناب إلا شر، ولهذا حسن الابتداء بالنكرة.. القاموس المحيط (هر) (٦٤٠). وانظر: مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (١/ ٣٧٠).

لإرادة التعجيب من شأن هذا الكتاب في جميع ما حف به من البلاغة والفصاحة، والإعجاز والإرشاد، وكونه نزل على رجل أُمِّي، وإما لإرادة النوعية؛ أي: ما هو إلا كتاب كالكتب التي أنزلت من قبل[١].

وقد يجتمع في الآية الواحدة كلمة (كتاب) و(قرآن) كما في افتتاحية سورة الحجر ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١﴾ [الحجر: ١]، وسورة النمل ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾ [النمل: ١] ولا يعني ذلك الترادف، وإنما تشير كلمة (قرآن) إلى المقروء والمتلو، و(كتاب) إلى المكتوب في السطور[٢]، وفي الآية الأولى نجد أن الله ﷻ قدم اسم (الكتاب) وهو علم بالغلبة، على اسم (القرآن) وهو علم أصلي على كلام الله تعالى، وذلك عائدٌ إلى سياق الآيات في سورة الحجر؛ فإن فيها توبيخاً للكفار وتهديداً، وأنه سيجيء وقت يتمنون فيه أن لو كانوا مؤمنين، فلما كان الكلام موجهاً إلى المنكرين ناسب أن يذكر العنوان الأعم على كتاب الله، وهو كونه كتاباً، وهم يعرفون ما عند الأمم الآخرين من كتب أنزلت عليهم، وكذلك يرونه مكتوباً في اللخاف والرقاع.. أما الآية الأخرى فإن السياق والخطاب للمؤمنين، وهم يقرؤون القرآن ويتلونه، ولذا قدم اسم (القرآن) على الاسم الأعم، وهو (الكتاب)، وكذلك المقام مقام تنويه بالقرآن، حيث وصفه الله تعالى في الآيات التالية للآية الأولى بأنه هدى وبشرى للمؤمنين[٣].

ومن أساليب وروده ـ أيضاً ـ ما جاء مضافاً، إلا أن المفسرين اختلفوا في المواضع التي ورد فيها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ

---

(١) انظر: الأقوال السابقة في المواضع التالية من تفسير التحرير والتنوير (٤/ ١١) (٤/ ١٥٢)؛ وتفسير المنار (٤/ ٢٦٩).

(٢) انظر: أسماء القرآن في القرآن، محمد جميل غازي، (القاهرة: المطبعة المدنية، ١٩٧٥م) ص(٣٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ٩)؛ و(٨/ ٢١٨) ملخصاً.

ﱡﭐظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ﱠ [البقرة: ١٠١]، قال بعض المفسرين: المراد بكتاب الله في الآية: القرآن، وممن يرى ذلك ابن عاشور[(١)]، وابن عثيمين[(٢)(٣)].

وقال بعضهم: بل المراد التوراة؛ لأن النبذ لا يعقل إلا فيما تمسكوا به أولاً، ولو كان المراد به القرآن لم يكن لتخصيص الفريق معنى في الآية؛ لأن جميعهم لا يصدقون بالقرآن[(٤)]، ورجح هذا القول ابن جرير، وابن عطية، والزمخشري[(٥)]، والقرطبي، وغيرهم[(٦)]، وهو قول قتادة، وهو الأظهر والله أعلم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران: ٢٣] اختلف المفسرون فيها على قولين ـ أيضاً ـ **الأول:** أن المراد بكتاب الله في

(١) هو محمد بن الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين في تونس وشيخ جامع الزيتونة، له مصنفات كثيرة منها (تفسير التحرير والتنوير) و(مقاصد الشريعة)، توفي سنة ١٣٩٣هـ. انظر: الأعلام (٦/ ١٧٤).

(٢) هو محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمٰن الوهيبي التميمي، أبو عبد الله، درس على جده لأمه الشيخ عبد الرحمٰن بن دامغ، والشيخ محمد المطوع، ثم بعد ذلك ألتحق بشيخه الشيخ عبد الرحمٰن ابن سعدي، ولازمه حتى توفي رحمه الله، وتولى بعده إمامة الجامع، والتدريس، وألف كثيراً من الكتب، منها «الشرح الممتع على زاد المستقنع» و«القواعد المثلى». وغيرها كثير، توفي سنة ١٤٢١هـ. انظر: الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين.

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٦٢٦)؛ تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة) (١/ ٣٢٣).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٣/ ١٨٤).

(٥) هو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، أبو القاسم الخوارزمي النحوي، كبير المعتزلة، وكان رأساً في العربية والمعاني والبلاغة، وله نظم جيد، وله مصنفات منها «الفائق» في غريب الحديث، و«أساس البلاغة»، توفي بخوارزم سنة ٥٣٨هـ. انظر: الأنساب للسمعاني (٣/ ١٦٤)؛ سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٥١).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٣١١)؛ المحرر الوجيز (٢٨٦)؛ الكشاف (١/ ٣٠٤)؛ الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤١).

الآية: القرآن، وهو قول ابن عباس والحسن[(١)]، ورجحه ابن عاشور[(٢)].

الثاني: أن المراد بكتاب الله في الآية: التوراة، وذلك لوجوه:

١ ـ ما ورد في سبب نزول الآية فعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ فقال: «**على ملة إبراهيم ودينه**»، فقالا: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسول الله: «**فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم**» فأبوا عليه، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران: ٢٣][(٣)].

٢ ـ أنهم كانوا بالقرآن مكذبين، وبالتوراة بزعمهم مصدقين، فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به في زعمهم مقرون أبلغ، وللعذر أقطع[(٤)].

٣ ـ دلالة السياق، وذلك أنه تعالى لما بيَّن أنه ليس عليه إلا البلاغ، وصبَّره على ما قالوه في تكذيبهم مع ظهور الحجة، بيَّن أنهم إنما استعملوا طريق المكابرة في نفس كتابهم الذي أقروا بصحته، فستروا ما به من الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ فهذا يدل على أنهم في غاية التعصب والبعد عن

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، الفقيه القارئ الزاهد العابد، سيد زمانه إمام أهل البصرة، بل إمام أهل العصر، وكان رأساً في العلم والحديث إماماً مجتهداً كثير الاطلاع، رأساً في القرآن وتفسيره، رأساً في الوعظ والتذكير، رأساً في الحلم والعبادة، رأساً في الزهد والصدق، رأساً في الفصاحة والبلاغة، رأساً في الأيد والشجاعة، توفي ليلة الجمعة سنة ١١٠هـ. انظر: الوافي بالوفيات (١٢/ ١٩٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٢٠٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٩٣)؛ الدر المنثور (٢/ ١٧٠). وعزاه إلى ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم، لباب النقول (٥١)؛ وقال ابن حجر في (العجاب في بيان الأسباب ٢/ ٦٧٢): أخرجه الطبري وهكذا ذكره الثعلبي عن سعيد وعكرمة عن ابن عباس، والصواب أن هذه الرواية ترد دائماً بالشك، وهو من ابن أبي إسحاق أو من شيخه محمد بن أبي محمد.اهـ.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٩٦).

قبول الحق[١].

وممن يرى هذا القول ابن جرير، والرازي وعزاه إلى أكثر المفسرين، والشوكاني[٢][٣]، وهو الأظهر.

أما آيتي الأنفال والأحزاب، وهي قول الله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥، الأحزاب: ٥] فقيل: إن المراد بـ(كتاب الله) اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن، والمراد: آيات المواريث في سورة النساء[٤]، وقيل: قضاء الله وحكمه وشرعه، وهو قول الزجاج، وهو اختيار ابن جرير، وابن كثير، والفيروزآبادي[٥]، وابن سعدي[٦][٧].

والذي يظهر لي أن (كتاب الله) هنا هو قضاء الله وحكمه وشرعه، ووجه ذلك «أن الشيء يراد ثم يقال، ثم يكتب، والإرادة مبدأ، والكتابة منتهى، ثم

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٨٩).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، الفقيه المحدث المجتهد، من كبار علماء اليمن، وولي قضاء صنعاء، وله مؤلفات كثيرة منها «فتح القدير» و«نيل الأوطار» و«البدر الطالع»، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: البدر الطالع (٢/ ٢١٤)؛ الأعلام (٦/ ٢٩٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٩٥)؛ التفسير الكبير (٧/ ١٨٩)؛ فتح القدير (١/ ٣٢٨).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٨٢١)؛ زاد المسير (٣/ ٣٨٧)؛ البحر المحيط (٤/ ٦٦٥).

(٥) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر الفيروزآبادي، الشيرازي اللغوي الشافعي الإمام الكبير الماهر في اللغة وغيرها من الفنون، وله مصنفات كثيرة نافعة، منها في التفسير «لطائف ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز» و«تنوير المقباس في تفسير ابن عباس» واللغة كـ«القاموس المحيط» وغيرها، توفي بزبيد سنة ٨١٧هـ. انظر: البدر الطالع (٢/ ٢٨٤)؛ طبقات المفسرين للداودي (٣١٢).

(٦) هو عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي التميمي، أحد أعلام نجد البارزين، وله مصنفات كثيرة في مختلف العلوم الشرعية، منها «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير القرآن» و«منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين»، توفي بعنيزة سنة ١٣٧٦هـ. انظر: مقدمة تيسير الكريم الرحمٰن (٨).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٠١)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٣٦)؛ بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٣٢)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٣٢٨).

يعبر عن المبدأ بالمنتهى إذا قصد توكيده»[١].

أما آية فاطر، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩]، فهي صريحة في أن المقصود هو كتاب الله تعالى، وفي إضافة اسم (الكتاب) إلى لفظ الجلالة إشارة على عظمته وشرفه، وأنه منزل من عند الله حقاً، وهذه الآية تسمى بآية القراء، فقد كان مطرِّف بن عبد الله إذا مرَّ بهذه الآية يقول: هذه آية القراء[٢]، وكذلك آية الكهف ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف: ٢٧] صريحة في أن المقصود هو كتاب الله تعالى، وهي الآية الوحيدة التي أضيف فيها الكتاب إلى (الرب) وفي ذلك عناية ربانية، وملاطفة للنبي ﷺ ظاهرة، حيث الإشارة إلى عبودية الرسول ﷺ لربه تعالى، وهي أشرف وأفضل وصفٍ وصف به رسول الله ﷺ عندما قال: «**أنا عبد الله ورسوله**»[٣]، وكذلك فيه تطمين لقلبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ والإخبار بأن طلباتهم وتساؤلاتهم لا تنتهي عند حد، فلا تكترث بها، ولا تلتفت إليها، فإنه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

وقد ورد (الكتاب) في القرآن لمعانٍ عدة منها[٤]:

١ ـ اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٢ ـ التوراة ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧٨].

---

(١) المفردات للراغب (كتب) (٦٩٩)؛ وبصائر ذوي التمييز (كتب) (٤/ ٣٣٢).

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٧٨)؛ تفسير الطبري (١٩/ ٣٦٦)؛ الدر المنثور (٧/ ٢٣) وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف، حديث [٤٠٧٨].

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٣٠)؛ وأسماء القرآن الكريم في القرآن للخمساوي ص(١٧٣).

٣ ـ الإنجيل ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤].

٤ ـ التوراة والإنجيل ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [آل عمران: ٦٥].

٥ ـ كتاب سليمان إلى بلقيس، أو بمعنى (الرسالة) ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩].

٦ ـ بمعنى: الكتابة المعروفة ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩].

٧ ـ بمعنى: مكاتبة العبد ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

٨ ـ بمعنى: الفريضة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

٩ ـ بمعنى: الدليل والحجة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الحج: ٨].

١٠ ـ بمعنى: الميقات والموعد ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

١١ ـ ديوان الأعمال والأفعال المعروض على المطيع والعاصي ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

١٢ ـ بمعنى: قضاء الله وقدره ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦].

١٣ ـ بمعنى: الحكم والقضاء ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

الفرقان إطلاقاته ومعانيه المضافة إلى القرآن

«الفاء والراء والقاف (فرق) أصل صحيح، يدل على تمييز، وتزييل بين شيئين»[(١)]. وهذا التزييل والتمييز يكون بقضاءٍ واستنقاذٍ، وإظهارِ حجة[(٢)].

«يقال: فَرَقَ يَفْرق فَرْقاً وفُرْقاناً»[(٣)].

«والفَرْق يقارب الفلق، لكن الفَلْقُ يقال: اعتباراً بالانشقاق، والفَرْق يقال: اعتباراً بالانفصال. . والفرقان: أبلغ من الفَرْق؛ لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل، أما الفَرْق: فإنه يستعمل في ذلك، وفي غيره، والفَرْق في المعاني، والتفريق في الأعيان»[(٤)].

والمفسرون ذكروا تأويلات لـ(الفرقان) مختلفة الألفاظ، متقاربة المعاني، فقال ابن عباس: الفرقان: المخرج، ومثله عن مجاهد[(٥)].

وعن عكرمة[(٦)] أنه كان يقول: هو النجاة[(٧)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (فرق) (٨١٤). (٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٩٥).

(٣) تاج العروس (فرق) (٢٦/ ٢٧٩). وانظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٩٣).

(٤) المفردات للراغب (فرق) (٦٣٢). وانظر: الكليات (٦٩٥).

(٥) هو مجاهد بن جبر، يكنى أبا الحجاج، مولى قيس بن السائب المخزومي، كان فقيهاً ديناً ثقة، وهو من كبار تلاميذ ابن عباس ﵄، توفي سنة ١٠٣هـ. انظر: المنتظم (٧/ ٩٤)؛ معرفة القراء (١/ ٦٦).

(٦) هو عكرمة البربري، أبو عبد الله، المدني، مولى ابن عباس أصله من البربر كان لحصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس، من كبار تلاميذ ابن عباس، ومن المتبحرين في التفسير، وهو ثقة ثبت، ولا تثبت عنه بدعة، توفي سنة ١٠٧هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣)؛ تقريب التهذيب (٣٩٧).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١/ ٩٥).

قال ابن جرير [٣١٠هـ]: «وكل هذه التأويلات في معنى الفرقان ـ على اختلاف ألفاظها ـ متقاربات المعاني، وذلك أن من جُعل له مخرج من أمر كان فيه، فقد جُعل له ذلك المخرج فيه نجاة، وكذلك إذا نُجِّي منه، فقد نُصر على من بغاه فيه سوءاً، وفرق بينه وبين باغيه السوء»(١).

وجه التسمية:

سمي القرآن بـ(الفرقان): لأنه مايز بين شيئين، وفرق بين متضادين، حيث فرق بين الحق والباطل، والمسلم والكافر، والمؤمن والمنافق(٢).

قال ابن جرير [٣١٠هـ]: «سمي فرقاناً: لفصله بحججه وأدلته، وحدود فرائضه، وسائر معاني حُكمه، بين المحق والمبطل، وفرقانه بينهما بنصرة المحق، وتخذيله المبطل حكماً وقضاءً»(٣).

وذكر بعضهم أوجهاً أخرى للتسمية، ولكنها في الحقيقة ترجع إلى هذا القول، فمن ذلك قول محمد بن جعفر(٤): فرق بين الحق والباطل في أمر عيسى عليه السلام الذي جادل فيه الوفد. وقال قتادة والربيع(٥): فرق بين الحق والباطل في أحكام الشرائع، وفي الحلال والحرام، ونحوه..

وقيل سمي القرآن بـ(الفرقان): لكونه نزل مفصلاً ومفرقاً ومنجماً، في نيِّفٍ وعشرين سنة، وليس دفعة واحدة كالكتب السابقة، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا

---

(١) المرجع نفسه.
(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة مادة (فرق) (٨١٤)؛ المفردات للراغب (٦٣٣)؛ البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٦)؛ بصائر ذوي التمييز (٤/ ١٨٦).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٩٥).
(٤) هو محمد بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين الهاشمي، المدني، سيد بني هاشم، وكان يلقب بـ(الديباج)، وكان سيداً مهيباً عاقلاً فارساً شجاعاً يصلح للإمامة، توفي بجرجان سنة ٢٠٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٤)؛ لسان الميزان (٥/ ١٠٣).
(٥) هو الربيع بن أنس البكري، ويقال الحنفي البصري، ثم الخراساني، صدوق له أوهام رمي بالتشيع، توفي سنة ١٤٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٠٧)؛ تقريب التهذيب (٢٠٥)؛ طبقات المفسرين للداودي (١٦).

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦] على القول الصحيح في هذه الآية[1].

ومن خلال القولين السابقين فإن كلمة (الفرقان) تطلق ويراد منها الفاعل؛ أي: الفارق؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل ـ على الرأي الأول ـ، وتطلق ويراد منها المفعول؛ أي: المفروق بين سوره، أو بين نجومه في نزوله ـ على الرأي الثاني ـ[2].

وكلا القولين صحيح، حيث دلت الآيات الأربع عليهما، وقال بهما جمع من المفسرين.

وقد ورد (الفرقان) اسماً للقرآن، في ثلاثة مواضع[3]، وهذه المواضع كلها يكون الخطاب فيها للناس عموماً، كما هو ظاهر، وذلك أن اسم (الفرقان) فيه إشارة إلى ما تضمنه الكتاب العزيز من الدلائل والآيات والمعاني والحقائق، التي تكون فارقة بين الصادق والكاذب، والمؤمن والكافر، والمحق والمبطل، فناسب أن يذكر هذا الاسم دون بقية الأسماء ليتبين الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل من الناس، فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] لما ذكر هداية ودلالة القرآن، وبيانه وإيضاحه للناس، وصفه بعد ذلك بـ(الفرقان) الفارق بين الحق والباطل، والصادق والكاذب ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وعلى الرأي الآخر ـ في تأويل الفرقان ـ ردٌّ على أولئك الكفار الذين قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] وتثبيتٌ

---

(١) سيأتي الحديث عنها مفصلاً.

(٢) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة ص(٩٨).

(٣) والآيات هي ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

وتطمينٌ لقلوب المؤمنين ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، و ـ أيضاً ـ تثبيتٌ لإمام المسلمين ورسولهم نبينا محمد ﷺ ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] فناسب أن يقترن هذا الاسم في الخطاب للعالمين جميعاً ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ①﴾ [الفرقان: ١].

وقد اختلف المفسرون كثيراً في المراد بـ(الفرقان) في فاتحة سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ③ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] وتعددت أقوالهم، وافترقت تقسيماتهم، وتباينت تعليلاتهم، وذلك أن (الفرقان) وصف لغوي يطلق على معانٍ متعددة؛ كالمعجزة، والحجة، والكتاب ـ خصوصاً ـ. . وذكر الرازي الأقوال التي ذكرت في الآية ثم قال: «وهي عندي مشكلة»(١) وخرج برأي جديد، وأقوال المفسرين يمكن أن تحصر وتجمع في أقوالٍ ثلاثة:

القول الأول: أن المراد بـ(الفرقان) في الآية الكتب السماوية كلها، سواء التي ذكرت كالتوراة والإنجيل، أو التي لم تذكر، حيث عُبر عنها بوصف شامل، بأسلوب العموم بعد تخصيص بعضها، فكلها جعل الله فيها فرقاناً بين الحق والباطل.

ورجح هذا القول الواحدي(٢)، وصاحب الجلالين، والزحيلي(٣).

وبعضهم اقتصر على الكتب الثلاثة المذكورة (القرآن، التوراة، الإنجيل) فقط وأنها هي المراد بـ(الفرقان) حيث فرق الله بها بين الحق والباطل، «وكأنه

---

(١) التفسير الكبير (٧/ ١٣٩).

(٢) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري الشافعي، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل، لازم أبا إسحاق الثعلبي، وله في التفسير ثلاث مصنفات هي (البسيط) و(الوسيط) و(الوجيز)، وكذلك (أسباب النزول) وغيرها، توفي سنة ٤٦٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩)؛ طبقات المفسرين للداودي (١٢٧).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٩٨)؛ تفسير الجلالين (٥٠)؛ التفسير المنير (٣/ ١٤٤). وانظر: الكشاف (١/ ٥٢٦)؛ فتح القدير (١/ ٣١٢)؛ محاسن التأويل (٢/ ٣٠١).

قال بعد ذكر الكتب الثلاثة، وأنزل فيها ما يفرق به بين الحق والباطل»[١]، ورجح هذا القول ابن عثيمين[٢].

وبعضهم اقتصر على الزبور فقط، وأن المراد بـ(الفرقان) الكتاب الرابع، وهو الزبور، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، واعترض عليه بأن الزبور مواعظ، وليس فيها شيء من الشرائع والأحكام، حتى تكون فرقاناً[٣].

القول الثاني: أن المراد بـ(الفرقان) في الآية المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب، لِيُثْبت بها الأنبياء ما قالوه من أن هذه الكتب نازلة من عند الله تعالى، يقول الرازي [٦٠٤هـ]: «.. وذلك لأنهم لما أتوا بهذه الكتب وادعوا أنها نازلة عليهم من عند الله افتقروا في إثبات هذه الدعوى إلى دليل حتى يحصل الفرق بين دعواهم وبين دعوى الكذابين، فلما أظهر الله تعالى على وفق دعواهم تلك المعجزات حصلت المفارقة بين دعوى الصادق، وبين دعوى الكاذب، فالمعجزة هي الفرقان الحق، وهو المعجز القاهر..»[٤]، ورجح هذا القول الرازي.

وهو صحيح لغوياً، ولكن يشكل عليه اقترانه بذكر الكتب، مع عطفه عليها، وذكر صفة النزول، مما يدل أن المراد كتاب سماوي، وكذلك أن هذا القول لا يصدق على جميع الكتب، فإن القرآن الكريم هو معجز بحد ذاته، حيث تحدى الله تعالى أن يأتوا بسورة من مثله.. فلا يحتاج إلى أدلة أخرى تثبت أنه من عند الله تعالى. والله أعلم.

القول الثالث: أن المراد بـ(الفرقان) في الآية هو القرآن الكريم، فإنه وإن ذكر في الآية السابقة، فإنه أعيد مرة ثانية للتشريف، والاهتمام، والمدح،

---

(١) الكشاف (١/ ٥٢٦).

(٢) تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران) (١/ ١١).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٤٠)؛ روح المعاني (٣/ ٧٧).

(٤) التفسير الكبير (٧/ ١٤٠).

بعدما ذكره باسم الجنس، وكذلك ليتصل الكلام بالجزء الآخر من الآية، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، قال به قتادة والربيع بن أنس.

ورجح هذا القول ابن عطية، والسمرقندي(١)، والشوكاني، والبيضاوي(٢)، والسعدي، وعزاه ابن الجوزي إلى الجمهور(٣)، وكونه وصف أولاً بـ(نزل) وفي المرة الثانية بـ(أنزل) ذكر المفسرون أوجهاً منها: الإشارة إلى تنزلات القرآن، فإنه نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً، فـ(أنزل) إشارة إلى نزوله دفعة واحدة في شهر رمضان، و(نزل) لكونه نزل منجماً مفرقاً(٤) على حسب الوقائع والأحداث.. وقيل: إنما ذلك لمجرد التعدية، والجمع بينهما للتفنن(٥)..

واقتصر بعضهم على أن المراد بـ(الفرقان) الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب، وأهل الملل في أمر عيسى ﷺ والأحزاب خاصة، وهو قول محمد بن جعفر، ورجحه ابن جرير الطبري(٦)، وذلك لأن الله تعالى أخبر عن تنزيل القرآن قبل التوراة والإنجيل فلا وجه لتكريره مرة أخرى، ومال إليه ابن كثير(٧).

---

(١) هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي، نسبة إلى سمرقند، إمام الهدى، وله تصانيف، منها «تفسير القرآن» و«النوازل» في الفقه، وغيرها، توفي سنة ٣٩٣هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٩١).

(٢) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو الخير، القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي، كان إماماً نظاراً صالحاً متعبداً زاهداً، ولي القضاء بشيراز، له مؤلفات عدة منها، «مختصر الكشاف» و«أنوار التنزيل وأسرار التأويل» و«الإيضاح» في أصول الدين، وغيرها، توفي بتبريز سنة ٦٨٥هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢٥٤).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢٧٣)؛ تفسير السمرقندي (٢١٨)؛ فتح القدير (١/ ٣١٢)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (١٢١)؛ زاد المسير (١/ ٣٥٠).

(٤) سيأتي مزيد بيان للفرق بينهما في مبحث اسم «التنزيل».

(٥) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٢/ ١٧٢).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٨٢).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٥٩).

قال الخازن [٧٢٥هـ]: وإنما أعاد ذكره ليبين أنه تعالى أنزله بعد التوراة والإنجيل ليجعله فارقاً بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في أمر عيسى عليه السلام[١].

وهذه الأقوال السابقة يفوق بعضها بعضاً في الصحة وقوة الدلالة، وذلك إذا استبعدنا قول من يرى أنه الزبور للضعف الظاهر.

وقد ردَّ الرازي القول الأول بحجة أن كون هذه الكتب فارقة بين الحق والباطل صفة لهذه الكتب، وعطف الصفة على الموصوف وإن كان ورد في بعض الأشعار النادرة، إلا أنه ضعيف بعيد عن وجه الفصاحة اللائقة بكلام الله تعالى[٢]. وكذلك ردَّ القول الثالث بقوله: «أن الفرقان ـ في الآية ـ عطف على ما قبله، والمعطوف مغاير للمعطوف عليه، والقرآن مذكور قبل هذا، فهذا يقتضي أن يكون هذا الفرقان مغايراً للقرآن»[٣]، ويمكن أن يجاب عليه بأنه ليس كل عطف يقتضي المغايرة؛ لأن العطف أنواع منه ما يقتضي المغايرة، ومنه ما لا يقتضي المغايرة، وهنا عطف للدلالة على التشريف والمدح والثناء الخاص ـ كما سبق ـ.

ولعل أرجح هذه الأقوال ـ والله أعلم ـ القول الثالث، وهو أن المراد بـ(الفرقان) في الآية القرآن الكريم، ويدخل فيه تبعاً قول ابن جرير، ولا ينافيه، وذلك أن عطف (الفرقان) على الكتاب للدلالة على التشريف والثناء، «أو يقال أعاد ذكره ليبين أنه أنزله بعد التوراة والإنجيل، ليجعله فرقاً بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى»[٤] كذلك سياق الآيات يؤيده، حيث ذكر المفسرون أن (الآيات) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] تشمل الآيات الكونية والشرعية، وعلى رأس الآيات الشرعية القرآن، وكذلك أن الله تعالى سمى كتابه بـ(الفرقان) في قوله تعالى:

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم، ضبطه: عبد السلام شاهين، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، (١/ ١٢٤).
(٢) انظر: التفسير الكبير (٧/ ١٤٠) (٣) المرجع نفسه.
(٤) المرجع نفسه.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١] فأصبح هذا الاسم علماً على القرآن، وأيضاً ذكره مجرداً وقرنه بـ(أنزل) مما يدل على أن المراد هو كتاب الله تعالى، وهو قول الجمهور ـ كما ذكر ذلك ابن الجوزي ـ.

ويلي هذا القول قوة من يرى أن (الفرقان) في الآية يشمل جميع الكتب السماوية سواء التي ذكرت أو لم تذكر؛ لأنه بنزولها يتضح الحق من الباطل، ويبين الصادق من الكاذب، فتصبح فرقاناً بين الناس، والله أعلم.

وأما قول الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦] فإن المفسرين ـ أيضاً ـ اختلفوا في المراد بقوله: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ إلا أن أقوالهم متقاربة، وكلها تشير إلى كتاب الله تعالى، فقال بعضهم: أي: بيناه وأحكمناه، وفرقنا فيه بين الحق والباطل، حيث روي عن ابن عباس وأُبي بن كعب(١)(٢)، واختاره ابن جرير الطبري(٣).

وقيل: (فرقناه) أي: أنزلناه منجماً مفرقاً وفصلناه، ويشهد له قراءة ابن عباس (وقرءانا فرَّقناه)(٤) بالتشديد، وهو قول قتادة وابن زيد(٥)، ومال إليه ابن

---

(١) هو أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، الأنصاري، أبو المنذر وأبو الطفيل، سيد القراء، كان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدراً والمشاهد كلها، قال له النبي ﷺ: **«ليهنك العلم أبا المنذر»** وقال له: **«إن الله أمرني أن أقرأ عليك»**، وكان عمر يسميه سيد المسلمين، توفي سنة ٢٢هـ. انظر: الاستيعاب (١/ ٦٥)؛ الإصابة (١/ ٢٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١١٤)؛ الكشف والبيان (٦/ ١٤٠)؛ الدر المنثور (٥/ ٣٤٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١١٤).

(٤) وهي ـ أيضاً ـ قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود وأبي بن كعب والشعبي وقتادة.. وغيرهم. انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١١٤)؛ والمحرر الوجيز (١١٧١)؛ والكشاف (٣/ ٥٥٩)، وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، عثمان ابن جني، تحقيق: محمد عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ) (٢/ ٦٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١١٥ ـ ١١٦)؛ المحرر الوجيز (١١٧١)؛ الدر المنثور (٥/ ٣٤٦).

كثير[1]، وهو الأظهر، وذلك بدلالة السياق، حيث ذكر الله تعالى في آخر الآية ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، مما يدل على أنه أراد نزوله مفرَّقاً، ليسهل حفظه وتدبره وقراءته، ويشهد له أيضاً قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢] قال القرطبي [٦٧١هـ] أي: «ورسلناه ترسيلاً يقول شيئاً بعد شيء»[2]، إذ الترتيل حالة لنزول القرآن، وذلك أنه نزل مفرقاً منسقاً في ألفاظه ومعانيه غير متراكم، فهو مفرق في الزمان، فإذا كمل إنزال سورة جاءت آياتها مرتبة متناسبة ومتناسقة، كأنها نزلت جملة واحدة.. وهذا من أكبر الدلائل على أنه من عند الله تعالى؛ لأن شأن كلام الناس إذا فرق تأليفه على أزمنة متباعدة أن يعتوره التفكك وعدم تشابه الجمل[3]... وكذلك القراءة التفسيرية الواردة عن ابن عباس وغيره ـ كما سبق ـ والله أعلم.

وأضاف الله تعالى الفرقان في هذه الآية إلى نون العظمة، وذلك للتعظيم والتشريف لهذا الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، وكذلك فيه رد على أولئك الذين قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وذلك عندما رأوا أنه يقرأ عليهم بين الفينة والأخرى آيات جديدة، فيقولون إنما يذهب ويتعلم ثم يأتينا بالآيات، فبين الله تعالى الحكمة والسر في نزوله منجماً ومفرقاً: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، وكذلك ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وقد أطلق الله تعالى اسم (الفرقان) في القرآن على غيره، ومن ذلك إطلاقه على الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة: ٥٣] وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨] وقد ذكر المفسرون

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٣). (٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٨/ ٢٠)، ويجوز أن يراد بـ(رتلناه) أمرنا بترتيله؛ أي: بقراءته مرتلاً وبتمهل، كما قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ انظر: المرجع نفسه والمفردات للراغب (فرق) (٣٤١)؛ بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٥).

أقوالاً كثيرة في المراد بـ(الفرقان) في هاتين الآيتين، وأوجهها وأقواها قولان:

الأول: الآيات التسع التي أوتيها موسى عليه السلام وهي العصا واليد والسنون والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات، وذلك أن هارون عليه السلام لم يؤت وحياً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨][1]، ورجح هذا القول ابن عاشور[2].

الثاني: أن الفرقان في الآية صفة للتوراة، وهو من باب عطف الصفة على الموصوف، وإنما عطف على نفسه تنزيلاً لتغاير الصفات، منزلة تغاير الذوات؛ لأن الكتاب الذي هو ـ التوراة ـ موصوف بأنه مكتوب كتبه الله لنبيه عليه السلام، وبأنه فرقان فارق بين الحق والباطل، فعطف الفرقان على الكتاب، نظراً لتغاير الصفتين[3]، ويشهد له قول من يرى أن الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] الكتب الثلاثة المذكورة.

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن المراد بـ(الفرقان) في الآيتين هي التوراة نفسها، ولا يلزم من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨] أن يكون هارون عليه السلام أوتي كتاباً؛ لأن التوراة تُعدُّ كتاباً لموسى وقومه الذين آمنوا معه، وعلى رأسهم هارون عليه السلام، والإيتاء ليس كالإنزال، فلا دلالة ظاهرة في الآية، والله أعلم.

وقيل: إن المراد بـ(الفرقان) هنا: النصر، وقيل: الكتاب، كرره بغير لفظه، وقيل: فرق البحر، وقيل غير ذلك.

وكذلك أطلق هذا الاسم على غزوة بدر الكبرى، وذلك في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٨٩)؛ التفسير الكبير (٣/ ٧٣)؛ زاد المسير (١/ ٨١).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٥٠٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٦٧٨)؛ الكشاف (١/ ٢٦٩)؛ أضواء البيان (١/ ٦٩)؛ تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة) (١/ ١٨٣).

وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١]، وسمي يوم بدر بـ(الفرقان) لفرقه بين الحق والباطل، ولأن الله تعالى أعلى فيه كلمة الحق على كلمة الباطل، وأظهر دينه، ونصر نبيه وحزبه[(١)] فعن عروة بن الزبير في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يوم فرق الله بين الحق والباطل، وهو يوم بدر، وهو أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة، فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو سبع عشرة مضت من رمضان، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، والمشركون بين الألف والتسعمائة، فهزم الله المشركين، وقتل منهم زيادة على السبعين وأسر منهم مثل ذلك[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤١٤) وذكر آثاراً كثيرة عن السلف في ذلك.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٤٨)؛ والطبري في تفسيره (١١/ ٢٠١)؛ والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٢)، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن جرير.

المبحث الرابع

الذكر إطلاقاته ومعانيه المراد بها القرآن

«الذال والكاف والراء، أصلان.. والأصل الآخر: ذَكَرْت الشيء خلاف نسيته، ثم حمل عليه الذكر باللسان»[(١)].

«و(الذِّكر) و(الذِّكرى) و(الذُّكْر) ضد النسيان، تقول: ذَكَرته ذِكرى غير مجراة[(٢)]، واجعله منك على (ذُكْرٍ) و(ذِكرٍ)، بضم الذال وكسرها بمعنى»[(٣)].

«والذِّكر: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ، إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال: لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذكران، ذكر بالقلب، وذكر باللسان»[(٤)]، ويقول الفراء: الذِّكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته، والذُّكر بالقلب، يقال: ما زال مني على ذُكر؛ أي: لم أنسه[(٥)].

والذكر مصدر ذَكَر يذكر، وإطلاقه على التنزيل من إطلاق المصدر على الفاعل أي: لكونه ذاكراً للناس ما يصلح معاشهم... إلخ، أو يكون من إطلاق المصدر على المفعول لكونه مذكوراً بفضله وشرفه[(٦)].

والذكر ـ أيضاً ـ يطلق ويراد به الشرف والرفعة والثناء والمدح، يقول

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (ذكر) (٣٦٨). (٢) أي: غير ممنوعة من الصرف.
(٣) مختار الصحاح مادة (ذ ك ر).
(٤) مفردات ألفاظ القرآن مادة (ذكر) (٣٢٨).
(٥) انظر: تاج العروس (ذكر) (١١/ ٣٨٠).
(٦) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (٩٩) ملخصاً.

ابن فارس [٣٩٥هـ]: «والذِّكر: العلاء والشرف، وهو قياس الأصل»[(١)].

وجه التسمية:

سمى الله تعالى كتابه الكريم بـ(الذكر) فاجتهد المفسرون في بيان وجه التسمية بهذا الاسم، فقيل: سمي (ذكراً) لما فيه من المواعظ، والزواجر، وأخبار الأنبياء، والأمم الماضية[(٢)].

وقيل: لما فيه من التذكير بالله واليوم الآخر[(٣)]، أو لإفادة قوة وصفه بالتذكير[(٤)]. وقيل: لأنه ذكر فيه ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم ودنياهم، وقيل: لأنه يذكر آلاء الله ونعمائه، ففيه التذكير والمواعظ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩][(٥)]، وقيل: ذكر يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء[(٦)]، وقيل: لما فيه من الذكر وموجبات الذكر والاعتبار[(٧)]، وقيل غير ذلك، ووجه تعددها وكثرتها عائد إلى نظر المفسر إلى معنى دون المعاني الأخرى، وجماع ذلك ما أورده ابن جرير الطبري [٣١٠هـ] بقوله: «وأما تأويل اسمه الذي هو ذكر، فإنه محتمل معنيين: أحدهما: أنه ذكر من الله جل ذكره، ذكر به عباده، فعرفهم فيه حدوده، وفرائضه، وسائر ما أودعه من حكمه، والآخر: أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وصدق بما فيه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤] يعني: أنه شرف له ولقومه»[(٨)].

وقد ورد (الذكر) اسماً للقرآن في تسعة وعشرين موضعاً[(٩)]، وجاء في

(١) معجم مقاييس اللغة (ذكر) (٣٦٨).
(٢) انظر: البرهان (١/ ٣٧٥)؛ والإتقان (١/ ١١٣)؛ والمدخل لأبي شهبة (٢٣).
(٣) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ١٦). (٤) المرجع نفسه (٧/ ١١).
(٥) التفسير الكبير (٢٢/ ٩٨). (٦) تيسير الكريم الرحمٰن (٥١٢).
(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٢٤٣)؛ وفتح القدير (٣/ ٣٨٤).
(٨) تفسير الطبري (١/ ٩٦).
(٩) أوصلها الشيخ البليهي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥٥) موضعاً، وأدخل فيها (تذكرة) و(ذكرى) (١/ ١٨٥)، =

أساليب مختلفة، واستعمالات متعددة، فورد محلاً بـ(ال) في أحد عشر موضعاً[(١)]، وهي لتعريف النكرة، حيث إن هذا الاسم أصبح علماً بالغلبة على كتاب الله تعالى.

وروده محلاً بـ(ال) في المواضع المذكورة عائد ـ والله أعلم ـ إلى المعنى الأول، وهو أنه ذكر من الله تعالى ذكَّر به عباده، فعرفهم فيه حدوده وفرائضه، وسائر ما أودعه الله من حكمه، إلا في موضع واحد اختلف المفسرون فيه، وهو قوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص: ١] فقيل: المراد بذي (الذكر) أي: ذي الشرف، قاله ابن عباس والسدي[(٢)]، وهو اختيار السمعاني[(٣)] والواحدي[(٤)]، وقيل: بل المعنى ذي التذكير، ذكركم الله به، قاله

= بينما أوصلها د. غازي بمشتقاتها (٢٩٢) ص(٤١)، ود. الخمساوي (٢٤) موضعاً ص(٨٠).

(١) والآيات هي: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨﴾ [آل عمران: ٥٨] ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر: ٦] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ [الفرقان: ٢٩] بدلالة سبب النزول. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١] وبقية المواضع: [ص: ١، ٨] [فصلت: ٤١] [الزخرف: ٥] [القلم: ٥١].

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أبي كريمة، الإمام المفسر، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي، الأعور السدي، أحد موالي قريش، وهو السدي الكبير المفسر، قال عنه أحمد بن حنبل: ثقة، وقال مرة: مقارب الحديث، وقال يحيى بن معين: ضعيف، وقال أبو زرعة: لين، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال ابن حجر: صدوق يهم، ورمي بالتشيع، توفي سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤)؛ تقريب التهذيب (١٠٨).

(٣) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد، أبو المظفر السمعاني، الحافظ من أهل مرو، وكانت له يد طولى في فنون كثيرة، منها «التفسير»، وكتاب «الانتصار» في الحديث، و«البرهان» في أصول الفقه، وغيرها، توفي بمرو سنة ٤٨٩هـ. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٥٣)؛ طبقات المفسرين للداودي (١٤٣).

(٤) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ٤٢٣)؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٩١٨).

الضحاك[١]، وقتادة، ورجحه ابن جرير الطبري، وذلك بدلالة السياق حيث ذكر الله ﷻ بعدها ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص: ٢] فكان معلوماً بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكراً لعباده ذكرهم به[٢]، وكذلك أن الله تعالى أخبر عن المشركين أنهم في عزة، والعزة «حالة مانعة للإنسان من أن يغلب»[٣]، فناسب أن يذكرهم الله ﷻ بهذا القرآن العظيم الذي يدلهم على العزة والكرامة الحقيقية كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقد عزا الشنقيطي رحمه الله هذا القول إلى جمهور المفسرين[٤]، وهو الأظهر ـ والله أعلم ـ، وقد جمع بينهما ابن كثير بقوله: «ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار»[٥] وهو كلام لا غبار عليه، ولكن الذي يؤيده سياق الآيات هو القول الثاني. والله أعلم.

وقد وصف الله تعالى هذا الذكر بالحكيم في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨﴾ [آل عمران: ٥٨] وفي وصف القرآن بكونه ذكراً حكيماً وجوه، **الأول**: بمعنى الحاكم، فالقرآن حاكم بمعنى أن الأحكام تستفاد منه، **الثاني**: ذو الحكمة في تأليفه ونظمه وكثرة علومه، **الثالث**: بمعنى المحكم، حيث أحكم عن تطرق وجوه الخلل إليه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١][٦]. وكذلك أنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه، أو وصف بصفة من هو سببه[٧].

وكذلك وصف ـ سبحانه ـ هذا الذكر بأنه محفوظ من الزيادة والنقصان،

---

(١) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، ويقال أبو محمد الخراساني، تابعي جليل، وكان إماماً في التفسير، قال الثوري: خذوا التفسير عن أربعة مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك، وقال الإمام أحمد: هو ثقة، توفي سنة اثنتين أو خمس ومائة. انظر: صفوة الصفوة (٤/ ١٥٠)؛ البداية والنهاية (٩/ ٢٣٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٩).

(٣) المفردات للراغب (عز) (٥٦٣).

(٤) انظر: أضواء البيان (٤/ ٣٤٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٥).

(٦) انظر: التفسير الكبير (٨/ ٦٥).

(٧) انظر: الكشاف(١/ ٥٦٣).

والتحريف والتغيير، وأكد ذلك بمؤكدات ثلاثة؛ وهي: (إنَّ) المؤكدة، و(نحن) الضمير المنفصل الدال على العظمة إذا كان صادراً من واحد، والجملة الاسمية، وفي هذا كله ردٌّ على تلك المقالة السابقة: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر: ٦] إما على سبيل الاستهزاء، أو يا من تزعم أنه نزل عليك الذكر، إنك لمجنون.. وبيان وإخبار بحفظ الله تعالى لهذا الكتاب العزيز ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩][1]، وفي هذا السياق يقول الأستاذ سيد قطب [١٩٦٦م]: «وننظر نحن اليوم من وراء القرون إلى وعد الله الحق بحفظ هذا الذكر، فنرى فيه المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب ـ إلى جانب غيرها من الشواهد الكثيرة ـ ونرى أن الأحوال والظروف والملابسات والعوامل التي تقلبت على هذا الكتاب في خلال هذه القرون ما كان يمكن أن تتركه مصوناً محفوظاً لا تتبدل فيه كلمة، ولا تحرف فيه جملة، لولا أن هنالك قدرة خارجية عن إرادة البشر، أكبر من الأحوال والظروف والملابسات تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل، وتصونه من العبث والتحريف، ولقد جاء على هذا القرآن زمان في أيام الفتن كثرت فيه الفرق، وكثر فيه النزاع.. وراحت كل فرقة تبحث لها عن سنن في هذا القرآن، وما في حديث رسول الله ﷺ.. ولقد أدخلت هذه الفرق على حديث رسول الله ﷺ ما تحتاج إلى عشرات العلماء الأتقياء الأذكياء، وعشرات من السنين لتحرير سنة رسول الله ﷺ وغربلتها وتنقيتها.. كما استطاعت هذه الفرق في تلك الفتن أن تؤول معاني النصوص القرآنية، وأن تلوي هذه النصوص.. ولكنها عجزت جميعاً ـ وفي أشد أوقات الفتن حلوكة واضطراباً ـ أن تحدث حدثاً واحداً في نصوص هذا الكتاب المحفوظ، وبقيت نصوصه كما أنزلها الله تعالى..»[2]،

---

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٩٩)؛ والتفسير الكبير (١٩/١٢٧)؛ وحاشية الشهاب (٥/٤٩٩)، وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] أي: لمحمد ﷺ ولكن الجمهور على أن المراد به حفظ كتاب الله تعالى. انظر: زاد المسير (٤/٣٨٤).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ط٢٥ (القاهرة: دار الشروق، ١٤١٧هـ) (٤/٢١٢٨) بتصرف.

وفيه أيضاً إغاظة للمشركين بأن أمر هذا الدين سيتم وينتشر ويبقى على مر الأزمان بحفظ ورعاية ربانية[(١)].

وقد ذكر الله تعالى اسم كتابه (الذكر) بعد ما أشار إلى الكتب السابقة بـ(الزبر) وهو «كل كتاب يصعب الوقوف عليه من الكتب الإلهية»[(٢)]، والمعجزات الخالدة للأنبياء السابقين بـ(البينات) والبينة هي: «الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة»[(٣)]، في قوله تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] للدلالة على خاصية هذا الكتاب ومزيته على الكتب السابقة، فإنه اجتمع فيه الإعجاز إلى جانب التشريع وبيان الأحكام والدلائل، فهو بينة وزبور، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «أي: هو معجزة وكتاب شرع، وذلك من مزايا القرآن التي لم يشاركه فيها كتاب آخر، ولا معجزة أخرى، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠]، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**[(٤)]»[(٥)].

ومن أساليب ورود اسم (الذكر) في القرآن ما جاء على صيغة التنكير، وذلك في اثني عشر موضعاً[(٦)]، وهي تشتمل على كلا المعنيين ـ غالباً ـ[(٧)]،

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ٢٢).
(٢) المفردات للراغب (زبر) (٣٧٧).
(٣) المرجع نفسه (١٥٧).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) التحرير والتنوير (٦/ ١٦٣).
(٦) والآيات هي: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤] ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طـه: ٩٩] ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢] ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥٠] ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾ [الشعراء: ٥] وبقية المواضع: [يس: : ٦٩] [ص: ٧٨] [الزخرف: ٤٤] [الطلاق: ٩] [القلم: ٥٢] [التكوير: ٢٧].
(٧) وهما ذكر الله ذكر به عباده.. والشرف والرفعة.. وإن رجح معنى على معنى فسأذكر =

وتنكيره للدلالة على تعظيمه وتفخيم أمره كما قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه: ٩٩]، وتأخير الاسم عن الجار والمجرور هنا «لأن مرجع الإفادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكراً عظيماً، وقرآناً كريماً، جامعاً لكل كمال، لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه ﷻ مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة، فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم»(١)، وكذلك قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩] و(لدنا) توكيد وتنويه بشأن القرآن(٢).

وقد وردت الإشارة إلى (الذكر) في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥٠] للدلالة على أن القرآن حاضر في الأذهان، وفي التلاوة بمنزلة حضور ذاته(٣).

ويلاحظ الباحث أن الله تعالى قرن (الذكر) في سورة الأنبياء بوصف الربوبية، قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢]، بينما في سورة الشعراء قرنه بوصف الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾ [الشعراء: ٥]، وإنما خص هذين الوصفين من صفات الله تعالى في هذين الموضعين ـ الرب والرحمٰن ـ لأن الرب هو القائم بمصالح الخلق، والرحمٰن هو المنعم عليهم في الدنيا بما خلق فيها، وإتيانهم بالذكر من عنده مما يصلحهم فوق ما تصلحهم الأغذية المخلوقة لهم(٤)، أما وجه اختصاص كل منهما فهو عائد ـ

= ذلك عند الحديث الخاص للآية، وإن كان في الحقيقة أني لم أجد موضعاً واحداً اتفق جميع المفسرين على أنه للشرف والرفعة، حتى في أصرح آية، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤] حيث رجح ابن جرير وغيره أنه الشرف، ولم يذكر قولاً غيره، وأيضاً يحتمل أن يكون المعنى لتذكير لك ولقومك، وأن تخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم. قاله ابن كثير (٤/ ١٦٤).

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٦/ ٤١). وانظر: روح المعاني (١٦/ ٢٥٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٧/ ٢٠٢). (٣) انظر: التحرير والتنوير (٧/ ٩٠).

(٤) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، =

والله أعلم ـ إلى أمور، منها: أن الله ﷻ افتتح سورة الأنبياء بالإشارة إلى قرب قيام الساعة، حيث عبر بالجزء عن الكل وهو (الحساب)، قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وفي يوم الحساب ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] فناسب أن يقترن بالتهديد والتخويف التذكير بالطاعة والاستجابة لله ولرسوله ﷺ والإيمان بما أنزل الله من (الذكر) وأن يقترن باسم (الرب) حيث إنهم في الحقيقة مربوبون ومتعبدون لله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣]، والخطاب في هذه الآية للمشركين، أما في سورة الشعراء، فإن الخطاب للنبي ﷺ وفيه تسلية وتطمين لقلبه، وعدم الانزعاج والاكتراث من عدم إيمانهم بالله، وإعراضهم عما أنزل الله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣] فناسب أن يذكر صفة الرحمة دون غيرها، ومن الأوجه ـ أيضاً ـ الموافقة في استخدام الأوصاف المتشابهة في السورة الواحدة، ففي سورة الأنبياء قال سبحانه بعد هذه الآية: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنبياء: ٤] بينما في سورة الشعراء قال سبحانه بعد الآية المذكورة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٩] وكررها ست مرات في نفس السورة، فحصلت الموافقة في السياقين كليهما[1]، وأيضاً فيه تشنيع لحال المعرضين المكذبين لنزول الذكر، وتعريض لغباوتهم أن يعرضوا عما هو رحمة لهم، فإذا كانوا لا يدركون صلاحهم فلا تذهب نفسك حسرات على قوم أضاعوا أنفسهم، وأنت قد أرشدتهم وذكرتهم[2].

ومن أساليب وروده ـ أيضاً ـ ما جاء مضافاً، وذلك في ستة مواضع[3]،

= محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، اعتنى: خليل مأمون شيحا، ط١ (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٢هـ) ص(٢٢٨)، ملخصاً.

(١) انظر: أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط٢ (القاهرة: دار الاعتصام، ١٣٩٦هـ) ص(١٤١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٨/ ٩٨).

(٣) والآيات هي: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠] =

فأضيف إلى ضمير المخاطبين ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ وذلك لأن الخطاب لهؤلاء القوم الذين أنزل فيهم ومن بينهم، كتاب الله تعالى، يقول ابن عطية [٥٤٦هـ]: «فأضاف الذكر إليهم من حيث هو في أمرهم»[١]، وفيه حث ودعوة خاصة لهؤلاء القوم، فآمن من آمن، وكفر من كفر، فطوبى لمن آمن، وخسارة من جحد وكفر.

وأضيف في آية آخرى إلى الضمير المتصل الغائب ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ وهو مناسب لما سبقه في السياق، فإن الله تعالى أخبر عنهم أنهم كرهوا الحق وأعرضوا عنه فقال: ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠] فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ﴾ التي للإضراب والانتقال ﴿أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١] أي: كيف يكرهون الحق مع أن القرآن جاءهم بما فيه فخر وشرف لهم، أو بما فيه موعظة وذكرى لهم، وفي إعادة (الذكر) في هذه الآية تفخيم وتعظيم له[٢].

وأضيف ـ أيضاً ـ إلى ياء المتكلم لإثبات أن هذا الذكر ـ المشكوك فيه كما يزعمون ـ كلام الله تعالى حقيقة، وأنه نزله على محمد ﷺ ليكون ذكراً لهؤلاء القوم، ولكنهم كفروا وصدوا عن سبيل الله تعالى، وهذه نتيجة المكابرة، والإعراض عن سبيل الهدى، وطريق النجاة، وكذلك فيه تشريفٌ وتعظيم الذكر الحكيم، حيث أضافه الله تعالى إلى نفسه[٣].

وقد ورد اسم (الذكر) في جميع مواضعه السابقة، في السور المكية، ما عدا موضعين فقط، وهما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [آل عمران: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠] ولذا كان الخطاب ـ غالباً ـ إلى عموم الناس ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

= ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ [الأنبياء: ٢٤] ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١] ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ [ص: ٨].

(١) المحرر الوجيز (١٢٧٥).
(٢) انظر: محاسن التأويل (٧/ ٣١١).
(٣) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢١٤).

[القلم: ٥٢] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ١٠٤] وفيه حث وترغيب للإيمان به ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠] والتصديق بأنه من عند الله ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩] وفيه ثناء على القرآن نفسه ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠] ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ [ص: ١] وهذا كله مما يناسب تلك الحقبة الزمنية في الفترة المكية، فآمن من آمن منهم، وانتفعوا بما أنزل الله عليهم من الكتاب، وكفر من كفر ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

أما إضافة (الذكر) إلى لفظ الجلالة[(١)]، فإنه لا يراد به القرآن خصوصاً، بل لمعانٍ مخصوصة، أو تكون بمعنى عام، ويراد بها الذكر القلبي واللساني ـ كما سبق ـ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩] فإن المراد بـ(ذكر الله) هنا خطبة الجمعة، وهو قول أكثر المفسرين؛ كابن عطية، والرازي، وابن جزي[(٢)]، وأبي السعود[(٣)(٤)]، وقيل: الصلاة.

أما بقية المواضع فالمراد بها الذكر العام، ويدخل فيه دخولاً أولياً القرآن؛ لأنه من أعظم الذكر وأجله، إلا أن المفسرين اختلفوا اختلافاً كثيراً في ثلاثة مواضع منها:

---

(١) وقد ورد في عشر مواضع.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، وله مصنفات، منها «الفوائد العامة في لحن العامة» و«وسيلة المسلم» في تهذيب مسلم، توفي سنة ٧٤١هـ. انظر: الأعلام (٥/ ٣٢٥).

(٣) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي الإمام العلامة، تولى قضاء برسه، ثم قضاء قسطنطينية، ثم قضاء العسكر في ولاية روم إيلي، ودام عليه مدة ثمان سنين، وبرع في جميع الفنون، وفاق الأقران، وله تصانيف جليلة، أعظمها «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»، توفي سنة ٩٨٢هـ. انظر: شذرات الذهب (٨/ ٣٩٨)؛ البدر الطالع (١/ ٢٦١).

(٤) المحرر الوجيز (١٨٥٧)؛ التفسير الكبير (٣٠/ ٩)؛ وعزاه إلى الأكثرين، التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ١١٩)؛ إرشاد العقل السليم (٨/ ٢٤٩).

الأول: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨]، قال بعضهم: أن المراد بـ(ذكر الله) في الآية هو القرآن الكريم، وذلك بدلالة الآية التي قبلها ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الرعد: ٢٧] وهو قول مجاهد وقتادة[١]. ورجحه الرازي وابن القيم[٢]، والشهاب الخفاجي[٣][٤] وقال آخرون: بل المراد عموم ذكر الله تعالى، حيث وصف الله قلوب المؤمنين بأنها تطمئن وتستأنس بذكر الله تعالى، ويدخل فيه القرآن والتسبيح والتهليل والتحميد، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي يقول الرب ﷻ: «من شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عن مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ما أُعْطِي السَّائِلِينَ»[٥] ورجح هذا القول ابن جرير، وابن عطية، وابن كثير، والبقاعي[٦]

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٣١٥).

(٢) هو محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعى الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية، الحنبلي، أبو عبد الله، لازم شيخه ابن تيمية كثيراً، وبرع وتفنن في سائر العلوم الدينية، وكثرت مصنفاته، ومنها «زاد المعاد» و«إعلام الموقعين عن رب العالمين» وغيرها كثير، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً، سوى ما اصطفوه لأنفسهم، توفي سنة ٧٥١هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٥)؛ البدر الطالع (٢/ ١٤٣).

(٣) هو أحمد بن محمد بن عمر المصري الخفاجي، ولي قضاء مصر، وله تصانيف كثيرة، منها «عناية القاضي وكفاية الراضي» وهي حاشية على تفسير البيضاوي، و«شرح درة الغواص» للحريري وغيرها، توفي سنة ١٠٦٩هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٤١٦).

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٩/ ٣٩)؛ بدائع التفسير لابن القيم (٢/ ٤٩٨)؛ حاشية الشهاب (٥/ ٤١٤).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء كيف كانت قراءة النبي عليه الصلاة والسلام، وقال: حديث حسن غريب، حديث [٢٩٢٦]؛ والدارمي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل كلام الله على سائر الكلام، حديث [٣٢٢٢]؛ وقال ابن حجر في الفتح (٩/ ٨٤): رجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف. .، وضعفه الألباني.

(٦) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط بن علي بن أبي بكر، برهان الدين، وكني بأبي الحسن، الخرباوي، البقاعي، وله مصنفات كثيرة، من أشهرها «نظم الدرر في تناسب الآي والسور»، «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» وغيرها، توفي سنة =

وغيرهم[١].

الثاني: قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الزمر: ٢٢، ٢٣] قال بعضهم: المراد بالذكر في الآيتين القرآن العظيم، ورجحه ابن جرير، والبغوي، وابن عاشور[٢]. وقال آخرون: بل الذكر عموماً، وفيه دلائل التوحيد، وذكر الوعد والوعيد، والتذكر بآيات الله تعالى، ورجح هذا القول الرازي، والقاسمي[٣]، وأبو السعود[٤]. ومثل هذا الاختلاف في الآية الثالثة، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن المراد بـ(ذكر الله) في المواضع الثلاثة، ذكر الله عموماً، وذلك لوجوه:

أولاً: ورود آيات في كتاب الله عُطف فيها ذكر الله على قراءة القرآن أو القرآن عموماً، ولو كان المراد بالذكر في الآية القرآن لما عطف بينهما، والأصل في العطف التغاير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا

= ٨٨٥هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٣٤٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥١٨)؛ المحرر الوجيز (١٠٣٨)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٧٤)؛ نظم الدرر (١٠/ ٣٣٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٠)؛ معالم التنزيل (١١٢٤)؛ التحرير والتنوير (٩/ ٣٣٢).

(٣) هو جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلعاً في فنون الأدب، كان سلفي العقيدة، لا يقول بالتقليد، وله مصنفات كثيرة، منها (موعظة المتقين)؛ و(جوامع الأدب في أخلاق الأنجاب)؛ و(محاسن التأويل)، توفي سنة ١٣٣٢هـ. انظر: الأعلام (٢/ ١٣٥).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٦/ ٢٣٢)؛ محاسن التأويل (٨/ ١٧٤)؛ إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٥٠).

ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]، وكذلك في آية الحديد: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

ثانياً: أن القرآن يدخل في الذكر دخولاً أولياً، كما قال سبحانه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢]، وغير ذلك من الآيات التي سمي فيه القرآن ذكراً، بل قراءة القرآن من أعظم الذكر وأفضله، ولكن لا يمكن أن يحصر فيه؛ لأن الذكر أنواع، ففيه التسبيح والتهليل.. إلخ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

ثالثاً: أنه الموافق لاستعمال القرآن وعادته، ففي المواضع الأخرى يكاد يتفق المفسرون على أن المراد بـ(ذكر الله) في الآيات الأخرى، الذكر العام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٩١]، وقوله: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩].

أما ورود (الذكر) مضافاً إلى (الرحمٰن) فقد ورد مرتين في كتاب الله(١)، واختلف المفسرون في المراد بالذكر فيهما على قولين:

الأول: أنه القرآن، والمقصود الذكر الوارد من الرحمٰن، وعبَّر تعالى عن نفسه باسم (الرحمٰن) تبكيتاً عليهم، حيث كانوا يكفرون بهذا الاسم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]، ورجح هذا القول ابن عاشور(٢).

---

(١) الأول في سورة الأنبياء ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [٣٦]، والثاني في سورة الزخرف ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [٣٦].

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٦٦). وانظر: التفسير الكبير (٢٧/ ١٢٨)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٢٨٨)؛ إرشاد العقل السليم (٨/ ٤٧).

القول الثاني: أن المراد بـ(الذكر) في الآيتين الذكر عموماً، وخص اسم الرحمٰن، في الآية الأولى لكفرهم بهذا الاسم، ولذا فقد ورد أنهم أنكروا هذه الاسم، وقالوا ما نعرف الرحمٰن إلا في اليمامة(١)، ورجح هذا القول ابن جرير، وابن عطية، وابن الجوزي، وغيرهم(٢).

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن المراد بالذكر هنا عموم الذكر ـ أيضاً ـ وليس مقتصراً على كتاب الله، وإن كان يدخل دخولاً أولياً، وأن ذكر اسم (الرحمٰن) فيه حث على عبادته وطاعته وذكره، فإن العبد الفطن يدين بالمحبة والإجلال والتقدير لمن أسدى إليه معروفاً، ومن أعظم المعروف الرحمة والشفقة من الله للعبد، ولذا عاقب الله تعالى من أعرض عنه بالعقاب الأبدي في الدنيا قبل الآخرة ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

أما وروده مضافاً إلى وصف الربوبية في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧] فقد رجح ابن جرير أنه القرآن(٣)، والذي يظهر لي أنه لا توجد قرينة تقصره على كتاب الله تعالى، بل المراد عموم الذكر، واختاره جمع من المفسرين كالزمخشري، والرازي، والفيروزآبادي، وأبي السعود(٤) وغيرهم(٥).

والذكر في القرآن يأتي على أوجه أخرى(٦)، منها:

١ ـ ذكر اللسان ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

---

(١) فقد روى ابن أبي حاتم بسنده (٨/ ٢٧١٥) عن طلحة عن عطاء: وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمٰن قالوا وما الرحمٰن ما نعرف الرحمٰن إلا رحمٰن اليمامة. وانظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٢)؛ والكشف والبيان للثعلبي (٧/ ١٤٣)؛ والدر المنثور (٦/ ٢٦٨).

(٢) انظر: جامع البيان (١٦/ ٢٧٠)؛ المحرر الوجيز (١٦٨٠، ١٢٨١)؛ زاد المسير (٥/ ٣٥٠، ٧/ ٣١٤). وانظر: تفسير المراغي (١٧/ ٢٥، ٣١/ ٨٩).

(٣) جامع البيان (٢٣/ ٣٣٨)، ورجحه أيضاً ابن سعدي (٨٩١).

(٤) انظر: الكشاف (٦/ ٢٣٠)؛ التفسير الكبير (٣٠/ ١٤٣)؛ بصائر ذوي التمييز (٣/ ١٥)؛ إرشاد العقل السليم (٩/ ٤٥).

(٥) ويقال فيه ما قيل في (ذكر الله).

(٦) ذكرها الفيروزآبادي في البصائر (٣/ ١٣).

٢ - ذكر بالقلب ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٣ - بمعنى التوراة ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

٤ - بمعنى رسالة الرسول ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٩][١].

٥ - بمعنى الصلوات الخمس ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩][٢].

---

(١) وقد ذكر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ أن الله تعالى سمى جميع كتبه (ذكر) (٢٢/٩٨).

(٢) انظر للاستزادة بصائر ذوي التمييز (٣/١٤).

المبحث الخامس

التنزيل إطلاقاته والتفريق بين الإنزال والتنزيل

«(نَزَلَ) النون والزاء واللام، كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه»(١). يقال: نَزَلَ يَنْزِلُ نُزُولاً، ونزل عن دابته، ونزل في مكان كذا: حَطَّ رحله فيه، وأنزله غيره.. ونَزَل بكذا، أَنْزَله بمعنى(٢).

يقول الفيروزآبادي [٨١٧هـ]: «ونزَّله تنزيلاً، وأَنْزَلَه إنزالاً، ومُنْزَلاً، كمُجْملٍ، واستنزله بمعنى»(٣).

ويتعدى (نزل) بالحرف، والهمزة، والتضعيف، فيقال: (نَزَلْتُ) به، و(أَنْزَلْتُه) و(نَزَّلْتُه) و(استَنْزَلتُه) بمعنى: (أَنْزلتُه)(٤).

والتنزيل: ترتيب الشيء(٥).

وجه التسمية:

تسميته ظاهرة، فإن الله تعالى سمى كتابه بـ(التنزيل)؛ لأنه منزل من عنده سبحانه، كغيره من الكتب السماوية السابقة، والتضعيف في الاسم للدلالة على نزوله منجماً ومفرقاً في بضعٍ وعشرين سنة، يقول الزركشي [٧٩٤هـ]: «وأما تسميته (تنزيلاً) فلأنه مصدر نزَّلته؛ لأنه منزل من عند الله على لسان جبريل؛ لأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه، وفهمه إياه، كما شاء من غير

---

(١) معجم مقاييس اللغة (نزل) (٩٨٦).
(٢) انظر: المفردات للراغب (نزل) (٧٩٩).
(٣) القاموس المحيط مادة (نزل). وانظر: لسان العرب (نزل) (١١/ ٦٥٦).
(٤) انظر: المصباح المنير مادة (ن ز ل).
(٥) معجم مقاييس اللغة مادة (نزل) (٩٨٦). وانظر: لسان العرب (١١/ ٦٥٦).

وصف ولا كيفية نزل به على نبيه، فأداه هو كما فهمه وعلّمه»(١).

وقد ورد (التنزيل) اسماً للقرآن، بتصاريفه المتعددة، واشتقاقاته المتنوعة، مائة وستاً وثلاثين مرة(٢)، وهو أكثر الأسماء وروداً في القرآن، بل والأوصاف أيضاً، وهذا عائد ـ والله أعلم ـ لإثبات حقيقة وكُنْه كتاب الله تعالى، الذي طالما سعى المشركون والكافرون، إلى اختلاق الأقوال الباطلة، والتهم الزائفة، في حقيقته وكنهه، تبريراً لكفرهم، وإرضاءً لأهوائهم، واستجابة لشياطينهم، ولعلي أذكر طرفاً مما حكى الله تعالى من أقوالهم وأباطيلهم، التي يعلمون ويوقنون أنها لا حقيقة لها، ولا مستند فيها ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]، فمما قالوه: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤]، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٤، ٥]، ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٤، ٢٥] وغير ذلك من الآيات الكثيرة، التي تذكر أقوالهم، وتحكي أباطيلهم، ولذا نجد أن الله تعالى يعقب تلك الأقوال

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٦)، وقد يدل كلامه رحمه الله على أن جبريل عليه السلام بلّغه النبي ﷺ بما فهمه من كلام الله تعالى، وهذا مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة، فإنهم يعتقدون أن جبريل عليه السلام سمع القرآن من الله تعالى، وأن محمداً ﷺ سمعه من جبريل، كما قال شيخ الإسلام: «والقرآن كله لفظه ومعناه، سمعه جبريل عليه السلام من الله تعالى، وبلغه محمداً ﷺ، وسمعه محمد ﷺ منه، وبلغه محمد إلى الخلق، والخلق يبلغه بعضهم إلى بعض، ويسمعه بعضهم من بعض..» مجموع الفتاوى (١٢/ ٩٨).

(٢) أوصلها الشيخ البليهي رحمه الله إلى (١٤٢) آية، بينما الدكتور جميل غازي (٢٩٣) مرة، بمشتقاتها.

ببيان أنه (منزل) مرة، وأحياناً بـ(أنزلناه) مضافاً إلى (نا) الفاعلين، أو تاء المتكلم (أنزلت) وغير ذلك ـ مما سيتبين في ثنايا البحث ـ، وربما ذكر في الآية الواحدة أربعة مؤكدات، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩][1]، أو يبتدئ ذلك ابتداءً ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ [الزمر١].

ومن أساليب ورود (التنزيل) في القرآن، ما جاء بصيغة (نَزَل) و(أَنْزَل) وتصاريفهما واشتقاقاتهما المتعددة، وقبل أن أدلف إلى الحديث عنها، وذكر مواضعها، يحسن بي أن أقدِّم بمسألة كثر كلام المفسرين ـ رحمهم الله ـ فيها، واختلفت وجهات النظر، ألا وهي الفرق بين (نزل) و(أنزل) حيث وصف الله تعالى القرآن مرة بـ(نزل) ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣] ومرة بـ(أنزل) ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧] أما الكتب السابقة فلم توصف إلا بـ(أنزل) ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣] فهل هناك فرق بينهما، أو هما بمعنى، على قولين:

القول الأول: أنه يوجد فرق بينهما، وذلك أن الله ﷻ غاير بينهما في كتابه، واستعملهما في سياقات مختلفة، وذلك في بعض الآيات؛ كقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، يقول الزمخشري [٥٣٨هـ] في تفسيره لآية آل عمران: «فإن قلت: لم قيل: نزل الكتاب، وأنزل التوراة والإنجيل؟ قلت: لأن القرآن نزل نجوماً، ونزل الكتابان جملة»[2]، وقال الرازي [٦٠٤هـ]: «إنما خص القرآن بالتنزيل، والتوراة والإنجيل بالإنزال؛ لأن التنزيل للتكثير، والله

---

(١) حيث أكدت أولاً بـ(أن)، وهي للتوكيد، ثم(نحن)، ثم بنون الفاعلين (نا)، وقبل ذلك الجملة الأسمية، وقد وردت آيات أخرى بمثل هذه المؤكدات؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥].

(٢) الكشاف (٥٢٦/١).

تعالى نزل القرآن نجماً نجماً، فكان معنى التكثير حاصلاً فيه، وأما التوراة والإنجيل فإنه تعالى أنزلهما دفعة واحدة، فلهذا خصهما بالإنزال»(١). ويقول الشهاب الخفاجي [١٠٦٩هـ] في تفسيره لآية النساء: «وقراءة (نزل) لأنه نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة، بخلاف غيره من الكتب»(٢)، وقال ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «وجاء في صلة وصف (الذي نزل على رسوله) بصيغة التفعيل، وفي صلة الكتاب ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ بصيغة الإفعال، تفنناً، أو لأن القرآن حينئذٍ بصدد النزول نجوماً»(٣) إذن فإطلاق (نزل) على القرآن للدلالة على أنه نزل منجماً ومفرقاً في بضع وعشرين سنة(٤)، وقد نص على هذا التفريق ثلة من العلماء، منهم الراغب الأصفهاني [٤٢٥هـ] حيث قال: «والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة، أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً، ومرة بعد أخرى، والإنزال عام»(٥)(٦)، ولكن ربما يُشكل عليه قول من قال: إن كان الله تعالى قد وصف القرآن الكريم بـ(نزل) كما سبق، فقد وصفه أيضاً بـ(أنزل) في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ [آل عمران: ٤] فيجاب عليه بما قاله السمين الحلبي [٧٥٦هـ] عند تفسيره لهذه الآية، وذلك في معرض تعليقه على كلام الزمخشري: «وقد يعتقد معتقد أن في كلامه هذا رداً لقوله الأول،

---

(١) التفسير الكبير (٧/ ١٣٦).

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٣/ ٣٧٢).

(٣) التحرير والتنوير (٢/ ٢٣٠).

(٤) ومنشأ الخلاف هو في تحديد مدة إقامته عليه الصلاة والسلام في مكة، ولعل الصحيح أنها ثلاث وعشرون سنة، وهذا على التقريب، وهو قول ابن عباس وغيره. انظر: للاستزادة المدخل (٥٢)؛ ونزول القرآن، د. الشايع (٧٣).

(٥) المفردات (٧٩٩).

(٦) ويقرب من قول الراغب، قول الجرجاني في التعريفات (٩٣). وانظر: معالم التنزيل (١٨٧)؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٩٨)؛ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٥) عند تفسير آية آل عمران ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾ [٣].

حيث قال: إن (نزل) يقتضي التنجيم، و(أنزل) يقتضي الإنزال الدفعي؛ لأنه جوز أن يراد بالفرقان القرآن، وقد جاء معه (أنزل) ولكن لا ينبغي أن يُعتقد ذلك؛ لأنه لم يقل: إن (أنزل) للإنزال الدفعي فقط، بل يقول إن (نزل) بالتشديد يقتضي التفريق، و(أنزل) يحتمل ذلك، ويحتمل الإنزال الدفعي»(١)، وكذلك أن القرآن الكريم له تنزلان، الأول: إلى السماء الدنيا دفعة واحدة، والثاني: مفرقاً على نبينا محمد ﷺ فـ(أنزل) يشير إلى النزول الأول، و(نزل) إلى النزول الثاني، يقول الراغب [٤٢٥هـ] في تعليقه على آية ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر: ١]: «وإنما خص لفظ الإنزال دون التنزيل، لما روي: (أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجماً فنجماً)(٢)»(٣).

القول الثاني: أنهما بمعنى واحد، وأن التضعيف في (نزل) للتعدية، وهو يساوي الهمزة في (أنزل)، وليس التضعيف هنا للدلالة على نزوله منجماً، يقول أبو حيان [٧٤٥هـ] في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]: «(نزلنا) التضعيف فيه هنا للنقل، وهو المراد لهمزة النقل.. وليس التضعيف هنا دالاً على نزوله منجماً في أوقات مختلفة، خلافاً للزمخشري..»(٤)، ثم أردف كلامه هذا بأوجه يَرُدُّ فيها على قول من يقول أن بينهما فرقاً، وعلى رأسهم الزمخشري، ولعلي أذكر هذه الأوجه ـ على وجه الاختصار ـ:

١ ـ أن معنى التكثير لا يستفاد من التضعيف، إلا في الأفعال التي تكون قبل التضعيف متعدية ـ غالباً ـ، نحو: جرحت زيداً، وفتحت الباب، و(نزلنا)

(١) الدر المصون (٣/٢٣).
(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب: فضائل القرآن، باب: كم بين نزول أول القرآن وبين آخره، حديث [٧٩٣٥] بسنده عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ: (نزل القرآن جملة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، فكان إذا أراد الله أن يحدث منه شيئاً أحدثه). وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٦٨٩)؛ الدر المنثور (٥/٣٤٥).
(٣) المفردات (نزل) (٨٠٠).
(٤) البحر المحيط (١/١٤٩ ـ ١٥٠).

لم يكن متعدياً قبل التضعيف، إنما كان لازماً، وتعديه إنما يفيده التضعيف أو الهمزة، فإن جاء في لازم فهو قليل، قالوا: مات المال، وموت المال، إذا كثر ذلك فيه... ويمكن أن يقال: ولعل هذا من القليل الذي أشار إليه بقوله: «فإن جاء في لازم فهو قليل».

٢ ـ أنه لو كان التضعيف في (نزل) يفيد التنجيم لاحتاج قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] إلى تأويل؛ لأن التضعيف دال على التنجيم والتكثير، وقوله: ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ ينافي ذلك... ويمكن أن يجاب عليه بأن مرادهم بـ(نزل) ما سبق أن نزل من قرآن وهو كثير، يقول أبو السعود [٩١٥هـ]: «ويجوز أن يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه؛ أي: هلا أنزله كله»[١]، أو تكون (نزل) هنا بمعنى (أنزل) كخبر بمعنى أخبر، كما حكاه الزمخشري[٢].

٣ ـ كذلك القراءات بالوجهين في كثير مما جاء يدل على أنهما بمعنى واحد. ويجاب عليه بأن القرآن له تنزلان ـ كما سبق ـ فسواء ورد بـ(أنزل) أو (نزل) كلاهما يطلق على كتاب الله تعالى، وحينئذٍ يمكن توجيه القراءات في الآية.

٤ ـ مجيء (نزل) في سياق لا يمكن فيه التكثير والتنجيم إلا على تأويل بعيد، يدل على ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الأنعام: ٣٧]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥]، ويمكن أن يجاب عليه بأن هذه (الآية)، وذلك (المَلَك)، لا يوجد مانع من التنجيم والتكثير فيهما ـ وقد أشار أبو حيان إلى ذلك ـ، فهما قد وردا مُنَكَّرين، والنكرة تفيد العموم، فربما أنهم طلبوا آية تنزل عليهم متفرقة، بدلالة التضعيف، وكذلك المَلَك، والله أعلم.

---

(١) إرشاد العقل السليم (٦/ ٢١٥). وانظر: روح المعاني (١٩/ ١٥).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٤٧).

ورجح هذا القول أبو حيان، والسمين الحلبي[(١)(٢)].

ولأجل ما سبق فقد ذهب بعضهم[(٣)] إلى جعل هذا التفريق غالباً في استعمال القرآن، لا قاعدة مطردة، محاولة للجمع بين القولين[(٤)].

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ التفريق بينهما، لما سبق بيانه، من الأجوبة التي يمكن أن تجاب عن استدلالات أصحاب القول الثاني، ومما يعزِّز ذلك ـ أيضاً ـ أنه لم يرد في كتاب الله تعالى إطلاقاً استعمال (نزل) مضعفاً مع الكتب السابقة إلا مع التوراة في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ﴾ [آل عمران: ٩٣] وله وجه[(٥)]، بل بـ(أنزل) مطلقاً، وذلك لدلالة على نزولها دفعة واحدة[(٦)].

---

(١) هو أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود، وقيل عبد الدايم، المعروف بابن السمين، أبو العباس، وقال السيوطي في طبقات النحاة: ويعرف بالسمين الحلبي ثم المصري الشافعي النحوي المقرئ الفقيه العلامة، لازم أبا حيان، حتى فاق أقرانه، وصنف مصنفات كثيرة، منها (تفسير القرآن) و(إعراب القرآن) و(شرح التسهيل)، توفي سنة ٧٥٦هـ. انظر: شذرات الذهب (٦/ ١٧٩)؛ طبقات المفسرين للداودي (٢٨٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (١/ ١٤٩ ـ ١٥٠)؛ عمدة الحفاظ (٤/ ١٨٩)، وأيضاً في مواضع من تفسيره الدر المصون.

(٣) كأبي شهبة في المدخل (٤٧).

(٤) انظر: نزول القرآن الكريم (١٥).

(٥) وذلك للدلالة على ثبوت أحكامها وتقعيدها، وذلك أن بني إسرائيل لما حرم عليهم ببغيهم ما حرم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] وعرف الله تعالى نبيه والمؤمنين بذلك، أنكرت بنو إسرائيل تخصيصهم بذلك وزعموا أنهم لم يخصوا به، وأنه قد كان محرماً على نوح وإبراهيم وكل من تقدم بني إسرائيل، فأكذبهم الله تعالى في قوله: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ أي: من قبل حصولها منزلة وتقعيد حكمها وثبوته، فلما قصد معنى استقرارها وتقعيد حكمها ورد اللفظ مضعفاً ليشير إلى حكم ثبوتها واستقرارها، والله أعلم. انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق: سعيد الفلاح، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٣هـ) (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

(٦) مسألة نزول التوراة والإنجيل دفعة واحدة مما اختلف فيها العلماء، على قولين: الأول: أنها نزلت دفعة واحدة، حتى قال السيوطي: (وكاد أن يكون إجماعاً) الإتقان (١/ ٩٣)، الثاني: أنها نزلت مفرقة، يقول ابن عاشور: (والتوراة والإنجيل نزلا =

واسم (التنزيل) ورد في القرآن على صيغتين (نزل) و(أنزل)، ولكليهما تصريفات واشتقاقات كثيرة، ضمن تصريفات (نزل) ما ورد مخففاً (نَزَل)، ومضعفاً (نَزَّل)، ووردتا في القرآن إحدى عشرة مرة[١]، أما (نَزَل) فوردت في ثلاثة مواضع، وفي موضعين منها وردت قراءات سبعية بتشديدها، كما في قول الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣]، حيث قرأها بالتشديد ابن عامر[٢] وحمزة[٣] والكسائي[٤]، والبقية بالتخفيف[٥]، وقوله:

= مفرقين كشأن كل ما ينزل على الرسل في مدة الرسالة، وهو الحق، إذ لا يعرف أن كتاباً نزل على رسوله دفعة واحدة) التحرير والتنوير (٢/١٤٨). وانظر: للاستزادة المدخل لأبي شهبة (٥٠)؛ ونزول القرآن د. الشايع (٧٦).

(١) والآيات هي: ١ـ نَزَل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥] ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣] ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]. ٢ ـ نزَّل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦] ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [النساء: ١٤٠]. وبقية المواضع: [الأعراف: ١٩٦] [الفرقان: ١] [الزمر: ٢٣] [محمد: ٣].

(٢) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم، الإمام الكبير، مقرئ الشام، وأحد الأعلام، أبو عمران اليحصبي الدمشقي، روي أنه سمع قراءة عثمان بن عفان فلعل والده حج به فتهيأ له ذلك، وقيل قرأ عليه نصف القرآن ولم يصح، وثقة النسائي وغيره وهو قليل الحديث، ولي القضاء في دمشق، وإمامة الجامع فيها، توفي سنة ١١٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩٢)؛ معرفة القراء (١/ ٨٢).

(٣) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام أبو عمارة الكوفي، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، تصدر للإقراء مدة، وقرأ عليه عدد كثير، وكان إماماً حجة قائماً بكتاب الله تعالى، حافظاً للحديث، وهو مقرئ الكوفة بعد عاصم بن أبي النجود، توفي سنة ١٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٠)؛ معرفة القراء (١/ ١١١).

(٤) هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي، مولاهم الكوفي، أبو الحسن، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات، له عدة تصانيف منها (معاني القرآن) وكتاب في (القراءات) وكتاب (النوادر الكبير) وغيرها، توفي سنة ١٨٩هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٥)؛ معرفة القراء (١/ ١٢٠).

(٥) انظر: السبعة لابن مجاهد (١٦٥)؛ معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر وآخرون، ط٣، عالم الكتب، ١٩٩٧م. (٣/ ٤٤٧).

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] قرأها عاصم[١] في رواية حفص[٢] بالتخفيف، والبقية بالتشديد[٣]، أما الموضع الثالث فإنها وردت في سياق التأكيد[٤] لما سبقها في أول الآية، فأغنى عن التشديد والتضعيف، وهذا عائد - والله أعلم - إلى سياق الآيات التي وردت فيها، وما يقتضيه المقام من معنى.

أما بقية المواضع فبالتشديد، ولا شك أن التشديد أقوى في الدلالة والمعنى.

ومنها - أيضاً - (نزَّلنا) و(نزَّلناه) ووردتا في ثمانية مواضع من كتاب الله تعالى[٥]، وفي هذه المواضع يبين الله تعالى أنه منزل من عنده، مشيراً إلى

---

(١) هو عاصم بن أبي النجود الأسدي، مولاهم الكوفي، القارئ الإمام، أبو بكر، أحد السبعة واسم أبيه بهدلة على الصحيح، قرأ القرآن على أبي عبد الرحمٰن السلمي وزر بن حبيش الأسدي، وحدث عنهما، وعن أبي وائل ومصعب بن سعد بن أبي وقاص وجماعة، وهو معدود في التابعين، وإليه انتهت الإمامة في القراءة بالكوفة بعد شيخه أبي عبد الرحمٰن السلمي، وكان من أحسن الناس صوتاً، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل سألت أبي عن عاصم بن بهدلة فقال: رجل صالح خير ثقة، فسألته أي القراءة أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، فإن لم يكن فقراءة عاصم، توفي سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٥٦)؛ معرفة القراء (١/ ٨٨).

(٢) هو حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود، أبو عمر الأسدي، مولاهم الغاضري، الكوفي المقرئ، الإمام صاحب عاصم وابن زوجة عاصم، قال أحمد بن حنبل عنه: ما به بأس، وقال أبو هشام الرفاعي: كان حفص أعلمهم بقراءة عاصم، أما في القراءة فثقة ثبت ضابط لها بخلاف حاله في الحديث، توفي سنة ١٨٠هـ. انظر: معرفة القراء (١/ ١٤٠)؛ الوافي بالوفيات (١٣/ ٦٢).

(٣) المرجع نفسه (٥/ ٦٢).

(٤) انظر: البحر المحيط (٦/ ١١٠).

(٥) والآيات هي: ١ - نزَّلنا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ [النساء: ٤٧] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأنعام: ٧] وبقية المواضع: [الحجر: ٩] [النحل: ٨٩] [الإنسان: ٢٣]. ٢ - نزلناه: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ۝١٩٨﴾ [الشعراء: ١٩٨].

نفسه بصيغة الجمع تعظيماً وتشريفاً[١]، والعظيم لا ينسب لنفسه إلا ما هو عظيم، وجليل عنده، وفيه أيضاً ردٌّ على أولئك الذين يزعمون أنه أساطير الأولين، أو أنه إنما يعلمه بشر.. فاقترانه بالضمير دلالة صريحة وواضحة في نسبته، وإنزال هذا الكتاب على نبينا محمد ﷺ هو أيضاً إنزال للعالمين جميعاً، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «وفسر ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ بأنه عين الذكر المنزل؛ أي: أنزلنا إليك الذكر لتبينه للناس، فيكون إظهار في مقام الإضمار، إفادة أن إنزال الذكر إلى النبي ﷺ هو إنزاله إلى الناس؛ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]»[٢].

والهاء في (نزلناه) إشارة إلى ما سبق الآية من آيات، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الشعراء: ١٩٨] والمقصود كتاب الله تعالى، كما ذكر سبحانه في الآيات السابقة لهذه الآية ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]، ومثلها الآية الأخرى.

ومنها كذلك (نزَّله) وذلك في موضعين[٣]، وفي قوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ إضمار ما لم يسبق ذكره، وهذا «فيه فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته»[٤] وهو التنزيل.

وورود ما سبق بصيغة الماضي فيه دلالة على تحقق وقوعه، وأنه منزل من عند الله حقاً، أو تكون الإشارة إلى ما سبق أن نزل من آيات وسور.

ومنها ـ أيضاً ـ ما جاء بصيغة المضارع (نُنَزِّل) و(يُنزِّل) وذلك في ثلاثة

---

(١) انظر: البحر المحيط (١/ ١٥٠)؛ أضواء البيان (٤/ ٣٥٥).

(٢) التحرير والتنوير (٦/ ١٦٤).

(٣) والآيتان هما: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩٧] ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

(٤) الكشاف (١/ ٣٠٢).

مواضع[١]، وفي الإتيان بهذه الصيغة مضعفاً فيه دلالة على التكرير والتجديد والتكثير، والاستمرار في التنزيل زمناً طويلاً[٢]، كما هو ظاهر في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الحديد: ٩].

ومنها ما ورد بصيغة البناء للمفعول (نُزِّل) و(نُزِّلت) و(تُنزِّل) و(يُنزَّل) وذلك في سبعة مواضع[٣]، وبناء الفعل للمجهول للعلم بالفاعل، يقول السمين الحلبي [٧٥٦هـ] في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٠٥] «وبني الفعل للمفعول للعلم بالفاعل»[٤].

ومنها كذلك (مُنزَّل)، وذلك في موضع واحد[٥]، وهي قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم، أما البقية فبالتخفيف[٦]، وبعضهم[٧] فرق بين (تنزيل)

---

(١) والآيات هي: ١ ـ ننزِّل ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]. ٢ ـ يُنزِّل ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النحل: ١٠١] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الحديد: ٩].

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ١٨٩).

(٣) والآيات هي: ١ ـ نُزِّل ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: ٦] ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ﴾ [محمد: ٣]. ٢ ـ نُزِّلت: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ﴾ [محمد: ٢٠]. ٣ ـ تُنزَّل ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٤] ٤ ـ يُنزَّل ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٠٥] ﴿وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾ [المائدة: ١٠١].

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد الخراط، ط١، (دمشق: دار القلم، ١٤٠٦هـ) (١/ ١٩٩). وانظر: البحر المحيط (١/ ٤٩٠).

(٥) وهو قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الأنعام: ١١٤].

(٦) معجم القراءات (٢/ ١٢٩).

(٧) وهو الدكتور خمساوي في كتابه (أسماء القرآن) ص(١٩٨).

و(منزَّل) وجعل التنزيل اسماً للقرآن مجزأ، فكل مجموعة آيات (نجم) كانت تنزل في حينها، واستدل بما قاله المفسرون: تنزل القرآن من السفرة الكاتبين على جبريل في عشرين عاماً، وتنزل من جبريل على قلب النبي ﷺ في عشرين يوماً(١)، و(المنزل) الذي حل في محله وموضعه(٢)، والذي يظهر لي أنه لا فرق بين (التنزيل) و(المنزل) إلا ما ذكر في أول المبحث، من الفرق بين (نزل) و(أنزل)، وأن (منزل) عائد إليهما، ويشهد لذلك القراءتان في الآية؛ فإن كانت مضعفة فتكون بمعنى (نزل)، وإن كانت مخففة فتكون بمعنى (أنزل)، وأيضاً المفسرون لم يفرقوا بينهما إلا بما ذكرتُ(٣).

ونستخلص مما سبق أن (نزل) بتصريفاتها المتعددة وردت في القرآن إحدى وثلاثين مرة.

أما (أنزل) فمن تصريفاتها واشتقاقاتها (أَنْزَل) و(أَنْزَله) ووردتا في القرآن ستاً وعشرين مرة(٤)، و(أنزل) أعم من (نزل) لأن (نزل) يختص بالموضع الذي

---

(١) الأثر بتمامه (كان ينزل منه من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى السماء الدنيا قدر ما ينزل به على النبي ﷺ في تلك السنة إلى ليلة القدر التي تليها، إلى أن أنزله كله، في عشرين ليلة من عشرين سنة من اللوح المحفوظ)، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/٧): أن هذا الأثر أورده ابن الأنباري من طرق ضعيفة ومنقطعة أيضاً. انظر: للاستزادة المدخل لأبي شهبة (٤٩)؛ ونزول القرآن (٤٥).

(٢) المرجع نفسه (٢٠٠).

(٣) انظر: التفسير الكبير (١٣/ ١٣٠)؛ التحرير والتنوير(٩/ ٣١٤)؛ أضواء البيان (٤/ ٣٥٩).

(٤) الآيات هي: ١ ـ (أنزل): ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [البقرة: ٩٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٠] ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَٰبِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١] ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣] ﴿هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ [النساء: ٦٢] وبقية المواضع: [النساء: ١١٣، ١٦٦] [المائدة: ٤٤، ٤٩، ٤٩، ١٠٤] [الأنعام: ١١٤] [التوبة: ٩٧] [النحل: ٢٤، ٣١] [الكهف: ١] [لقمان: ٢١] [الشورى: ٧١] [محمد: ٩] [الطلاق: ١٠]. ٢ ـ (أنزله): ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦] ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥].

يشير إليه إنزاله مفرقاً، والإنزال أعم[١]، وقد ذكر الله تعالى (أنزل) في سياق ذِكرِه للأعراب، فقال سبحانه: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧]، يقول الراغب [٤٢٥هـ]: «فخص لفظ (أنزل) ليكون أعم»[٢]، وكذلك أن الأعراب تكون مساكنهم في البوادي، ويرحلون كثيراً، يطلبون مساقط القطر، وأماكن الكلأ، فناسب استعمال (أنزل) معهم؛ لأنهم لم يكونوا مستقرين يشاهدون التنزيل، ويحضرون نزوله، فكأنه يأتيهم دفعة واحدة، «ولأنه لا يستوي من أصبح وأمسى مشاهداً لوعظ رسول الله ﷺ وبياناته الشافية، وتأديباته الكاملة، ومن لم يؤثر هذا الخبر، ولم يسمع خبره، وأيضاً يستولي على هؤلاء الهواء الحار اليابس عليهم، وذلك يوجب مزيد التيه والنخوة والفخر والطيش عندهم»[٣].

ومنها ما ورد بصيغة المتكلم المفرد (أَنْزَلْتُ) وذلك في موضع واحد[٤]، وفي هذه الآية علق الأمر فيها بالاسم الموصول دون غيره من الأسماء كالقرآن أو الكتاب وذلك «إيماء إلى تعليل الأمر بالإيمان به، وهو أنه منزل من الله تعالى، وهم قد أوصوا بالإيمان بكل كتاب يثبت أنه منزل من الله تعالى، ولهذا أتى بالحال التي هي علة الصلة، إذ جعل كونه مصدقاً لما في التوراة علامة على أنه من عند الله»[٥].

ومنها كذلك ما ورد بصيغة الجمع المعظِّم نفسَه (أنزلنا) و(أنزلناه) و(أنزلناها) وذلك في اثنين وثلاثين موضعاً من كتاب الله[٦]، ويلاحظ الباحث

---

(١) انظر: المفردات (نزل) (٧٩٩). (٢) المرجع نفسه (٨٠٠).
(٣) التفسير الكبير (١٦/ ١٣٢) ملخصاً.
(٤) الآية ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١].
(٥) التحرير والتنوير (١/ ٤٥٨).
(٦) الآيات هي: ١ ـ (أنزلنا): ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [البقرة ٩٩] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] ﴿إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨] ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وبقية المواضع: [النحل: ٦٤] [طه: ٢] [الأنبياء: ١٠] [النور: ١، ٣٤، ٤٦] [العنكبوت: ٤٧، ٥١] =

أن الله ﷻ في هذه الآيات، أو التي قبلها، أن (أنزل) و(نزل) تتعدى بـ(إلى) أحياناً، وتتعدى بـ(على) كثيراً، وفي تعديتها بـ(إلى) «تضمين لمعنى الوصف، فالمُنزَل إليه ـ وهو نبينا محمد ﷺ ـ غايةٌ للنزول»(١) و(إلى) تدل على انتهاء الغاية، أما (على) فلإفادة الاستعلاء، «كأن المُنزَّل تمكن من المَنزُول عليه ولَبِسه، ولهذا جاء أكثر القرآن بالتعدي بها، دون (إلى) فإنها تفيد الانتهاء والوصول فقط»(٢) وعموماً اختيار إحدى التعديتين تفنن في الكلام(٣).

ومنها ـ كذلك ـ ما ورد بصيغة البناء للمفعول (أُنزل) و(أُنزلت) وذلك في اثنين وثلاثين موضعاً(٤)، ذكر أبو حيان [٧٤٥هـ] عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٣]: «وحذف الفاعل في قراءة الجمهور ـ وهي لبناء المفعول ـ وبني الفعلان للمفعول للعلم بالفاعل، نحو (أُنزل المطر)»(٥).

= [الزمر: ٢] [المجادلة: ٥] [الحشر: ٢١] [التغابن: ٨]. ٢ ـ (أنزلناه) ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧] ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم: ١] ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الإسراء: ١٠٥]. وبقية المواضع: [طه: ١١٣] [الأنبياء: ٥٠] [الحج: ١٦] [ص: ٢٩] [الدخان: ٢] [القدر: ١]. ٣ ـ (أنزلناها) ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [النور١].

(١) التحرير والتنوير (١/ ٢٣٩). (٢) الدر المصون (١/ ١٩٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١/ ١٩٩).

(٤) والآيات هي: ١ ـ (أُنزل): ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [آل عمران: ٧٢] ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران: ٨٤] ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. وبقية المواضع [النساء: ٦٠، ١٦٢] [المائدة: ٥٩، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٨٣] [الأنعام: ١٥٧] [الأعراف: ٢، ٣، ١٥٧] [هود: ١٤] [الرعد: ١، ١٩] [العنكبوت: ٤٦] [سبأ: ٦] [ص: ٨] [الزمر: ٥٥] [الأحقاف: ٣٠]. ٢ ـ (أُنزلت) ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨٦] ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٦] ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٨٧] ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [محمد: ٢٠].

(٥) البحر المحيط (١/ ٦٥).

ونستخلص مما سبق أن (أنزل) بتصاريفها الكثيرة واشتقاقاتها المتعددة وردت في القرآن إحدى وتسعين مرة.

أما (تنزيل) و(تنزيلاً) فقد وردا في القرآن أربع عشرة مرة[١]، وهما مصدر بمعنى المفعول، للمبالغة في الوصف[٢]، وهما يدلان على نزول القرآن منجماً ومفرقاً، ولذا نجد أن الله تعالى ذكر (التنزيل) في مطلع بعض السور المكية؛ كسورة السجدة والزمر وغافر.. ليرد على أولئك الذين قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] ويبين لهم أنه تنزيل من حكيم عليم، فلا وجه لطعنهم واستنكارهم، واقتراحهم، والله تعالى يختم هذا الاسم - غالباً - بذكر اسمين من أسمائه تعالى، وذلك للدلالة على عظمته وجلاله، يقول العلامة الشنقيطي [١٣٩٣هـ]: «وقد دل استقراء القرآن العظيم، على أن الله جل وعلا إذا ذكر تنزيله لكتابه، أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى المتضمنة صفاته العليا - وذكر أمثلة على ذلك -... ثم قال: ولا يخفى أن ذكره جل وعلا هذه الأسماء الحسنى العظيمة، بعد ذكره تنزيل هذا القرآن العظيم، يدل بإيضاحٍ على عظمة القرآن العظيم، وجلالة شأنه، وأهمية نزوله»[٣].

والنزول في كتاب الله تعالى، على ثلاثة أوجه:

١ - نزول مقيَّد بأنه من الله: مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾ [النحل: ١٠٢].

---

(١) والآيات هي: ١ - (تنزيل): ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢﴾ [الشعراء: ١٩٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ٢] ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ [يس: ٥] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر: ١] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر: ٢] ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ٢] ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وبقية المواضع: [الجاثية: ٢] [الأحقاف: ٢] [الواقعة: ٨٠] [الحاقة: ٤٣]. ٢ - (تنزيلاً): ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾ [طه: ٤] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣﴾ [الإنسان: ٢٣].

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٨/١٨٨).

(٣) أضواء البيان (٤/٣٥٩).

٢ ـ نزول مقيَّد بأنه من السماء: مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

٣ ـ ونزول غير مقيَّد: مثل تنزل الملائكة ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر: ٤]، وتنزل الشياطين ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠][1].

❁ ❁
❁

(١) انظر: أسماء القرآن في القرآن، د. غازي (٤٦) ملخصاً.

الفصل الثاني

الأسماء المردودة المنسوبة للقرآن الكريم

ويشتمل على تسعة مباحث:

- المبحث الأول: الأثارة.
- المبحث الثاني: أمر الله.
- المبحث الثالث: تبصرة.
- المبحث الرابع: الحجة.
- المبحث الخامس: الرسالة.
- المبحث السادس: سبيل الله.
- المبحث السابع: شرعة ومنهاجاً.
- المبحث الثامن: القسط.
- المبحث التاسع: النعمة.

مدخل

إن معرفة أسماء القرآن وأوصافه تعين القارئ على معرفة حقيقة هذا القرآن وصدقه، وبيانه وإرشاده، وبركته وتأثيره، فهي مما يقوي الصلة بين العبد وكتاب ربه، ويجلي له مكانته، وسمو منزلته، وعظيم شأنه... ولذا أولاها علماء التفسير وعلوم القرآن اهتماماً بالغاً، وعناية فائقة، حتى جعلوها علماً مستقلاً من علوم القرآن المتعددة، وبعضهم دبج كتابه بالحديث عنها، والكلام عليها؛ لأهميتها وضرورة معرفة القارئ لها، وبعضهم أفردها بالتأليف والكتابة الخاصة فيها.

إلا أن بعض من استطرد في إحصاء أسماء القرآن وأوصافه، والاستدلال عليها من القرآن، ربما عَدَّ أسماء لم تثبت، وأوصافاً لم يتابعه أحد من المفسرين عليها، وهي أصلاً لم تصح وصفاً، فضلاً عن أن تكون اسماً للقرآن الكريم(١).

وخصصت هذا الفصل للحديث عنها، والكلام عليها، ومناقشتها، والخلوص بالقول الراجح فيها، وذلك من خلال الآية التي استدل بها قائلها أو الآيات؛ لأنها ـ غالباً ـ تكون أقرب إلى بيان المراد من مثيلاتها، إن كان لها مثيلات، وأوضح في المعنى ـ في نظر القائل ـ.

وقد أعرضت عن أسماء ذكرت، وآيات حكيت، لم أتطرق لها، وأتحدث عنها، وذلك لوضوح القول فيها، وبُعد المعنى عنها؛ كالمَثَل

(١) وإنما أطلقت عليها (أسماء) تمشياً مع من جمعها وكتب فيها؛ كأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك، والفيروزآبادي، والبليهي.. وغيرهم، فقد عدوها وأطلقوا عليها (أسماء).

والماء(١)، أو لكونها أسماء مندرجة تحت أسماء أو أوصاف أخرى، سبق الحديث عنها، والإشارة إليها، أو لكونها مشتقة من مفردة وردت في القرآن، ولا يترجح صحة هذا الاشتقاق كالمُثبِّت(٢).

والأسماء المنسوبة للقرآن ولم تثبت، هي: [الأثارة، أمر الله، تبصرة، الحجة، الرسالة، سبيل الله، شرعة ومنهاجاً، القسط، النعمة].

---

(١) فقد عدهما الفيروزآبادي (١/ ٩٤) من أسماء القرآن، استدلالاً بقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [إبراهيم: ٢٤] وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

(٢) فقد عَدَّ الفيروزآبادي (١/ ٩٥) (المثبت) اسماً للقرآن مستدلاً بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] و(المثبت) في الحقيقة هو الله تعالى، قال ابن جرير (١٧/ ٤٤٥) في تفسيره للآية؛ أي: (تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء؛ لنثبت به فؤادك نزلناه).. وكذلك لو عُدَّت مشتقات الأسماء والأوصاف للقرآن لزادت على الضعف؟!.

المبحث الأول

الأثـــــارة

الأثارة: البقية[(١)]، أو ما يؤثر من علم[(٢)].

قال الواحدي[(٣)]: تفسير (الأثارة) في كلام أهل اللغة يدور على ثلاثة أقوال:

١ ـ البقية، واشتقاقها من أثرت الشيء أثيره أثارة.

٢ ـ من الأثر الذي هو الرواية.

٣ ـ الأثر بمعنى العلامة.

وقد عَدَّ الفيروزآبادي (الأثارة) اسماً من أسماء القرآن[(٤)]، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: ٤]، واختلف المفسرون في المراد بقوله: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ فقيل: أو خاصة من العلم، قاله قتادة. وقيل: أو علم تثيرونه فتستخرجونه، قاله الحسن. وقيل: بل معنى ذلك: أو تأثرون ذلك علماً عن أحد ممن كان قبلكم، قاله مجاهد. وقيل: بينة من الأمر، قاله ابن عباس.. وقيل غير ذلك، وهي أقوال متقاربة، ومعانٍ متشابهة، والمعنى: هل عندكم من دليل بيِّن على هذا المسلك الذي سلكتموه؟[(٥)].

---

(١) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢١٢).

(٢) قاله المبرد. انظر: معاني القرآن (٣/ ٥٠).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٨/ ٥).

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٩٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١١٣ ـ ١١٥)؛ تفسير السمعاني (٥/ ١٤٩)؛ زاد المسير (٧/ ٣٦٩)؛ الدر المنثور (٧/ ٤٣٥). وانظر: التفسير الكبير (٢٨/ ٥)؛ تفسير القرآن =

قال ابن جرير [٣١٠هـ]: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الأثارة البقية من علم؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب»[(١)].

وعليه.. فلا يظهر وجه صحيح على تسمية القرآن بـ(الأثارة)، وذلك من وجوه:

الأول: أنه لم يرد عن أحد من المفسرين قول أو إشارة على أن المراد بـ(الأثارة) في الآية القرآن[(٢)].

الثاني: أن السياق يرده، والمعنى لا يقتضيه، إذ المعنى أرأيتم ما تدعون من دون الله تعالى من الأصنام والأحجار.. هل خلقوا من أجرام السماوات شيئاً.. هل خلقوا جبالاً.. هل أجروا أنهاراً.. فهذا دليل عقلي قاطع على بطلان عبادة غير الله تعالى.. ثم ذكر سبحانه انتفاء الدليل النقلي، فقال: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ أي: من قبل القرآن يدعو إلى الشرك ويأمر به، ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أو بقية من علم بقيت لكم من علوم الأولين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، فعلم أن جدال المشركين في شركهم غير مستندين إلى برهان أو دليل، وإنما اعتمدوا على ظنون كاذبة، وآراء كاسدة، وعقول فاسدة[(٣)].

ثالثاً: أن القول بأن المراد بـ(الأثارة) القرآن، مخالف للمعنى اللغوي للأثارة ـ كما سبق ـ والله أعلم.

= العظيم (٤/ ١٩٦)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤١).

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١١٥).

(٢) وذلك حسب ما اطلعت عليه، ورجعت إليه. انظر: المراجع السابقة.

(٣) انظر: الكشاف (٥/ ٤٩١)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٧٧٩).

المبحث الثاني

أمــر الله

الأمر لفظ عام للأفعال والأقوال والأحوال كلها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣][(١)].

وقد عَدَّ أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بـ(شيذلة)[(٢)(٣)] (أمر الله) اسماً من أسماء القرآن، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥]، على أن المراد بـ(أمر الله) القرآن، وهو تفسير مرجوح، وذلك من وجوه:

الأول: لم أجد أحداً من المفسرين نص على أن المراد بـ(أمر الله) في الآية القرآن[(٤)].

الثاني: دلالة السياق، وظاهر المعنى، حيث ذكر الله تعالى جملة من الأحكام.. ثم أشار إليها بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور من الأحكام ﴿أَمْرُ

---

(١) انظر: المفردات للراغب (أمر) (٨٨)؛ بصائر ذوي التمييز (٢/ ٣٩).

(٢) هو عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي، المعروف بشيذلة، أبو المعالي، الفقيه الشافعي الواعظ كان فقيهاً فاضلاً واعظاً ماهراً فصيح اللسان حلو العبارة، تولى قضاء بغداد، صنف في أصول الدين والفقه والوعظ، ومنها (البرهان في مشكلات القرآن)، توفي سنة ٤٩٤هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٩)؛ شذرات الذهب (٣/ ٤٠١).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٣)؛ الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١١).

(٤) وذلك حسب ما اطلعت عليه، ورجعت إليه. انظر على سبيل المثال: تفسير مقاتل (٣/ ٣٧٣)؛ تفسير الطبري (٢٣/ ٥٩)؛ تفسير السمعاني (٥/ ٤٦٤)؛ تفسير القرآن العزيز (٤/ ٤٠٣)؛ معالم التنزيل (١٣٢٣)؛ تفسير السمرقندي (٣/ ٤٤٠)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٩١)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٦٥)؛ إرشاد العقل السليم (٨/ ٢٦٢)؛ فتح القدير (٥/ ٢٤٢)، وغيرهم.

﴿ٱللَّهُ﴾ أي: حكمه وشرعه ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ في كتابه على رسوله ﷺ وبينه لكم، وفصل أحكامه وحدوده.. فالمراد بـ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ هنا حكمه وشرعه، لا القرآن.

الثالث: أن (الأمر) يطلق في القرآن على معانٍ كثيرة[1]، ومن معانيه واستعمالاته في القرآن إطلاقه بمعنى الحُكْم، كما هو ظاهر في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ [الطلاق: ٥] مما يدل على أن المراد الأحكام السابقة، لا القرآن.

وعليه فلا يظهر وجه صحيح على تسمية القرآن الكريم بـ(الأمر) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ [الطلاق: ٥] وأن الأقرب والأظهر أن المراد الحكم والشرع الذي أنزله الله تعالى في كتابه، ـ كما سبق ـ، والله تعالى أعلم بمراده.

❁ ❁
❁

(١) أوصلها الفيروزآبادي إلى ثمانية عشر وجهاً، ولم يذكر من معانيه (كلام الله) أو (القرآن). انظر: بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٠).

المبحث الثالث

تبصـــــرة

التبصرة: هي التبصير والتبيين، يقال: بَصَّرته تبصيراً، وتبصرة، نحو ذكَّرته تذكيراً وتذكرة[١].

وقد عَدَّ الفيروزآبادي (تبصرة) اسماً للقرآن[٢]، وذلك في قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝﴾ [ق: ٨] على أن المراد بـ(تبصرة) القرآن الكريم، وهو تفسير مرجوح، وذلك من وجهين:

الأول: لم أجد أحداً من المفسرين نص على أن المراد بـ(التبصرة) القرآن الكريم[٣].

الثاني: دلالة السياق، وذلك أن الله تعالى ذكر خلق السماوات السبع بغير عمدٍ، وزينها، وذلك استدلالاً وبرهاناً على قدرته ﷻ على إحياء الموتى، وبعثهم بعد موتهم، ثم ثنَّى بخلق الأرض وترسيتها بالجبال الأوتاد، وإخراج النبات.. أدلة أخرى على ذلك، ثم بين سبحانه أن هذا تبصيراً لعباده وتبييناً لهم، وتذكيراً، يقول ابن كثير [٧٧٤هـ]: «تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، أي: ومشاهدة خلق السماوات والأرض وما جعل الله فيهما من الآيات

---

(١) انظر: المفردات للراغب (بصر) (١٢٨)؛ بصائر ذوي التمييز (بصر) (٢/ ٢٢٣).

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٩١).

(٣) وذلك حسب ما اطلعت عليه، ورجعت إليه. انظر: على سبيل المثال: تفسير الطبري (٢١/ ٤١٠)؛ الكشف والبيان (٩/ ٩٥)؛ تفسير السمعاني (٥/ ٢٣٦)؛ المحرر الوجيز (١٧٥٠)؛ معالم التنزيل (١٢٢٧)؛ التفسير الكبير (٢٨/ ١٣٥)؛ مدارك التنزيل (٤/ ١٧٠)؛ إرشاد العقل السليم (٨/ ١٢٦)؛ روح المعاني (٢٦/ ١٧٦)؛ فتح القدير (٥/ ٧٢)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٨٠٤).

العظيمة، تبصرة ودلالة لكل عبد منيب..»[١].

وعليه.. فلا يظهر وجه صحيح في تسمية القرآن بـ(تبصرة) في قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق: ٨] وأن المراد بـ(التبصرة والذكرى) هي خلق السماوات والأرض وما فيهما، وهو قول عامة المفسرين - كما سبق -، والله أعلم.

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٨٤).

المبحث الرابع

الحجـــة

الحجة: هي الدلالة المبينة للمحجَّة ـ أي: المقصد المستقيم ـ الذي يقتضي صحة أحد النقيضين(١).

وقد عَدَّ الفيروزآبادي(٢) (الحجة) اسماً للقرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩] على أن المراد بـ(الحجة البالغة) القرآن الكريم، وهو تفسير مرجوح، وذلك من وجهين:

الأول: لم أجد أحداً من المفسرين نص على أن المراد بـ(الحجة) هي القرآن فقط(٣).

الثاني: وبما أن الحجة هي الدلالة المبينة للمحجَّة؛ فإن حجة الله تعالى على عباده هي بالقرآن، والرسول ﷺ، والبيان، كما نص على ذلك غير واحد من المفسرين(٤)، وكلها تستلزم الحجة وتشملها، ولا تقصر على واحد منها.

وعليه.. فلا يظهر وجه صحيح على قصر (الحجة) في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] على القرآن فحسب، بل الحجة التي تقطع

---

(١) انظر: المفردات للراغب (حجة) (٢١٩)؛ بصائر ذوي التمييز (حجة) (٢/ ٤٣١).

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٩٣).

(٣) وذلك حسب ما اطلعت عليه، ورجعت إليه. انظر: على سبيل المثال: تفسير السمعاني (٢/ ١٥٤)؛ معالم التنزيل (٤٥٠)؛ تفسير السمرقندي (١/ ٥١١)؛ الوجيز (١/ ٣٨١)؛ الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٢٨)؛ إرشاد العقل السليم (٣/ ١٩٦)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٥)؛ مدارك التنزيل (١/ ٣٥١)؛ لباب التأويل (٢/ ١٧٠).

(٤) انظر: روح المعاني (٨/ ٥١)؛ فتح القدير (٢/ ١٧٥)؛ والمراجع نفسها.

عذر المحجوج، وتزيل الشك عمن نظر فيها، هي بتبيين أنه الواحد، وبإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبالبيان الشافي الكافي، الذي لا يدع أحداً في قلبه شك، أو في نفسه ريب.

۞ ۞
۞

المبحث الخامس

الرســـــالة

الرسالة: تحميل جملة من الكلام إلى المقصود بالدلالة[(١)]، أو ابتعاث أمر من المُرْسِل إلى المُرْسَل إليه[(٢)].

وقد عَدَّ الفيروزآبادي، ومحمد جميل غازي، وخمساوي[(٣)]، (الرسالة) اسماً للقرآن الكريم، وذلك استدلالاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧]، وهو تفسير مرجوح، وذلك من وجوه:

الأول: لم أجد أحداً من المفسرين نص على أن المراد بـ(الرسالة) القرآن فقط[(٤)].

الثاني: أن (الرسالة) أعم من القرآن، فهي تشمل الشرع كله.. والرسول ﷺ أرسل بشرع حكيم، ودين قويم، وأمر بتبليغه، وأوحي إليه القرآن، وكذلك السنة، كما قال تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**ألا إني أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ معه لا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ على أَرِيكَتِهِ يقول عَلَيْكُمْ بهذا الْقُرْآنِ فما وَجَدْتُمْ فيه من حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وما وَجَدْتُمْ**

---

(١) انظر: الكليات (٤٧٦).

(٢) انظر: التعاريف (٣٦٣).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٩١)؛ أسماء القرآن (١٣٦)؛ أسماء القرآن في القرآن (٩٢).

(٤) انظر على سبيل المثال: تفسير الطبري (٨/ ٥٦٧)؛ الكشف والبيان (٤/ ٩٢)؛ تفسير السمعاني (٢/ ٥٣)؛ المحرر الوجيز (٥٦٣)؛ معالم التنزيل (٣٨٨)؛ زاد المسير (٢/ ٣٩٧)؛ التفسير الكبير (١٢/ ٤٢)؛ بحر العلوم (١/ ٤٢٨)؛ الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٤٣)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٨٣).

فيه من حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»[(١)] فلا وجه لقصر (الرسالة) في الآية على القرآن فحسب.

قال ابن عطية [٥٤٦هـ]: «فمن أفرد الرسالة[(٢)]، فلأن الشرع كله شيء واحد، وجملة بعضها من بعض، ومن جمع فمن حيث الشرع معان كثيرة، وورد دفعاً في أزمان مختلفة»[(٣)].

الثالث: أنه الموافق لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]؛ إذ الرسالة شاملة للآيات الظاهرة، والمعجزات الباهرة، والوحي.. وغيره، قال ابن جرير [٣١٠هـ]: «ويعني بذلك جل ثناؤه أن آيات الأنبياء والرسل لن يعطاها من البشر إلا رسول مرسل..»[(٤)].

وعليه.. فلا يظهر وجه صحيح في قصر (الرسالة) على القرآن فقط، بل تشمل القرآن وغيره، من الآيات والمعجزات والأحكام والحكم والأوامر والنواهي.. إلخ ـ كما سبق بيانه ـ والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، حديث [٤٦٠٤]؛ والترمذي في جامعه، كتاب: العلم، باب: ما نهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله ﷺ، حديث [٢٦٦٤]؛ والإمام أحمد في مسنده، حديث [١٦٧٢٢]، وصححه الألباني.

(٢) حيث وردت قراءات في هذا الاسم، فقرأ نافع وابن عامر بالجمع (رسالاته)؛ والبقية على الإفراد. انظر: السبعة (٢٤٦)؛ معجم القراءات القرآنية (٢/ ٤٤).

(٣) المحرر الوجيز (٥٦٣).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٥٣٩).

المبحث السادس

سبيل الله

السبيل: هو الطريق الذي فيه سهولة، وجمعه سبل، وهو يذكَّر ويؤنَّث(١).

وقد عَدَّ خمساوي(٢) (سبيل الله) اسماً للقرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾ [لقمان: ٦] وهو تفسير مرجوح، وذلك من وجوه:

الأول: لم أجد أحداً من المفسرين قصر (سبيل الله) في الآية على القرآن الكريم(٣).

الثاني: ومن أشار إلى أن المراد هو القرآن، فإن إشارته تكون مقترنة بدين الإسلام، وذلك لدخوله فيه دخولاً أولياً(٤).

الثالث: أن تفسير (سبيل الله) بالحق ودين الإسلام، يشمل القرآن وغيره، وكلما كان التفسير شاملاً لجميع أجزائه فهو أولى وأحرى، حملاً على العموم.

الرابع: أن (السبيل) اسم جنس، وإذا أطلق فإنما يختص بما هو الحق(٥).

---

(١) انظر: المفردات للراغب (سبل) (٣٩٥)؛ مختار الصحاح (س ب ل).

(٢) انظر: أسماء القرآن في القرآن (١٠٠).

(٣) انظر على سبيل المثال: تفسير مقاتل (٣/ ١٨)؛ تفسير الطبري (١٨/ ٥٣٩)؛ تفسير السمعاني (٤/ ٢٢٦)؛ تفسير السمرقندي(٣/ ٢٠)؛ الكشاف (٥/ ٦)؛ تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٨٣)؛ البحر المحيط (٧/ ٢٤١)؛ فتح القدير (٤/ ٢٣٤)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٦٤٧)؛ أيسر التفاسير (١١٧٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٣٩)؛ الكشاف (٥/ ٦)؛ إرشاد العقل السليم (٧/ ٦٩)؛ وروح المعاني (٢١/ ٧٩).

(٥) انظر: المفردات للراغب (سبل) (٣٩٥).

وعليه.. فلا يظهر وجه صحيح في قصر (سبيل الله) على القرآن فقط، بل يشمل القرآن وغيره؛ لأنه اسم جنس ـ كما سبق ـ، وإن كان يدخل فيه دخولاً أولياً، والله أعلم.

المبحث السابع

شرعة ومنهاجاً

الشَّرع: هو نهج الطريق الواضح، وهو في الأصل مصدر، ثم جعل اسماً للطريق النهج، فيقال: شِرعٌ وشَرعٌ وشِرعة، واستعير ذلك للطريقة الإلهية من الدين(١)، والشِّرعة هي الشريعة بعينها، وهي ما شرع الله لعباده من الدين(٢).

والنهج والمنهاج: الطريق الواضح، ونَهَجَ الأمر أنْهَج؛ أي: وضح(٣)، وقيل: هما بمعنى(٤).

وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن البصري وقتادة وغيرهم في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] أي: سبيلاً وسنة، وعن ابن عباس ـ أيضاً ـ ومجاهد وعطاء عكسه(٥)، قال ابن كثير [٧٧٤هـ]:

---

(١) انظر: المفردات للراغب (شرع) (٤٥٠)؛ بصائر ذوي التمييز (شرع) (٣/ ٣٠٩).

(٢) انظر: مختار الصحاح (ش ر ع)؛ تفسير الطبري (٨/ ٤٩٣)؛ الكشاف (٢/ ٢٤٧)؛ إرشاد العقل السليم (٣/ ٤٥).

(٣) المرجعين السابقين.

(٤) انظر: زاد المسير (٢/ ٣٧٣)؛ التفسير الكبير (١٢/ ١٢)؛ البحر المحيط (٣/ ٦٩٠)؛ يقول ابن الجوزي: (فإن قيل كيف نسق المنهاج على الشرعة وكلاهما بمعنى واحد فعنه جوابان: أحدهما: أن بينهما فرقاً من وجهين، أحدهما أن الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستمر، قاله المبرد، والثاني: أن الشرعة الطريق الذي ربما كان واضحاً وربما كان غير واضح، والمنهاج الطريق الذي لا يكون إلا واضحاً، ذكره ابن الأنباري، فلما وقع الاختلاف بين الشرعة والمنهاج حسن نسق أحدهما على الآخر. والثاني: أن الشرعة والمنهاج بمعنى واحد وإنما نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين) زاد المسير (٢/ ٣٧٣).

(٥) انظر: تفسير الصنعاني (١/ ١٩٢)؛ تفسير الطبري (٨/ ٤٩٥)؛ تفسير ابن أبي حاتم =

«والأول أنسب؛ فإن الشرعة وهي الشريعة ـ أيضاً ـ هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء، ومنه يقال: شرع في كذا؛ أي: ابتدأ فيه، كذا الشريعة، وهي ما يشرع فيها إلى الماء، أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل والسنن والطرائق»[١].

وقد عَدَّ خمساوي[٢] (شرعة ومنهاجاً) اسمان للقرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المائدة: ٤٨] واستدل بقول مجاهد، حيث قال: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ أي: سنة ومنهاجاً، السبيل لكلكم من دخل في دين محمد ﷺ فقد جعل الله له شرعة ومنهاجاً، يقول: القرآن له شرعة ومنهاجا[٣].

وهو تفسير مرجوح، وذلك من وجوه:

الأول: أن المفسرين اختلفوا في المعنيّ بقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ فقيل: أمة محمد ﷺ، قاله مجاهد[٤]، وقيل: بل المراد أهل الملل المختلفة؛ أي: أن الله جعل لكل ملة شريعة ومنهاجاً، قاله علي رضي الله عنه وقتادة[٥]، ورجحه جمهور المفسرين كابن جرير، وابن أبي زمنين[٦]، والثعلبي[٧]،

= (١١٥١/٤)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٩٢)؛ الدر المنثور (٣/ ٩٦).

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٩٢).

(٢) انظر: أسماء القرآن في القرآن (١٠٦) (٢٠٣).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٤٩٦).

(٤) انظر: المرجع نفسه، وتفسير القرآن العظيم (٢/ ٩٢).

(٥) انظر: تفسير الصنعاني (١/ ١٩٢)؛ تفسير الطبري (٨/ ٤٩٥)؛ تفسير ابن أبي حاتم (١١٥١/٤) وغيرهم.

(٦) هو محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي الإلبيري، شيخ قرطبة، أبو عبد الله، تفنن واستبحر في العلوم، وكان صاحب جد وإخلاص ومجانبة الأمراء، وله مصنفات عدة، منها «مختصر المدونة»، و«الوثائق» ومختصر تفسير ابن سلام وهو «تفسير القرآن العزيز»، توفي سنة ٣٩٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨٨/١٧)؛ شذرات الذهب (٣/ ١٥٦).

(٧) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، كان متبحراً في علم القرآن عالماً بارعاً في العربية حافظاً موثقاً، قال السمعاني: يقال له الثعلبي والثعالبي وهو لقب له لا نسب، وهو صاحب الكتاب المشهور في التفسير «الكشف والبيان»، =

والسمعاني، والرازي، وابن جزي[١].. وغيرهم، وذلك بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [النحل: ٩٣]، فلو كان خطاباً لهذه الأمة، لما صح أن يقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ولكن هو خطاب لجميع الأمم[٢].

وهو الأظهر.. وعليه فلا يمكن أن يكون المراد هو القرآن.

الثاني: أن الشِّرعة هي الشريعة، كما نص على ذلك أهل اللغة والتفسير ـ كما سبق ـ والشريعة تشمل القرآن وما شرع فيه من أحكام وأوامر ونواهٍ، وتشمل غيره كالسنة النبوية، والإجماع.. وغير ذلك، فلا وجه لقصر (الشرعة) على القرآن.

الثالث: أن كون المراد بـ(الشرعة) الشريعة والدين الإسلامي، جاء مبيناً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ [الجاثية: ١٨] وأولى ما يفسر به القرآن هو القرآن.

الرابع: أن قول مجاهد: «القرآن هو شرعة ومنهاجاً»[٣]، الذي يظهر منه أنه أراد الأغلب والأشهر، إذ كتاب الله تعالى قد حوى واشتمل على أغلب الشريعة.. ولم يرد قصر الشريعة والدين على القرآن فحسب؛ لأن الشريعة أعم وأشمل، وهذا من باب التمثيل أو التغليب، كما ألمح إلى ذلك أبو حيان[٤].

الخامس: أن القول بأن المراد بـ(الشرعة والمنهاج) الدين، هو قول عامة المفسرين[٥]. والله أعلم.

= و«العرائس»، توفي سنة ٤٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٣٦)؛ طبقات المفسرين (٢٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٩٧)؛ تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٢)؛ الكشف والبيان (٤/ ٧٤)؛ تفسير السمعاني (٢/ ٤٣)؛ التفسير الكبير (١٢/ ١٢)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٧٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٩٥)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٩٢).

(٣) انظر: المرجعين نفسيهما.

(٤) انظر: البحر المحيط (٣/ ٦٩٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٩٥)؛ تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٢)؛ الكشف والبيان =

وعليه فلا يظهر وجه صحيح في تسمية القرآن بـ(الشرعة والمنهاج) بل المراد الدين.

= (٤/ ٧٤)؛ تفسير السمعاني (٢/ ٤٣)؛ المحرر الوجيز (٥٤٩)؛ معالم التنزيل (٣٨٢)؛ تفسير السمرقندي (١/ ٤١٩)؛ التفسير الكبير (١٢/ ١٢)؛ الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢١١)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٢٣٤).. وغيرهم.

المبحث الثامن

القسط

القسط: هو العدل، ومنه أَقْسَط الرجل، فهو مُقْسِط، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [يونس: ٤](١).

وقد عَدَّ الفيروزآبادي(٢) (القسط) اسماً للقرآن الكريم، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢]، ولكن لا يظهر من خلال الآية تسمية القرآن بهذا الاسم، وذلك من وجوه:

الأول: أن المراد بـ(القسط) في الآية هو العدل والاحتياط، كما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَتْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ وَكَانَتِ النَّضِيرُ أشرف من قريظة، قَالَ: وَكَانَ إِذَا قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْظَةَ رَجُلاً مِنَ النَّضِيرِ قُتِلَ بِهِ وَإِذَا قَتَلَ رَجُلٌ مِنَ النَّضِيرِ رَجُلاً مِنْ قُرَيْظَةَ وَدَى مِئَةَ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ قَتَلَ رَجُلٌ مِنَ النَّضِيرِ رَجُلاً مِنْ قُرَيْظَةَ، فَقَالُوا: ادْفَعُوهُ إِلَيْنَا نَقْتُلُهُ، فَقَالُوا: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَوْهُ فَنَزَلَتْ ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، وَالْقِسْطُ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ؛ ثُمَّ نَزَلَتْ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]»(٣).

---

(١) انظر: المفردات للراغب (قسط) (٦٧٠)؛ مختار الصحاح (ق س ط).

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٩٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الديات، باب: النفس بالنفس، حديث [٤٤٩٤]؛ والنسائي في المجتبى، كتاب: القسامة، باب: تأويل قول الله تعالى ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، حديث [٤٧٣٢]؛ والطبري في تفسيره (٨/ ٤٣٨)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١١٣٦)؛ والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٨٣) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر والحاكم وصححه. وصححه الألباني.

وقد ذكر المفسرون أن المراد بـ(القسط) في الآية العدل[1].

الثاني: أن تفسير القسط بالعدل هو الموافق للآيات الأخرى؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقوله: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [يونس: ٤]، وقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] وغير ذلك من الآيات، وخير ما يفسر به القرآن هو القرآن.

الثالث: دلالة السياق، وهي ظاهرة.

وعليه.. فلا يظهر وجه صحيح في تسمية القرآن بـ(القسط) في هذه الآية، وأن المراد هو العدل والاحتياط، والله تعالى أعلم.

---

(١) وذلك حسب ما اطلعت عليه، ورجعت إليه. انظر: على سبيل المثال تفسير الطبري (٨/ ٤٣٦)؛ الكشف والبيان (٤/ ٦٨)؛ المحرر الوجيز (٥٤٤)؛ معالم التنزيل (٣٧٩)؛ تفسير السمرقندي (١/ ١٤٥)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٨٢)؛ مدارك التنزيل (١/ ٢٨٣)؛ فتح القدير (٢/ ٤٢)، وغيرهم.

المبحث التاسع

النعمة

النعمة: هي الحالة الحسنة، وهي اليد والصنيعة والمنة، وما أنعم به عليك(١).

وقد ذكر الله تعالى (النعمة) في أكثر من آية في كتابه(٢)، ووردت في سياق التفضل والإنعام والمنة منه ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وقد عَدَّ الفيروزآبادي(٣) (النعمة) اسماً من أسماء القرآن، واستدل بقول الله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القلم: ٢]، على أن المراد بـ(النعمة) هنا القرآن، ولكن لا يظهر لي ذلك، وذلك من وجوه:

الأول: لم أجد أحداً من المفسرين نص على أن المراد بـ(النعمة) في الآية القرآن(٤).

الثاني: أن المراد بـ(النعمة) هنا نعمة انتفاء الجنون عن النبي ﷺ حيث وصفه المشركون بالجنون، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ

---

(١) انظر: المفردات للراغب (نعم) (٨١٤)؛ مختار الصحاح (ن ع م).

(٢) بلغت أربعاً وثلاثين آية. (٣) انظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٩٤).

(٤) وذلك حسب ما اطلعت عليه، ورجعت إليه. انظر: على سبيل المثال تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٩)؛ تفسير السمرقندي (٣/ ٤٥٨)؛ التفسير الكبير (٣٠/ ٧٠)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٦)؛ البحر المحيط (٨/ ٤٣٣)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٢٦)؛ إرشاد العقل السليم (٩/ ١١)؛ فتح القدير (٥/ ٢٦٧)..

لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: ٦]؛ والمعنى: ولست بحمد الله بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك، كما تقول أنت بحمد الله عاقل، وأنت بحمد الله لست بمجنون[١]، يقول ابن سعدي [١٣٧٦هـ]: «فنفى عنه ذلك ـ الجنون ـ بنعمة ربه عليه وإحسانه، حيث منّ عليه بالعقل الكامل، والرأي الجزل، والكلام الفصل»[٢]، أو يكون المراد بـ(النعمة) النبوة والإيمان، والرياسة العامة.. وما سوى ذلك من سائر النعم، والمعنى: كيف تكون مجنوناً وقد أنعم الله تعالى عليك بذلك[٣]؟.

الثالث: أن الأصل في (النعمة) كل ما أنعم به عليك المُنعم، ولا يقصر على معنى إلا بدليل، ولا دليل هنا ـ فيما يظهر ـ بل وردت الآيات الكثيرة التي تنص على عموم النعمة؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨]، وقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣]، وقوله: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

الرابع: القرآن الكريم وإن كان يُعد من أعظم وأجل وأكبر النعم التي أنعم الله بها على أمة محمد ﷺ، ولكن تسميته بـ(النعمة) في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾﴾ [القلم: ٢] لا يظهر له مناسبة، أو دليل عليه، والله أعلم.

واستدل الرازي وخمساوي[٤] على هذا الاسم ـ أيضاً ـ بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ٩] وذكر المفسرون في المراد بـ(النعمة) هنا ثلاثة أقوال:

الأول: النبوة؛ أي: فادع قومك.

الثاني: القرآن؛ أي: فبلغ أمتك، رويا عن مجاهد[٥]، ورجحه ابن أبي

---

(١) انظر: المراجع نفسها. (٢) تيسير الكريم الرحمٰن (٨٧٩).

(٣) انظر: الكشف والبيان (١٠/٩)؛ معالم التنزيل (١٣٣٥)؛ زاد المسير (٨/٣٢٨)؛ مدارك التنزيل (٤/٢٦٨).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢/١٦)؛ أسماء القرآن في القرآن (٢٠٢).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣٤٤٤)؛ النكت والعيون (٦/٢٩٥)؛ تفسير =

زمنين[(١)].

الثالث: أنها عامة في جميع الخيرات، قاله مقاتل، وروي عن الحسن بن علي[(٢)(٣)]، وغيره.

ورجحه الثعلبي، وابن القيم، وابن جزي، وابن عاشور، وابن سعدي[(٤)].

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ دلالة السياق، حيث ذكر الله تعالى جملة من النعم التي أنعم بها على نبيه، ثم ختمها بأمره بالتحدث بتلك النعم، يقول ابن عطية [٥٤٦هـ]: «ولما عدد الله تعالى عليه هذه النعم الثلاث، وصاه بثلاث وصايا، في كل نعمة وصية مناسبة لها، فبإزاء قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى: ٦] قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ وبإزاء قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ هذا على قول من قال: إن السائل هنا هو السائل عن العلم والدين، وليس بسائل المال، وهو قول أبي الدرداء والحسن وغيرهما، وبإزاء قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ ومن قال إن السائل هو سائل المحتاج، وهو قول الفراء عن جماعة فقد جعلها بإزاء قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ وجعل قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

= السمعاني (٦/٢٤٦)؛ زاد المسير (٩/١٦٠)؛ الدر المنثور (٨/٥٤٥).

(١) انظر: تفسير القرآن العزيز (٥/١٤٢).

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي سبط رسول الله ﷺ وريحانته، أمير المؤمنين أبو محمد، قال أبو بكر ﵁: رأيت النبي ﷺ على المنبر، والحسن بن علي معه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة، ويقول: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين. توفي سنة ٤٩هـ. انظر: الإصابة (٢/٦٨)؛ تقريب التهذيب (١٦٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٣/٤٩٥)؛ تفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣٤٤٤)؛ الدر المنثور (٨/٥٤٥).

(٤) انظر: الكشف والبيان (١٠/٩)؛ التبيان في أقسام القرآن (٤٧)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٤/٢٠٥)؛ التحرير والتنوير (١٢/٤٠٣)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٩٢٩).

[الضحى: ١١] بإزاء قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧]»[(١)].

٢ ـ أن الروايتين عن مجاهد، إنما هي حكاية لبعض النعم، وأمثلة عليها ـ فيما يظهر ـ، ولذا وردت عنه روايات مختلفة.

٣ ـ أنه متى ما أمكن حمل النصوص على المعنى الكلي الشامل لجميع أجزائه، فهو أولى من حمله على جزء أو مثال، يقول ابن القيم [٧٥١هـ] بعد ما ساق الأقوال في المراد بالنعمة: «والتحقيق أن النعم نعم هذا كله..»[(٢)].

٤ ـ ورود الآثار عن النبي ﷺ تبين أن المراد عموم النعم، ومن ذلك حديث جابر عن النبي ﷺ قال **«من أبلى بَلاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»**[(٣)] وعن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ قالوا: يا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَتْ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، قال: **«لَا ما دَعَوْتُمْ اللهَ لهم وَأَثْنَيْتُمْ عليهم»**[(٤)] وعن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال **«لَا يَشْكُرُ اللهَ من لَا يَشْكُرُ الناس»**[(٥)]، وغير ذلك من الآثار[(٦)].

٥ ـ فهم السلف لهذه الآية، ومن ذلك ما روي عن أبي الأسود الدؤلي[(٧)]

---

(١) المحرر الوجيز (١٩٨٧).
(٢) التبيان في أقسام القرآن (٤٧).
(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف، حديث [٤٨١٤]؛ والترمذي في جامعه، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في المتشبع بما لم يعطه، حديث [٢٠٣٤] وقال: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني.
(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف، حديث [٤٨١١]؛ والترمذي في جامعه، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، حديث [٢٤٨٧] وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول لمن صنع إليه معروفاً، حديث [٩٩٣٨]، وصححه الألباني.
(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف، حديث [٤٨١٢]؛ والترمذي في جامعه، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث[١٩٥٤] وقال: حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في مسنده، حديث [٧٨٧٩]، وصححه الألباني.
(٦) وقد ساق ابن كثير آثاراً كثيرة. انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٧٦).
(٧) هو ظالم بن عمرو، أبو الأسود الدؤلي، ويقال اسمه عمرو بن ظالم، قاضي البصرة، وهو أول من وضع مسائل في النحو بإشارة من علي ﷺ، فلما عرضها على علي، قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، فمن ثم سمي النحو نحواً، توفي سنة ٦٩هـ. =

وزاذان الكندي[١] قالا: قلنا لعلي رضي الله عنه: حدثنا عن أصحابك، فذكر مناقبهم، قلنا فحدثنا عن نفسك، قال: مهلاً نهى الله عن التزكية، فقال له رجل: فإن الله يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١] قال: فإني أحدث بنعمة ربي، كنت والله إذا سألت أعطيت، وإذا سكت ابتدئت. وعن أبي نضرة[٢] قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها، وعن مقسم[٣] قال: لقيت الحسن بن علي بن أبي طالب فصافحته، فقال: التقابل مصافحة المؤمن، قلت: أخبرني عن قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ قال: الرجل المؤمن يعمل عملاً صالحاً فيخبر به أهل بيته[٤].. فهم قد فهموا الآية على عموم النعم، وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة[٥].

فتبين مما سبق أن إطلاق اسم (النعمة) على القرآن بدلالة قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ لا وجه له، وإن كان روي عن مجاهد، فالذي يظهر أنه ذكر ذلك على سبيل ضرب المثال فقط ـ كما سبق ـ إذ القرآن أعظم نعمة أنعم الله بها على نبيه.. وأن الصحيح هو عموم النعم التي أنعم الله تعالى بها.. والله أعلم.

= انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٣٣)؛ معرفة القراء (١/ ٦٠).

(١) هو زاذان أبو عمر الكندي، مولاهم الكوفي البزاز الضرير، أحد العلماء الكبار، ولد في حياة النبي ﷺ، وشهد خطبة عمر بالجابية، وتوفي سنة ٨٢هـ. انظر: تقريب التهذيب (٢١٣)؛ سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٠).

(٢) هو المنذر بن مالك بن قطعة، الإمام المحدث الثقة، أبو نضرة العبدي ثم العوقي البصري والعوقة بطن من عبد القيس، وروى إسحاق الكوسج عن يحيى: ثقة، وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة، وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث، توفي سنة ١٠٨هـ. انظر: تقريب التهذيب (٥٤٦)؛ سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٩).

(٣) هو مِقسم بن بُجْرة ويقال نَجدة، أبو القاسم مولى عبد الله بن الحارث، صدوق وكان يرسل، توفي سنة ١٠١هـ. انظر: الإصابة (٦/ ٢٠٤)؛ تقريب التهذيب (٥٤٥).

(٤) انظر: الأقوال والآثار عن السلف في هذا، تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩١)؛ تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٤)؛ الكشف والبيان (١٠/ ٢٣١)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٧٦)؛ الدر المنثور (٨/ ٥٤٥ ـ ٥٤٧).

(٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٧١).

الباب الثاني

أوصاف القرآن الكريم

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: الأوصاف الصريحة الدالة على حقيقته وصدقه.

الفصل الثاني: الأوصاف الصريحة الدالة على بيانه وإرشاده.

الفصل الثالث: الأوصاف الصريحة الدالة على بركته وتأثيره.

الفصل الرابع: الأوصاف المختلف فيها.

الفصل الأول

الأوصاف الصريحة الدالة على حقيقة القرآن وصدقه

ويشتمل على:

- مدخل.
- المبحث الأول: وصف القرآن بأنه آيات.
- المبحث الثاني: وصف القرآن بأنه بلاغ.
- المبحث الثالث: وصف القرآن بأنه أحسن الحديث.
- المبحث الرابع: وصف القرآن بأنه الحق.
- المبحث الخامس: وصف القرآن بأنه [صحف].
- المبحث السادس: وصف القرآن بأنه الصدق.
- المبحث السابع: وصف القرآن بأنه عربي.
- المبحث الثامن: وصف القرآن بأنه عزيز.
- المبحث التاسع: وصف القرآن بأنه عظيم.
- المبحث العاشر: وصف القرآن بأنه عليٌّ.
- المبحث الحادي عشر: وصف القرآن بأنه القول.
- المبحث الثاني عشر: وصف القرآن بأنه قيِّم.
- المبحث الثالث عشر: وصف القرآن بأنه (كلمات) و(كلام الله).
- المبحث الرابع عشر: وصف القرآن بأنه متشابه.
- المبحث الخامس عشر: وصف القرآن بأنه مجيد.
- المبحث السادس عشر: وصف القرآن بأنه مهيمن.
- المبحث السابع عشر: وصف القرآن بأنه الوحي.

مدخل

وصف الله ﷻ كتابه الكريم بأوصاف كثيرة، ونعته بنعوت عديدة، منثورة بين ثنايا السور، مذكورة في الآيات، وخير وأفضل وأكمل وَصْف وُصِفَ به القرآن، وَصْفُ من أنزله، وأنعم به ﷻ؛ لأنه الأعلم بمراده، والأعرف بحقيقته وماهيته، فهو كلامه الذي لا يرام، وعلمه الذي لا يحاط.

وحيث إن الأوصاف كثيرة، والنعوت عديدة، فقد رأى ـ الباحث ـ أن يجعل لتلك الأوصاف عناوين رئيسة، وأدرج تحتها الأوصاف التي تكون ألصق وأقرب إلى ذلك العنوان، وإن كان هناك نوع تداخل بين هذه العناوين، وتلك الأوصاف المدرجة فيها، فالحامل عليه العرف الجامعي، والطريقة المتبعة في البحوث العلمية، ولكنها تقريبية، وجهد بشري يعتريه النقص والخطأ والخلل.

وسيقتصر الباحث في الفصول الثلاثة القادمة، على الأوصاف الصريحة المذكورة في الآيات، التي يكون فيها الوصف صريحاً ومجمعاً على وصفيته عند المفسرين، وربما يكون ذات الوصف صريحاً ومجمعاً عليه، ولكنه ورد في مواضع عديدة، وفي بعض تلك المواضع اختلف المفسرون في المراد به الوصفية أو غيره؟ فأحكي الخلاف ـ غالباً ـ[1]، وأخلص فيه إلى قول يحسب الباحث أنه الأرجح والأظهر.

أما تلك الأوصاف التي اختلف المفسرون في المراد بها، فأفردت لها فصلاً مستقلاً، وهو الفصل الرابع من هذا الباب.

---

(١) لأنه ليس كل خلاف معتبر، كما قيل:

فليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر

وبما أن الأوصاف كثيرة وعديدة، وكلها متماثلة وفي درجة واحدة ومرتبة متساوية، فسيقوم الباحث بترتيبها على حروف المعجم، في كل فصل على حدة.

وقد ذكر الله ﷻ لكتابه أوصافاً تبين حقيقته وصدقه، وهي بمثابة التعريف بهذا الكتاب وماهيته، وبيان مكانته وعلو منزلته، وتحقيق وإثبات صدقه، وذلك بالحجج العقلية، والبراهين القطعية، والطرق النصية.

ولذا فإن أغلب هذه الأوصاف وردت في أوائل السور نزولاً، وهي التي نزلت في العهد المكي، وكان أهل مكة آنذاك، في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، لا علم لهم برسالة رسول، ولا بنزول كتاب من السماء ـ إلا بقية من أهل الكتاب ـ، فهم بحاجة ماسة إلى بيان وإيضاح حقيقة ما نزل عليهم، وإثبات صدقه ومكانته، فبين الله ﷻ لهم في ثنايا تلك السور حقيقة هذا الكتاب، ودلائل صدقه، وسمو منزلة من آمن به واتبعه، وذلك من خلال الأوصاف الدالة عليه وهي أنه (آيات، وبلاغ، وحديث، وحق، وصدق، وصحف، وعربي، وعزيز، وعظيم، وعليٌّ، وقول، وقيِّم، وكلام الله، ومتشابه، ومجيد، ومهيمن، ووحي) فآمن العاقل والكيس منهم، وكفر وصد عنه من غلبه هواه واستكبر.

وفي هذا الفصل اقتصر الباحث على طرف من أوصاف القرآن، وهي الأوصاف الصريحة الدالة على حقيقته وصدقه، وقد بلغت سبعة عشر وصفاً.

المبحث الأول

وصف القرآن بأنه آيات

«**الآية**: العلامة والجمع، (آيٌ) و(آيايٌ) و(آياتٌ) وخرج القوم بـ(آياتِهِمْ) أي: بجماعتهم»[١]، «ومنه آية القرآن؛ لأنها جماعةُ حروف»[٢]. أو لأنها علامة على انقطاع كلام من كلام[٣].

واشتقاق (الآية) إما من (أيٍّ) فإنها هي التي تُبيِّن، أيّاً من أيّ، أو من قولهم: أَوِيَ إليه، والصحيح أنها مشتقة من التأيي الذي هو التثبيت، والإقامة على الشيء، يقال: تأييتُ أي: تلبثت وتحبست[٤].

وقد ذكر الجرجاني [٨١٦هـ] أن الآية: هي طائفة من القرآن، يتصل بعضها ببعض إلى انقطاعها، طويلة كانت أو قصيرة[٥].

ووجه وصف القرآن الكريم بأنه (آيات)، فلأنه مشتمل على آيات، والآيات جمع آية، وهي العلامة والدالة، فإذا كانت أبعاض القرآن دالةٌ بفصاحتها على صدق المدَّعي كانت آيات، وإذا كان منها ما يدل على الإخبار عن الغيوب فهي دالة على تلك الغيوب أيضاً، وهي كذلك دالةٌ على دلائل التوحيد والنبوة والشرائع[٦]، وكذلك كون الآتي به أُميّاً لم يكن يتلو من قبله كتاباً ولا يخط، وما نسجت عليه من نظم أعجز الناس عن الإتيان بمثله، دال

(١) مختار الصحاح، مادة (آ ي ا).
(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (أيي)، (٨٥).
(٣) انظر: لسان العرب مادة (أيا)، (١٤/ ٦٢).
(٤) انظر: المفردات للراغب، مادة (آي)، (١٠١)؛ لسان العرب (أيا)، (١٤/ ٦٢).
(٥) التعريفات (٥٨).
(٦) انظر: التفسير الكبير (٣/ ١٨١).

على صدق من جاء به، فهي آيات من هذه الجهة(١). وهذا على المعنى الأول.

ويمكن أن يقال أن كتاب الله تعالى هو في الحقيقة مجموعة آيات، ضُمت بين دفتيه، وجمعت فيه، فأطلق على مجموعه وصف (آيات) للدلالة على هذا الجمع؛ ولهذا لم تُسم أجزاء الكتب السماوية السابقة (آيات) بل أسفار وصحف وألواح.. «أما ما ورد في حديث الرَّجم أن اليهودي حين نشر التوراة وضع يده على آية الرجم(٢)، فذلك على تشبيه الجزء من التوراة بالجزء من القرآن، وهو من تعبير الراوي»(٣).

والقرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب السماوية السابقة الذي يصح أن يوصف بأنه آية من آيات الله تعالى، وذلك لأنه معجزة(٤)، ويصدق ذلك حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«ما من الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كان الذي أوتيته وَحْياً أَوْحَاهُ الله إلي فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يوم الْقِيَامَةِ»**(٥).

وورد وصف القرآن بأنه (آيات) في مائة وثمانية عشر موضعاً من كتاب الله تعالى(٦)، وجاء بأساليب متنوعة، واستعمالات مختلفة، ومن ذلك وروده

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١/ ٧٢٣)، (٨/ ١٢).

(٢) والحديث هو: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلاً مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ»**، فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا.. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، حديث [٣٤٣٦]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، حديث [١٦٩٩].

(٣) المرجع نفسه (١/ ٤٤٥). (٤) المرجع نفسه (٢/ ١٥٠).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أوصلها الشيخ البليهي إلى (١٣٠) آية (١/ ١٧٦)، أما الدكتور غازي بمشتقاتها (٣٨٢) =

محلاً بـ(ال) وذلك في سبعة عشر موضعاً[1]، وهي للجنس، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ذكر ابن جرير [٣١٠هـ] عند تفسير هذه الآية: «أي: كما بينت لكم أعلامي وحججي ـ وهي آياته في هذه السورة ـ وعرفتكم فيها ما فيه خلاصكم من عقابي، وبينت لكم حدودي وفرائضي.. فكذلك أبين لكم في سائر كتابي الذي أنزلته على نبي محمد ﷺ آياتي وسائر حججي، وأوضحها لكم لتتفكروا في وعدي ووعيدي، وثوابي وعقابي..»[2]، وتبيينُ الله تعالى للآيات لم يرد إلا في السور المدنية[3]، وذلك أن حال المؤمنين استقر في المدينة، وكثر الذين دخلوا في دين الله، ونزلت كثير من الأحكام الفقهية، مما يناسبه ذكر التبيين للآيات لعله يحدث تفكراً وتقوى وهدايةً وذِكراً، ثم بعد ذلك شكراً لله تعالى على تمام الهداية والنعمة، والله أعلم.

وتأتي (ال) للعهد كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام: ٤٦] فالمراد بالآيات هنا ما ورد في هذه الآية، وما سبقها ابتداء من أول السورة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١][4]، والتفصيل والتصريف للآيات لا ترد ـ غالباً ـ

= ص(١٤٥)، والعدد الذي ذكرته تقريبي؛ لأن التداخل الواضح بين آيات الله الشرعية والكونية، والمعجزات الحسية، وصعوبة التفريق بينهما، وكثرة المواضع حال دون الوصول إلى العدد الحقيقي، والله المستعان.

(١) ومن الآيات: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [آل عمران: ٥٨] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]. وبقية المواضع: [البقرة: ١٨٨]، [آل عمران: ١١٨] [المائدة: ٧٥] [الأنعام: ٥٥، ٥٦] [الأعراف: ٣٢، ٥٨، ١٧٤] [التوبة: ١١] [يونس: ١٠١] [النور: ١٨، ٦١] [الروم: ٢٨] [الأحقاف: ٢٧].

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٦٩٧).

(٣) انظر: على سبيل المثال: آية [البقرة: ١١٨]، و[المائدة: ٧٥]، و[النور: ١٨، ٦١].

(٤) انظر: التحرير والتنوير(٣/ ٢٣٦).

إلا في السور المكية[1]، حيث يسبق ذلك ذكر لأنواع آيات الله الكونية، ودلائل الوحدانية، أو ذكر لقصص الأمم السابقة.. وهذا كله مما يناسب حال أولئك الكافرين بالله تعالى، الجاحدين لألوهيته، المنكرين لرسالة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ.. لعلهم يعودون إلى رشدهم، ويؤمنون بخالقهم، ويصدقون رسولهم، ولكن ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

ومن أساليب وروده ما جاء مضافاً إلى اسم ظاهر، ومن ذلك إضافته إلى لفظ الجلالة (الله) وذلك في ثلاثة وعشرين موضعاً[2]، وفي إضافة هذا الوصف إلى لفظ الجلالة الذي لا يسمى به أحد غيره، وهو أصل الأسماء[3]، تنويه ورفعة لهذا القرآن، الموصوف بـ(الآيات)، وتذكير بأنه حقيق بأن لا يكفر بآياته، وتهويل أمر الكفر به، ودلالة على أنه من عنده ﷻ، لا من عند غيره، كما زعم مشركو مكة[4]، والإضافة هنا صريحة، ولا يمكن تأويلها، أو صرفها عن وجهها، حيث أضيف إلى الاسم الذي هو أعرف المعارف، فلا حجة لمن جحد، ولا برهان لمن كذب.

وكذلك ما ورد مضافاً إلى اسم (الرب) وذلك في خمسة مواضع[5]، ووروده في سياق الذين كفروا بالله وآياته[6]، توبيخ وتقريع لحالهم، إذ كيف يكفرون بآيات

---

(١) انظر: على سبيل المثال: آية [الأنعام: ٥٥، ١٠٥] [الأعراف: ٣٢]، [الروم: ٢٨]..

(٢) ومن الآيات: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٥٢] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠١] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] وبقية المواضع: [البقرة: ٢٣١]، [آل عمران: ٤، ١٩، ٢١، ٧٠، ٩٨، ١٠٨، ١١٢، ١١٣، ١٩٩]، [الأنعام: ١٥٧]، [يونس: ٩٥]، [النحل: ١٠٤، ١٠٥] [العنكبوت: ٢٣]، [الأحزاب: ٣٤]، [الزمر: ٦٣]، [غافر: ٤]، [الجاثية: ٦، ٨].

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة) (١/ ٥).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٤٤)؛ والتحرير والتنوير (٨/ ٢٣٤).

(٥) ومن الآيات: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ [طه: ١٢٧] ﴿هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٨]، وبقية المواضع: [الكهف: ٧] [الفرقان: ٧٣].

(٦) وذلك في ثلاثة مواضع: [الأنعام: ٢٧]، [الكهف: ٥٧]، [طه:١٢٧].

من خلقهم ورباهم، وأوجدهم من عدم، وتفضل عليهم بسائر النعم، إذ النفس السَّويَّة تدين بالولاء والطاعة لمن تفضل عليها، وأسدى إليها معروفاً.

وروده في سياق الذين آمنوا[١]، فيه ملاطفة للمؤمنين، وتذكير لهم بشكر هذه النعمة التي أنعم الله بها عليهم، وحثٌّ لهم على التمسك بها، وترك ما يخالفها ويعارضها من أهواء الذين لا يعلمون.

وكذلك ما ورد مضافاً إلى اسم (الكتاب)، وذلك في سبعة مواضع[٢]، ولم ترد هذه الإضافة إلا في افتتاحية السور المكية، ويسبقها اسم الإشارة (تلك) التي يراد منها إما جميع آي القرآن التي نزلت قبل هذه السورة، باعتبار حضور تلك الآيات في أذهان الناس من المؤمنين وغيرهم، أو تكون الإشارة إلى حرف (الر)، وذلك لوروده في موقع التحدي والإعجاز[٣]، وفي اسم الإشارة معنى البعد؛ للتنبيه على بعد منزلة المشار إليه في الفخامة والمكانة[٤]، «والمقصود من الإشارة إما الحث على النظر في آيات القرآن ليتبين لهم أنه من عند الله، ويعلموا صدق من جاءهم به، وإما إقناعهم من الآيات الدالة على صدق النبي ﷺ بآيات الكتاب الحكيم، فإنهم يسألون النبي ﷺ آية على صدقه، كما دل عليه قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥]، فقل لهم: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ١] أي: ليس هو آية واحدة بل آيات كثيرة، وإن الإعجاز حاصل بكل سورة منه»[٥]، والمقصود بـ(الكتاب) في الآيات: القرآن[٦].

---

(١) وذلك في موضعين: [المؤمنون: ٥٨]، [الفرقان: ٧٣].

(٢) والآيات: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [يونس: ١] وبقية المواضع: [يوسف: ١]، [الرعد: ١]، [الحجر: ١]، [الشعراء: ٢]، [النمل: ١]، [القصص: ٢].

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ٨٠ ـ ٨١).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٣٣)؛ وروح المعاني (١١/ ٢٩).

(٥) المرجع السابق (٥/ ٨٠ ـ ٨١).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٠٥)؛ معالم التنزيل (٥٩٤)؛ الكشف والبيان (٥/ ١١٦).. وقيل غير ذلك، فمما قيل: التوراة والإنجيل قاله مجاهد، وقيل: الكتب =

وكذلك ما ورد مضافاً إلى اسم (القرآن)، وذلك في موضع واحد[(١)]، ويقال فيه ما قيل في سابقه، إلا أنه هنا أضيفت (الآيات) إلى الاسم العلم الأصلي، وهناك أضيفت إلى اسم (الكتاب) الذي هو علم بالغلبة، وذلك للتنويه بهذا القرآن الذي هو هدى وبشرى للمؤمنين، وبيان مكانته، ومكانة أهله، مما ورد في ثنايا السورة.

ومن أساليب ورود هذا الوصف، ما جاء بصيغة التنكير (آيات)، وذلك في تسعة مواضع[(٢)]، ومجيئه بصيغة التنكير للدلالة على أن جميع ما في القرآن كامل في دلالاته، وأساليبه، وألفاظه، ومعانيه، بل في أعلى مراتب الكمال، مما يوحيه ويدل عليه وصف تلك الآيات ـ في جميع مواضع ورودها بصيغة التنكير ـ بأنها (بينات)، مما يدل على «أن القرآن الكريم في جميع أبوابه كامل البيان»[(٣)]، إلا في موضع واحد وصفت الآيات بأنها محكمة، وفيها معنى الإتقان والبيان ما هو ظاهر، وفي وصف (الآيات) بأنها بينات مجاز عقلي؛ لأن البين هو من معاني الآية[(٤)]، وفي هذا بيان لحقيقة هذا الكتاب المجيد، وأنه في أعلى درجات البيان، وأرفع مراتب الوضوح والإتقان، وأن من كفر ولم يؤمن به، إنما هو في الحقيقة متبع لهوى نفسه والشيطان، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الجاثية: ٣٥]، فاللهم ثبتنا على قولك الثابت.

= السابقة قاله قتادة، وقيل: الكتاب المكنون. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٠٥)؛ والتفسير الكبير (١٧/ ٤)، وقد بين الإمام ابن جرير رحمه الله وجه الترجيح بأنه القرآن، بقوله: (لأنه لم يجيء للتوراة والإنجيل قبل ذكرٌ، ولا تلاوة بعده، فيوجه إليه الخبر) (١٢/ ١٠٦).

(١) وهو قوله تعالى: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [النمل: ١].

(٢) والآيات هي: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الحج: ١٦] ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ [النور: ٤٦] وبقية المواضع: [آل عمران: ٧]، [النور: ١، ٣٤]، [العنكبوت: ٤٩]، [الحديد: ٩]، [المجادلة: ٥]، [الطلاق: ١١].

(٣) روح المعاني (١٧/ ١٢٨).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٨/ ١٤٤). وسيأتي مزيد بيان وبحث عند الحديث الخاص عن وصف القرآن بأنه (بينات) إن شاء الله تعالى.

ومن أساليب وروده ـ أيضاً ـ ما جاء مضافاً إلى الضمير، ومن ذلك إضافته إلى (نا) الفاعل، وذلك في سبعة وثلاثين موضعاً[١]، والإضافة هنا تدل على تشريف وتعظيم هذا الكتاب المشتمل على آيات؛ لأن العظيم والجليل لا ينسب إلى نفسه إلا ما كان عظيماً وجليلاً، والإضافة إلى ضمير الجمع فيه تفخيم وتعظيم للمتكلم، وتهديد ووعيد لمن أعرض وصد عنه؛ لأنه أمرٌ معظَّم عند من أمر بالإيمان به، وفيه دعوة للمؤمنين بالاهتمام بهذا الكتاب، والعناية به، من تحكيم أحكامه، وتحليل حلاله، وتحريم حرامه.

وورد كذلك مضافاً إلى (يا) المتكلم، وذلك في ثلاثة مواضع[٢]، وإضافة (آيات) إلى ضمير الجلالة للتشريف والتعظيم، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «وإضافة آيات إلى ضمير الجلالة للتشريف، قال الشيخ محمد بن عرفة: عظم الآيات بشيئين، الجمع والإضافة إلى ضمير الجلالة، وحُقر العوض بتحقيرين، التنكير والوصف بالقلة»[٣].

وورد كذلك مضافاً إلى (كاف) الخطاب، وذلك في موضع واحد[٤]، حيث ذكر الله ﷻ ذلك على لسان إبراهيم وإسماعيل ﷺ، وفي وصفهم الآيات بـ(التلاوة) نعمة عظيمة، ومنة كبيرة؛ لأنها تتلى فيتأدى بها العبادات،

---

(١) ومن الآيات: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [البقرة: ١٥١] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ [مريم: ٧٣] وبقية المواضع: [البقرة: ٣٩]، [المائدة: ١٠، ٨٦]، [الأنعام: ٥٤، ٦٨، ١٥٠، ١٥٧]، [الأعراف: ٩، ١٥٦]، [يونس: ١٥، ٢١]، [الإسراء: ٩٨]، [مريم: ٧٧]، [طه: ١٢٦]، [الحج: ٥٧، ٧٢]، [النمل: ٨١]، [العنكبوت: ٤٧، ٤٩]، [الروم: ١٦، ٥٣]، [لقمان: ٧]، [السجدة: ١٥]، [سبأ: ٥، ٣٨، ٤٣]، [فصلت: ٤٠]، [الزخرف: ٦٩]، [الجاثية: ٢٥]، [الأحقاف: ٧]، [القلم: ١٥]، [المدثر: ١٦]، [المطففين: ١٣].

(٢) ومن الآيات: ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦] وبقية المواضع: [البقرة: ٤١]، [المائدة: ٤٤].

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٤٦٥).

(٤) وهو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وتتلى فيستفاد منها جميع العلوم، وتتلى فيستفاد منها مجامع الأخلاق الحميدة، فكأنه يحصل من تلاوتها كل خيرات الدنيا والآخرة[(١)].

وورد مضافاً إلى (ها) الغائب، في خمسة عشر موضعاً[(٢)]، وذلك لتحقق نسبة الآيات إلى قائلها، وأنها أصبحت من اليقينيات، التي لا يعتريها أدنى شبهة أو شك في أن الله تعالى هو الذي أنزلها، وهو المتكلم بها حقيقة، أو تكون الإشارة إلى ما سبق الآية من آيات، والله أعلم.

والقرآن الكريم لم يُسمَّ أو يوصف بلفظ (آية) مفردة، وإنما سمي ووصف بلفظ الجمع ـ كما سبق ـ، وإن كان هو في الحقيقة يطلق عليه آية؛ أي: معجزة ودلالة على صدق من جاء به، كما في الحديث: «**ما من الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كان الذي أوتيته وَحْياً أَوْحَاهُ الله إلي...**» الحديث[(٣)].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٤/ ١٣٠).

(٢) ومن الآيات: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧] ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢] وبقية المواضع: [البقرة: ٢٢١، ٢٤٢]، [آل عمران: ١٠٣]، [المائدة: ٨٩]، [التوبة: ٦٥]، [هود: ١]، [الحج: ٥٢]، [النور: ٥٩]، [ص: ٢٩]، [فصلت: ٣]، [الجاثية: ٦]، [الجمعة: ٢].

(٣) سبق تخريجه.

المبحث الثاني

وصف القرآن بأنه بلاغ

«الباء واللام والغين أصل واحد وهو: الوصول إلى الشيء، تقول: بلغت المكان، إذا وصلت إليه»[١].

«وبلغ الشيء يبلغ بُلُوغاً، وبَلاغاً، وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغاً وبُلغة»[٢]، «و(الإبلاغ) و(التبليغ) الإيصال، والاسم منه (البلاغ) والبلاغ أيضاً الكفاية»[٣].

والبلوغ والبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكاناً كان أو زماناً، أو أمراً من الأمور المقدرة.. ومنه التبليغ[٤].

ووجه وصف القرآن بأنه (بلاغ) إما لأنه أُبلغ به الناس ما أمروا، ونهوا عنه، فيكون من التبليغ[٥]، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، أو لكونه مشتملاً على الأصول والفروع، وجميع العلوم التي يحتاجها العباد، مما يُتبلغ ويتزود به إلى الوصول إلى أعلى المقامات، وأفضل الكرامات، فالقرآن زاد الجنة، كبلاغ المسافر[٦]. أو لأن فيه بلاغة وكفاية عن غيره[٧]، يقول ابن سعدي رحمه الله [١٣٧٦هـ]: «يثني الله

(١) معجم مقاييس اللغة، (بلغ)، (١٣٧). (٢) لسان العرب، (بلغ)، (٨/ ٤١٩).
(٣) مختار الصحاح، (ب ل غ).
(٤) انظر: المفردات للراغب (بلغ)، (١٤٤).
(٥) انظر: الإتقان (١/ ١١٤)؛ زاد المسير (٧/ ٣٩٣).
(٦) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٨/ ٣٨٠)؛ وتيسير الكريم الرحمٰن (٤٢٨)؛ وأسماء القرآن د. خمساوي (٤٤).
(٧) المرجعين السابقين.

تعالى على كتابه العزيز، ويبين كفايته التامة عن كل شيء، وأنه لا يستغنى عنه، فقال: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا . . .﴾ [الأنبياء: ١٠٦] يتبلغون به في الوصول إلى ربهم وإلى دار كرامتهم، فيوصلهم إلى أجل المطالب، وأفضل الرغائب»[١].

فكتاب الله تعالى فيه الغنية والكفاية عما سواه من الكتابات، والمقالات، والخطب، والمواعظ، وذلك لمن تدبره حق تدبره، وتأمل فيه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧]، وجاء في الحديث: «**من قال بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إليه هَدَى إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم**»[٢]، وكما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**من أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ فإن فيه عَلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ**»[٣]، ولكن لما

(١) تيسير الكريم الرحمٰن (٥٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن، حديث: [٢٩٠٦] وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول؛ والدارمي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن، حديث [٣١٩٧]؛ والسيوطي في الدر المنثور (٨/٤٧٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة والدارمي والترمذي وابن الأنباري في المصاحف.. وضعفه الألباني.. وتمام الأثر: «عَنْ الْحَارِثِ الأعور قَالَ: مَرَرْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الْأَحَادِيثِ؟ قَالَ: وَقَدْ فَعَلُوهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ**» فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ**».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/١٢٦)؛ والطبراني في معجمه الكبير (٩/١٣٦)؛ والسيوطي في الدر المنثور (٥/١٥٨).

بعدت القلوب عن كتاب ربها، وجفت الألسن عن تلاوته وقراءته، احتاج الناس إلى من يذكرهم ويعظهم، ويتلو عليهم آيات الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، «سئل أبو الحسن الرماني[١]: كل كتاب له ترجمة ـ أي: عنوان ـ فما ترجمة كتاب الله تعالى؟ فقال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]»[٢].

وورد وصف القرآن بأنه (بلاغ) في ثلاثة مواضع[٣]، وجميع هذه المواضع وردت في آخر السورة كإبراهيم والأحقاف، أو في أواخرها كسورة الأنبياء، وهذه السور كلها افتتحت بالحديث عن القرآن الكريم، كما في سورة إبراهيم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، والأنبياء ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢]، والأحقاف ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢] وفي هذا تناسب بين المطالع والخواتم، وفيه رد العجز على الصدر، وهذا من المحسنات البديعة[٤].

وجميع المواضع الثلاثة ورد الوصف فيها بصيغة التنكير، وفي هذا تعظيم لهذا البلاغ، وتفخيم لشأنه، فهو بلاغ أي: بلاغ، جليل القدر، عظيم النفع لمن أقبل عليه، وانتفع به، فهو الغاية والكفاية في كل شيء، وفي هذا الوصف مجاز عقلي بعلاقة الإخبار بالمصدر، وتكمن بلاغة هذا المجاز أن فيه دلالة واضحة على عظم هذا البلاغ، فقد جُعل هذا القرآن، هو البلاغ

---

(١) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، النحوي المتكلم، أحد الأئمة المشاهير جمع بين علم الكلام والعربية، وله تفسير القرآن الكريم، توفي ٣٨٤هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٩)؛ الوافي بالوفيات (٢١/ ٢٤٧).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١٤).

(٣) والآيات هي: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢] ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٦] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

(٤) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ١٤٠)؛ وخصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (٢٥).

نفسه، ومن هنا يلتقي غرض هذا التنكير مع بلاغة هذا المجاز في إظهار عظمة هذا البلاغ، والإشارة إلى نفعه[(١)].

وقد ذكر الله تعالى أن هذا (البلاغ) لقوم عابدين، وخصهم بذلك لأنهم هم المنتفعون به، وهم المؤمنون الذين يعبدون الله تعالى، ويشتغلون بعبادته، ويهتمون بها، ويحرصون على الفرائض، ويتبعونها النوافل[(٢)]، يقول ابن سعدي [١٣٧٦هـ]: «وليس للعابدين الذين هم أشرف الخلق، وراءه غاية؛ لأنه الكفيل بمعرفة ربهم، بأسمائه وصفاته، وأفعاله، وبالأخبار بالغيوب الصادقة، وبالدعوة لحقائق الإيمان، وشواهد الإيقان، المبين للمأمورات كلها، والمنهيات جميعاً، المعرف بعيوب النفس والعمل، والطرق التي ينبغي سلوكها في دقيق الدين وجليله، والتحذير من طرق الشيطان، وبيان مداخله على الإنسان، فمن لم يغنه القرآن، فلا أغناه الله، ومن لا يكفه، فلا كفاه الله»[(٣)].

وبعض المفسرين قصر (البلاغ) في آية سورة إبراهيم على المقطع الأخير من السورة، وبعضهم على السورة كلها، والبعض الآخر عمم ذلك على القرآن، وما اشتمل عليه من فنون العظات والقوارع[(٤)]، وأيّاًمّا كان فالقرآن الكريم موصوف بأنه بلاغ، سواء بعضه، أو كله وهو الأقرب والأظهر، والله أعلم.

واختلف المفسرون ـ أيضاً ـ في آية الأحقاف، فقال بعضهم: أي: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، ذلك لُبثُ بلاغ، بمعنى ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى أجلهم، ثم حذفت ذلك لبث.. وقيل: هذا الذي وصفه الله بلاغ، وقيل: إن

---

(١) انظر: بلاغة القرآن في حديثه عن القرآن، رسالة ماجستير، إعداد: عبد العزيز العمار، المشرف: ناصر الخنين، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٠هـ، (١/ ٢١٩) بتصرف.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٧)؛ معالم التنزيل (٨٥٦)؛ فتح القدير (٣/ ٤٣٠)؛ أضواء البيان (٣/ ١٦٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمٰن (٥٣٢).

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٤٩١)؛ إرشاد العقل السليم (٥/ ٦٢)؛ روح المعاني (١٣/ ٢٥٨).

هذا القرن بلاغ إن فكروا واعتبروا فتذكروا[١]، وهو الأظهر، وتؤيده آية إبراهيم والأنبياء، وخير ما يفسر به القرآنُ، القرآنَ، ويكون التقدير (هذا بلاغ)، ف(بلاغ) خبر لمبتدأ محذوف[٢].

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/١٧٨)؛ النكت والعيون (٥/٢٨٩).

(٢) انظر: أضواء البيان (٥/٥١).

المبحث الثالث

وصف القرآن بأنه أحسن الحديث

«الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يَكُن.. والحديث من هذا؛ لأنه كلام يَحدُث منه الشيء بعد الشيء»(١).

«وحدوث الشيء (حدوثاً) من باب قعد، تجدد وجوده فهو (حادث) و(حديث)»(٢).

ويطلق الحديث مرادفاً للخبر ـ أيضاً ـ، يقول ابن منظور [٧١١هـ]: «والحديث: الخبر، يأتي على القليل والكثير، والجمع، أحاديث..»(٣)، ومنه قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف ١١١].

أما وجه كون (الحديث) وصفاً للقرآن، فقد اختلفت أقوال المفسرين في ذلك على معنيين:

الأول: حدوث نزوله؛ أي: أنه متجدد، يقول البقاعي [٨٨٥هـ]: «المتجدد تنزيله على حسب التدريج»(٤).

الثاني: بمعنى الخبر، وذلك أن رسول الله ﷺ كان يحدث به أصحابه وقومه(٥)، فقد كان النبي ﷺ إذا سمعه من جبريل عليه السلام يقرؤه مباشرة على الصحابة رضي الله تعالى عنهم، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بَيْنَا

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (حدث)، (٢٣٥).
(٢) المصباح المنير (حدث).
(٣) لسان العرب (حدث)، (٢/١٣٣). وانظر: تاج العروس (حدث) (٥/٢٠٨).
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/١٢). وانظر: التفسير الكبير (٢/١٤).
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/٢٤٨)؛ روح المعاني (٢٣/١٥٨)؛ فتح القدير (٤/٤٥٨).

رسول اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ بين أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، فقُلْنَا: ما أَضْحَكَكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: **أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرحمٰن الرَّحِيم** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١ ـ ٣]، ثُمَّ قال: «**أَتَدْرُونَ ما الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «**فإنه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ عليه خَيْرٌ كَثِيرٌ، هو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يوم الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ منهم، فَأَقُولُ: رَبِّ إنه من أُمَّتِي، فيقول: ما تَدْرِي ما أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**»[(١)]، وقال بعضهم: باعتبار كونه إخباراً من الله ورسوله، إذ الحديث هو الكلام الطويل المتضمن أخباراً وقصصاً[(٢)]، وقيل: لما فيه من أخبار الأمم، وأخبار المغيبات[(٣)]... وكلا المعنيين صحيح موافق للمعنى اللغوي ـ كما سبق ـ.

وقد ورد (الحديث) وصفاً للقرآن في اثني عشر موضعاً[(٤)]، وورد في سياقات متنوعة، واستعمالات مختلفة، فورد محلاً بـ(ال) في أربعة مواضع[(٥)]، وهي لبيان الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف: ٦]، وذلك أن الله ﷻ بيَّن في مطلع السورة نزول الكتاب على الرسول ﷺ، وأنه مشتمل على النذارة والبشارة، ثم أردف ذلك بأنهم لن يؤمنوا بهذا الكتاب كله، استكباراً وكفراً، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وتحزن على ذلك، فإنهم لن يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة، رقم الحديث [٤٠٠].

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ٢٥٥).

(٣) المرجع نفسه (١٢/ ١٠٠).

(٤) وأوصلها الشيخ البليهي إلى (١٥) آية (١/ ٢٠٩)؛ أما الدكتور غازي بمشتقاتها (٣٦) مرة، ص(٤٩).

(٥) والآيات هي: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف: ٦] ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩﴾ [النجم: ٥٩] ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١﴾ [الواقعة: ٨١] ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤﴾ [القلم: ٤٤].

«أي: غضباً أو جزعاً أو ندامة أو حزناً»[١].

وتكون (ال) للعهد، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩﴾ [النجم: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١﴾ [الواقعة: ٨١] فإن المراد بـ(الحديث) ما سبق الآية من آيات، وقصص وأخبار، فعندئذٍ يكون الحديث في الآيتين بعض القرآن[٢]، وفي المواضع السابقة يسبق الوصفَ اسمُ الإشارة، وذلك للتنويه بشأن القرآن، وأنه حاضر في الأذهان، ماثل للعيان، يسير تناوله، سهل مطالعته[٣].

ومن أساليب وروده ما جاء بصيغة التنكير للدلالة على العموم والشمولية، وذلك في ثلاثة مواضع[٤]، وذلك أن الله تحدى الذين زعموا أنه أساطير الأولين، وأنه من عند محمد، وأنه إنما يعلمه بشر. .إلخ، بأن يأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين في ذلك، وهنا تحداهم الله تعالى بِمِثْلِيَّة الكتاب العزيز في نظمه، وفصاحته، وبلاغته، ومعناه[٥]، بينما في سورة (هود) تحداهم بعشر سور، وتنزَّل معهم إلى سورة من مثله ـ كما في سورة البقرة ـ وأقل سورة في القرآن تتكون من ثلاث آيات، ومع ذلك ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٣٤﴾ [الطور: ٣٤]، اللام هنا لام أمر وهي مستعملة في أمر التعجيز[٦]، و(الحديث) في هذه الآية يحتمل أن يراد به جميع الكلم؛ أي: فليأتوا بكلام مثله، في أي غرض من الأغراض التي يشتمل عليها القرآن، ويحتمل: أن يراد به الأخبار بوجه

---

(١) تفسير القرآن، عز الدين بن عبد السلام المعروف بالعز بن عبد السلام، ط١، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ) (٣٠١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١١/ ١٦٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ٢٥٥)، وأيضاً (١١/ ٣٣٨).

(٤) والآيات هي: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف: ١١١] ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٣٤﴾ [الطور: ٣٤].

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١٧٧٤)؛ وإرشاد العقل السليم (٨/ ١٥١).

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم (٨/ ١٥١)؛ والتحرير والتنوير(١١/ ٦٧).

الخصوص؛ أي: بأخبار مثل قصص القرآن استنزالاً لهم، فإن التكلم بالأخبار أسهل من ابتكار الأغراض التي يتكلم فيها[١].

وأما قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] أي: القرآن كما ذكر ذلك السُّدِّي وغيره[٢]، والمعنى أن الله ﷻ تعجب من حال هؤلاء كيف ينسبون ما هو من عند الله لغير الله، فبالغ الله تعالى في وصفهم بقلة الفهم، حتى نفى مقاربة الفقه، ونفي المقاربة أبلغ من نفي الفعل[٣]، والاستفهام هنا إنكاري، والتقدير: فما لهؤلاء القوم لم يكونوا يفقهون حديثاً حتى يقولوا ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك[٤].

أما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن المراد بـ(الحديث) هنا كلام الله عامة، فيشمل القرآن، والكتب السابقة، والحديث القدسي ـ على القول بأن اللفظ من عند الله ـ.

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾ [المرسلات: ٥٠][٥]، الذي يظهر أنه حديث غير القرآن، وأن المعنى: بأي حديث يؤمنون بعد القرآن؛ لأنه آخر كتاب نزل، وليس بعده كتاب منزل[٦]، ويتأيد هذا الرأي بأوجه عدة، منها:

١ ـ أن الضمير في (بعده) يعود إلى القرآن؛ أي: أيُّ حديث بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان[٧]، وهو قول أغلب المفسرين؛ كالبغوي، والسمرقندي، والنسفي، والقرطبي، وابن جزي.. وغيرهم[٨].

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٦٧) بتصرف.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٠٩)؛ تفسير السمرقندي (١/ ٣٤٥).

(٣) البحر المحيط (٣/ ٤٢٧).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٣/ ٣٤٨).

(٥) وردت في موضعين: [الأعراف: ١٨٥]، [المرسلات: ٥٠]؛ وقد ذكر الشيخ البليهي أن المراد بـ(الحديث) هنا القرآن (١/ ٢١١)؛ وكذلك الدكتور غازي (٤٨)؛ ومن قبلهما الفيروزآبادي في البصائر (٢/ ٤٣٩).

(٦) انظر: تفسير السمرقندي (١/ ٥٨٤).

(٧) إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٩٩).

(٨) معالم التنزيل(٥٠٤)؛ تفسير السمرقندي (١/ ٥٨٤)؛ مدارك التنزيل (٢/ ٤٩)؛ الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٣٤)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٦). وانظر: التفسير الكبير =

وقيل: عائد على الرسول ﷺ.. ويكون الكلام على حذف مضاف «أي: بعد خبره وقصته»(١)، وسواء كان الضمير يراد به القرآن أو الرسول ﷺ فإن كليهما يدل على أن (الحديث) في الآية ليس وصفاً للقرآن.

٢ ـ أن الفاء في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ﴾ واقعة في جواب شرط مقدر، تقديره: «إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فبأي حديث بعده يؤمنون»(٢)، وأن الاستفهام مستعمل في الإنكار التعجبي من حالهم؛ أي: إذا لم يصدقوا بالقرآن مع وضوح حجته فلا يؤمنون بحديث بعده(٣).

٣ ـ ويشهد لذلك ـ أيضاً ـ الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦] والمعنى: فبأي حديث أو كلام بعد حديث الله وكلامه(٤). وفي قوله: ﴿بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مضاف مقدر؛ أي: بعد حديث الله، وهو كتابه وكلامه(٥).

فتبين مما سبق أن اسم (الحديث) في الآيات الثلاث لا يراد به القرآن، بل وردت مورد التوبيخ والزجر لهؤلاء الذين لم يؤمنوا بالقرآن، وما فيه من الدلائل والبينات الواضحات، وأنهم إن لم يصدقوا بالقرآن المنزل من عند رب العالمين، على أشرف الخلق أجمعين، فبأي كلام وحديث بعده يصدقون ويؤمنون. والله أعلم.

ومن أساليب وروده، ما جاء بصيغة (محدث) وذلك في موضعين(٦)، ووصفه بأنه محدث؛ أي: محدث تنزيله(٧)، وذلك أن الله يجدد لهم الذكر

= (١٥/ ٦٤)؛ واللباب في علوم الكتاب (٩/ ٤٠٧).

(١) اللباب في علوم الكتاب (٩/ ٤٠٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٤٤٧).

(٣) المرجع نفسه.

(٤) انظر: التفسير المنير (٢٥/ ٢٥٢).

(٥) البحر المحيط (٨/ ٦٣).

(٦) وهما قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ [الشعراء: ٥].

(٧) وقد استدلت المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن مخلوق، حيث قالوا: كل محدث مخلوق.. وقد أجاب شيخ الإسلام عن ذلك بقوله: (وهذه الآية حجة عليك ـ لمن =

وقتاً فوقتاً، ويظهر لهم الآية بعد الآية، والسورة بعد السورة، ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون[١]. وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عن شَيْءٍ وَكِتَابُكُمْ الذي أُنْزِلَ على رسول اللهِ ﷺ أَحْدَثُ تقرؤونه مَحْضاً لم يُشَبْ، وقد حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللهِ وَغَيَّرُوهُ وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ الْكِتَابَ وَقَالُوا هو من عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً ألا يَنْهَاكُمْ ما جَاءَكُمْ من الْعِلْمِ عن مَسْأَلَتِهِمْ، لَا واللهِ ما رَأَيْنَا منهم رَجُلاً يَسْأَلُكُمْ عن الذي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ»[٢].

وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه أحسن الحديث، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، والابتداء بلفظ الجلالة، والبناء في (نزَّل) «فيه تفخيم لأحسن الحديث، ورفع منه، واستشهاد على حسنه، وتأكيد لاستناده إلى الله، وأنه من عنده»[٣]، كما تقول: الملك أكرم فلاناً، هو أفخم من: أكرم الملك فلاناً، وحكمة ذلك البداءة بالأشرف[٤]. وفي قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] فيه تفضيل لهذا القرآن على غيره من الكتب المنزلة السابقة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨][٥]، وكون القرآن أحسن الحديث من وجهين:

الأول: بحسب لفظه، وذلك لأجل الفصاحة والجزالة في كلامه، وحسن النظم في الأسلوب، وذلك أن القرآن ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب.. بل هو نوع يخالف الكل.

= استدل بها ـ فإنه لما قال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ [الشعراء: ٥] علم أن الذكر منه ما هو محدث ومنه ما ليس بمحدث؛ لأن النكرة إذا وصفت ميز بها بين الموصوف وغيره، ويعلم أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزل جديداً، فإن الله ينزل القرآن شيئاً بعد شيء) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢٢).

(١) انظر: الكشاف (٤/ ١٦٢)؛ التفسير الكبير (٢٢/ ١٢١)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ٢٢).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٧٥٢٣].

(٣) الكشاف (٥/ ٣٠٠). وانظر: البحر المحيط (٧/ ٥٦٢)؛ إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٠٥).

(٤) انظر: البحر المحيط (٧/ ٥٦٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١٧/ ١١).

الثاني: بحسب معناه، وذلك أنه كتاب منزه عن التناقض، واشتماله على الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل، وكثرة العلوم الموجودة فيه، واشتماله على الأصول الجامعة للإيمان والتشريع، والاستدلال والتنبيه على عظم العوالم والكائنات، وعجائب تكوين الإنسان والعقل، وبث الآداب واستدعاء العقول للنظر والاستدلال الحق(١).

وقد ورد وصف القرآن بـ(الحديث) في السور المكية، ما عدا آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، وورود هذا الوصف في العهد المكي مناسب لحال أولئك القوم الذين برعوا في اللغة، وتفننوا في البيان، فجاء الوصف بأنه (حديث) أي: كلام من جنس كلامكم الذي برعتم فيه، وعقدتم له الأسواق حيث نزل على رجل منكم، مكشوف لكم صدقه، معروف بينكم نسبه، ولكنكم لم ولن تأتوا بمثل ما نزل عليه، أفلا دعاكم عجزكم عن الإتيان بمثله إلى الرجوع إلى الحق والاعتراف به؟! فوصف القرآن بهذا فيه إيقاظ لعقولهم وتعريض بفساد حالهم.. أما في العهد المدني فقد جاء هذا الوصف مقروناً بـ(أحسن) وذلك أنه في المدينة ازداد انتشار دعوة الإسلام، واختلط المسلمون بكثير من البشر، واختلطوا بأصحاب الرسالات السماوية، حيث يرى كل فريق منهم أن رسالته هي الحق، وأن غيرها هو الباطل، كما اختلطوا بأصحاب لغات أخرى مختلفة يمجد كل واحد منهم لغته، فوقع وسط ذلك الاختلاط، وصف القرآن بأنه (أحسن الحديث) لبيان خاصية هذا الكتاب، وتفضيله على غيره من الكتب، فضلاً عن أصحاب اللغات المختلفة(٢). وفيه دعوة وترغيب للمؤمنين بهذا الكتاب، أن يتمسكوا به، ولا يرغبوا عنه، ويطلبوا غيره، وورود بصيغة (أفعل) التفضيل للدلالة على أنه لا شيء أفضل منه على الإطلاق.

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٦/ ٢٣٣)؛ التحرير والتنوير (٩/ ٣٨٥).

(٢) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن في القرآن الكريم، علي محمد حميد، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد، رسالة دكتوراه، ١٤١٨هـ، ص(١٨٣).

وقد ورد الحديث في القرآن على خمسة أوجه:

١ ـ بمعنى: الأخبار والآثار ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ﴾ [البقرة: ٧٦].

٢ ـ بمعنى: القول والكلام ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

٣ ـ بمعنى: القرآن ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤].

٤ ـ بمعنى: القصص ذات العبر ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

٥ ـ العبر في حديث الكفار والفجار ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ [سبأ: ١٩][١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٣٩).

المبحث الرابع

وصف القرآن بأنه الحق

«الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء، وصحته.. يقال حق الشيء: وجب»[١].

«وأصل الحق المطابقة والموافقة؛ كمطابقة رِجْل الباب في حُقِّه[٢] لدورانه على الاستقامة»[٣]، والحق الموجود الثابت، الذي لا يسوغ إنكاره[٤].

والحق ضد الباطل، وهو مصدر (حق) الشيء، من بابي: ضرب وقتل، إذا وجب وثبت[٥]، وأيضاً يطلق الحق على القرآن[٦].

أما وجه كون (الحق) وصفاً للقرآن، فلأنه نزل متلبساً بالحق مؤيداً به، مشتملاً عليه، مقرراً له، بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فأخباره حق، وقصصه حق، وأوامره حق، ونواهيه حق، فكل ما دل عليه، وأمر به، ونهى عنه، فهو الحق الكامل[٧] الذي ليس بعده إلا ضلال وخسار ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، وقد جسَّد هذا الحق وصوره الأستاذ سيد قطب [١٩٦٦م] بكلمات رائعة، وأسلوب رفيع، حيث يقول: «الحق.. بما في طبيعته من صدق، ومطابقة لما في الفطرة من الحق الأزلي، وما في طبيعة الكون كله من هذا الحق الثابت، المستقر في كيانه،

---

(١) معجم مقاييس اللغة (حق) (٢٢٧). (٢) عقِب الباب.

(٣) المفردات للراغب (حق) (٢٤٦).

(٤) انظر: تاج العروس (حق) (٢٥/ ١٦٧). (٥) المصباح المنير (حق) (١٤٣).

(٦) انظر: الكليات (٣٩١)؛ وتاج العروس (٢٥/ ١٦٦).

(٧) انظر: أسماء القرآن، د/ غازي (١٠٢).

الملحوظ في تناسقه، واطراد نظامه، الحق.. بترجمته لنواميس هذا الوجود الكبير ترجمة مستقيمة، وكأنما هو الصورة اللفظية المعنوية لتلك النواميس الطبيعية الواقعية العاملة في هذا الوجود، الحق.. بما يحققه من اتصال بين البشر الذين يرتضون منهجه، وهذا الكون كله من سلام وتفاهم وتلاق، حيث يجدون أنفسهم في صداقة مع كل ما حولهم من هذا الكون الكبير، الحق.. الذي تستجيب له الفطرة حين يلمسها إيقاعه، في يسر وسهولة، وفي غير مشقة ولا عنت، الحق.. الذي لا يتفرق ولا يتعارض وهو يرسم منهاج الحياة البشرية كاملاً، ويلحظ في هذا المنهاج كل قواها، وكل طاقاتها، وكل نزعاتها، وكل حاجاتها، وكل ما يعتورها من مرض أو ضعف أو نقص أو آفة تدرك النفوس وتفسد القلوب، الحق.. الذي لا يظلم أحداً في دنيا أو آخرة، ولا يظلم قوة في نفس ولا طاقة، ولا يظلم فكرة في القلب، أو حركة في الحياة فيكفها عن الوجود والنشاط، ما دامت متفقة مع الحق الكبير الأصيل في صلب الوجود»[1].

وقد ورد وصف القرآن بـ(الحق) في سبعة وأربعين موضعاً[2]، وجميع هذه المواضع معرَّفةٌ، تارة بالإضافة (حق اليقين)، وتارات بـ(ال) (الحق).

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٠٥) بتصرف.

(٢) ومن الآيات: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٥٢] ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣] ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤] ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ٩٤] ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٢] ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ [غافر: ٥] ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [ق: ٥]، وبقية المواضع [البقرة: ٩١]، [آل عمران: ١٠٨]، [النساء: ١٠٥]، [المائدة: ٤٨، ٨٣، ٨٤]، [الأنعام: ٥، ٦٧]، [الأنفال: ٣٢]، [يونس: ١٠٨]، [هود: ١٧، ٢٠]، [الرعد: ١، ١٩]، [النحل: ١٠٢]، [الإسراء: ١٠٤]، [المؤمنون: ٧٠، ٧١، ٩٠]، [الفرقان: ٣٣]، [القصص: ٤٨، ٥٣]، [العنكبوت: ٦٨]، [السجدة: ٣٤]، [سبأ: ٦]، [الصافات: ٣٧]، [الزمر: ٤١]، [فصلت: ٥٣]، [الزخرف: ٢٩، ٣٠]، [الأحقاف: ٧]، [محمد: ٢]، [الواقعة: ٩٥]، [الحديد: ١٦]، [الممتحنة: ١]، [الحاقة: ٥٠].

و(ال) هنا لتعريف الجنس؛ أي: هو حقٌّ ذلك الحق المعروف ماهيته من بين الأجناس، والمفارق لجنس الباطل[1]، ولذا ورد في ثمانية عشر موضعاً مقترناً بـ(باء) الملابسة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤][2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٢][3].

والتعريف هنا للدلالة على الشهرة والكمال، وهو إما أن يكون لإفادة قصر جنس الحق على القرآن، وهو قصر مبالغة لكمال جنس الحق فيه، حتى كأنه لا يوجد حق غيره، مثل قولك: حاتم الجواد، فيكون قصراً حقيقياً، وفي ذلك إشارة إلى عدم الاعتداد بغيره من الكتب السابقة، أو يكون قصراً إضافياً بالنسبة إلى كتب معلومة عندهم؛ كقصة رستم، وإسفَنْديار، اللتين عرفهما النضر بن الحارث، ويكون المقصود هو الرد على المشركين الذين زعموا أنه أساطير الأولين[4].

ويلاحظ الباحث أنه في آية آل عمران، وصف الله تعالى الكتاب الذي هو القرآن بالحق، ووصف التوراة والإنجيل بالهدى، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] وفي وصف القرآن بـ(الحق) هنا دلالة على ما له من أحقية الفصل فيما وقع من خلاف عند أهل الكتاب في أمر العقيدة ـ وهي أصل الدين ـ وما يتصل بها، ولذا أعيد ذكر القرآن بصفة من صفاته الدالة على التفرقة بين الحق والباطل[5]، وكذلك نزل بالحق الدائم الذي لا ولن يمكن أن يتغير أو يتبدل، أو يحرف كما حرفت التوراة والإنجيل، فهو محفوظ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٨/ ٢٠٧).

(٢) انظر: روح المعاني (٨/ ٩)؛ التحرير والتنوير (٤/ ١٦).

(٣) انظر: روح المعاني (٢٣/ ٢٣٣)؛ التحرير والتنوير (٩/ ٣١٦).

(٤) انظر: التحرير والتنوير في المواضع الآتية: (٥/ ٣١، ٦/ ٧٨، ٩/ ١٤٥).

(٥) انظر: كلمة الحق في القرآن الكريم، موردها ودلالتها، محمد الراوي، ط١، (الرياض: دار العبيكان، ١٤١٥هـ) (١/ ٢٦٧).

بحفظ الله، سالم من أيدي العابثين، ومصون من تحريف المحرفين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وقد بيَّن الله تعالى في قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [ق: ٦] حال أولئك الذين نزل عليهم الكتاب ـ وهم مشركو مكة ـ بأنهم بادروا وتسارعوا إلى تكذيب وإنكار هذا القرآن ساعة أتاهم، وأول ما سمعوه، من غير إجالة فكر، ولا إعادة نظر، ولا تروي في الحكم، ولم يكتفوا بالتكذيب والإنكار فحسب، بل زادوا عليه بأن سمَّوه سحر مبين، وأساطير الأولين، وأنه تقوَّله.. وتلك هي عاقبة العجلة، ونهاية الكفر والاستكبار(١)، بل ولم يتوقفوا عند هذا الحد، ويكتفوا بهذا الذنب، فسعوا جاهدين إلى إبطال هذا الحق وزهقه، بشتى الطرق، وباختلاف الوسائل، مما يوحيه ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦] فاستعمال الفعل المضارع (يدحضوا) يدل على استمرارهم في ذلك، وحرصهم عليه، فهم ما زالوا ولن يزالوا، كما ذكر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢﴾ [التوبة: ٣٢]، يقول العلامة الشنقيطي رحمه الله [١٣٩٣هـ]: «﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦] أي: ليبطلوه ويزيلوه به، وأصله من إدحاض القدم، وهو إزلاقها وإزالتها عن موضعه.. وقد بين تعالى في مواضع أخرى أن ما أراده الكفار من إدحاض الحق بالباطل لا يكون.. وأنهم لا يصلون إلى ما أرادوا، بل الذي سيكون هو عكس ما أرادوا.. كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة: ٣٣]»(٢).

وقد وصف الله تعالى هذا الحق لنبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ٩٤] حيث أضاف اسم الرب إلى ضميره ﷺ في ثلاثة مواضع،

---

(١) انظر: الكشاف (٥/ ٤٩٣)؛ التفسير الكبير (٢٨/ ١٣٣)؛ روح المعاني (٢٦/ ١٧٤).
(٢) أضواء البيان (٢/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) بتصرف.

وفي ذلك تشريف ورفعة للنبي ﷺ وتثبيت وتسلية له، مما يلقاه ويواجهه من أقوال وأفعال الذين كفروا بالقرآن، وصدوا عنه،[(١)] يقول سيد قطب [١٩٦٦م]: «إنما هذه الإضافة للتكريم، تكريم الرسول الذي يتهمونه بالافتراء.. وإلقاء ظلال القربى بينه وبين ربه رب العالمين، رداً على الاتهام الأثيم، وتقريراً للصلة الوثيقة التي تحمل مع معنى التكريم معنى وثاقة المصدر، وصحة التلقي، وأمانة النقل والتبليغ»[(٢)].

وأضاف الله تعالى ـ أيضاً ـ اسم الرب إلى ضمير الجمع ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ في ثلاثة مواضع؛ كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩] أي: فهذا الحق الذي يتلى عليكم، وتسمعونه، هو من ربكم الذي أنشأكم، وأنعم عليكم، وإليه مرجعكم، فإذا عاديتموه فقد عاديتم الله تعالى، ولا قِبل لكم بعداوته، والله غني عنكم ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] فأنتم لا تنفعونه بإيمانكم، ولا تضرونه بكفركم[(٣)]، وفيه حث وترغيب بالإيمان بهذا الكتاب العزيز؛ لأن الذي خلقك من عدم، وتفضل عليك بسائر النعم، هو أعلم بما يصلحك في هذه الدنيا، وينفعك في الآخرة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، فلماذا هذا الكفر والجحود لكتاب الله، والرغبة عنه؟!

أما ورود (الحق) مضافاً إلى اليقين ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۝٥١﴾ [الحاقة: ٥١]، فقد ورد في موضعين، وذكر المفسرون أوجهاً في توجيه الآية، إذ إن الحق هو اليقين، واليقين هو الحق، فهما بمعنى واحد، فكيف أضيف الحق إلى اليقين؟

قيل: هذه الإضافة، كما أضاف الجانب إلى الغربي، في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤]، وأضاف الدار إلى الآخرة: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [يوسف: ١٠٩]، ولكن المقدر هنا غير ظاهر، فيحتمل أن تقدر شيئاً أضيفت الدار إليه، ووصفته بالآخرة ثم حذفته وأقمت الصفة مقامه، كأنك قلت: دار الرجعة الآخرة، أو:

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم (٧/ ٧٩)؛ روح المعاني (٢١/ ١١٧).
(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٠٦).
(٣) انظر: كلمة الحق (١/ ٣٢٢).

دار النشأة الآخرة.. وضعَّف هذا القول ابن عطية[١] رَحِمَهُ اللَّهُ لأن الآية فيها توكيد ومبالغة.

وقيل: هو من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة، كما تقول: هذا يقين اليقين، وصواب الصواب، بمعنى: أنها نهاية في ذلك، فهما بمعنى واحد، أضيف على سبيل المبالغة، قال ابن عطية [٥٤٦هـ] عن هذا القول: «وذهبت فرقة من الحذاق.. وهذا أحسن ما فيه»[٢].

وقيل: من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي: لهو اليقين الحق، وذلك أن الشيء إذا كان كاملاً في نوعه، وصف بأنه حق ذلك الجنس، كما تقول: زيد العالم حق عالم.. وإن كان في الحقيقة أن هذا القول يعود إلى القول السابق؛ لأن مفاده التوكيد والمبالغة، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «ومآل هذا الوصف إلى توكيد اليقين، فهو بمنزلة ذكر مرادف الشيء، وإضافة المترادفين تفيد معنى التوكيد، فلذلك فسروه بمعنى: أن هذا يقين اليقين، وصواب الصواب»[٣].

وقيل: هو من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: إنه لليقين الحق الموصوف بأنه يقين لا يشك في كونه حقاً إلا من غشي على بصيرته[٤].

وقيل: إن إضافة الشيء إلى نفسه مع اختلاف اللفظين أسلوب عربي، وأن الاختلاف بين اللفظين كافٍ في المغايرة بين المضاف والمضاف إليه، وأنه لا حاجة إلى التأويل مع كثرة ورود ذلك في القرآن والعربية[٥].

ومن الأوصاف غير الصريحة الدالة على أن كتاب الله تعالى (حق) لا مرية فيه، ولا شك، وصفه بأنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، فكتاب الله تعالى حق لا تكذبه الكتب المتقدمة عليه؛ كالتوراة

(١) المحرر الوجيز (١٨١٨). (٢) المرجع نفسه.
(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٣٥٠).
(٤) انظر: الأقوال السابقة في: المحرر الوجيز (١٨١٨)؛ التفسير الكبير (٢٩/ ١٧٧)؛ البحر المحيط (٨/ ٣٠٥)؛ التحرير والتنوير (١١/ ٣٥٠) و(١٢/ ١٥٠).
(٥) انظر: أضواء البيان (٥/ ٢٤٩).

والإنجيل.. ولا يجيء كتاب من بعده يكذبه.. وهو حق فما حَكَمَ القرآن على شيء بكونه حقاً لا يصير باطلاً، وما حكم بكونه باطلاً لا يصير حقاً.. وهو حق محفوظ من أن ينتقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه.. ولا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه فيه، ولا بزيادة ولا نقص، فهو حق محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل الله تعالى بحفظه[١]..

وورد هذا الوصف في السور المكية والمدنية على السواء، وعدم اختصاصه بالقرآن المكي أو المدني؛ لأن هذا الوصف ذاتي للقرآن، منطبق عليه منذ أول نزوله حتى ختام آخر آية منه[٢].

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٧/ ١١٤)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٧٥٠).
(٢) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (٢٠٠).

المبحث الخامس

وصف القرآن بأنه [صحف]

«الصاد والحاء والفاء أصل صحيح يدل على انبساط في شيء وسعة، يقال إن الصَّحيف: وجه الأرض، والصَّحيفة: بَشَرَةُ وجه الرجل.. ومن الباب: الصَّحيفة: وهي التي يكتب فيها»(١).

والصحيفة الكتاب، والجمع (صُحُف) و(صحائف)(٢).

«وصحيفة وصحف وصحائف هي قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه»(٣).

ومنه المصحف، وسمي مصحفاً؛ لأنه أصحف أي: جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين(٤).

ووجه وصف القرآن بأنه (صحف) لاشتماله على آياتٍ وسورٍ كثيرة، تجاوزت المائة سورة(٥)، فأطلق عليها صحف، أو باعتبار ما ستكون في المستقبل؛ لأنهم مأمورون بكتابته(٦)، وقد اتخذ النبي ﷺ كتّاباً يكتبون الوحي ويدونونه؛ كزيد بن ثابت(٧)، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي

---

(١) معجم مقاييس اللغة (صحف) (٥٦٣).

(٢) انظر: المفردات (صحف) (٤٧٦)؛ مختار الصحاح (ص ح ف).

(٣) أساس البلاغة (صحف) (١/ ٣٤٩).

(٤) انظر: العين (صحف) (٣/ ١٢٠).

(٥) انظر: تفسير السمرقندي (٣/ ٥٧٩).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٤٧٣).

(٧) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد وقيل: أبو ثابت وقيل غير ذلك في كنيته، هو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر كما ثبت ذلك في الصحيح، توفي سنة ٤٢ أو ٤٣ أو ٤٥هـ. انظر: الاستيعاب (٢/ ٥٣٧)؛ الإصابة (٢/ ٥٩٢).

سفيان[١] - رضي الله عنهم جميعاً - وغيرهم، وقد كتبوه في اللِّخاف[٢]، والرِّقاع[٣]، والكرانيف[٤]، كما جاء في الحديث عن زيد بن ثابت عندما أمره خليفة رسول الله ﷺ بجمع القرآن قال «.. فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ من الْعُسُبِ وَالرِّقَاعِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ..»[٥]، ثم بعد ذلك جمعت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأطلق عليها (المصحف)[٦][٧].

وقد ورد هذا الوصف في موضعين من كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أمير المؤمنين، توفي سنة ٦٠هـ. انظر: الإصابة (٦/ ١٥١).

(٢) اللخاف: حجارة بيض رقاق.. مختار الصحاح (ل خ ف).

(٣) الرقاع: القطعة من الجلد أو الصحف يكتب فيها. مختار الصحاح (ر ق ع).

(٤) الكرانيف: أصول السعف العراض التي إذا يبست صارت أمثال الأكتاف. المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ١٧٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب: ما يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً، حديث [٤٧٠١].

(٦) أخرج ابن أشته في كتاب المصاحف من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفر، وقال بعضهم: المصحف فإن الحبشة يسمونه المصحف، وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله. انظر: المرشد الوجيز (٦٤)؛ الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١٤).

(٧) ولعل هذه التسمية أخذت من الوصف (صحف)، كما هو وارد في آية (عبس) و(البينة)، ويشهد له ويقويه، قول من يقول: إن المراد بـ ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ هم القراء، وهم أصحاب النبي ﷺ، وهو قول قتادة ووهب بن المنبه (انظر: تفسير الطبري ٢٤/ ١٠٩؛ الدر المنثور ٨/ ٤١٨)، فيكون المراد بـ ﴿صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ الصحف أو ما يشبهها من اللخاف والرقاع التي كتب فيها القرآن، وكانت متفرقة بين الصحابة، فأصل هذه التسمية وارد في الكتاب والسنة، بخلاف ما قد يفهم من كلام الدكتور محمد جميل غازي في أسماء القرآن (١٥٦) والدكتور فهد الرومي في دراسات في علوم القرآن (٢٨) وغيرهما، من أن اسم (المصحف) لم يرد في القرآن ولا السنة، إنما ورد على ألسنة صحابة رسول الله ﷺ بعد جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن وذلك في عهده.. والله أعلم.

سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١١ ـ ١٦] فوصفت التذكرة[(١)]، بأنها في صحف مكرمة، والمراد بـ(الصحف) متوقف على معرفة من هم السفرة الكرام البررة لأنه مبني عليه، وقد اختلف المفسرون فيهم على قولين:

فقيل: هم القراء، وهو قول قتادة رضي الله عنه ووهب بن منبه[(٢)(٣)]، فيكون المراد بالصحف التي بأيدي المسلمين، وأطلق عليها صحفاً تغليباً.

وقيل: هم الملائكة، وهو قول ابن عباس وعطاء بن أبي رباح[(٤)] ومجاهد وابن زيد[(٥)]. واختاره ابن جرير الطبري، وابن عطية، وابن أبي زمنين، وابن القيم[(٦)].

فيكون المراد بالصحف التي مع الملائكة، السفرة بين الله ورسله بالوحي، وهو الأظهر؛ لموافقته لدلالة قوله ﷺ: **«الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مع السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»** متفق عليه[(٧)] وهم الملائكة، ولموافقته ـ أيضاً ـ لسياق القرآن وعادته، فإن وصف الملائكة في القرآن جاء بصيغة (البررة)، أما المؤمنون

---

(١) والمراد بالتذكرة: القرآن، أو سورة عبس على وجه الخصوص (انظر: النكت والعيون؛ زاد المسير (٩/ ٢٨) والأول أعم وأوجه والموافق لاستعمال القرآن انظر: مبحث (ذكرى وتذكرة).

(٢) هو وهب بن منبه بن كامل اليماني، أبو عبد الله الأبناوي، ثقة، توفي سنة ١١٠ وقيل ١١٣هـ. انظر: تقريب التهذيب (٥٨٥)؛ سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٥١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٨)؛ المحرر الوجيز (١٩٤٩)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٠٦)؛ الدر المنثور (٨/ ٤١٨).

(٤) هو عطاء بن أبي رباح أسلم الإمام، شيخ الإسلام مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم، ثقة فاضل فقيه، توفي سنة ١٤هـ. انظر: تقريب التهذيب (٣٩١)؛ سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٨).

(٥) انظر: المراجع نفسها.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٩)؛ المحرر الوجيز (١٩٤٩)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٠٦)؛ التبيان في أقسام القرآن (١٤١).

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: عبس وتولى كلح وأعرض، حديث [٤٦٥٣]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافر وقصرها، باب: فضل الماهر في القرآن والذي يتعتع فيه، حديث [٧٩٨].

فبصيغة (الأبرار) والبررة أبلغ وأخص من الأبرار[(١)].

وسموا (سفرة) لأنهم كتبة، مأخوذة من السَّفَر أو السَّفْر، وهو الكتاب، كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، أو لأنهم سفرة؛ أي: وسطاء بين الله وبين خلقه، من السفير وهو الواسطة بين الناس، ومنه قصة زواج زينب بنت جحش[(٢)]، وفيه «وكان جبريل عليه الصلاة والسلام هو السفير بذلك»[(٣)] وكلاهما صحيح[(٤)].

فَوَصْفُ كتاب الله تعالى بأنه في صحف مكرمة، مرفوعة مطهرة، بأيدي الملائكة الكرام البررة، بيانٌ لعظمة هذا الكتاب المجيد، وسمو منزلته، وجلالة قدره، وأنه منزه عن الباطل، بعيد عن الآفات والنقائص، وأنه محفوظ ومصون بأيدي الملائكة الكرام البررة، فلا يقربه شيطان، ولا يسترقه كاذب، «وفي هذا حفظ من الله تعالى لكتابه أن جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشيطان عليه سبيلاً، وهذا مما يوجب الإيمان به، وتلقيه بالقبول»[(٥)].

وفي قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝﴾ [البينة: ٢] أي: يتلو ما فيها؛ لأنه أُميٌّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وتلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها[(٦)].

والمراد بـ(الصحف) هنا، قيل: هي صحف القرآن، وهو قول قتادة

---

(١) انظر: المفردات للراغب (بر) (١١٥)؛ التحرير والتنوير (١٢/ ١١٩).

(٢) هي زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ بن رئاب بن يعمر، أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ، تزوجها رسول الله ﷺ في سنة خمس من الهجرة، وكانت أول نسائه لحوقاً به، توفيت سنة ٢٠ وقيل ٢١هـ. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٨٤٩)؛ الإصابة (٧/ ٦٧٠).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٩)؛ تفسير القرآن الكريم (جزء عم) ص(٦٢).

(٥) تيسير الكريم الرحمٰن (٩١١).

(٦) انظر: زاد المسير (٩/ ١٩٦)؛ تفسير البيضاوي (٩/ ٥٤٠)؛ اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٤٣٨)؛ إرشاد العقل السليم (٩/ ١٨٤).

والضحاك[١]، وقيل: الصحف المطهرة التي في السماء، وهو قول الحسن[٢]، واختاره ابن كثير، حيث قال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ [البينة: ٢]، «يعني: محمداً ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مكتتب في الملأ الأعلى، في صحف مطهرة»[٣].

ولعله الأظهر، كما هو مفسر في قوله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩] وأولى ما يفسر به القرآن، هو القرآن، فيكون المراد الصحف التي بأيدي الملائكة.. والله أعلم.

والطهارة هنا إما أنها مطهرة من النقص والزيادة، ومنزهة عن الباطل ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، أو أنها لا يمسها إلا المطهرون، وهم الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩]، فقد طهرهم الله من المعاصي والآثام.. وكلا المعنيين صحيح ومقبول، والله أعلم.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٩٩٥)؛ والجواهر الحسان (٣/ ٤٩١)؛ وانظر: اللباب (٢٠/ ٤٣٨).

(٢) انظر: المرجعين نفسيهما.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٩٥).

المبحث السادس

وصف القرآن بأنه الصدق

«الصاد والدال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره، ومن ذلك الصدق: خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه؛ لأن الكذب لا قوَّة له، هو باطل، وأصل هذا من قولهم شيء صَدْقٌ: أي صُلبٌ.. ويقال: صَدَقوهم القتال»[١].

و«(التصديق) يستعمل في كل ما فيه تحقيق، يقال: صَدَقني فِعله وكتابه»[٢]، ومِصْداق الشيء؛ أي: ما يُصدِّقه.. ويقال: صَدَق في الحديث، يَصدُق صِدْقاً[٣].

ووجه وصف القرآن الكريم بأنه (الصدق)، فلأنه مشتمل ـ والعلم عند الله ـ على أخبار ما كان وما يكون، وقصص للأمم السابقة، وأحوالهم الغابرة، وأحداث وأحوال لما يستقبل؛ كأشراط الساعة، وأحوال القيامة، وذكر ووصف للحياة الآخرة، والمستقر الخالد، فناسب أن يوصف بذلك للدلالة على أن جميع ما ورد فيه، واشتمل عليه، هو في أعلى درجات الصدق، وأرفع مراتب اليقين؛ لأن المتكلم بذلك هو مالك الملك، الذي بيده ملكوت كل شيء، وأمره بين الكاف والنون.

وهو أيضاً ليس صادقاً في ذاته فحسب، بل هو (مُصدِّق) و(تصديق) الذي بين يديه من الكتب السماوية السابقة، حيث وافق ما فيها من هداية للبشر، ودلالتها إلى خيري الدنيا والآخرة، وإخراجها من الظلمات إلى النور،

(١) معجم مقاييس اللغة (صدق) (٥٦٥). (٢) المفردات للراغب (صدق) (٤٧٨).
(٣) انظر: تاج العروس (ص د ق) (٢٦/٦ ـ ١١).

وما فيها من وجوب التوحيد لله، وإفراده بالعبودية، والدعوة إلى ذلك، ووجوب العمل بكل ما أمر الله، وإن خالفها ونسخ بعض أحكامها الفرعية[(١)].

وقد ورد وصف القرآن بـ(الصدق) وتصاريفه المتعددة، ست عشرة مرة في كتاب الله تعالى، وجاء بأساليب متنوعة، ومن ذلك وصفه بـ(الصدق) في ثلاثة مواضع[(٢)]، وقد اختلف المفسرون ـ رحمهم الله ـ في المراد بـ(الصدق) في قوله تعالى: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ﴾ [الزمر: ٣٢، ٣٣] فقيل: إن المراد بـ(الصدق) هو قول: لا إله إلا الله، وهو مروي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال سعيد بن جبير[(٣)(٤)]. وممن قال بهذا القول ابن جزي، والزحيلي[(٥)].

وقيل: المراد بـ(الصدق) القرآن، قاله قتادة[(٦)]، ورجحه ابن جرير، وابن أبي زمنين، والثعلبي، والقرطبي، وابن عاشور، وغيرهم[(٧)].

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن (الصدق) في الآية هو القرآن الكريم، وذلك لأمور:

١ ـ ما يوحيه قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ حيث إن مشركي مكة كفروا

---

(١) انظر: الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ٢٠٣).

(٢) الآيات هي: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٢، ٣٣].

(٣) هو سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد ويقال: أبو عبد الله الأسدي، الوالبي مولاهم الكوفي، ثقة ثبت فقيه، استشهد سنة ٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١)؛ تقريب التهذيب (٢٣٤).

(٤) انظر: زاد المسير (٧/ ١٨٢)؛ تنوير المقباس (٣٨٨)، وفيه: (التوحيد والقرآن).

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ١٩٥)؛ والتفسير المنير (٢٤/ ٦).

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥١)؛ الدر المنثور (٧/ ٢٢٨).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٠٣)؛ تفسير القرآن العزيز (٤/ ١١٢)؛ الكشف والبيان (٨/ ٢٣٥)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٥٦)؛ التحرير والتنوير (٩/ ٥).

بالقرآن من حين أن أنزل، وبدأوا يلصقون التهم، ويبثون الإشاعات، بأنه أساطير الأولين، وأنه إنما يعلمه بشر.. يقول الزمخشري [٥٣٨هـ]: «فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال رويةٍ واهتمامٍ بتمييز بين الحق والباطل، كما يفعله أهل النَصَفَة فيما يسمعون»[١].

٢ ـ أن الله تعالى عطف الكذب بالصدق على الكذب على الله، والكذب على الله هو في الحقيقة كفر بـ لا إله إلا الله حيث ادعوا أن له ولداً، وأن له صاحبة، والعطف يقتضي المغايرة، مما يدل على أن المراد بـ(الصدق) هنا هو القرآن.

٣ ـ أن إطلاق وصف (الصدق) على القرآن هو الموافق لاستعمال القرآن وعادته، كما في قول الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وأولى ما يُفسر به القرآن، هو القرآن.

٤ ـ وهو قول أغلب المفسرين.

ولو قال قائل إن الاختلاف هنا اختلاف تنوع، وأن الكفر بـ لا إله إلا الله يتضمن الكفر بالقرآن، والكفر بالقرآن يستلزم الكفر بـ لا إله إلا الله لما أبعد عن الحقيقة، يقول ابن جرير [٣١٠هـ]: «﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ وكذَّب بكتاب الله إذ أنزله على محمد ﷺ وابتعثه الله به رسولاً، وأنكر قول: لا إله إلا الله»[٢][٣].

ومجيء هذا الوصف معرفاً، للدلالة على أنه عين الصدق، ولا شيء أصدق منه، يقول الزمخشري [٥٣٨هـ]: «﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ بالأمر الذي هو الصدق بعينه»[٤].

وأما وروده بصيغة التنكير، فللدلالة على أنه صدق كله، سواء في الأخبار، أو في تحقق الوعد والوعيد الوارد فيه، أو في النفوذ في الأمر

(١) الكشاف (٥/ ٣٠٥). (٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٠٣).
(٣) وورد في تفسير الآية أقوال أخرى، ولكنها في الحقيقة داخلة ضمنها؛ كقول الزمخشري: هو ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام (٥/ ٣٠٥)، وقول ابن عطية الأندلسي: تكذيب أقوال محمد عليه الصلاة والسلام عن ربه. (١٦٢٨).
(٤) الكشاف (٥/ ٣٠٥).

والنهي، وغير ذلك، فكله موصوف بالصدق؛ لأن ضد الصدق الكذب، والكذب نقص، والنقص على الله محال[١]. «ويطلق (الصدق) مجازاً على كون الشيء كاملاً في خصائص نوعه»[٢].

ومن أساليب وروده - أيضاً - وصفه بأنه (تصديق)، وذلك في موضعين[٣]، والعلاقة بين التصديق والصدق، أن التصديق ملازم لصدق الإيمان، فإن تصديق الصدق واجب بالقول وبالفعل[٤]، ولذا فإن الله تعالى يذكر هذا الوصف للقرآن الكريم بعد أن ينفي عنه أنه مفترى، ويثبت صدقه، كما في سياق الآيتين، وإثبات التصديق لما بين يديه إما أن يكون مضافاً لفاعله، فيكون التقدير: أي: بينت وأظهرت صدقه، لا هو أظهر صدقها، وتصديقها له بأن فيه من أمر البعث، والعقائد الحقة مطابق لما فيها، وهي مسلَّمة عند أهل الكتاب، وما عداهم إن اعترف فبها، وإلا فلا عبرة به.. ثم إنه ترقَّى عن هذا إلى أنه إذا تطابق مدلولهما، ولزم من صدق أحدهما صدق الآخر لزم أن يكون هو المصدّق لا هي؛ لأنه معجز، فيكون مثبتاً لنفسه ولغيره.. وإما أن يكون مضافاً للمفعول فيكون للمبالغة في نفي الافتراء عنه لأن ما يثبت به صدق غيره فهو أولى بالصدق، وإنما كان مصدقاً لها لأنه دال على نزولها من عند الله؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، ولاشتماله على قصص الأولين الموافقة لما في التوراة والإنجيل، وهو معجز دونها، فهو الصالح لأن يكون حجة وبرهاناً لغيره[٥]،

---

(١) انظر: التفسير الكبير (١٣/ ١٣١)؛ التحرير والتنوير (٤/ ١٩)

(٢) التحرير والتنوير (٤/ ٢٠).

(٣) الآيتان هما: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٣٧] ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف: ١١١].

(٤) انظر: الصدق في القرآن دراسة موضوعية، مذكر عارف، ط١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ) ص(٢٣).

(٥) انظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٥/ ٥٠)؛ ورجح الأول، وروح المعاني (١١/ ١١٨).

وكونه مضافاً إلى المفعول هو الأنسب للسياق؛ لأن الله تعالى يذكر هذا الوصف بعد أن ينفي عنه الافتراء، ويثبت أنه من عنده ﷻ، فكأن الله تعالى يبين أنه إذا كان القرآن يصدق ويشهد أن الكتب السابقة حق، وأنها من عند الله تعالى، فهو أولى وأحق بالصدق[١]، والله أعلم.

ومن أساليب وروده كذلك، وصفه بأنه (مصدِّق) وذلك في أحد عشر موضعاً[٢]، والمراد من كون القرآن مصدقاً لما معهم أنه يشتمل على الهدى الذي دعت إليه أنبياؤهم من التوحيد، والأمر بالفضائل، واجتناب الرذائل، وإقامة العدل، ومن الوعد والوعيد، والمواعظ والقصص، فما تماثل منه بها، فأمره ظاهر، وما اختلف فإنما هو لاختلاف المصالح والعصور مع دخول الجميع تحت أصل واحد؛ لأن المخالفة في بعض جزئيات الأحكام التي هي للأمراض القلبية كالأدوية الطبية للأمراض البدنية المختلفة، بحسب الأزمان والأشخاص، ليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث أن كلاً منها حق في عصره، متضمن للحكمة التي يدور عليها فلك التشريع[٣].

فتبين مما سبق أن كون القرآن (تصديق) أو (مصدق) له ثلاثة معانٍ:

١ ـ أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا، فتبين صدقهم في الأخبار.

٢ ـ أن القرآن أخبر أنهم أنبياء، وأنهم أنزل عليهم الكتب، فهو مصدق لهم؛ أي: شاهد بصدقهم.

٣ ـ أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد، وذكر الدار الآخرة، وغير ذلك من الشرائع، فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٠٣).

(٢) ومن الآيات: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩] ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ [النساء: ٤٧]، وبقية المواضع: [البقرة: ٤١، ٩١، ٩٧] [المائدة: ٤٨] [الأنعام: ٩٢] [الأحقاف: ١٢، ٣٠] [فاطر: ٣٠].

(٣) انظر: روح المعاني (١/ ٢٤٤)؛ التحرير والتنوير (١/ ٤٥٧).

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٦).

وورود وصفي (مصدق) و(تصديق) في سياق الحديث عن الكتب السابقة، فيه استمالة لأهل الكتاب بأن يؤمنوا، ويصدقوا به؛ لأنه جاء بما يوافق كتبهم، وبما بشرت به، وفيه دلالة على أنه وحي من عند الله تعالى، وأنه ليس بمفترى، ولا مختلق[١].

وكونه مصدقاً لما سبقه من الكتب، علامة دينية مناسبة لأهل العلم من أهل الكتاب، فكما جعل الإعجاز اللفظي علامة على كون القرآن من عند الله لأهل الفصاحة والبلاغة من العرب، كذلك جعل الإعجاز المعنوي وهو اشتماله على الهدى الذي هو شأن الكتب الإلهية علامة على أنه من عنده لأهل الدين والعلم بالشرائع[٢].

ومن الأوصاف غير الصريحة الدالة علي أن القرآن (صدق) نفي الريب عنه، في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] والريب هو الشك، ولكن ليس مطلق الشك، بل الشك المصحوب بقلق لقوة الداعي الموجب للشك، أو لأن النفس لا تطمئن لهذا الشك، فهي قلقة منه ـ بخلاف مطلق الشك ـ. والمقصود أنه لا شبهة في صحته، ولا في كونه من عند الله تعالى، ولا في كونه معجزاً، بل هو صادق في نفسه، مصدق لغيره[٣]، يقول سيد قطب [١٩٦٦م]: «ومن أين يكون ريب أو شك، ودلالة الصدق واليقين كامنة في هذا المطلع ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] ظاهرة في عجزهم عن صياغة مثله، من مثل هذه الأحرف المتداولة بينهم، المعروفة لهم من لغتهم؟»[٤].

(١) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (٢٦٣).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (١/ ٤٥٨).
(٣) انظر: التفسير الكبير (٢/ ١٨)؛ تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة) (١/ ٢٦).
(٤) في ظلال القرآن (١/ ٣٨).

المبحث السابع

وصف القرآن بأنه عربي

«العين والراء والباء أصول ثلاثة، أحدها: الإبانة والإفصاح.. كقولهم: أعرب الرجل عن نفسه، إذا بيَّن وأوضح، وأعرب بحجته أفصح بها ولم يتقِّ أحداً.. ويقال: أمة عربية؛ لأن لسانها أعربُ الألسنة، وبيانها أجود البيان»[1][2].

«والعربي: الفصيح البيِّن من الكلام قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]»[3].

ووجه وصف القرآن الكريم بأنه (عربي)، فلأنه في أعلى درجات البيان، وأرفع مراتب الإفصاح، عما تحمله الألفاظ من معانٍ، وما تشتمل عليه من أحكام وأخبار، مع سهولة ويسر في قراءته وتلاوة ألفاظه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: ٢٢]، ولأنه نزل على أمة عربية، ونبي عربي، فنزل بلسانهم، ليعقلوه ويفقهوا منه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢][4]، وفي هذا امتنان على أولئك القوم المخاطبين به ابتداء بأنه بلغتهم، وأن فيه حسن سمعتهم ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠]، وأيضاً تعريض بأفن

---

(١) معجم مقاييس اللغة (عرب) (٧٣٩). وانظر: مختار الصحاح (ع ر ب).

(٢) روي أن خمسة من الأنبياء من العرب، وهم إسماعيل ومحمد وشعيب وصالح وهود عليهم السلام، وهذا يدل على أن لسان العرب قديم، وأن هؤلاء الأنبياء كلهم كانوا يسكنون بلاد العرب، وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها، ونطق بلسان أهلها فهو عَرَب. انظر: بصائر ذوي التمييز (٤/٣٨).

(٣) المفردات للراغب (عرب) (٥٥٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣/٦).

رأي الكافرين منهم إذ لم يشكروا هذه النعمة، ويؤمنوا بهذه المنة من الله تعالى[١].

وكون القرآن نزل بلغة العرب، فلأن لغتهم هي أفصح اللغات وأيسرُها وأوسعُها، يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ [٧٧٤هـ]: «وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلذا أُنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة، وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه»[٢].

وورد وصف القرآن بأنه (عربي) في أحد عشر موضعاً، وورد في سياقات متنوعة، فورد مقترناً باسم (القرآن) ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ في ستة مواضع[٣]، وكونه قرآناً فيه إبانة ووضوح من جهة المعاني؛ لأنه ما جُعل مقروءاً إلا لما في تراكيبه من المعاني المفيدة للقارئ، وكونه (عربياً) فيه إبانة ووضوح من جهة ألفاظه لتلك المعاني المقصودة للذين خوطبوا به ابتداء، وهم العرب، إذ لم يكونوا يتبينون شيئاً من الأمم التي حولهم؛ لأن كتبهم كانت باللغات غير العربية[٤]، ووصف القرآن بأنه عربي يدل على أن الكتب السابقة لم تكن بلغة العرب، فالتوراة مثلاً بالعبرانية، والإنجيل بالسريانية، وفي هذا مدح وثناء على هذا الكتاب؛ لأن اللغة العربية أبلغ اللغات وأحسنها فصاحة وانسجاماً، وأيضاً تقريع وتوبيخ للمعاندين من العرب حين لم يتأثروا بمعانيه، ولم يؤمنوا بحقيقته[٥]، التي أنزله الله عليها، ولذا نجد أن الله تعالى ذكر المواضع السابقة كلها في سور افتتحت بالأحرف المقطعة، للدلالة على أنه مكون من تلك

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ١٦٠). (٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦١٣).

(٣) ومن الآيات: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣] وبقية المواضع: [الزمر: ٢٨] [فصلت: ٣] [الشورى: ٧] [الزخرف: ٣].

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ٢٠١).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (٧/ ٣١٤) و(١٠/ ٤٣).

الأحرف التي يتكلم بها العرب، ويتحدثون بها فيما بينهم، فهو قرآن عربي مبين، ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٧٨]؟؟

وكونه عربياً ونزل على أمة عربية، كانت تتميز وتفتخر بالفصاحة والبلاغة، وذلك من خلال الخطب والأشعار، دلالة على إعجازه وبلاغته وفصاحته، وأنه تنزيل من رب العالمين، حيث تحدى الله تعالى أولئك القوم بأن يأتوا ولو بسورة من مثله، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولا إلى مثله مثيلاً وشبيهاً، فسبحان من أنزله.

وقد يقال: إن كان هذا القرآن بلغة العرب، فما هو حال الأعاجم؟ والجواب: أن الله تعالى اختص هذه اللغة لسهولتها ويسرها وأنها غير معقدة، وبإمكان الأعجمي أن يتعلمها بسهولة ويسر ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: ٢٢] أو تترجم معانيه إلى لغات أخرى[(١)].

ومن أساليب وروده، وصفه بأنه ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ﴾ [النحل: ١٠٣] وذلك في ثلاثة مواضع[(٢)]، واللسان هنا بمعنى اللغة يقال: لكل قوم لِسْنٌ؛ أي: لغة، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥][(٣)]، وغلب إطلاق اللسان على اللغة لأن أشرف ما يستعمل فيه اللسان هو الكلام ولأنه آلة التلفظ[(٤)].

والباء في قوله: ﴿بِلِسَانٍ﴾ للملابسة؛ أي: نزل القرآن ملابساً للغة عربية مبينة؛ أي: كائناً القرآن بلغة عربية[(٥)].

وذكر الإمام ابن عاشور [١٣٩٣هـ] نكتة في وجه ذكر لفظ اللسان، فقال: «وأدمج لفظ (اللسان) للدلالة عل أن المراد بعربيته عربية ألفاظه، لا عربية

---

(١) انظر: أسماء القرآن د. غازي (١٢٥).
(٢) وهي: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥] والأحقاف [١٢].
(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (لسن) (٩١٨)؛ المفردات (لسن) (٧٤٠).
(٤) انظر: روح البيان (٦/ ٣٠٦)؛ التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥).
(٥) التحرير والتنوير (٨/ ١٩٠).

أخلاقه؛ لأن أخلاق العرب يومئذ مختلطة من محاسنٍ ومساوٍ، فلما جاء الإسلام نفى عنها المساوي، ولذلك قال النبي ﷺ : «**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**»[(١)](٢)، فالله دره ما أدق نظره، وما أجمل قوله، ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

أما وَصْفُ (عربي) بأنه (مبين) مع أن من معانيه في اللغة الإبانة والإيضاح[(٣)]، فلبيان أن اللغة العربية يوجد فيها ألفاظ وكلمات وتراكيب، ربما تشكل على كثير من العرب، أو بعضهم، فذكر الله تعالى أن هذا الكتاب نزل بلسان عربي مبين؛ أي: بيِّن في نفسه، كاشف لما يراد منه، غير تارك لبساً عند من تدبره[(٤)]، قال ابن كثير [٧٧٤هـ]: «﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك، أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيناً واضحاً ظاهراً، قاطعاً للعذر، مقيماً للحجة، دليلاً على المحجة»[(٥)].

وإذا كان القرآن الكريم ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ فهل يوجد فيه شيء من غير لغة العرب؟؟ ذكر الزركشي[(٦)(٧)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ليس في القرآن غير العربي؛ لأن الله تعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ودلالة ناصعة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [٨٧٢٩]؛ وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٢٤)؛ والحاكم في مستدركه (٢/ ٦٧٠) وقال: صحيح على شرط مسلم؛ وصححه الألباني (صحيح وضعيف الجامع الصغير [٢٣٤٩]).

(٢) المرجع نفسه (١٠/ ٢٥).

(٣) انظر: التعريف اللغوي في أول المبحث.

(٤) انظر: الدرر في تناسب الآي والسور (١٤/ ٩٧).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٦٢).

(٦) هو الإمام الفذ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله، المنهاجي الزركشي، التركي الأصل، المصري، الشافعي، صاحب التصانيف الكثيرة، التي بلغت (٤٥) مصنفاً، ومنها «البرهان في علوم القرآن» و«التذكرة في الأحاديث المشتهرة» وغيرها، توفي سنة ٧٩٤هـ. انظر: طبقات الشافعية (٣/ ١٦٧)؛ شذرات الذهب (٦/ ٣٣٥).

(٧) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٨٣).

على صدقه، وليتحدى العرب العرباء، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته، فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة، وهو قول الجمهور[(١)].

وقال آخرون: بل يوجد في القرآن ألفاظ ليست من لغة العرب، كـ(السجيل) بالفارسية، و(المشكاة) الكوة بالحبشة، و(القسط والقسطاس) العدل بالرومية.. وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية[(٢)].

أما وجود ألفاظ في القرآن من غير لغة العرب فهذا مما لا شك فيه، ولكن العرب عربت هذه الألفاظ، واستعملتها واندمجت في كلامها، فصارت من هذا الوجه عربية، وعلى هذا يحمل كلام من نفى أن يكون في القرآن من غير لغة العرب، وهم أكثر العلماء، ومن أثبت ذلك فمراعاة الأصل، وهذا هو الجمع بين قول من أثبت ومن نفى[(٣)]. وورد عن أبي عبيد القاسم بن سلام[(٤)] أنه حكى الخلاف في ذلك ونسب القول بوقوعه إلى الفقهاء، والمنع إلى أهل اللغة، ثم قال أبو عبيد: «والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية، كما قال الفقهاء، إلا إنها سقطت إلى

---

(١) كابن جرير (١/ ٢٠ ـ ٢١)؛ وابن فارس في الصاحبي (٤٥ ـ ٤٦)؛ وأبو عبيده معمر بن المثنى. انظر: البرهان (١/ ٣٨٤)؛ والشافعي؛ وابن عقيل. انظر: التحبير شرح التحبير (٢/ ٤٦٦) وغيرهم.

(٢) انظر: البرهان (١/ ٣٨٤)؛ الإتقان (١/ ٢٩٣).

(٣) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ٢٤١).

(٤) هو القاسم بن سلام، أبو عبيد الأنصاري، مولاهم البغدادي، الإمام، أحد الأعلام، وذو التصانيف الكثيرة في القراءات والفقه واللغة والشعر، ولي قضاء طرسوس، قال إبراهيم بن أبي طالب: سألت أبا قدامة عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد؟ فقال: أما أفهمهم فالشافعي، وأما أورعهم فأحمد بن حنبل، وأما أحفظهم فإسحاق، وأما أعلمهم بلغات العرب فأبو عبيد، وقال الإمام أحمد: أبو عبيد ممن يزداد كل يوم خيراً، توفي سنة ٢٢٤هـ. انظر: معرفة القراء (١/ ٧٠)؛ طبقات الشافعية (١/ ٦٨).

العرب فعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق.. وإنما فسرنا هذا لئلا يُقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله بغير ما أراده، فهم كانوا أعلم بالتأويل، وأشد تعظيماً للقرآن»(١)، ولعل هذا المذهب هو الأوفق في الجمع بين القولين، وذلك أن العرب الأوائل كانت لهم بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات، وبرحلتي قريش فعلقت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية، غيرت بعضها بالنقص، وجرت في تخفيف ثقل العجمة في البعض الآخر، وعلى هذا الحد نزل القرآن(٢).

ومن أساليب وروده ـ أيضاً ـ وصفه بأنه ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧] وذلك في موضع واحد(٣)، والحُكم هنا بمعنى الحكمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢](٤)، والمعنى أنه حكمة معبر عنها بالعربية، وذلك أن اللغة العربية هي أصح اللغات وأجملها وأيسرها، وفيه إعجازه، فحصل لهذا الكتاب كمالان: كمال من جهة معانيه ومقاصده، وهو كونه حكماً، وكمال من جهة ألفاظه وهو المكنى عنه بكونه عربياً، وذلك ما لم يبلغ إليه كتاب قبله، وأن الحكمة أشرف المعقولات فيناسب شرفها أن يكون إبلاغها بأشرف اللغات وأصلحها للتعبير عن الحكمة(٥). والله أعلم.

❁ ❁
❁

(١) انظر: البرهان (١/ ٣٨٧).
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢٨). وللاستزادة انظر: المزهر في علوم اللغة والأدب للسيوطي (١/ ٢١٢)؛ تفسير روح المعاني (١٢/ ١٧٤).
(٣) وهو قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧].
(٤) وسيكون لهذا الوصف حديث خاص ـ بإذن الله ـ.
(٥) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ١٦٠).

المبحث الثامن

وصف القرآن بأنه عزيز

«(عزَّ) العين والزاء أصل واحد، يدل على شدة وقوة، وما ضاهاهما من غلبة وقهر»(١).

«والعز في الأصل: القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع»(٢).

و (العز) ضد الذل، تقول منه: عَزّ يَعزّ عِزّاً وعَزازة، بالفتح، فهو عزيز؛ أي: قوي بعد ذلة، وعزَّ الشيء - أيضاً - فهو (عَزِيْزٌ) إذا قلَّ فلا يكاد يوجد(٣).

يقول الفيروزآبادي [٨١٧هـ]: «وعزَّ الشيء: قلَّ، اعتباراً بما قيل: كل موجود مملول، وكل مفقود مطلوب»(٤).

ووجه وصف القرآن بأنه (عزيز) فلأنه غالب بقوة حجته، وفصاحته، وبيانه، كل ما سواه، سواء الكتب السماوية السابقة، أو أولئك الفصحاء البلغاء الذين نزل القرآن بين أظهرهم، وكانوا أهل فصاحة وبيان، وبلاغة وتبيان(٥)، وقاهر لا يقدر أحد أن يأتي بمثله، أو يعارضه ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨](٦)، ولأنه بصحة معانيه، ممتنع الطعن فيه، والإزراء عليه، منيع الجناب لا يرام، وهو محفوظ من الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ

(١) معجم مقاييس اللغة (عز) (٦٣٥).
(٢) تاج العروس (عزز) (١٥/ ٢١٩).
(٣) انظر: مختار الصحاح (ع ز).
(٤) بصائر ذوي التمييز (عز) (٤/ ٦٢).
(٥) انظر: التفسير الكبير (٢٧/ ١١٤).
(٦) انظر: معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٧٥)؛ البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٥).

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩][١]، وهو عزيز يصعب مناله، ووجود مثله، في الكون كله، بل ومحال ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان: ٣٣][٢].

فلك الحمد ربنا على ما أوليتنا من نعم، وجعلتنا من خير الأمم، حيث أنزلت علينا كتاباً عزيزاً ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]، وأرسلت إلينا رسولاً عزيزاً ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وجعلتنا أمة عزيزة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨][٣]، فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلالك، وعظيم سلطانك..

وورد وصف القرآن بأنه (عزيز) في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١] واختلفت وتنوعت أقوال السلف في تفسير هذه الآية، فقال ابن عباس: كريم شريف[٤]، وقال السدي: عزيز من الشيطان، وقال قتادة: أعزه الله تعالى؛ لأنه كلامه، وحفظه من الباطل[٥]، وقال مقاتل[٦]: منيع من الباطل فلا يستذل؛ لأنه كلام الله[٧].

وجميع الأقوال صحيحة، وهي من اختلاف التنوع لا التضاد ـ والحمد لله ـ، وهي بمجموعها، وما قيل في وجه التسمية، دال على حقيقة

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤٣)؛ المحرر الوجيز (١٦٥٦)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٣٠)؛ فتح القدير (٤/ ٥١٩).

(٢) انظر: المفردات للراغب (٥٦٤)؛ التفسير الكبير (٢٧/ ١١٤).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢/ ١٧).

(٤) تنوير المقباس (٤٠٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٤٣).

(٦) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، الخراساني المروزي، أبو الحسن، أصله من بلخ، وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها، وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور، وكان من العلماء الأجلاء، حكي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: الناس كلهم عيال على ثلاثة، على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير ابن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٢٥٥)؛ المنتظم (٨/ ١٢٦).

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٦٨).

هذا القرآن وكنهه، ومن أصدق من الله حديثاً، ومن أصدق من الله قيلاً، فهو عزيز غالب قاهر منيع، محفوظ أن يتطرق إليه الخطأ، أو يحتمل الزلل، فالحمد لله أولاً وآخراً.

المبحث التاسع

وصف القرآن بأنه عظيم

«العين والظاء والميم أصل واحد صحيح، يدل على كِبر وقوَّة، فالعِظَم: مصدر الشيء العظيم، تقول: عظُم يَعظُم عِظَماً»[١].

و«عظُم الشيء أي: كبر، فهو (عظيم) و(عُظام)»[٢].

و«(أعظمته) بالألف، و(عظمته) (تعظيماً) مثل وقرته توقيراً، وفخمته»[٣]. وعظم الشيء أصله: كبر عظْمه، ثم استعير لكل كبير، فأجري مجراه محسوساً كان أو معقولاً، عيناً كان أو معنى»[٤].

و«التعظيم: التبجيل.. وعظمات القوم، سادتهم وذوو شرفهم»[٥].

ووجه وصف القرآن بأنه (عظيم) فلأن أسلوبه ومعانيه، وترغيبه وترهيبه، وأمره ونهيه، وأحكامه وأخباره، وأقاصيصه وأمثاله، عظيمة وكبيرة[٦]، حيث لا يدانيه كتاب، ولا يجاريه خطاب «فعطاؤه لا ينقطع، وبركته لا تنتهي، وإعجازه دائم، وعلومه متجددة متوالية، وعجائبه لا تنتهي، وخيره لا ينفد»[٧] حتى لو نزل على جبل لتدكتك وتصدع من عظمته وهيبته ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وبيَّن سبحانه عظمة هذا الكتاب، بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] أي: لو أن قرآناً سيرت به الجبال عن

(١) معجم مقاييس اللغة، (عظم) (٧٦١).
(٢) مختار الصحاح (ع ظ م).
(٣) المصباح المنير (عظم) (٢١٦).
(٤) المفردات للراغب (عظم) (٥٧٣).
(٥) لسان العرب (عظم) (١٢/ ٤١١).
(٦) انظر: الهدى والبيان في أسماء القرآن (٢/ ٣٤).
(٧) أسماء القرآن د. خمساوي (١٤٥).

مقارِّها، وزعزعت عن مضاجعها، كما فعل ذلك بالطور لموسى ﷺ، أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعاً، وجعلت أنهاراً وعيوناً، كما فعل بالحجر حين ضربه موسى ﷺ بعصاه، أو كلِّم به الموتى بعد ما أحييت بقراءته عليها فتسمع وتجيب، كما أحييت لعيسى ﷺ، لكان هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى، ونهاية في الإنذار والتخويف[(١)]. وفي هذا بيان لحقيقة هذا الكتاب، وعظمته.

وورد وصف القرآن بـ(العظيم) في موضعين من كتاب الله تعالى، وورد محلاً بـ(ال) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧]، والتعريف هنا للشهرة والكمال، وإن كان المفسرون اختلفوا في المراد بـ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ في الآية على قولين، فمنهم من قال إن المراد بـ(القرآن العظيم) فاتحة الكتاب، حيث وصفها الله تعالى بأنها قرآن عظيم، ووصفها النبي ﷺ بذلك، كما في حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلْ اللهُ:** ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، **ثُمَّ قَالَ لِي: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[(٢)] قاله أبو هريرة[(٣)(٤)]، وقيل: بل المراد جميع

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٣٥٢)؛ إرشاد العقل السليم (٥/ ٢١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: وسميت أم الكتاب، حديث [٤٢٠٤].

(٣) هو أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله ﷺ، وهو عمير بن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف ابن عتاب بن أبي صعب بن دوس، واختلف في اسمه كثيراً، أسلم عام خيبر، وهو راوية الإسلام، توفي سنة ٥٧ وقيل ٥٨ وقيل ٥٩هـ. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٧٦٨)؛ الإصابة (٤/ ٣١٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٢١)؛ زاد المسير (٤/ ٤١٥).

القرآن، قاله ابن مسعود[١] وابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم[٢]، فالعطف إما أن يكون من عطف الكل على البعض، أو العام على الخاص، أو يكون عطف الكل على الكل، أو عطف أحد الوصفين على الآخر[٣].

وسواء كان المراد بـ(القرآن العظيم) فاتحة الكتاب، فهو من إطلاق الوصف على الجزء، فإذا صح إطلاقه على بعضه، فإنه يقتضي أن القرآن كله موصوف بالعظمة لما فيه من هذه الصفة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ [ص: ٦٧].. كما أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى، فأشار إلى مسجده، والآية نزلت في مسجد قباء، فلا تنافي، فإن ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة[٤].. أو كان المراد به القرآن كله، وهو الأظهر، والذي عليه جمهور المفسرين[٥]، فيكون ظاهراً الوصف به، ويمكن توجيه قول النبي ﷺ: «**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**» أنه أراد بـ(السبع المثاني) الفاتحة، ولكنه في سياق الاستشهاد بالآية ساقها بتمامها.. وكذلك أن العطف ـ في الأصل ـ يوجب المغايرة.. والله أعلم.

والله ﷻ ذكر في مطلع الآية فعل (الإيتاء) دون الإنزال أو الوحي.. وذلك أن الإيتاء والإعطاء، أظهر في الإكرام والمنة[٦].

---

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن هذيل، أبو عبد الرحمٰن الهذلي، كان من أوائل من أسلم، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها، ولازم رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكان صاحب نعليه، روى أحاديث كثيرة، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ. انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٨٧)؛ والإصابة (٤/ ٢٣٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٢١)؛ زاد المسير (٤/ ٤١٥)؛ الدر المنثور (٥/ ٩٣ ـ ٩٨).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم (٥/ ٨٩)؛ روح المعاني (١٤/ ٧٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٧٣٥).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢١٠)؛ تفسير الطبري (١٤/ ١٢٦)؛ تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٩١)؛ تفسير السمرقندي (٢/ ٢٦١)؛ الوجيز (١/ ٥٩٧)؛ مدارك التنزيل (٢/ ٢٤٧)؛ فتح القدير (٣/ ١٤٢)؛ في ظلال القرآن (٤/ ٢١٥٤).. وغيرهم.

(٦) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ٧٩).

وورد بصيغة النكرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ [ص: ٦٧][١] وفيه تعظيم وتفخيم لشأنه، ورفع من قدره ومكانته، حيث إنه مشتمل على أعظم المعاني، بأعظم أسلوب، وكل ما حوى وجمع وورد فيه، فهو عظيم.

وورد وصف القرآن بأنه (عظيم) في القرآن المكي، وذلك للتعريض بفساد عقول الكافرين الذين أنكروا وأعرضوا عن هذا القرآن[٢]، مع أنه عظيم في نفسه، معظَّم لمن آمن به، واتبعه ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ولكن الهوى والغفلة والإعراض، صدهم عن الإيمان به واتباعه، فأورثهم ذلك ذلةً وصغاراً في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

(١) وقد اختلف المفسرون في المراد بهذا (النبأ) على قولين: ولعل أصحهما أنه القرآن، وسيأتي مزيد بيان وإيضاح عند الحديث الخاص عن هذا الوصف.

(٢) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (١٠٦).

المبحث العاشر

وصف القرآن بأنه عليٌّ

«العين واللام والحرف المعتل، ياءً كان، أو واواً، أو ألفاً، أصل واحد يدل على السمو والارتفاع، لا يشذ عنه شيء»(١).

و«العليُّ: الرفيع، وأعلاه الله؛ أي: رفعه»(٢). و«(علا) الشيء (عُلُواً) كسُمُو، فهو (عَلِيٌّ) كغني، و(عَلِيَ) كرضي، وقيل: تَعَلَّى إذا علا في مهلة»(٣). قال الخليل [١٧٥هـ]: «أصل هذا البناء العُلُو: فأما العَلاء فالرفعة، وأما العُلُوّ: فالعظمة والتَّجبر.. ويقال لكل شيء يعلو: علا يعلو، فإن كان في الرفعة والشرف قيل: عَلِيٌّ يَعْلَى»(٤).

ووجه وصف القرآن بأنه (عليٌّ) فلبيان أنه وإن جحده الجاحدون، وكفر به الكافرون، وصد عنه المعرضون، فهو ذو مكانة رفيعة عند الله تعالى، يقول قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: وإن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا لعلي رفيع شريف»(٥)، ولتقرير أن أهل القرآن الذين آمنوا به، وصدقوه، وعملوا بما فيه، ينالون العزة ويستحقون الرفعة والمكانة الشريفة في هذه الدنيا، كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ولإيضاح مكانته المرموقة، ومرتبته العالية، من بين الكتب السماوية السابقة، وذلك بإعجازه، واشتماله على عظيم الأسرار(٦)، وللدلالة على أن ما فيه من أحكام، وأخبار،

---

(١) معجم مقاييس اللغة (علو) (٦٦٤).
(٢) مختار الصحاح (ع ل ا).
(٣) تاج العروس (علو) (٣٩/ ٨٢).
(٤) معجم مقاييس اللغة (علو) (٦٦٥).
(٥) انظر: معالم التنزيل (١١٦٥)؛ فتح القدير (٤/ ٥٤٧).
(٦) انظر: تفسير البيضاوي (٨/ ٣٧٢)؛ البحر المحيط (٨/ ٩)؛ روح المعاني (٢٥/ ٦٤).

وقصص، ووعد ووعيد، وترغيب وترهيب، عاليةٌ سامية في ذاتها، فهي سهلة في التطبيق، ويسيرة في الفهم، وواضحة في الدلالة، مع ما تُكسب العامل من علوٍّ ورفعة في الروح، وأُنْسِهَا وارتباطها بخالقها ﷻ.

وورد وصف القرآن بأنه (عليٌّ) في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٤] ومجيئه بصيغة التنكير لإرادة الشمول في العلو والرفعة لجميع جوانب هذا الكتاب العزيز المجيد.

وفي معنى الآية، يقول ابن جزي [٧٤١هـ]: «أن القرآن وصف في اللوح المحفوظ بأنه علي حكيم، وقيل: أن القرآن نسخ بجملته في اللوح المحفوظ، ومنه كان جبريل ينقله، فوصفه الله بأنه علي حكيم؛ لكونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، والأول أظهر وأشهر»[1].

وورود هذا الوصف في القرآن المكي مناسبٌ لذلك المجتمع الذي انصرف أكثر الناس فيه عن كتاب الله تعالى، وأسرفوا على أنفسهم في الطغيان، وتعددت عندهم ألوان العصيان، فبين الله تعالى لهم حقيقة هذا الكتاب وكنهه، وأنه عليٌّ رفيع عن إسرافهم وعصيانهم، وأنهم لا يضرون بذلك إلا أنفسهم، ولا يضرون الله تعالى ولا كتابه شيئاً، وأنهم إن كانوا يريدون العلو والرفعة والعزة، فهو في الاتباع والإيمان بهذا الكتاب العليِّ الحكيم.

❁ ❁ ❁

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٥). وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٦)؛ وتفسير القرآن العظيم (٤/ ١٥٦)؛ المحرر الوجيز (١٦٧٤).

المبحث الحادي عشر

وصف القرآن بأنه القول

«القاف والواو واللام أصل واحد صحيح يقلُّ كلمه، وهو القول من النطق، يقال: قال يقول قولاً»(١).

والقول: الكلام على الترتيب، وهو يستعمل للمركب من الحروف المُبْرَز بالنطق، مفرداً كان أو جملة، فالمفرد كقولك: زيد، وخرج، والمركب: أزيد منطلق، ونحو ذلك، وقد يسمى الجزء الواحد من الأنواع الثلاثة (الاسم، الفعل، الحرف) قولاً، كما تسمى القصيدة والخطبة ونحوهما قولاً(٢).

يقول الجرجاني [٨١٦هـ]: القول هو اللفظ المركب في القضية الملفوظة، أو المفهوم المركب العقلي في القضية المعقولة(٣).

ووجه وصف القرآن بأنه (القول)، فلأنه مشتمل على ألفاظ وجمل وتراكيب، في أحسن ترتيب، وأجمل تنظيم، وهو كلام الله تعالى وقوله حقيقة لا قول غيره، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، صحابة وتابعين، وهو الإيمان والتصديق بأن القرآن قول الله وكلامه، تكلم به كما شاء تعالى(٤)، حيث خاطب به العالمين جميعاً، ليكون لهم نبراساً وهدى يتبعونه، وصراطاً مستقيماً يسيرون عليه ويقتفونه، فمن تمسك به نجا، ومن ضل عنه غوى.

و(القول) إن كان كذباً وزوراً يعرف من نفس القول تارة، وتارة من

---

(١) معجم مقاييس اللغة (قول) (٨٣٩).

(٢) انظر: المفردات للراغب (قول) (٦٨٨)؛ بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٠٣)؛ تاج العروس (قول) (٣٠/ ٢٩١).

(٣) التعريفات (٢٣٠).

(٤) انظر: الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ٢٣١).

تناقضه واضطرابه، وظهور شواهد الكذب عليه، ويعرف من حال القائل تارة، فإن المعروف بالكذب والخداع لا تكون أقواله إلا مناسبة لأفعاله، ولا يأتي من القول والفعل ما يتأتى من البار الصادق، فذكر الله تعالى أن هذا القرآن هو (قول) ودعاهم إلى تدبره وتأمل سيرة القائل به وأحواله.. لأن من تدبره ونظر فيه بعين البصيرة تبينت له الحقيقة، وبان له الأمر، وعلم أن ما جاء فيه هو في أعلى مراتب الصدق، وأن المتكلم به أصدق الصادقين(١).

وورد وصف القرآن بـ(القول) سبع مرات، وجاء بأساليب مختلفة، فورد محلاً بـ(ال) في ثلاثة مواضع(٢)، و(ال) هنا لتعريف العهد؛ أي: القول المعهود(٣)، حيث سبق الآيات الثلاث حديث عن القرآن، وحث على اتباعه، والإيمان به، والثناء عليه بما يليق به، وما يستحقه، ثم بين تعالى أن هذا هو القول الحق، الذي لا يدانيه قول، ولا يساويه كلام، ففيه تفخيم وتعظيم لشأنه.

وبين تعالى أن سبب من أعرض عنه، وسر من صد عنه، هو عدم التدبر والتأمل فيه؛ لأن من تدبره وتأمله «لا يملك أن يظل معرضاً عنه، ففيه من الجمال، وفيه من الكمال، وفيه من التناسق، وفيه من الجاذبية، وفيه من موافقة الفطرة، وفيه من الإيحاءات الوجدانية، وفيه من غذاء القلب، وفيه من زاد الفكر، وفيه من عظمة الاتجاهات، وفيه من قويم المناهج، وفيه من محكم التشريع.. وفيه من كل ما يستجيش كل عناصر الفطرة ويغذيها ويلبيها..»(٤)، ومما يدعو إلى التدبر والتأمل هو نزوله منجماً، كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص: ٥١] أي: أتبعنا بعض القول ـ الذي لا قول في الحقيقة سواه ـ بعضاً بالإنزال منجماً،

---

(١) انظر: الضوء المنير على التفسير (٤/ ٣١٨).

(٢) والآيات هي: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص: ٥١] ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٥)؛ التحرير والتنوير (٨/ ١٤٢).

(٤) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٧٤).

قطعاً بعضها إثر بعض، لتكون جواباً لأقوالهم، وحلاً لإشكالهم، فيكون أقرب إلى الفهم، وأولى بالتدبر[١]، والتوصيل مبالغة في الوصل، وهو ضم بعض الشيء إلى بعض، وله أحوال كثيرة، منها ما سبق، وكذلك التفصيل والبيان لهذا القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٤] وهو قول مجاهد والسدي[٢].

وبما أن (القول) يطلق على ما كان مكتفياً بنفسه، وما لم يكن مكتفياً بنفسه[٣]، افتتح الله تعالى الآيات التي ذكر فيها وصف القرآن بأنه (القول) بالأمر بالتدبر والحث على التأمل والاستماع إلى هذا القول؛ للدلالة على أنه كامل في نفسه، مكتفٍ عن غيره، من الأقوال والكلام..

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(القول) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨] على قولين:

الأول: أن (القول) هنا عام، فهم يستمعون الأقوال ويتبعون أحسن ما فيها، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع، ويكف عما سواه»[٤]، وهو قول قتادة، ورجحه الطبري، وابن عطية، وأبو السعود، والسعدي[٥].

الثاني: أن المراد بـ(القول) القرآن: فهم يستمعون القرآن ويقدمون الأحسن الذي هو أشد حسناً على الأحسن الذي هو دونه في الحسن[٦]. وهو قول مقاتل والضحاك[٧]، ورجح هذا القول جمع من المفسرين، منهم ابن أبي

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآي والسور (١٤/ ٣١٣).
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٨)؛ تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٢٢)؛ التحرير والتنوير (٤/ ٣٦٢).
(٣) الخصائص لابن جني (١/ ١٨).
(٤) انظر: تنوير المقباس (٣٨٧)؛ الكشاف (٥/ ٢٩٧)؛ التفسير الكبير (٢٦/ ٢٢٨).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٨٥)؛ المحرر الوجيز (١٦١٤)؛ إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٤٨)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٧٢٢).
(٦) انظر: أضواء البيان (٤/ ٣٦٢).
(٧) انظر: معاني القرآن للنحاس (٦/ ١٦٢)؛ تفسير مقاتل (٣/ ١٣٠).

زمنين، والبغوي، والسمرقندي، وعزاه ابن الجوزي إلى الجمهور(١)، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية(٢)(٣).

وهو الأظهر؛ لأن الله ﷻ في أكثر من آية في كتابه وصف هذا القرآن المجيد بـ(القول) فيُحمل هنا على مثيلاته، وأيضاً هو اختيار وترجيح جمهور المفسرين كما حكاه ابن الجوزي، وربما يكون الدافع لأصحاب القول الأول إشكالية أن الله تعالى تعبدنا باتباع القرآن كله، وليس فيه حسن وسيء، بل كله حسن، وقد أجاب عن هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية [٧٢٨هـ] بأحسن جواب، فقال: «الجواب الأول: أن هذا مثل قوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥] فقد أمر المؤمنين باتباع أحسن ما أنزل إليهم من ربهم، وهذا أبلغ من تلك الآية، فإن تلك إنما فيها مدح باتباع الأحسن، ولا ريب أن القرآن فيه الخبر والأمر بالحسن والأحسن، واتباع القول إنما هو العمل بمقتضاه ومقتضاه فيه حسن وأحسن، ليس كله أحسن، وإن كان القرآن في نفسه أحسن الحديث، ففرق بين حُسن الكلام بالنسبة إلى غيره من الكلام، وبين حُسنه بالنسبة إلى مقتضاه المأمور والمخبر عنه، واتباع المقربين أحسن، والأمر يتضمن الأمر بالواجبات والمستحبات ولا ريب أن الاقتصار على فعل الواجبات حسن، وفعل المستحبات معها أحسن، ومن اتبع الأحسن فاقتدى بالمقربين وتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض كان أحقَ بالبشرى.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العزيز (٤/ ١٠٨)؛ معالم التنزيل (١١٢٣)؛ تفسير السمرقندي (٣/ ١٧٣)؛ زاد المسير (٧/ ١٧٠).

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم ابن تيمية الحراني، الدمشقي، الحنبلي، تقي الدين، أبو العباس، شيخ الاسلام إمام الأئمة المجتهد المطلق، تمهر وتقدم وصنف ودرس وأفتى وفاق الأقران، وصار عجباً فى سرعة الاستحضار، وقوة الجنان، والتوسع فى المنقول والمعقول، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف، ابتلي فصبر وصابر، وسجن وأوذي، وصنف في سائر العلوم، حتى قيل: إنها بلغت ثلاث مائة مجلدة، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٧/ ١١)؛ البدر الطالع (١/ ٦٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٥).

الوجه الثاني: أن يقال إنه قال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، والقرآن تضمن خبراً وأمراً فالخبر عن الأبرار والمقربين وعن الكفار والفجار فلا ريب أن اتباع الصنفين حسن، واتباع المقربين أحسن، والأمر يتضمن الأمر بالواجبات والمستحبات، ولا ريب أن الاقتصار على فعل الواجبات حسن وفعل المستحبات معها أحسن ومن اتبع الأحسن فاقتدى بالمقربين وتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض كان أحق بالبشرى»[١].

ومن أساليب وروده ما جاء مضافاً إلى (رسول) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٤٠] وذلك في موضعين[٢]، والإضافة هنا لأدنى ملابسة، وإلا فالقرآن جعله الله تعالى وأجراه على لسان النبي ﷺ كما صدر من جبريل بإيحائه بواسطته[٣]، والإضافة هنا على سبيل التبليغ، كما جاء بعد الآية: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٤٣][٤].

وفي ذكر اسم (رسول) دون غيره كنبي، أو عبد، دلالةٌ على أن القول قول مرسله، وهو الله تعالى، ولا حجةَ لمن استدل بهاتين الآيتين على أن القرآن ليس بكلام الله، فإن الإيهام الحاصل من قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ﴾ يدفعه ذكر الرسول؛ لأنه يدل على أن الكلام لغيره، لكنه أُرسِلَ بتبليغه، فمعنى قوله: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ أي: تبليغه عمن أرسله من غير زيادة ولا نقصان[٥].

والأوصاف التي نعت بها الرسول عليه الصلاة والسلام فيها ثناء على القرآن، وتنويه به، وصيانة عن التغيير والتبديل، ونص في تمكين حفظ ما أرسل به[٦].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥ ـ ٨) بتصرف.

(٢) وهما: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٤٠] [التكوير: ١٥].

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٤١ ـ ١٢/ ١٥٥).

(٤) انظر: أضواء البيان (٥/ ٤٣٩).

(٥) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشيقيطي، اعتناء: عمر السلامي، ط١ (بيروت: التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ) ص(٢٥٧).

(٦) انظر: أضواء البيان (٥/ ٥٦٢)؛ التحرير والتنوير (١٢/ ١٥٥).

ومن أساليب وروده، وصفه بأنه ثقيل، وذلك في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥] واختلفت أقوال المفسرين في بيان هذا الثِّقل، وإن كان اختلافهم هو في الحقيقة اختلاف تنوع لا تضاد، فمما قيل: إنه سمى ثقيلاً لما كان النبي ﷺ يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه، حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد(١)، وقد كان يثقُل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك، حتى إذا أوحي إليه وهو على ناقته بركت به، فالثقل هنا حقيقي، وقيل: إنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعده ووعيده، وقيل: إنه ثقيل في الميزان، وقيل: إنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي(٢) ورجحه ابن جرير، وقيل: إنه قول متين في صحته وبيانه ونفعه.. وقيل غيرُ ذلك، وجماع ذلك أن يقال: القرآن ثقيل؛ أي: رزين وكريم وعظيم، لما فيه من المعاني الجليلة والأسرار البديعة، والحكم والأحكام، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، والفرائض والحدود، وغير ذلك مما اشتمل عليه القرآن، وجميعُ ذلك كلِه في صالح البشرية في دينها ودنياها وآخرتها(٣).

ومن أساليب وروده، وصفه بأنه فصل، وذلك في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ [الطارق: ١٣] فالله تعالى يبين أن كتابه الكريم هو قول وكلام من جنس كلام الآدميين، مكون من أحرف وكلمات وجمل

---

(١) فقد جاء في الحديث عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَحْيَاناً يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَاناً يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ»**. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً. الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: بدء الوحي، حديث [٢].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٦٦)؛ معالم التنزيل (١٣٥٧)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ١٥٧)؛ التفسير الكبير (٣٠/ ١٥٤)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٥٩)؛ إرشاد العقل السليم (٩/ ٥٠).

(٣) انظر: الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ٢٤٣).

عربية، ولكنه قولٌ غيرَ كلِ الأقوال، وكلامٌ أفضلَ من سائر الكلام؛ لأنه قول فصل؛ أي: فاصل، فهو فاصل بين الحق والباطل، والنافع والضار، والهدى والضلال، والطاعة والمعصية «بل إنه فصل؛ أي: قاطع لكل من ناوأه وعاداه، ولهذا نجد المسلمين لما كانوا يجاهدون الكفار بالقرآن نجدهم غلبوا الكفار، وقطعوا دابرهم، وقضي بينهم، فلما أعرضوا عن القرآن، هُزموا وأذلوا بقدر بعدهم عن القرآن، وكلما أبعد الإنسان عن كتاب الله ابتعدت عنه العزة، وابتعد عنه النصر، حتى يرجع إلى كتاب الله ﷻ»[1]، والإخبار بالبعد للمبالغة فهو فصل على سبيل العموم، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

ثم أعقب الله تعالى هذا الثناء بقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١٤] وفيه رد على المشركين إذ كانوا يزعمون أن النبي ﷺ جاء يهزل إذ يخبر بأن الموتى سيحيون، يريدون تضليل عامتهم حين يسمعون قوارع القرآن وإرشاده، وجزالة معانيه، يختلقون لهم تلك المعاذير ليصرفوهم عن أن يتدبروا القرآن، فالهزل ضد الجد، ومثل هذه الصفة إذا وردت في الكلام البليغ لا محمل لها إلا إرادة التعريض، وإلا كان تقصيراً في المدح لا سيما إذا سبقها محمدة من المحامد العظيمة[2].

وورد هذا الوصف في السور المكية والمدنية، وذلك أنه يتعلق ببيان حقيقة هذا الكتاب وكنهه، مما يناسبه الحقبة المكية، على وجه التحدي والإعجاز، والفترة المدنية، لبيان أنه من أفضل وأعلى وأرفع الأقوال.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن الكريم (جزء عم) (١٥٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٦٧).

المبحث الثاني عشر

وصف القرآن بأنه قيِّم

«القاف والواو والميم أصلان صحيحان.. والآخر: على انتصاب أو عزم»[١].

ويقال أمر قيِّم؛ أي: مستقيم، وقيِّم الأمر: مقيمه[٢]. فالقيم هو المستقيم، ويطلق على المُقوِّم لغيره، كما قال الراغب [٤٢٥هـ]: «أي: ثابتاً مقوِّماً لأمور معاشهم ومعادهم»[٣]، ومنه القيم: وهو السيد وسائس الأمر، وقيِّم القوم: الذي يقوِّمهم ويسوس أمرهم[٤].

وإن كان الأصل والأكثر فسروا (القيم) بالمستقيم[٥].

ووجه وصف القرآن بأنه (قيِّم) فلأنه مستقيم ومعتدل في أخباره وقصصه، ووعده ووعيده، وأمره ونهيه، وترغيبه وترهيبه، لا نقص فيه ولا زيادة، ولا إفراط ولا تفريط، فهو قيِّم لا عوج فيه ولا ميل[٦]، وهو ليس قيماً في نفسه فحسب، بل ومكمِّلاً لغيره، بدلالة العباد إلى مصالحهم وشرائع دينهم، وأمور معاشهم ومعادهم، وهو كذلك قيماً على سائر الكتب بتصديقها، واحتوائه لثمرتها، وأصلح ما فيها[٧].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (قوم) (٨٣٩).

(٢) انظر: لسان العرب (قوم) (١٢/ ٥٠٢). (٣) المفردات للراغب (قوم) (٦٩١).

(٤) انظر: لسان العرب (قوم) (١٢/ ٥٠٠).

(٥) انظر: الترجمان والدليل لآيات التنزيل، المختار أحمد الشيقيطي، (الرياض: دار روضة الصغير) (٢/ ٦٤٠).

(٦) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك. انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٤٠).

(٧) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٨٤)؛ البحر المحيط (٦/ ١٢٠).

وورد وصف القرآن بأنه (قيِّم) في موضعين[١]، وفي آية الكهف ذكر الله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١، ٢] فذكر بعض المفسرين أن (قيماً) هنا لتأكيد ما قبلها ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾، وذلك للدلالة على أنه مستقيم ومعتدل في نفسه[٢]، ولكن طائفة من المفسرين ذكروا أن: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ فيه إشارة إلى كون القرآن كاملاً في نفسه، و﴿قَيِّمًا﴾ إشارة إلى كونه مكمِّلاً لغيره؛ لأن القيم عبارة عن القائم بمصالح الغير، وبينوا أنه لا معنى لنفي الاعوجاج إلا حصول الاستقامة، وتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار[٣]، وكلا المعنيين تسنده اللغة، وإن كنت أميل إلى القول الثاني؛ لأن التأسيس في الكلام أولى من التأكيد، كما تقرره القاعدة الأصولية[٤]، «ويشهد له أيضاً قوله تعالى في وصف (الكتاب): ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢] فقوله: ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ إشارة إلى كونه في نفسه بالغاً في الصحة وعدم الإخلال إلى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه، وقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إشارة إلى كونه سبباً لهداية الخلق، وإكمال حالهم»[٥]. ووجه نصب ﴿قَيِّمًا﴾ قيل: هو حال من الكتاب، ويكون تقدير الكلام (وأنزل الكتاب قيماً)، وقيل: إنه منصوب بفعل محذوف تقديره (جعله قيماً) وهو حال أيضاً[٦].

و(القيم) «صيغة مبالغة من القيام المجازي الذي يطلق على دوام تعهد شيء وملازمة صلاحه؛ لأن التعهد يستلزم القيام لرؤية الشيء والتيقظ لأحواله»[٧].

---

(١) وهما: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ٢] ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: ٣].

(٢) وهو قول ابن عباس والضحاك، ورجحه الطبري (١٥/ ١٤٠)؛ وابن كثير في تفسيره (٣/ ٩٨)؛ وابن عثيمين في تفسيره (سورة الكهف) (٩).

(٣) قاله الرازي. انظر: التفسير الكبير (٢١/ ٦٤)، وانتصر له بقوة، ورجحه أيضاً ابن عاشور في التحرير والتنوير (٦/ ٢٤٨).

(٤) انظر: الأشباه والنظائر، عبد الرحمن السيوطي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ) ص(١٣٥).

(٥) التفسير الكبير (٢١/ ٦٣).

(٦) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٨٣٧). (٧) التحرير والتنوير (٦/ ٢٤٨).

وفي الموضع الآخر وصف الله تعالى القرآن بقوله: ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: ٢، ٣] والمراد بالكتب هنا أي: المكتوبات قيمة، وهو جمع كتاب، بمعنى مكتوب، ويكون المعنى أن هذه الصحف مكتوبات قيمة كتبها الله ﷻ، وإذا نظر الإنسان وتصفح كتاب الله تعالى وجده يتضمن كتباً أي: مكتوبات قيمة، مثل ما جاء به القرآن من توحيد لله تعالى، والثناء عليه، وحمده وتسبيحه، وما ورد فيه من وصف النبي ﷺ ووصف أصحابه المهاجرين والأنصار، ووصف التابعين لهم بإحسان، وكذلك الأمر بالصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان والحج، وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة، فكل ما جاء به القرآن فهو يتم بنفسه، وكذلك هو مقيم لغيره(١)، وهو أيضاً قد جمع ثمرة كتب الله تعالى السابقة، واحتوى ما فيها من معانٍ مما لم يحرَّف أو يبطل، فالقرآن زبدةُ ما في الكتب الأولى، ومجْمع ثمرتها(٢)، كما قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩]، أو يكون المراد بالكتب هنا سور القرآن، وآياته، فإن كل سورة منه كتاب قويم(٣).

ومن الأوصاف غير الصريحة الدالة على أن كتاب الله تعالى (قيِّم) نفي العوج عنه كما في قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾ [الزمر: ٢٨]، وهو أبلغ من (قيم) لأن عوجاً نكرة وقعت في سياق النفي، وهو (غير)، فيقتضي أنه لا عوج فيه أصلاً، والاستقامة يجوز أن تكون من وجه دون وجه، ولأنه ـ كذلك ـ نفى عنه مصاحبة العوج، فيقتضي نفي اتصافه به بالطريق الأولى(٤).

واختلفت عبارات المفسرين في تفسيرهم لـ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ فقال عثمان بن

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم (جزء عم) لابن عثيمين (٢٨١).
(٢) انظر: المفردات للراغب (٦٩١)؛ عمدة الحفاظ (٣/ ٤١٤)؛ التحرير والتنوير (١٢/ ٤٧٧).
(٣) انظر: تفسير المراغي (٣٠/ ٢١٤).
(٤) انظر: حاشية الشهاب الخفاجي (٨/ ١٩٨).

عفان رضي الله عنه: غير متضاد، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: غير مختلف، وقال مجاهد: غير ذي لبس[١].. فالقرآن لا تضاد فيه ولا اختلاف، ولا خلل ولا نقص، لا في ألفاظه، ولا في معانيه، بل كامل من جميع الصفات، وشتى النواحي.

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٢٣٣)؛ المحرر الوجيز (١٦١٦)؛ الدر المنثور (٧/ ٢٢٣).

المبحث الثالث عشر

وصف القرآن بأنه [كلمات]، و[كلام الله]

«الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدل على نطق مُفهِم.. تقول: كلّمته أُكلِّمه تكليماً، وهو كَلِيمي إذا كلّمك أو كلَّمته، ثم يتسعون فيسمون اللفظة الواحدة المُفهِمة كلمة، والقصة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة»[(١)].

و«(الكلام) اسم جنس يقع على القليل والكثير»[(٢)].

«و(الكلْمُ) التأثير المدرك بإحدى الحاستين، فالكلام: يدرك بحاسة السمع، والكَلْم: بحاسة البصر.. و(الكلام) يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة»[(٣)].

«والقرآن كلام الله، وكَلِم الله، وكلمات الله، وكلمة الله، وهو كيفما تصرّف متلواً ومحفوظاً ومكتوباً غير مخلوق»[(٤)].

ووجه وصف القرآن بأنه (كلم) فلأن ألفاظه ومعانيه تؤثر في ذهن السامع، وتلين قلب التالي، وتفيد القارئ والسامع فائدة لم تكن عنده[(٥)]. فهو مشتق من (الكلم) وهو التأثير.. وللترغيب في قراءته وسماعه ومدارسته، والعناية به؛ لأنه ليس كلام أحد من عَرَض البشر، بل هو كلام رب البشر ﷻ وكلما كان المتكلم عظيماً، كانت النفوس أرغب في السماع له، والإنصات لقوله، فما بالك إذا كان المتكلم هو رب العالمين، وخالق الخلق أجمعين؟؟

«والقرآن الكريم كلام الله حقيقة، لا كلام غيره، هو كلامه تعالى حروفه

---

(١) معجم مقاييس اللغة (كلم) (٨٧٤). (٢) مختار الصحاح (ك ل م).
(٣) المفردات للراغب (كلم) (٧٢٢). (٤) تهذيب اللغة (ك ل م) (١٠/ ١٤٧).
(٥) انظر: البرهان (١/ ٣٧٥)؛ الإتقان (١/ ١١٣).

ومعانيه، ليس بمخلوق ولا مفترى... وليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، هذا هو المعتقد السليم، والمنهج القويم، والصراط المستقيم»(١).

وقد ورد الوصف في القرآن الكريم في أربعة مواضع، وورد بأساليب عدَّة، ومن ذلك وروده بصيغة الجمع (كلام) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦]، و(الكلام) اسم جنس يقع على القليل والكثير.. ولذا اختلف المفسرون في المراد بـ﴿كَلَامَ اللَّهِ﴾ في الآية، فقيل: الآيات المشتملة على ما يدل على التوحيد ونفي الشَّبَه والشبيه، وقيل: سورة براءة، وقيل: جميع القرآن؛ لأن تمام الدلائل والبينات فيه(٢)، وهو الأظهر، لاشتماله على القولين السابقين، ولأن المراد هو الدعوة إلى دين الله تعالى، والإيمان به، والقرآن معجزٌ كله، وهادٍ كله، ورحمةٌ كله.

والله ﷻ ذكر في هذه الآية لفظ (الكلام) دون (القول)، وذلك أن الكلام يطلق على ما كان مكتفياً بنفسه، بخلاف القول فإنه يطلق على ما كان مكتفياً بنفسه وما لم يكن مكتفياً بنفسه، يقول ابن جني [٣٩٢هـ]: «ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول، اجتماع الناس على أن يقولوا كلام الله،

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٩) بتصرف شديد، يقول شيخ الإسلام: (القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد عليه الصلاة والسلام هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف) العقيدة الواسطية، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن مانع، ط٢، (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، ١٤١٢هـ) ص(٣٠). وانظر: للاستزادة في هذه المسألة شرح السنة للبربهاري (٧٠)؛ وصفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة، علوي السقاف (٢٥٩).. وغيرها.

(٢) انظر: تفسير العز بن عبد السلام (٢٠٣)؛ وروح المعاني (١٠/ ٥٣).

ولم يقولوا القرآن قول الله، وذلك أن هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفه، ولا يسوغ تبديل شيء من حروفه، فعبر لذلك عنه بالكلام، الذي لا يكون إلا أصواتاً تامة مفيدة، وعدل به عن القول الذي يكون أصواتاً غير مفيدة وآراء معقدة»[١]، فكل كلام قول وليس كل قول كلاماً.

ومن أساليب وروده، ما جاء بصيغة الإفراد (كلمة) وذلك في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، قرأها بالإفراد (كلمة) عاصم وحمزة والكسائي، والبقية على الجمع (كلمات)[٢].

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(الكلمة) في الآية، فقيل المراد بـ(الكلمة) أو (الكلمات) عموم الكتب التي نزلت على العباد[٣] وقيل المراد: أمره ونهيه، ووعده ووعيده[٤]، وقيل: هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله، روي ذلك عن أنس بن مالك[٥] رضي الله عنه[٦]، أو دين الله تعالى؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠][٧]، أو حجته على خلقه[٨]، وقيل

---

(١) الخصائص، عثمان ابن جني، تحقيق: محمد النجار، بيروت: عالم الكتب، (١/ ١٨). وانظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة (٧/ ٤٩)؛ ولسان العرب (١٢/ ٥٢٣)، وعزوا القول إلى سيبويه.

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (٢/ ٢٨)؛ والتفسير الكبير (١٣/ ١٣١)؛ البحر المحيط (٤/ ٢٧١).

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٩).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٤٣٩)؛ زاد المسير (٣/ ١١١)؛ الكشاف (٢/ ٣٩٠).

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن النجار، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ، وأحد المكثرين من الرواية عنه، صح عنه أنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وأن أمه أم سليم أتت به النبي ﷺ لما قدم، فقالت له: هذا أنس غلام يخدمك فقبله، ولم يمت رضي الله عنه حتى بلغ عدد أبنائه قرابة التسعين، وذلك بدعوة النبي عليه الصلاة والسلام له، توفي سنة ٩٠ وقيل: ٩١ وقيل: ٩٢هـ. انظر: الاستيعاب (١/ ١٠٩)؛ الإصابة (١/ ١٢١).

(٦) انظر: الدر المنثور (٣/ ٣٤٥).

(٧) انظر: تفسير السمرقندي (١/ ٤٩٦)؛ روح المعاني (٨/ ١٠).

(٨) المرجع نفسه.

المراد: القرآن؛ قاله قتادة[١]، ورجحه ابن جرير، والرازي، والبيضاوي، وابن عاشور[٢] وعزاه إلى جمهور المفسرين، وهو الأظهر، والأنسب لسياق الآيات، حيث إن الله ﷻ عطف هذه الآية على قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] لأن تلك الجملة مقول قول مقدر، والتقدير: قل أفغير الله أبتغي حكماً باعتبار ما في تلك الجملة من قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ فلما وصف الكتاب بأنه منزل من عند الله، ووصفه بالوضوح ﴿مُفَصَّلًا﴾، ثم بشهادة أهل الكتاب: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ﴾ أعلم رسوله ﷺ والمؤمنين بأن هذا الكتاب تام الدلالة، ناهض الحجة[٣]، ويؤيده كذلك ما روى البخاري عن ابن عباس ﵄ قال: كان النبي ﷺ «**يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ إِنَّ أَبَاكُمَا كان يُعَوِّذُ بها إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ من كل شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كل عَيْنٍ لَامَّةٍ**»[٤]، قيل المراد: (بكلمات الله) القرآن[٥].

ووجه وصف القرآن بأنه (كلمة) كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر: هذه كلمة فلان، والكلمة تطلق على الكلمات الكثيرة إذا كانت مضبوطة بضابط واحد؛ كقولهم: قال زهير في كلمته، يعني: قصيدته، فكذلك مجموعُ القرآن كلمةٌ واحدة في كونه حقاً وصدقاً ومعجزاً[٦].

وكون (الكلمة) تامة؛ أي: كافية وافية بكونها معجزة دالة على صدق

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٧٤).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٥٠٧)؛ التفسير الكبير (١٣/ ١٣١)؛ تفسير البيضاوي (٤/ ١٨٨)؛ التحرير والتنوير (٤/ ١٨).
(٣) انظر: التحرير والتنوير (٤/ ١٨).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، حديث [٣١٩١].
(٥) انظر: عمدة القاري للعيني (١٥/ ٢٦٥)؛ بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٨٠).
(٦) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٥٠٧)؛ التفسير الكبير (١٣/ ١٣١)؛ إرشاد العقل السليم (٣/ ١٧٨).

محمد ﷺ وكافية في بيان ما يحتاج المكلفون إليه إلى قيام الساعة، وأن كل غرض جاء في القرآن فهو وافٍ بما يتطلبه القاصد منه(١).

وقد وصفت (الكلمة) بأنها قد بلغت الرتبة العليا، والدرجة القصوى، في صدق الأخبار والقصص، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، وفي عدل الأوامر والنواهي، والحكم والأحكام، فلا أصدق من خبر الله، ولا أعدل من حكم الله ﷻ يقول قتادة: «صدقاً فيما وعد، وعدلاً فيما حكم»(٢)، فالقرآن «قد بلغ أقصى ما تبلغه الكتب في وضوح الدلالة، وبلاغة العبارة، وأنه الصادق في أخباره، العادل في أحكامه، لا يعثر في أخباره على ما يخالف الواقع، ولا في أحكامه على ما يخالف الحق، فذلك ضرب من التحدي والاحتجاج على أحقية القرآن»(٣).

ومن أساليب وروده، ما جاء بصيغة الجمع، جمع (كلمة)، وذلك في ثلاثة مواضع(٤)، وفي قوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥]، اختلف المفسرون في المراد بـ(كلماته) هنا، كاختلافهم السابق في المراد بـ(الكلمة)، وتبين أن الأظهر والأرجح قول من قال: أن المراد بـ(الكلمة) القرآن، ويؤيده الموضع الآخر، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]، حيث يكاد يتفق المفسرون على أن المراد بـ(الكلمات) هنا القرآن(٥)، وهو قول مقاتل بن سليمان(٦).

---

(١) انظر: التفسير الكبير (١٣/ ١٣١)؛ التحرير والتنوير (٤/ ١٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٥٠٨)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٧٤)؛ الدر المنثور (٣/ ٣٤٤).

(٣) التحرير والتنوير (٤/ ٢٠).

(٤) وهما: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧] ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٢٣٤)؛ المحرر الوجيز (١١٨٨)؛ الكشاف (٣/ ٥٨٠)؛ تفسير القرآن العظيم (٣/ ١١٠)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٢٧٠).. وغيرهم.

(٦) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٦).

ووجه وصف القرآن بأنه (كلمات) باعتبار ما يشتمل عليه من الجمل والآيات، أو باعتبار أنواع أغراضه من أمر ونهي، وتبشير وإنذار، ومواعظ وأخبار، وغير ذلك[١]. ومعنى انتفاء التبديل، انتفاء الإتيان بما ينقضه أو يبطله أو يعارضه، بأن يظهر أن فيه ما ليس بتمام، فإن جاء أحد بما ينقضه كذباً وزوراً فليس ذلك بنقض، وإنما هو مكابرة في صورة النقض، بالنسبة إلى ألفاظ القرآن ونظمه، وانتفاء ما يبطل معانيه وحقائق حكمته، وانتفاء تغيير ما شرعه وحكم به، وهذا الانتفاء الأخير كنايةٌ عن النهي عن أن يخالفه المسلمون[٢]، فهو مصون عن التحريف والتغيير ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وفيه رد على اقتراحات أولئك القوم، وقولهم: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥].

وورود هذا الوصف في القرآن المكي، لبيان حقيقة وكُنْه هذا الكتاب العزيز، وأنه كلام الله تعالى حقيقة، والرد على قولهم، أساطير الأولين، بل هو سحر مبين... إلخ.

«ويتضح مما تقدم أن هناك فرق بين أسماء القرآن الثلاثة، فكلام الله هو اسم للقرآن الكريم بمعنى نسبته إلى الله تعالى على أساس أن هذا الاسم يدل على كنه القرآن وماهيته، وكلمة الله اسم للقرآن الكريم بمعنى أمره أو مقالته، وهي تطلق على القرآن الكريم كله، كما يقال على القصيدة كلها كلمة الشاعر.. وكلمات الله اسم للقرآن الكريم بمعنى مجموع ما يحويه من كلمات وألفاظ وأحكام وأوامر وقصص..»[٣].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٩/٤). (٢) المرجع نفسه.

(٣) أسماء القرآن د. خمساوي (١٨٦) بتصرف.

المبحث الرابع عشر

وصف القرآن بأنه متشابه

«الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، يقال: شِبه، وشَبَه، وشَبيه»[(١)].

و«المتشابه والمتشابهات؛ أي: المتماثلات»[(٢)].

والمتشابه من الكلام ما لم يتلق معناه من لفظه، وهو على ضربين: أحدهما: إذا رُدَّ إلى المحكم عرف معناه، والآخر: ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته، فالمتبع له مبتغ للفتنة؛ لأنه لا يكاد ينتهي إلى شيء[(٣)(٤)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (شبه) (٥٢٦).

(٢) مختار الصحاح (ش ب هـ). وانظر: لسان العرب (شبه) (١٣/ ٥٠٣).

(٣) انظر: لسان العرب (١٣/ ٥٠٥).

(٤) ومنشأ التشابه في القرآن إجمالاً على ثلاثة أضرب: ١ ـ متشابه من جهة اللفظ فقط، وهو على ضربين: أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة وذلك إما من جهة غرابته نحو (الأب) و(يزفون) وإما من جهة مشاركة في اللفظ (كاليد) و(العين)، والثاني: يرجع إلى جملة الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب: ضرب لاختصار الكلام نحو ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] وضرب لبسط الكلام نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ لأنه لو قيل: وليس مثله شيء كان أظهر للسامع، وضرب لنظم الكلام، وهو ما يتعلق بالتقديم والتأخير فيه؛ كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ تقديره الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً. ٢ ـ والمتشابه من جهة المعنى واللفظ جميعاً خمسة أضرب، الأول: من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]. والثاني: من جهة الكيفية: كالوجوب والندب نحو ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣] والثالث: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. والرابع: من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها نحو ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه =

ووجه وصف القرآن بأنه (متشابه) فلأنه يشبه بعضُه بعضاً في الحسن والصدق، من جزالة في الألفاظ، وقوة في المعاني[١].

وقد ورد وصف القرآن بأنه (متشابه) في آيتين، **الأولى**: تُبيِّنُ أن القرآن كله متشابه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، فهو متشابه في الإحكام والإتقان، سواء في الألفاظ وتراكيبها، أو في المعاني والقصص والأخبار، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]، وقد أفاض المفسرون في بيان هذا التشابه وإيضاحه في الكتاب العزيز، وذكروا في ذلك أوجهاً كثيرة، منها ما يتعلق بالألفاظ، ومنها ما يتعلق بالمعاني، فمما يتعلق بالألفاظ كونها متشابهة أجزاؤه، متماثلة في فصاحة ألفاظها، وفي الشرف والإصابة للأغراض من المعاني، بحيث تبلغ ألفاظه أقصى ما تحتمله أشرف لغة للبشر من معاني، فهو معجز لكل بليغ على أن يأتي بمثله، وفي هذا إشارة إلى أن جميع آيات القرآن بالغٌ الطرف الأعلى من البلاغة، وأنها متساوية في ذلك بحسب ما يقتضيه حال كل آية منها، يقول قتادة: «الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف»[٢]، فآيات القرآن متماثلة متشابهة في الحسن لدى أهل الذوق من البلغاء بالسليقة أو بالعلم، وهو في هذا مخالف لغيره من الكلام البليغ، فإن الكاتب البليغ إذا كتب كتاباً طويلاً فإنه يكون بعض كلماته فصيحاً، ويكون البعض غير فصيح، ولكن القرآن فصيح كلُّه بجميع أجزائه، وكذلك إذا كتب الفصيح في واقعة ما بألفاظ فصيحة، وكتب مرة أخرى في واقعة أخرى،

= معرفة تفسير هذه الآية. والخامس: من جهة الشروط التي بها يصح الفعل أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح. ٣ ـ المتشابه من جهة إدراك الحقائق الغائبة: وهو ما يتعلق بالحقائق الغائبة عن حواس الإنسان، فالتخيل والتصور عنده لا يبتعد عن المحسوسات في عالمه، والغائب غير الشاهد كحقيقة الذات الإلهية وصفات الله تعالى وصفات الجنة والنار.. وهذه الجملة إذا تصورت علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم. انظر للاستزادة في هذا الموضوع: المفردات للراغب (٤٤٣، ٤٤٤)؛ ومناهل العرفان (٢/ ٨٩)؛ المحكم والمتشابه في القرآن العظيم (٦٥ ـ ٦٩).

(١) انظر: الإتقان (١/ ١١٤)، وسيأتي مزيد بيان عند الكلام عن آية الزمر.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٦).

الغالب يكون كلامه في الثاني غير كلامه في الأول، والله تعالى حكى قصة موسى عليه السلام في مواضع كثيرة من القرآن، وكلها متساوية متشابهة في الفصاحة، ويصدق هذا ويبينه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

أما التشابه في المعاني، فإن معانيه متكافئة في الشرف والحسن، لا تناقض فيها ولا تعارض، فهي متشابهة في صحتها وأحكامها، وابتنائها على الحق والصدق، ومصادفة المحز من الحجة، وتبكيت الخصوم، وكونها صلاحاً للناس وهدى، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «كتاباً متشابهاً حلاله وحرامه، لا يختلف شيء منه»[١]، وكل ما فيه من الآيات والبينات يقوي بعضها بعضاً، ويؤكد بعضها بعضاً كما قال سعيد بن جبير: «يفسر بعضه بعضاً، ويدل بعضه على بعض»[٢]، وكل تلك المعاني متشابهة في أن المقصود منها بأسرها الدعوة إلى الدين وتقرير عظمة الله، وطاعته وعبادته، والخلوص من الشرك والوثنية، والعبودية لغير الله تعالى[٣].

أما الآية الثانية، فبين الله تعالى فيها أن الآيات منها ما هو محكم، ومنها ما هو متشابه، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] والمتشابه من الآيات هو ما يقابل المحكم منها، وهي التي دلت على معانٍ تشابهت في أن يكون كل منها هو المراد، فهي متشابهة ومتماثلة في التلاوة، مختلفة في المعنى، فربما تكون أحكامها غير معلومة، أو أخبارها غير معلومة[٤]، فالتشابه هو الذي دلالته غير واضحة، حيث يعجز الذهن عن التمييز، ولكن لا يستحيله[٥]، وهذه الآية لا

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٢٢١)، وعزاه إلى ابن جرير - ولم أجده في تفسيره - وابن مردويه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٦/ ٢٣٦)؛ البحر المحيط (٧/ ٥٦٣)؛ التحرير والتنوير (٩/ ٣٨٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٩٢)؛ البحر المحيط (٢/ ٦١١)؛ التحرير والتنوير (٢/ ١٥٥)؛ تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران) (١/ ٣٢).

(٥) وهذا هو التشابه النسبي، على قراءة الوصل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، =

تنافي الآية السابقة؛ لأن التشابه هنا تشابه نسبي في الوصول إلى المعنى الحق والقول الصادق في ذلك المتشابه، مع أن معاني الآية وألفاظها متكافئة ومتماثلة في الشرف والحسن، وهنا يتبادر للذهن سؤال، وهو ما فائدة إنزال المتشابه والمراد بالقرآن البيان والهدى؟ فيقال: إن كلام العرب على ضربين:

أحدهما: الموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره.

والثاني: المجاز والكنايات، والإشارات، وهذا هو المُستحلى عند العرب، والبديع في كلامهم.

أنزل الله تعالى هذا القرآن على هذين الضربين، ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله، ولو نزل كله محكماً واضحاً لقالوا هلّا ضُرب بالمستحسن عندنا؟! وأيضاً: لو كان كله محكماً لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به، وكذلك لما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، وأيضاً أن الله تعالى أراد أن يشغل أهل العلم بردهم المتشابه إلى المحكم، فيطول بذلك فكرهم، ويتصل بالبحث عنه اهتمامهم، فيثابون على تعبهم، كما يثابون على سائر عباداتهم، ولو جعل القرآن كله محكماً لاستوى فيه العالم والجاهل، ولم يفضل العالم على غيره[(١)]. وفيه حث وترغيب للنظر والتدبر في آيات الله، وإعمال الفكر فيها؛ لأن المتدبر يكون أقرب إلى كتاب الله تعالى استحضاراً واستظهاراً، وأقوى صلة وتعلقاً، أما الكلام الواضح البين

= أما التشابه الحقيقي فهو يستحيل ومحال الوصول إلى حقيقته والاطلاع على صورته، وذلك على قراءة من وقف على ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] كوقت خروج عيسى ابن مريم، وطلوع الشمس من المغرب. انظر للاستزادة في هذه المسألة: ما قاله شيخ الإسلام في رسالته التدمرية، القاعدة الخامسة (٨٩ ـ ١١٦) تحقيق محمد عودة السعوي، ط٨ (الرياض: دار العبيكان، ١٤٢٤هـ).

(١) انظر: الكشاف (١/ ٥٢٨)؛ زاد المسير (١/ ٣٥١ ـ ٣٥٣)؛ تفسير البيضاوي (٣/ ٩)؛ تفسير المراغي (٣/ ١٠١).

الذي لا يحتاج فيه إلى نظر وتفكر؛ فإنه سرعان ما يُنسى ويجهل.

أما حقيقة المحكم والمتشابه من آي الكتاب، فاختلفت عبارات وتأويلات السلف والمفسرين فيها إلى أقوال عدة، وترجيحات متعددة، ولعلي أكتفي بسرد بعض تلك الأقوال فقط.. قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة والربيع والضحاك: المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ، وقال مجاهد وعكرمة: المحكم ما بيَّن تعالى حلاله وحرامه فلم تشتبه معانيه، والمتشابه ما اشتبهت معانيه، وقال محمد بن جعفر بن الزبير(١) والشافعي: المحكم ما لا يتحمل إلَّا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجهاً، وقال ابن زيد: المحكم ما لم تتكرر ألفاظه، والمتشابه ما تكررت، وقال جابر بن عبد الله بن رئاب(٢) وهو مقتضى قول الشعبي(٣) والثوري(٤) وغيرهما: المحكم ما فهم العلماء تفسيره، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وطلوع الشمس من مغربها وخروج عيسى(٥).. وقيل غير ذلك(٦).

---

(١) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي المدني، من فقهاء المدينة وقرائها، ثقة، توفي في حدود بضع عشرة ومائة للهجرة. انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٨١)؛ تقريب التهذيب (٤٧١).

(٢) هو جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن سلمة الأنصاري السلمي، أحد الستة الذين شهدوا العقبة الأولى، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله، وقد روى عنه أحاديث، وتوفي ولم يخلف ورائه عقب. انظر: الإصابة ١/ ٤٣٣)؛ طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٤).

(٣) هو عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، ثقة مشهور فقيه فاضل، روي عنه أنه قال: أدركت خمسمائة من الصحابة، وقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثت بحديث إلا حفظته، وقال مكحول: ما رأيت أفقه من الشعبي، توفي سنة ١٠٣ وقيل ١٠٤هـ. انظر: الكاشف (١/ ٥٢٢)؛ تقريب التهذيب (٢٨٧).

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع، يكنى أبا عبد الله، كان ثقة مأموناً ثبتاً كثير الحديث حجة، توفي في خلافة المهدي، وهو مستخفٍ، سنة ١٦١هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٣٧١)؛ المنتظم (٨/ ٢٥٤).

(٥) وهذا ما رجحه ابن جرير (٥/ ١٩٩).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٩٢ ـ ٢٠١)؛ معالم التنزيل (١٨٩)؛ المحرر الوجيز (٢٧٤)؛ تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٦٠)؛ البحر المحيط (٢/ ٦١١).

المبحث الخامس عشر

وصف القرآن بأنه مجيد

«الميم والجيم والدال أصل صحيح يدل على بلوغ النهاية، ولا يكون إلا في محمود»(١).

«يقال: مَجَد يمجُد مَجداً ومجَادة، وقد (مجُد) الرجل (مَجْداً) فهو مجيد»(٢).

والمجيد: فعيل للمبالغة، وهو الذي لا كرم فوق كرمه(٣).

وإذا كان هذا الاسم أو الوصف لا يطلق إلا على ما هو محمود، فقد تنوعت أقوال اللغويين في معناه، فقيل: نيل الشرف، وقيل: هو الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي، وقيل: المروءة والسخاء، وقيل: الكرم والشرف(٤).

ووجه وصف القرآن بأنه (مجيد) فلأنه كتاب شريف كريم يتضمن المكارم الدنيوية والأخروية، ومشتمل على الخير الكثير(٥)، وأن من حفظ آياته، وعلم معانيه، وعمل بما فيه، مجد عند الله تعالى، وأيضاً عند الناس(٦)، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾

---

(١) معجم مقاييس اللغة (مجد) (٩٣٩).

(٢) مختار الصحاح (م ج د)؛ المفردات للراغب (مجد) (٧٦٠).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (مجد) (٩٣٩)؛ لسان العرب (مجد) (٣/ ٣٩٥).

(٤) انظر: لسان العرب (مجد) (٣/ ٣٩٥)؛ تاج العروس (مجد) (٩/ ١٥٠).

(٥) انظر: معالم التنزيل (١٢٢٦)؛ تفسير السمرقندي (٣/ ٣١٥)، روح المعاني (٢٦/ ١٧١).

(٦) انظر: تفسير البيضاوي (٨/ ٥٦٩)؛ إرشاد العقل السليم (٨/ ١٢٥).

[العنكبوت: ٤٩]، وقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وما أجمل ما ذكره ابن سعدي [١٣٧٦هـ] في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] حيث قال: «المجيد وسيع المعاني عظيمها، كثير الوجوه، كثير البركات، جزيل المبرات، والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها، وأحق كلام يوصف بذلك هذا القرآن، الذي قد حوى علوم الأولين والآخرين، الذي حوى من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها، وهذا موجب لكمال اتِّباعه، وسرعة الانقياد له، وشكر الله على المنة به، ولكن أكثر الناس لا يقدر نعم الله قدرها»(١). فالشرف والكرم والخير كله، هو بين دفتي هذا الكتاب العزيز المجيد، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، فيا من يبتغي العز والمجد والثناء الحسن في هذه الدنيا، دونك كتاب الله تعالى، عض عليه بالنواجذ، وإياك إياك أن تبتغي ذلك في غيره، فقد جاء في الأثر: «وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ»(٢).

وقد اقترن هذا الوصف في القرآن الكريم باسم (القرآن) ولم يقترن بغيره من الأسماء كـ(الكتاب) أو غيره.. «لأن سعة الكرم والجلال إنما تتأتى من المداومة على قراءة القرآن وكثرة تلاوته، فعند ذاك يفيض القرآن بالعطاء، يعطي من غير حدود، أما إذا نظر إليه على أنه كتاب لا يقرأ ما فيه، ولا يؤخذ منه، بل يحفظ وسط البراويز والحرير، ويوضع فوق أرفف البيوت والسيارات، فلا يمكن أن تتأتى حينذاك صفة المجد، وهذه الحقيقة نلاحظها في أنفسنا قبل الناس، إننا حين نهمل القرآن يهملنا، وحين نقبل عليه يعطينا من كرمه، فوقوع المجد وصفاً للقرآن دون الكتاب لطيفة دقيقة في كتاب الله تعالى»(٣).

وقد ورد وصف القرآن بأنه (مجيد) في موضعين من كتاب الله تعالى،

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن (٨٠٣).
(٢) سبق تخريجه في مبحث: (بلاغ).
(٣) خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (١٢٩).

حيث ورد محلاً بـ(ال) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] أي: لا كلام أفضل ولا أشرف ولا أكرم منه، فقد بلغ أعلى درجات المجد، وفاق سائر الكتب الدينية بأنه لا ينسخه كتاب يجيء بعده، فالقرآن يفوق ذلك كله، لما جعله بأفصح اللغات، وجعله معجزاً لبلغاء أهل تلك اللغة[١]، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «القرآن المجيد ليس شيء أحسن منه، ولا أفضل منه»[٢].

وورد بصيغة التنكير في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ [البروج: ٢١]، ذكر بعض المفسرين أن (مجيد) في الآيتين المراد به: اسم الله تعالى، فوصف القرآن بوصف قائله، على أنه مجاز في الإسناد؛ كالقرآن الحكيم[٣]، ويؤيد هذا قراءة من قرأ بالإضافة «بَلْ هُوَ قُرْآنُ مجِيد»؛ أي: قرآن رب مجيد[٤]، و(بل) هنا لإبطال تكذيب الكفار بالقرآن وتحقيق للحق؛ أي: ليس الأمر كما قالوا، بل هو شريف عالي الطبقة في الكتب، وفي النظم والإعجاز[٥].

وورد وصف القرآن بأنه (مجيد) في القرآن المكي، لبيان حقيقته ومكانته، وعلو منزلته، وللتعريض بمشركي مكة، إذ كيف يكفرون به وهو الكريم الشريف، الذي لا يدانيه كتاب، ولا يقاربه خطاب.

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٢٧٧).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٧)؛ الدر المنثور (٧/ ٥٨٩).
(٣) انظر: حاشية الشهاب (٨/ ٥٦٩)؛ روح المعاني (٢٦/ ١٧١).
(٤) وهي قراءة ابن السميفع وأبو حيوة وأبو العالية. انظر: معجم القراءات د. عبد اللطيف الخطيب، (١٠/ ٣٧٢)، وهي قراءة شاذة. انظر: القراءات الشاذة، الحسين بن أحمد بن خالويه، دار الكندي للنشر والتوزيع، ص(١٧١).
(٥) انظر: الكشاف (٦/ ٣٥١)؛ إرشاد العقل السليم (٩/ ١٣٩).

المبحث السادس عشر

وصف القرآن بأنه مهيمن

«هيمن الرجل: قال آمين، كأمن، والهاء بدل من الهمزة.. وهيمن على كذا صار رقيباً عليه، وحافظاً»(١).

وهيمن فلان على كذا، سيطر عليه، وراقبه، وحفظه(٢).

وجاء في مختار الصحاح: (المهيمن) الشاهد(٣)(٤).

ووجه وصف القرآن بأنه (مهيمن) على الكتب السابقة(٥)، فلأنه مسيطر عليها، بمعنى أنه الحاكم والقاضي عليها، فهو الذي يكبح جماحها إذا جنحت إلى الغلو الباطل، كما قال تعالى ـ رداً على ما زعمه النصارى في المسيح وأمه ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، ورقيب عليها(٦)، المصحح لأخبارها، الممحص لحقائقها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ

---

(١) تاج العروس (همن) (٣٦/ ٢٨٥).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (هيمن) (٢/ ١٠٠٥).

(٣) في مادة (هـ م ن).

(٤) والمهيمن الأظهر أن هاءه أصلية، وأن فعله بوزن فيعل كسيطر، وقيل: إنه مشتق من أمن، وأصله اسم فاعل من آمنه عليه بمعنى استحفظه به، فأصله مؤآمن، وقال المبرد وابن قتيبة: إن المهيمن أصله مؤمن وهو من أسمائه تعالى فصغر وأبدلت همزته هاء، وتعقبه السمين الحلبي وغيره بأن ذلك خطأ بل كفر أو شبيه به، لأن أسماء الله تعالى لا تصغر. انظر: الدر المصون (٤/ ٢٨٨)؛ روح المعاني (٦/ ١٥٢)؛ التحرير والتنوير (٣/ ٢٢١).

(٥) حيث لم يرد الوصف إلا في آية واحدة، وذلك في سياق ذكر الكتب السابقة.

(٦) انظر: روح المعاني (٦/ ١٥٢).

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وحفيظ عليها حيث أثبت ما فيه منفعة راجحة، وشهيد عليها[1]، بمعنى: أنه يشهد لها بالصحة والثبات، فيقرر أصولها، ويشهد بما فيها من الحقائق، وأمين عليها[2]، بمعنى: أن ما أخبر به عنها، أو أنه فيها فهو الحق، وما عداه مما زعمه أهلها فباطل لا يصدق[3]، ودال على صدقها، بمعنى: أنه هو الدليل على أن هذه الكتب من عند الله، وأن أخبارها الصحيحة حقة[4].

وجميع المعاني السابقة تشهد لها اللغة وتقررها، وقد ذكر ابن كثير [٧٧٤هـ] بعد ما ساق أقوال السلف في معنى المهيمن قال: «وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم (المهيمن) يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾» [الحجر: ٩][5]، وإن كان في الحقيقة أن اسم (المهيمن) أخص من تلك المعاني كلها؛ لأن المهيمن على الشيء هو المعنيُّ بأمره، الشاهد على حقائقه، الحافظ لحاصله، فلا يدخل فيه ما ليس منه[6].

ولم يرد وصف القرآن بأنه (مهيمن) إلا في موضع واحد[7]، وهو قوله

---

(١) وهو قول ابن عباس والسدي وقتادة. انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٨٧).
(٢) وهو قول ابن عباس.. المرجع نفسه.
(٣) انظر: عظمة القرآن الكريم، ص(١١٨)، نقلاً عن التفسير الموضوعي للآيات القرآنية المتعلقة بالكتب السماوية السابقة (٣٩٢ ـ ٣٩٣)
(٤) وهو قول ابن زيد. انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٩٠).
(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٩١).
(٦) انظر: المحرر الوجيز (٥٤٩).
(٧) وقد ذكر بعض المفسرين كمجاهد أن (مهيمناً) هو نبي الله عليه الصلاة والسلام، يقول ابن جرير: (وهذا التأويل بعيد من المفهوم من كلام العرب، بل هو خطأ، وذلك أن (المهيمن) عطف على (المصدق) فلا يكون إلا من صفة ما كان (المصدق) صفة له). تفسير الطبري (٨/ ٤٩٠).

تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وسورة المائدة، سورة مدنية، وفي ذلك ثناء وتمجيد وتبجيل لهذا الكتاب العزيز، بذكر بعض فضائله وخصائصه، وتفضيله على الكتب السابقة، خاصة التوراة والإنجيل اللذان سبق ذكرهما في الآيات السابقة، وفيه حث ودعوة لأهل الكتاب بأن يؤمنوا بهذا الكتاب المنزل، الذي بان لهم صدقه، وظهر لهم حقيقته.

۞ ۞
۞

المبحث السابع عشر

وصف القرآن بأنه الوحي

«الواو والحاء والحرف المعتل، أصلٌ يدل على إلقاء عِلْمٍ في إخفاء، أو غيره إلى غيرك»[(١)].

والوحي يطلق على الكتاب والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي، كما يطلق على الإشارة[(٢)]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ١١] قيل: رمز، وقيل: إشارة، وقيل: كتب[(٣)].

وإطلاق العرب الوحي على الكتاب فـ«لأنه واقع فيما كُتب، ثابت فيه، كما قال كعب بن زهير[(٤)(٥)]:

أتى العُجم والآفاق منه قصائدٌ بَقيْن بقاء الوحي في الحجر الأصم

يعني به: الكتاب الثابت في الحجر»[(٦)].

وسمي الوحي وحياً: لأن المَلَك أسرَّه عن الخلق، وخص به النبي

(١) معجم مقاييس اللغة (وحي) (١٠٤٦).
(٢) انظر: مختار الصحاح (و ح ي)؛ القاموس المحيط (و ح ي)؛ لسان العرب (وحي) (١٥/ ٣٧٩).
(٣) انظر: المفردات للراغب (وحي) (٨٥٩).
(٤) هو كعب بن زهير بن أبي سُلمة، واسمه ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث المزني الشاعر المشهور، صحابي معروف، قدم على النبي عليه الصلاة والسلام من منصرفه من الطائف وألقى عليه قصيدة: بانت سعاد وقلبي اليوم متبول..، وكان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقته هو وأخوه بجير، وكعب أشعرهما، وأبوهما زهير فوقهما. انظر: الاستيعاب (٣/ ١٣١٣)؛ الإصابة (٥/ ٥٩٢).
(٥) في ديوانه (٥٥).
(٦) تفسير الطبري (٥/ ٤٠٢).

المبعوث إليه[١].

ووجه وصف القرآن بأنه (الوحي)، فلأن الله تعالى أنزل القرآن العظيم عن طريق إرسال جبريل عليه السلام بالوحي[٢] إلى نبينا محمد ﷺ مباشرة، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤]، قال ابن عطية [٥٤٦هـ]: «يراد به القرآن بإجماع»[٣]، وفي هذا توثيق وإتقان لكتاب الله تعالى، وإثبات بأنه منزل من عند الله حقاً، وليس هو من غيره، بل «يقيناً لا يعتريه شك بأن القرآن وحي منزل من عند الله، وحي تكلم الله به حقيقة، فليس بسحر ولا كهانة ولا مكذوب، ولا بأساطير الأولين، كما قال كفار قريش، وليس بمخلوق كقول الجهمية والمعتزلة، وليس القرآن حكاية عن كلام الله كما تقول الكلابية، وليس القرآن عبارة عن كلام الله، كما تقول الأشعرية، وليس القرآن فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها وقبولها؛ كقول الفلاسفة أتباع أرسطو، وليس القرآن من كلام محمد ولا تفكير محمد، ولا من عبقرية محمد، كما قاله بعض الزنادقة، وكل هذه الأقوال زور وباطل، كلها هذيان ما أنزل الله به من سلطان»[٤].

---

(١) انظر: تاج العروس، حيث نقله عن الأنباري (٤٠/ ١٧١).

(٢) الوحي الذي بوساطة جبريل عليه السلام له ثلاث حالات: ١ ـ إما أن يأتيه في صورته التي خلقه الله عليها، وهي حالة نادرة، وقد ذكرت عائشة أن النبي عليه الصلاة والسلام لم ير جبريل على صورته التي خلقه الله عليها إلا مرتين.. كما ورد في الحديث. ٢ ـ أن يأتيه في صورة رجل كدحية الكلبي، أو أعرابي مثلاً، يراه الحاضرون ويسمعون قوله، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام يعلم علم اليقين أنه جبريل. ٣ ـ أن يأتيه على صورته الملكية، وفي هذه الحال لا يُرى، ولكن يصحب مجيئه كصلصلة الجرس، أو دوي كدوي النحل، ونزول القرآن كله يكون على هذه الحال، ويكون يقظة لا مناماً، أما الحكمة من صوت الصلصلة (أن يقرع سمعه الوحي فلا يبقى فيه مكان لغيره)؛ (فتح الباري ١/ ٢٧). انظر للاستزادة في مسألة الوحي: (الإتقان ١/ ٩٩ ـ ٩٨)؛ مناهل العرفان (١/ ٦٤ ـ ٦٥)؛ المدخل (٥٧ ـ ٦٢)؛ دراسات في علوم القرآن (١٨٥ ـ ١٨٨).

(٣) المحرر الوجيز (١٧٧٨).

(٤) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ١٩٣).

وقد وُصِفَ القرآن بـ(الوحي) في ثمانية وعشرين موضعاً[(١)]، وجاء في أساليب متعددة، واشتقاقات متنوعة، ومن ذلك ما ورد بصيغة الماضي (أوحى) وقد ورد في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ [الإسراء: ٣٩]، و(ذلك) للإشارة إلى ما سبق هذه الآية من أحكام، بلغت خمسة وعشرين حكماً وتكليفاً[(٢)]، و(مما) أي: بعض الأحكام التي أوحاها إليك ربك، فـ(من) هنا للتبعيض، واستعمال الفعل الماضي لحكاية الواقع، وأنه قد مضى واستقر، ونزل من عند الله تعالى ـ والله تعالى أعلم بمراده ـ.

ومن الأساليب ـ أيضاً ـ ما ورد مقترناً بـ(نا)الفاعل، وذلك في عشرة مواضع[(٣)]، وفيه دلالة على أن هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ إنما هو وحي من عند الله تعالى أوحاه الله إليه، وليس سحراً أو قولَ بشر كما زعموا، وكذلك يلاحظ الباحث أنه في جميع المواضع السابقة تتعدى بـ(إلى) زيادة تأكيد، على حقيقة القرآن، وكنهه، وأن محمداً ﷺ هو انتهاء غاية الوحي، وذلك أن (إلى) تدل على انتهاء الغاية، وفي بعض المواضع ـ أيضاً ـ يسبقها تأكيد بـ(إن) المؤكدة، وفي هذا كله رد على من أنكر حقيقة الوحي، واهتمام بهذا الخبر الذي هو إنزال القرآن من عند الله تعالى، عن طريق الوحي[(٤)].

وفي آية فاطر افتتحها الله تعالى بالاسم الموصول، وذلك للتنويه بهذا الكتاب، وبمن أُنْزل عليه «ففيه مسرة للنبي ﷺ وبشارة له بأنه أفضل الرسل،

---

(١) وقد أوصلها الشيخ البليهي إلى (٤٠) آية، والدكتور غازي (٧٨) بمشتقاتها، أما الباحث فاقتصر على المواضع التي أريد بها القرآن خاصة ـ واجتهد في ذلك ـ، دون المواضع العامة، التي يدخل فيها غيره كالسنة النبوية مثلاً.

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٠/ ١٧١).

(٣) والآيات هي: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ [النساء: ١٦٣] ﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الرعد: ٣٠] ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [فاطر: ٣١] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ [الشورى: ٧] [يونس: ٢] [يوسف: ٣] [الإسراء: ٧٣، ٨٦] [الشورى: ١٣، ٥٢].

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٣/ ٣١).

وأن كتابه أفضل الكتب، وهذه نكتة تعريف المسند إليه باسم الموصول، لما في الصلة من الإيماء إلى وجه كونه الحق الكامل، دون الإضمار الذي هو مقتضى الظاهر، بأن يقال: وهو الكتاب الحق»[(١)].

وفي سياق تعجب المشركين من هذا الوحي، وكفرهم به، أنكر الله ذلك، ورد عليهم، بقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ والهمزة مستعملة في الإنكار، وأنه ليس هناك ما يدعو إلى التعجب والإنكار، فكما أرسل الله تعالى محمداً ﷺ وأنزل عليه الوحي، فقد أرسل قبله من المرسلين، وأنزل عليهم الوحي، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وهنا ذكر الله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ ولم يقل سبحانه: (عند الناس) وذلك أنهم جعلوه لأنفسهم أعجوبة يتعجبون منها، ونصبوه عَلَماً لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وإنكارهم، وليس في قوله: (عند الناس) هذا المعنى[(٢)]. ولكن لا غرو في تعجبهم وإنكارهم، فليسوا بأقل سوءاً ممن سبقهم، الذين تعجبوا من إنزال الوحي على رسلهم، كما حكى الله تعالى قول نوح لقومه: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٩]، ومثله قول هود عليه السلام[(٣)].

وفي آية الشورى «تعقيبُ ذكر دين نوح بما أوحي إلى محمد ﷺ للإشارة إلى أن دين الإسلام هو الخاتم للأديان، فعطف على أول الأديان، جمعاً بين طرفي الأديان، ثم ذكر بعدهما الثلاثة الأخرى؛ لأنها متوسطة بين الدينين المذكورين قبلها، وهذا نسج بديع من نظم الكلم»[(٤)].

ومن أساليب وروده واشتقاقاته كذلك ما جاء بصيغة المضارع (نوحيه) و(نوحيها) و(يُوحي) وذلك في أربعة مواضع[(٥)]، وتذكير الضمير، وتأنيثه في

---

(١) المرجع نفسه (٩/ ٣٠٨).
(٢) انظر: الكشاف (٣/ ١١٣)؛ وانظر: التفسير الكبير (١٧/ ٦).
(٣) انظر: أضواء البيان (١/ ٤٢٦). (٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٥١).
(٥) والآيات هي: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤] ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ =

(نوحيه) و(نوحيها) عائد إلى مطلع الآية، ففي الآية الأولى، افتتح الله تعالى الآية بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق ذكره من قصة زكريا ومريم، وفي الآية الأخرى: ﴿تِلْكَ﴾ بتأويل أن المشار إليه القصة[١]، فجاء الضمير مؤنثاً.

وفي هاتين الآيتين تبكيتٌ وردٌ على أولئك الذين أنكروا الوحي ورسالة النبي ﷺ فهم يعلمون يقيناً أنه أميٌّ لا يكتب ولا يقرأ، ومع ذلك يأتيهم بأنباء ما قد سبق، وتفاصيل ربما سمعوا بعضها ممن سبقهم، أو قرؤوها في كتبهم، مما يدل دلالة واضحة وصريحة بأن هذا الكتاب الذي يقرؤه عليهم إنما هو وحي أوحاه الله إليه، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً. ونفي المشاهدة في الآيات ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾؛ لأنه معلوم عندهم علماً يقينياً أنه ليس من أهل السماع والقراءة، وكانوا منكرين للوحي، فلم يبق إلا المشاهدة، وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة، فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي[٢]، وفيه كذلك إشارة إلى أن هذا الذي أنبئ به كأنما يراه بعينه، وكأنه حاضر، وهو كذلك؛ لأن أخبار الله ﷻ أشد ثبوتاً وحقيقة مما يُرى في العين[٣].

واستعمال صيغة المضارع في المواضع السابقة للدلالة على أن وحي الله تعالى لنبيه متجدد لا ينقطع في مدة حياته الشريفة، لييأس المشركون من إقلاعه[٤].

ومن أساليب وروده ـ أيضاً ـ ما جاء بصيغة البناء للمفعول (أُوحي) و(يُوحى) وذلك في اثني عشر موضعاً[٥]، والبناء للمفعول في هذه الآيات

= ﴿ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٤٩] ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يوسف: ١٠٢] ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الشورى: ٣].

(١) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ٩٢).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٥٥٧)؛ التفسير الكبير (٨/ ٤٠).

(٣) تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران) (١/ ٢٦٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٢٧).

(٥) والآيات هي: ١ ـ أُوحي: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأنعام: ١٩] ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧] ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] =

للعلم الأكيد الذي لا يعتريه أدنى شبهة أو شك، بأن الفاعل لذلك هو الله ﷻ، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «وحذف فاعل الوحي، وبني فعله للمجهول للعلم بالفاعل، الذي أوحاه إليه وهو الله تعالى»(١)، وفي أغلب هذه المواضع جاء الأمر فيها باتباع هذا الوحي المنزل من عند الله تعالى، وأن لا تكون تلك الدعايات المغرضة، والتهم الزائفة، من أعداء هذا الدين، صادة لكم عن اتباعه، والاستمساك به، فإنه من تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، كما قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ [هود: ١٢]، ولذا اقترنت بعض هذه المواضع بذكر صفة الربوبية؛ كقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، لبيان أن الله تعالى الذي خلق الخلق، وأوجدهم من عدم، هو أعلم بما يصلح عباده، وأدرى بما يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، وأنهم مربوبون مخلوقون لعبادة الله تعالى، والإيمان به، وتصديق الرسل، وما أنزل من الكتب، وربما ورد مورد الإخبار ـ أيضاً ـ (أَتبعُ) وذلك في ثلاثة مواضع؛ كقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، وفي هذا بيان لحال النبي ﷺ والمؤمنين معه، وأنهم مستمسكون متبعون لهذا الوحي، وأنهم سائرون على ذلك، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، وأنهم لا يزيدهم قول القائلين، وخذلان المخذلين إلا اتباعاً، وتمسكاً بكتاب الله تعالى.

ومن أساليب وروده كذلك، ما جاء بصيغة (الوحي) وذلك في موضعين(٢)، وفيه بيان حقيقة كتاب الله تعالى، يقول ابن سعدي [١٣٧٦هـ] في

= [الأنعام: ١٠٦] [الزخرف: ٤٣]. ٢ ـ يُوحى: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠] ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ﴾ [يونس: ١٥، ١٠٩] [هود: ١٢]، [الأحزاب: ٢] [النجم: ٤].

(١) التحرير والتنوير(٣/ ١٦٨).

(٢) والآيتان هما: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾ [الأنبياء: ٤٥] ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤].

تفسير الآية الأولى: «قل يا محمد للناس كلهم: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥] أي: إنما أنا رسول، لا آتيكم بشيء من عندي، ولا عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولا أقول إني ملك، وإنما أنذركم بما أوحاه الله إلي، فإن استجبتم فقد استجبتم لله، ومثيبكم على ذلك، وإن أعرضتم وعارضتم، فليس بيدي من الأمر شيء، وإنما الأمر لله، والتقدير: كله لله»[(١)].

وقد ورد هذا الوصف في السور المكية والمدنية، وفي ذلك بيان لحقيقة القرآن، وأنه وحي من عند الله تعالى، ليزداد بذلك المؤمنون إيماناً، ويعلم الكفار ومشركو مكة أن ما زعموه من كونه إنما يعلمه بشر.. أو أساطير الأولين.. باطل، لا حقيقة له.

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن (٥٢٤).

الفصل الثاني

الأوصاف الصريحة الدالة على بيان القرآن وإرشاده

ويشتمل على:

- مدخل.
- المبحث الأول: وصف القرآن بأنه بشير.
- المبحث الثاني: وصف القرآن بأنه بصائر.
- المبحث الثالث: وصف القرآن بأنه محكم وحكيم وحكمة.
- المبحث الرابع: وصف القرآن بأنه [ذكرى] و(تذكرة).
- المبحث الخامس: وصف القرآن بأنه مبين.
- المبحث السادس: وصف القرآن بأنه [مفصل] و[تفصيل].
- المبحث السابع: وصف القرآن بأنه موعظة.
- المبحث الثامن: وصف القرآن بأنه نذير.
- المبحث التاسع: وصف القرآن بأنه هدى.

مدخل

أنزل الله تعالى كتابه الكريم على هذه الأمة التي لم يسبق أن نَزَل عليها كتابٌ من السماء، وذكر له أوصافاً ونعوتاً كثيرة تبين حقيقته وماهيته.. ومن ذلك الأوصافُ الدالةُ على بيان القرآن وإرشاده، وهدايته ودلالته، حيث وردت بأسلوب سهل وميسر في الألفاظ، مع بلاغة وجزالة في المعاني، لترشد وتهدي الناس إلى دين الله تعالى، وتخرجهم من الظلمات إلى النور، وتسعدهم في الدنيا والآخرة، ولتكون حجة بالغة، وآية قائمة، على المكذبين الضالين، المعرضين عن الله تعالى وعن كتابه: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ومن دلائل قوة بيانه، وسرعة تأثيره في النفوس، وهدايته للقلوب، ما ذكره الله تعالى من قصة أولئك النفر من الجن عندما سمعوا ـ لأول مرة ـ كتاب الله تعالى يتلى، انطلقوا مسرعين إلى قومهم يدعونهم ويحثونهم على الإيمان والتصديق بهذا الكتاب المبين: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١]، وقد جاء في الأثر: «هو الذي لم تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾»(١).

والأوصاف الدالة على بيان القرآن وإرشاده هي [بشير، بصائر، الحكيم، ذكرى وتذكرة، مبين، مفصل وتفصيل، موعظة، نذير، هدى].

---

(١) سبق تخريجه، في مبحث (بلاغ).

المبحث الأول

وصف القرآن بأنه بشير

«الباء والشين والراء أصلٌ واحد: ظهور الشيء مع حسن وجمال.. يقال: بشَّرت فلاناً أبشره تبشيراً»[١].

و«أبشرْت الرجل وبشَّرته وبَشرْتُه: أخبرته بسارٍّ بسط وجهه، وذلك أن النفس إذا سُرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر»[٢].

ويقال للخبر السَّار: البشارة والبشرى، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، والبشير: المبشر[٣].

«والبشرى والبشارة: الخبر السار لا يعلمه المخبر به، وما يعطاه المبشر»[٤].

و«البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وربما حمل عليها غيرها من الشر، وذلك إذا كانت مقيدة، وهو نوع من التبكيت؛ كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤﴾ [الانشقاق: ٢٤]»[٥].

ووجه وصف القرآن بأنه (بشير) لأنه مشتمل على البراهين الساطعات، والآيات البينات، التي تحوي بين ثناياها، الأخبار السارَّة، من البشرى والتبشير للمؤمنين الصادقين في هذه الدنيا بالحياة الطيبة، والعيشة الهنية ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]،

---

(١) معجم مقاييس اللغة (بشر) (١٧٧). (٢) المفردات للراغب (بشر) (١٢٥).

(٣) انظر: مختار الصحاح (ب ش ر)، والمفردات للراغب (١٢٥).

(٤) المعجم الوسيط (بشرى) (١/٥٨).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (بشر)، (١١٧)؛ مختار الصحاح (ب ش ر)؛ المصباح المنير (بشر) (٤٩).

وفي الآخرة بالنعيم المقيم، والحياة السرمدية، في جنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، «فهو بشير للمؤمنين، وبشير للمسلمين، بشير لهم بالعز والنصر والتمكين، بشير لهم بكل خير وفضيلة، بشير لهم بالمجد والفخار، بشير لهم بالعافية والسلامة والسعادة، بشير لهم بخيري الدنيا والآخرة ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١]، فنعم البشارة بشارة القرآن للذين يعملون الصالحات»(١).

وهو بشرى لأنه بركة، وخير، وسبب طرفه بيد الله تعالى، وطرفه بأيدي المؤمنين، فهو سبب الفرح والسرور والبشرى في هذه الحياة، وبعد الممات(٢).

وقد ورد وصف القرآن بأنه (بشير) بتصاريفه المتعددة، في ثمانية مواضع من كتاب الله تعالى، ومن ذلك وصفه بأنه (بشير) في قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ [فصلت: ٤] أي: أن القرآن الكريم بشير لأولئك القوم إن هم آمنوا به وصدقوه، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه وواجباته، بالفضل الكبير، والنعيم المقيم في جنات النعيم(٣).

وقدم الله ﷻ ذكر البشارة على النذارة في هذه الآية؛ لأنه أشار في مطلع السورة أن هذا القرآن ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فصلت: ٢]، وذِكرُ هاتين الصفتين لله تعالى، فيه إشارة إلى الصفة الغالبة على هذا التنزيل، وهي أنه رحمة للعالمين، فناسب أن يقدم البشارة في هذا القرآن على النذارة، وكذلك فيه التقديم بالأشرف والأفضل، حيث إنه بشير للمؤمنين، ونذير للكافرين، ولا شك من أن المؤمنين أشرف وأفضل من الكافرين المكذبين(٤).

ومجيء الوصف باسم الفاعل (بشيراً) للتنبيه على كونه كاملاً في هذه

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ٢٧٨) بتصرف.

(٢) انظر: أسماء القرآن د. خمساوي (٣٧). (٣) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٣٧٦).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٢٣).

الصفة، كما يقال: شعر شاعر، وكلام قائل[١]، ومع كونه كاملاً في البشارة والتبشير في الدارين، لمن آمن بالله وصدق رسوله واتبع كتابه، إلا أن أكثر الناس معرض عن هذا القرآن العظيم، والكتاب المبين ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: ٤]، ولكن لا عجب فهي سنة الله في الحياة، إذ لو شاء سبحانه لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، ولكن يضل من يشاء، ويهدي ويصطفي من يشاء ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] فاللهم ارحمنا برحمتك، ومُنّ علينا بهدايتك، والثبات على دينك، حتى نلقاك.

وورد وصف القرآن بأنه (بشرى) في خمسة مواضع[٢]، والملاحظ أنه اقترن بوصف (الهدى) وتقدم عليه، في أربعة مواضع منها، وذلك أن الهدى سبب في حصول البشرى، وهو مقدم عليه في الوجود، فقدم عليه في الآية؛ لأن السبب والسبق سبب للتقديم[٣]، وأيضاً القرآن بشر المؤمنين بأنهم على هدى وكمال ورضى من الله تعالى، وبشرهم بأن الله سيؤتيهم خيري الدنيا والآخرة[٤].

ومجيئه بصيغة التنكير للدلالة على التعظيم والتفخيم، والشمولية لجميع جوانب البشرى التي تحصل بسبب الهدى والإيمان بالله وكتبه، فليس لها حد نهاية، ولا منتهى لغاية، ووصفه بأنه (هدى وبشرى) مجاز عقلي؛ لأن الهادي والمبشر في الحقيقة هو الله تعالى ورسوله ﷺ، ولكن لما كان لكتاب الله تعالى قوة في تسببه في الهدى وتبليغه البشرى، جعل نفس الهدى والبشرى، وهذا فيه مبالغة في وصف هذا الكتاب العظيم[٥].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٧/ ٨٤).

(٢) والآيات هي: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧] ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] وبقية المواضع: النحل [١٠٢]، النمل[٢]، الأحقاف [١٢].

(٣) انظر: التفسير الكبير (٣/ ١٨٠)؛ البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣١٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١/ ٦٢٢).

(٥) انظر: البحر المحيط (١/ ٤٦٢)؛ إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٧٢)؛ روح المعاني (١٩/ ١٥٦)؛ التحرير والتنوير (٨/ ٢١٩).

والله تعالى ختم الأوصاف في الآيات السابقة بأنه للمسلمين، ومرة للمؤمنين، ومرة للمحسنين، فاجتهد المفسرون في استخراج الحِكَم من ذلك، ومنها أنه تعالى خصهم بذلك لأنهم هم الذين اهتدوا بالكتاب، وهم المنتفعون به، كما قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وكذلك أنه لا يكون بشرى إلا للمؤمنين؛ لأن البشرى عبارة عن الخبر الدال على حصول الخير العظيم، وهذا لا يحصل إلا في حق المؤمنين، ولذا خصهم الله به كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، وذلك «أن نصوص القرآن لتسكب في قلب المؤمن من الإيناس، وتفتح له من أبواب المعرفة، وتفيض فيه من الإيحاءات والمشاعر ما لا يكون بغير الإيمان.. ومن ثم يجد فيه الهدى، كما يستروح فيه البشرى»[١] ولبيان حصول ضد تلك الأوصاف لغيرهم، ولحاق الاضطراب لهم، وتزلزل عقائدهم وضلالهم، وأن القرآن الكريم عليهم عمى ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤][٢].

ومن أساليب وروده مجيئه بصيغة المضارع (يبشر) وذلك في موضعين[٣]، وذلك للدلالة على التجدد والاستمرار، كما يوضحه قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: ٢]، فصيغة الاستقبال في الصلة للإشعار بتجدد الأعمال الصالحة واستمرارها[٤]، فكلما زاد وارتفع إيمان الشخص، فإن كتاب الله تعالى ما يزال يبشره، فالبشارة مرتبطة بالإيمان، فكلما زاد الإيمان زادت البشارة، كما بين تعالى أنه بشرى للمحسنين في قوله تعالى: ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢]، وهم الذين

(١) في ظلال القرآن (١/ ٩٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٣٠٠)؛ الكشاف (٣/ ٤٧٤)؛ التفسير الكبير (٣/ ١٨٠)؛ البحر المحيط (٧/ ٦٩)؛ روح المعاني (١/ ٣٣٣)؛ فتح القدير (٣/ ١٩٤).

(٣) وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: ٢].

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم (٥/ ٢٠٣)؛ روح المعاني (١٥/ ٢٠٣).

بلغوا الدرجة العالية، والمرتبة الرفيعة في العبادة والخشية لله تعالى.

وقد بين تعالى في الآيتين أسباب وموجبات البشارة العظيمة، وهي الإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الإسراء: ٩][(١)]، واقتران الوصف هنا باسم (القرآن) دون غيره من الأسماء؛ لأن القرآن يعطي وعطاؤه بغير حساب لكن بشرط كثرة النظر والتأمل فيه، ومداومة قراءته وتدبره، ولهذه المعاني الدقيقة ورد اسم (القرآن) في هذا المقام لأنه أنسب الأسماء لسياق الحديث[(٢)].

ووصف الله تعالى الأجر بأنه (كبيراً) في آية الإسراء، أما في سورة الكهف فهو (حسناً) والأجر في السورتين الجنة، والكبر والحسن من أوصافها، ولكن خصت سورة الإسراء بالكبير موافقة لفواصل الآي قبلها وبعدها، وكذلك في سورة الكهف جاء على ما تقتضيه الآيات قبلها وبعدها[(٣)]. وقد قرأ حمزة والكسائي (يَبشُر) بفتح الياء، وضم الشين مخففة، والباقون بضم الياء وكسر الشين مشددة[(٤)].

والله تعالى لم يسم أو يصف بهذا الوصف في القرآن الكريم (بشير) أي كتاب سبقه؛ كالتوراة أو الإنجيل أو الزبور وغيرها مع أن بعضها وصفت بأنها هدى ورحمة ونذر.. لكنها لم تسم أو تُوْصَف بهذا الوصف، وذلك أن القرآن كانت خصوصية البشرى فيه لأنه آخر الكتب، وبالتالي أقربهم إلى تحقيق الجزاء، والثواب في الآخرة، وهو آخر أنباء الخير للبشر[(٥)].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمٰن (٤٥٤).
(٢) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (١٥٧).
(٣) انظر: أسرار التكرار في القرآن (١٢٧).
(٤) انظر: السبعة في القراءات (٢٠٦)؛ معجم القراءات القرآنية، إعداد: أحمد مختار وآخرون (٣/ ٤٨).
(٥) أسماء القرآن د. خمساوي (٣٦) بتصرف.

المبحث الثاني

وصف القرآن بأنه بصائر

«الباء والصاد والراء أصلان، أحدهما: العلم بالشيء، يقال: هو بصير به.. ومن هذه البصيرة.. وهي البرهان، وأصل ذلك كله وضوح الشيء»[(١)].

و«البصيرة: الحجة، والاستبصار في الشيء»[(٢)].

وجمع البصر أبصار، وجمع البصيرة بصائر، ولا يكاد يقال للجارحة: بصيرة، ويقال من الأول: أبصرت، ومن الثاني: أبصرته، وبَصُرتُ به[(٣)].

والبصيرة هي قوة القلب المدركة، وعقيدته[(٤)].

ووجه وصف القرآن بأنه (بصائر)، لاشتماله على الحجج الظاهرة، والبراهين القاطعة، والآيات الواضحة، التي تكون دالة وبياناً للناس جميعاً في هذه الدنيا، وهادية لهم إلى رضوان الله ومحبته، وسائقة لهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وحجة قائمة عليهم، إن هم أعرضوا عنها، وكفروا بها «آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه من فصاحة اللفظ وبيانه ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة؛ لأنها صادرة من الرب الذي ربى خلقه بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، التي من أفضلها وأجلها تبيين الآيات وتوضيح المشكلات»[(٥)]، فهذه البصائر توجب البصر بالشيء والعلم به والإحاطة والدراية[(٦)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (بصر)، (١١٨). (٢) مختار الصحاح (ب ص ر).

(٣) انظر: المفردات للراغب (بصر)، (١٢٧)؛ بصائر ذوي التمييز (بصر) (٢/ ٢٢٢).

(٤) انظر: تاج العروس (بصر) (١٠/ ١٩٨). (٥) تيسير الكريم الرحمٰن (٢٦٨).

(٦) انظر: محاسن التأويل (٤/ ٤٦٧)؛ التفسير الكبير (٢/ ١٥).

وقد ورد وصف القرآن بأنه (بصائر) في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى[١]، ووصفه بأنه (بصائر) مجاز عقلي؛ لأن القرآن الكريم وآياته البينات سبب في حصول البصائر[٢]، وقد جلا ذلك وبيَّنه الرازي [٦٠٤هـ] في تفسيره بقوله: «وهي في أنفسها ليست بصائر إلا أنها لقوتها وجلالتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها، فلما كانت هذه الآيات أسباباً لحصول البصائر سميت هذه الآيات أنفسها بالبصائر»[٣].

وورود هذا الوصف بصيغة الجمع في جميع المواضع، للدلالة على عظم هذه البصائر، وجلالة قدرها وتنوعها، من تنوير العقل في إصلاح الاعتقاد، وتسديد الفهم في الدين، ووضع القوانين للمعاملات والمعاشرة بين الناس، والدلالة على طرق النجاح والنجاة في الدنيا، والتحذير من مهاوي الخسران في الآخرة، وبيان أن كل بصيرة منها قائمة بنفسها مستقلة بنفعها وأثرها[٤].

ووصفُ تلك البصائر بالمجيء في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤] تفخيم لشأنها، وتعظيم لأمرها، إذ كأنها بمنزلة الغائب الذي يتوقع حضوره ومجيئه، كما يقال: جاءت العافية[٥]، ولبيان تحقق مجيئها، ووصولها إليهم، فلا حجة لمن كفر وكذب بها.

وقد ذكر الله ﷻ في أكثر من آية في كتابه، قول أولئك القوم الذين طلبوا آيات، وتعنتوا فيها، ومن ذلك قولهم: ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، وقولهم: ﴿ائْتِ

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٣] ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الجاثية: ٢٠].

(٢) انظر: الفتوحات الإلهية (٢/ ٧٣)؛ التحرير والتنوير (١٠/ ٣٥٠).

(٣) التفسير الكبير (١٣/ ١٠٩).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٤/ ٢٣٨)؛ بلاغة القرآن في حديثه عن القرآن (١/ ٢٢٥).

(٥) انظر: البحر المحيط (٤/ ٢٥٣)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٥٧).

﴿بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥]، فأمر الله تعالى نبيه بأن يرد عليهم ويجيبهم بأنه قد جاءتهم بصائر هي خير مما سألوا؛ لأنها تجمع بين الدلالة على صدق الرسول ﷺ بواسطة دلالة الإعجاز، وصدوره عن الأمي، وبين الهداية والتعليم والإرشاد، والبقاء على مر العصور ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣][١].

ووردت الإشارة إلى البصائر في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، وقوله: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ [الجاثية: ٢٠] دون آية الأنعام، ولعل السبب في ذلك ـ والله أعلم ـ أن سورتي الأعراف والجاثية، ورد في مطلعهما الحديث عن القرآن الكريم، فناسب الإشارة إليه بـ(هذا)، أما في سورة الأنعام فلم يرد في مطلعها الحديث عن القرآن، ولذا لم يرد اسم الإشارة في الآية[٢].

ولما كان الكلام والحديث في آيتي الأنعام والأعراف على لسان النبي ﷺ[٣] وهو حريص كل الحرص على هداية هؤلاء القوم وقبولهم دعوته، وإقبالهم على هذه البصائر، ذكر ما يرغبهم ويحثهم في قبولها، والإقبال عليها بهذه اللفظة: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ «فالتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار كمال العطف بهم؛ أي: قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم إلى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب»[٤]، أما في سورة الجاثية فالمتحدث فيها هو الله تعالى، فهو الذي يدعو إلى هذه البصائر، والإقبال عليها، وهو سبحانه غني عنهم، ولا يضره ضلالهم، ولا ينفعه صلاحهم واهتداؤهم، ولهذا لم تذكر هذه اللفظة في هذا السياق[٥].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٤/ ٢٣٨).
(٢) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (١٦٢).
(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٣٨٤)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٨).
(٤) إرشاد العقل السليم (٣/ ١٧٠).
(٥) انظر: بلاغة القرآن في حديثه عن القرآن (١/ ٢٢٦).

ولم يرد هذا الوصف إلا في القرآن المكي، وهو مناسب لحالهم، أو من على شاكلتهم، إذ كانوا يعيشون في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، يعبدون الأصنام، ويئدون البنات، ويتقاتلون على أتفه الأسباب.. فبين الله تعالى أن هذا الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ هو في حقيقته بصائر تنير الدرب، وتبين المعالم، وترشد الضال، وتهدي الأعمى، فاستنيروا به، واهتدوا بهداه، وتمسكوا به تفلحوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة.

۞ ۞
۞

المبحث الثالث

وصف القرآن بأنه محكم وحكيم وحكمة

«الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحُكم وهو المنع من الظلم، وسميت حَكَمة الدابة لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها.. والحِكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حكَّمت فلاناً تحكيماً: منعته عما يريد»[١].

والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم، من فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يُحكم الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى مفعل، أو الحكيم ذو الحكمة، والعرب تقول: حكمت وأحكمت وحكمت، بمعنى منعت ورددت[٢].

والحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، وهي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعمل بمقتضاها، ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية، وأحكمه إحكاماً أتقنه، ومنه قولهم للرجل إذا كان حكيماً، قد أحكمته التجارب فاستحكم، صار محكماً[٣].

و«الحُكم أعم من الحكمة، فكل حكمة حكم، وليس كل حكم حكمة»[٤].

ووجه وصف القرآن بأنه (الحكيم)؛ لأنه محكم ومتقن بالحلال والحرام، والحدود والأحكام، وبالأوامر والنواهي، والقصص والأخبار، فلا

(١) معجم مقاييس اللغة (حكم) (٢٥٨) بتصرف.
(٢) انظر: لسان العرب (حكم) (١٢/ ١٤١).
(٣) انظر: المفردات للراغب (حكم) (٢٩٤)؛ تاج العروس (حكم) (٣١/ ٥١٠ ـ ٥١٣).
(٤) المفردات للراغب (حكم) (٢٥٠).

يتطرق إليه خلل، ولا يعتريه نقص أو قصور، ولأنه حاكم بين الناس بالحق والعدل، من خلال الأحكام والأوامر التي أمر بها، والنواهي التي نهى عنها، والقواعد الكلية التي اشتمل عليها ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ولأنه ذو حكمة في تأليفه ونظمه وأسلوبه، وأحكامه وحكمه، وكثرة علومه، ولأنه يجمع بين ذكر الحكم، وبيان حكمته، فينبه العقول على المناسبات، والأوصاف المقتضية لترتيب الحكم عليها[١]، فآيات القرآن قد أحكمت وأتقنت، فمن إحكامها «أنها جاءت بأجل الألفاظ وأفصحها وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها، ومن إحكامها أنها محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص والتحريف، ومن إحكامها أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة والأمور الغيبية كلها مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها نبي من الأنبياء، ولم يأت ولن يأتي علم محسوس ولا معقول صحيح يناقض ما دلت عليه، ومن إحكامها أنها ما أمرت بشيء إلا هو خالص المصلحة أو راجحها، ولا نهت عن شيء إلا وهو خالص المفسدة أو راجحها، وكثيراً ما يجمع بين الأمر بالشيء مع ذكر حكمته وفائدته، والنهي عن الشيء مع ذكر مضرته، ومن إحكامها أنها جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ الذي تعتدل به النفوس الخيرة وتحتكم فتعمل بالحزم، ومن إحكامها أنك تجد آياتها المتكررة؛ كالقصص والأحكام ونحوها قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض ولا اختلاف، فكلما ازداد بها البصير تدبراً، وأعمل فيها العقل تفكراً، انبهر عقله، وذهل لبه من التوافق والتواطؤ، وجزم جزماً لا يمترى فيه، أنه تنزيل من حكيم حميد»[٢].

وورد وصف القرآن بأنه (الحكيم) في ثمانية مواضع، وجاء بأساليب

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٥٩٤)؛ التفسير الكبير (٨/ ٦٥٩)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٠٥)؛ البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٦)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٦٩٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن (٦٤٦).

متنوعة، ومن ذلك وصفه بأنه (الحكيم)، وذلك في خمسة مواضع[(١)]، ومجيئه معرفاً بـ(ال) للدلالة على الشهرة والكمال، وبيان أن اشتماله على الحكمة، أصبح كالعلم عليه الذي لا يعرف إلا به، وأنها لا تفارقه ولا تعارضه، سواء في الألفاظ وأساليبها، أو المعاني وتراكيبها، وما تحويه من علوم متنوعة، ومعارف مختلفة.

وقد ورد هذا الوصف في مطلع السور المكية، وذلك للردِّ على الكافرين، والتعريض بضعف عقولهم وضلالهم، إذ كيف يكفرون بهذا الكتاب الكامل في جميع الصفات، المتكامل من جميع النواحي، حيث لا يصدر هذا الفعل والتصرف إلا من ضل عقله، وانتكست فطرته، واتبع هوى نفسه، ولذا قرن الله تعالى هذا الوصف باسم (الكتاب) للدلالة على أنه كتاب من سائر الكتب السابقة التي أنزلت على السابقين، وكالكتب الأخرى، إلا أنه فضل عليها كلها، بكونه محكماً ومتقناً ومعجزة في آن واحد، فلا وجه لكفركم به، وصدكم عنه، ووصفكم له بأبشع الأوصاف، وأسوأ الألقاب.

وإذا سمي القرآن (كتاب) ووصف بأنه (حكيم) معاً في آية واحدة، فيحتمل وجهين:

الأول: سمي (كتاب) من جهة كونه مشتملاً على الأحكام المكتوبة، و(حكيم) من جهة اشتماله على حكمة الشرائع من العقائد الصحيحة، والأخلاق الفاضلة[(٢)].

الثاني: أو يكون وصف الكتاب بأنه (الحكيم) مجاز عقلي، حيث وصف بوصف من أنزله، وتكلم به ﷻ[(٣)].

---

(١) والآيات هي: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [آل عمران: ٥٨] ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [يونس: ١] ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤] وبقية المواضع: [لقمان: ٢] [يس: ٢].

(٢) انظر: مفردات القرآن، عبد الحميد الفراهي، تحقيق: محمد أجمل أيوب، ط١، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م) ص(١٧٥).

(٣) انظر: الكشاف (١/٥٦٣)؛ حاشية الشهاب (٣/٥٩).

وقد أقسم الله تعالى بـ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ٢]، والعظيم لا يقسم إلا بما هو عظيم وجليل، والمقصود من هذا القسم هو تأكيد خبر إرسال محمد ﷺ ونبوته[١] ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ [يس: ٣]، ولذا اقترن الوصف هنا بالاسم العلم الأصلي (القرآن) دون غيره من الأسماء، للتأكيد على رسالة محمد ﷺ وأن ذلك عين الحكمة، ولبيان أن القرآن بمجموعه كله مشتمل على الحكمة والإحكام، سواء الأخبار والقصص، أو الأوامر والنواهي، أو الوعد والوعيد، فضلاً عن العقائد وتوحيد الله تعالى، «فالقرآن حكيم يخاطب كل أحد بما يدخل في طوقه، ويضرب على الوتر الحساس في قلبه، ويخاطبه بقدر، ويخاطبه بالحكمة التي تصلحه وتوجهه»[٢].

وأما مجيئه بصيغة التنكير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٤]، لإرادة التعظيم والتفخيم، والشمول لجميع نواحيه، فهو حكيم في أسلوبه، حكيم في معانيه، حكيم في أوامره ونواهيه، حكيم في ترغيبه وترهيبه.. بل وفي أعلى درجات الحكمة والإتقان والكمال، فما أعظمه من كتاب، وما أبلغه من خطاب، جعلنا الله من أهله، الذين هم أهل الله وخاصته.

وورد وصفه بأنه (محكم) وذلك في موضعين، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] أي: نظمت نظماً رصيناً محكماً، لا يقع فيه نقص ولا خلل؛ كالبناء المحكم المرصف[٣]، فآيات القرآن كلها محكمة لا خلل فيها ولا نقص ولا باطل، حيث إن الإحكام فيها منع القول من الفساد[٤]، وفي إسناد الإحكام إلى الآيات دون الكتاب نفسه، من حسن الموقع، والدلالة على كونه في أقصى غاياته ما لا يخفى[٥]، حيث «أحكمت

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٣٤٥). (٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٩٥٨).

(٣) الكشاف (٣/ ١٨١). وانظر: التفسير الكبير (١٧/ ١٤٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٩)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٧٣)، وهو قول قتادة رحمه الله.

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم (٤/ ١٨٢)؛ روح المعاني (١١/ ٢٠٤).

آياته فجاءت قوية البناء، دقيقة الدلالة، كل كلمة فيها وكل عبارة مقصودة، وكل معنى فيها وكل توجيه مطلوب، وكل إيماءة وكل إشارة ذات هدف معلوم»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] أي: مفصلات مبينات ثابتات الأحكام، قطعية الدلالة على المعنى المراد، فلا تلتبس على أحد، محكمة العبارة، محفوظة من الاحتمال والاشتباه بغيرها[٢]، ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أن المحكم أمٌّ للمتشابه، وذلك أن الآيات المحكمات مفهومة بذواتها، والمتشابهات إنما تصير مفهومة بإعانة المحكمات، فصارت المحكمات كالأم للمتشابهات، وكذلك الآيات المحكمات هن معظم الكتاب، وموضع مفزع أهله عند الحاجة إليه، والعرب تفعل ذلك حيث تسمي الجامع مُعظَم الشيء أمّاً له[٣]. ورب سؤال يتبادر إلى الذهن، وهو لماذا لم يكن القرآن كله محكماً؟ وقد أجاب عن هذا جار الله الزمخشري [٥٣٨هـ] فأجاد وأفاد، ومما قال: «لو كان كله محكماً لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به»[٤]. وفيه أيضاً ابتلاء وامتحان للخلق بكون بعضه محكم، والبعض متشابه، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.. أما حقيقة المحكم والمتشابه من آي الكتاب، فقد سبقت الإشارة إليها في مبحث (وصف القرآن بأنه متشابه)[٥].

وورد وصف القرآن بأنه (حُكْم) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧] أي: محكماً متقناً بأوضح الألسنة، وأفصح اللغات، وبأجمل العبارات، لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع وحده ولا

(١) في ظلال القرآن (٤/ ١٨٥١).
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢٧٤)؛ تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٦٠).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٨٩)؛ المحرر الوجيز (٢٧٤)؛ التفسير الكبير (٧/ ١٥٠).
(٤) الكشاف (١/ ٥٢٨).
(٥) في المبحث الرابع عشر من الفصل الأول من هذا الباب.

يداهن فيه، ولا يتبع ما يضاده ويناقضه، من أهواء الذين لا يعلمون، فهو قد اشتمل على جميع أقسام التكاليف، فالحكم لا يمكن إلا بالقرآن، ولما كان القرآن سبباً للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة(١).

وذكر بعض المفسرين أن المراد بـ(الحكم) في الآية أي: حكمة عربية(٢)، وهو في الحقيقة يدخل في المعنى السابق إذ إن كل حكمة حكم، وليس العكس، كما سبق تقريره.

وورد وصفه كذلك بأنه (حكمة) في قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝﴾ [القمر: ٥]، ووجه رفعها إما على أنها خبر لمبتدأ محذوف، وتكون الإشارة إلى إنزال ما فيه الأنباء، أو بدل من (ما) في قوله تعالى: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر: ٤](٣)، ومجيئها بصيغة التنكير للدلالة على أنها بلغت الغاية في الحكمة والإحكام والإتقان، وفي هذا تعظيم وتفخيم لشأن القرآن، حيث إن القارئ والتالي والمستمع يكتسب الحكمة من قراءته وتلاوته، أو استماعه.

ووصف الكلام بالحكمة مجاز عقلي، بعلاقة الإخبار بالمصدر، وفي هذا المجاز ما فيه من المبالغة في وصف أنباء القرآن الكريم، وما اشتمل عليه من أخبار، بأنها عين الحكمة(٤).

ووصف (الحكمة) بأنها بالغة؛ أي: لا خلل فيها ولا نقص، وهي موصلة إلى المقصود، مفيدة لصاحبها، وذلك لتكون حجة على العالمين، ولا يبقى لأحد على الله حجة(٥).

---

(١) انظر: التفسير الكبير (١٩/ ٤٩)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٤١٩).

(٢) كالزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٥٦)؛ والرازي في التفسير الكبير (١٩/ ٤٩)؛ والنسفي في مدارك التنزيل (٢/ ٢٢٠).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٩/ ٢٩)؛ زاد المسير (٨/ ٩٠)؛ البحر المحيط (٨/ ١٦٨)؛ فتح القدير (٥/ ١٢١).

(٤) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (٤٨).

(٥) انظر: البحر المحيط (٨/ ٢٤٨)؛ إرشاد العقل السليم (٨/ ١٦٨)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٨٢٤)؛ التحرير والتنوير (١١/ ١٧٥).

أما قوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فـ(الحكمة) في الآية من أحكم بمعنى: أتقن، وهي وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، وهي تستلزم العلم بكتاب الله تعالى، والفقه فيه، والتأمل والتدبر في آياته(١)، ولذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية أنه قال: المعرفة بالقرآن وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله، وروي عنه: الفقه في القرآن، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: قراءة القرآن والفكر فيه، وقال مجاهد: القرآن والعلم والفقه، وقال قتادة: الفقه في القرآن، وقال أبو العالية(٢): الكتاب والفهم به(٣).

أما قراءة القرآن فحسب فإنه يقرؤه البر والفاجر، كما قال ابن عباس(٤). فأنى له الحكمة والخيرية.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ﴾ [الإسراء: ٣٩] الإشارة إلى الأحكام السابقة، وهي خمسة وعشرون حكماً؛ أي: أنها أحكام محكمة لا يتطرق إليها النسخ والفساد، وهي التي تقتضيها حكمة الله تعالى في عباده، وهي آداب جامعة لكل خير وفلاح في الدنيا والآخرة(٥).

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة) (٣/ ٣٥١).

(٢) هو رفيع بن مهران بالتصغير، أبو العالية الرياحي، مشهور في التابعين، له إدراك يقال: إنه دخل على أبي بكر، وصلى خلف عمر، وأخرج أبو أحمد الحاكم من طريق أبي خلدة قال: قلت لأبي العالية: أدركت النبي ﷺ؟ قال: لا، جئت بعده بسنتين أو ثلاث، وهو ثقة، توفي سنة ٩٠هـ. انظر: الإصابة (٢/ ٥١٤)؛ تقريب التهذيب (٢١٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٨ ـ ١٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٣١ ـ ٥٣٤)؛ الدر المنثور (٢/ ٦٦). وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٣) أن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والضحاك قالوا: الحكمة هي القرآن، ولكن الذي يظهر لي من خلال أقوالهم المسندة إليهم أنهم أرادوا الفهم والفقه والعلم بالقرآن وهي من مستلزمات الحكمة، وليست الحكمة وصفاً للقرآن في هذه الآية. والله أعلم.

(٤) انظر: الدر المنثور (٢/ ٦٦)

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١١٤٤)؛ التفسير الكبير (٢٠/ ١٧١)؛ زاد المسير (٥/ ٣٧)؛ إرشاد العقل السليم (٥/ ١٧٣)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٤٥٨).

وقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥]، فقد اختلف المفسرون في المراد بالحكمة، فقيل: القرآن[(١)]، حكي عن ابن عباس[(٢)]. وقيل: القرآن والسنة[(٣)]، وهذان القولان من مستلزمات الحكمة، وليست هي الحكمة ذاتها، وقيل: الحكمة المقالة المحكمة المتقنة، وهو الكلام الذي يظهر صوابه، والمناسب للمدعوين[(٤)]، وهو يتضمن القولين السابقين، حيث إن من الحكمة الاستدلال بالقرآن الكريم، والاستنارة بالسنة النبوية، وتوظيفهما في الخطاب، واختيار ما يناسب المقام والحال، وهو الأظهر، وسئل بعضهم: لم قدم الله تعالى الحكمة؟ فقال: لأن الحكمة إصابة القول باللسان، وإصابة الفكرة بالجنان، وإصابة الحركة بالأركان، وإن تكلم بكلام بحكمة، وإن تفكر بفكر بحكمة[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، اختلف المفسرون ـ أيضاً ـ في المراد بالحكمة هنا، فقيل: القرآن[(٦)]، وقيل: السنة، قاله قتادة[(٧)]، ورجحه جمع من المفسرين منهم: ابن جرير، والسمعاني، والواحدي، وابن عطية، والرازي[(٨)].. وغيرهم، وهو الأظهر؛ لأن العطف في الأصل يقتضي المغايرة، ولأن المقام مقام تعدد

---

(١) انظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٤٢٣)؛ والكشف والبيان (٦/ ٥١)؛ وزاد المسير (٤/ ٥٠٦).

(٢) وقد وردت روايات كثيرة عن ابن عباس في تفسير الحكمة، ومنها: الفقه في القرآن، والمعرفة بناسخ القرآن ومنسوخه، وحلاله وحرامه... إلخ. انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٠)؛ الدر المنثور (٢/ ٦٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٠٠)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٧٨١).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١١٢٣)؛ الكشاف (٣/ ٤٨٥)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٦٤)؛ روح المعاني (١٤/ ٢٥٤).. وغيرهم.

(٥) تفسير السلمي (١/ ٣٧٧).

(٦) انظر: الكشاف (٥/ ٦٨)؛ إرشاد العقل السليم (٧/ ١٠٣).

(٧) انظر: الدر المنثور (٦/ ٦٠٧).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٠٨)؛ تفسير السمعاني (٤/ ٢٨٢)؛ التفسير الوجيز (٢/ ٨٦٥)؛ المحرر الوجيز (١٥١٢)؛ التفسير الكبير (٢٥/ ١٨٢).

النعم على زوجات النبي ﷺ والتي منها إنزال الوحي في بيوتهن، وهو يشمل القرآن والسنة، يقول ابن جرير [٣١٠هـ]: «واذكرن ما يقرأ في بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة، ويعني بالحكمة: ما أوحي إلى رسول الله ﷺ من أحكام الدين، ولم ينزل به قرآن، وذلك السنة»[١].

(١) تفسير الطبري (١٩/١٠٨).

المبحث الرابع

وصف القرآن بأنه (ذكرى) و(تذكرة)

«الذال والكاف والراء أصلان.. والأصل الآخر: ذَكَرْتُ الشيء خلاف نسيته»[(١)].

و(ذكره) بعد النسيان، وذكره بلسانه وبقلبه يذكره (ذِكراً) و(ذُكْرة)، و(ذِكْرى) أيضاً.. و(التذكرة) ما (تُسْتَذكر) به الحاجة[(٢)].

والذكرى: اسم أقيم مقام التذكير، كما تقول: اتقيت تقوى، ويجوز أن يكون بمعنى كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر[(٣)].

و«التذكرة: ما يتذكر به الشيء، وتستذكر به الحاجة، وهو أعم من الدلالة والأمارة»[(٤)].

ووجه وصف القرآن بأنه (ذكرى) لأنه مشتمل على مواعظ وعبر، ونذر وتخويف، وترغيب وترهيب، وبيان لمآلات الأمور، وعواقب الأعمال، والإعداد والاستعداد للحياة الباقية بما يسر ويفرح، واجتناب كل ما يسوء ويبعد عن الله تعالى وجنته.. مما هو تذكير بما في تذكُّره واستحضاره خير الدنيا والآخرة، والقرب من الله تعالى، والبعد عن كل ما يبغضه ويكرهه[(٥)].

والقرآن (تذكرة) وعظة وعبرة لم أراد التذكر والاتعاظ والاعتبار؛ لأن حقيقة التذكرة خطورة المنسي في الذهن، وذلك أن التوحيد وتعظيم الله تعالى

---

(١) معجم مقاييس اللغة (ذكر) (٣٦٨). (٢) انظر: مختار الصحاح (ذ ك ر).
(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز (٣/ ١٢)؛ لسان العرب (٤/ ٣١٠).
(٤) المفردات للراغب (ذكر) (٣٢٩)؛ المعجم الوسيط (١/ ٣١٣).
(٥) انظر: التحرير والتنوير (٨/ ١٥).

وطاعته، وتصديق رسله وكتبه، مستقر في الفطر السليمة، والنفوس السوية، والإشراك والكفر منافٍ لها، ومخالف لما خلقت له، وفطرت عليه، فهو تذكير لما في الفطرة، ولما جبلت عليه النفس[(١)]. . ف«تذكير القرآن هو الذي جعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وهو الذي جعل الصحابة ومن تبعهم رهباناً في ليلهم، أسوداً في ميادين الحروب في نهارهم، وهو الذي جعل عباد الله المتقين لا يخافون في الله لومة لائم، وهو الذي جعلهم يقولون الحق ولو كان مُرّاً، وتذكير القرآن جعل المؤمنين يتخلقون بالأخلاق الفاضلة، والصفات الحسنة حيث إن القرآن هو سياط القلوب تارة، وفرحها واستبشارها تارة أخرى»[(٢)].

وورد وصف القرآن بأنه (ذكرى) في ثلاثة مواضع[(٣)]، ومجيئه بصيغة التنكير للتعظيم والتفخيم[(٤)]، فهو ذكرى وأيُّ ذكرى، حيث لا يدانيه خطاب، ولا يجاريه كتاب، ولا يساويه مُذكِّر في التذكير والذكرى، ومن لم تنفعه وينتفع بذكرى القرآن، فقد طمس على قلبه، وجعل على بصره غشاوة.

ووصفُ كتاب الله تعالى بأنه (ذكرى) نعمة عظيمة، ومنة كبيرة، على أمة محمد ﷺ لأن فيه إشارة إلى أنه معجزة باقية، وآية مستمرة، يتذكر بها كل من يكون، ما بقي الزمان، وعاش الناس، أما بقية المعجزات الصامتة فإنها لا تفيد إلا صدق من حصلت على يديه، عند من عايشها وأبصرها، ونظر إليها[(٥)].

وقد قصر الله تعالى هذا الوصف على المؤمنين؛ لأنهم هم المنتفعون

---

(١) المرجع نفسه (٧/ ١٨٥).

(٢) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ١٨٦) بتصرف.

(٣) والآيات هي: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [الأعراف: ٢] ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [العنكبوت: ٥١].

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ١٩٣).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٢٥/ ٧٠)؛ التحرير والتنوير (٨/ ١٥).

بهذا الكتاب، المستفيدون منه، المسترشدون بنوره، المتبعون لهداه ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦]، أما غيرهم فهو عليهم عمى، ووبالاً ونكالاً في الدنيا، حيث فضحهم وبيَّن عورهم وضلالهم، وأقام الحجة عليهم، وفي الآخرة العذاب الشديد، والخزي الدائم الذي لا ينقطع ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤] أعاذنا الله منهم، وجنبنا طريقهم وسبيلهم.

ووصف القرآن بأنه (ذكرى) في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [الأعراف: ٢] على تقدير أن (ذكرى للمؤمنين) خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو ذكرى، أو عطف على (كتاب) أي: هو كتاب وذكرى، أو مجرور على موضع (لتنذر) أي: للإنذار والذكرى، أما إذا كان منصوباً سواء على إضمار فعل (وتذكر ذكرى) أو على موضع (لتنذر) لأن موضعه نصب، فلا يُعدُّ وصفاً للقرآن، بل هو حينئذٍ وصف للرسول ﷺ[1] والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠] فقال جمع من المفسرين[2]: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ وهو قول مقاتل[3].

وقال آخرون: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن المراد باسم الإشارة هنا النبي ﷺ؛ لأنه لم ترد الإشارة في الآيات إلى القرآن الكريم لا من قريب ولا من بعيد،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/٥٦)؛ زاد المسير (٣/١٦٦)؛ البحر المحيط (٤/٣٤٥)؛ فتح القدير (٢/١٨٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦٤٣)؛ زاد المسير (٣/٨٢)؛ التفسير الكبير (١٣/٥٩)؛ الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٦)؛ مدارك التنزيل (١/٣٣٤)؛ إرشاد العقل السليم (٣/١٦٠).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (١/٣٥٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٩/٣٩٣)؛ الكشف والبيان (٤/١٦٧)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٢٦٤)؛ التحرير والتنوير (٤/١٤).

وإنما الآيات كلها في ذكر الأنبياء والمرسلين السابقين.. ثم ختمها الله تعالى ببيان أن أولئك القوم هداهم الله، وأمر نبيه محمداً ﷺ أن يتبع هداهم، ويقتفي آثارهم، ثم أمره تعالى أن يقول لقومه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، يقول ابن جرير [٣١٠هـ]: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل لهؤلاء الذين أمرتك أن تُذكرهم بآياتي.. لا أسألكم على تذكيري إياكم، والهدى الذي أدعوكم إليه، والقرآن الذي جئتكم به، عوضاً أعتاضه منكم عليه، وأجراً آخذه منكم، وما ذلك مني إلا تذكيرٌ لكم، ولكل من كان مثلكم.. بأس الله أن يحل بكم، وسخطه أن ينزل بكم، على شرككم به وكفركم، وإنذار لجميعكم بين يدي عذاب شديد، لتتذكروا وتنزجروا»[1]. ومما يقوي هذا الرأي وصف الرسول ﷺ بأنه أرسل إلى الناس كافة، وذلك في أكثر من آية من كتاب الله تعالى، ومن ذلك: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] مما يوافق تفسير (العالمين) في هذه الآية، وكذلك أن الله تعالى قصر (الذكرى) في كتابه العزيز التي هي في الحقيقة كثرة الذكر على المؤمنين؛ لأنه لا يمكن أن تحصل الذكرى والتذكر لغيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥]، أما الكفار والمشركون والمنافقون فهم معرضون وصادون عن الله تعالى وعن كتابه، فضلاً أن يكون لهم نظر وتفكر فيه، كما قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾ [الأعلى: ١٠، ١١].

وورد وصف القرآن بأنه (تذكرة) في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى[2]، وخص الله تعالى التذكرة بالمتقين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة: ٤٨]؛ لأنهم هم المنتفعون بها، المستفيدون منها[3] ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا

(١) تفسير الطبري (٩/ ٣٩٣).

(٢) والآيات هي: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ [طه: ٣] ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة: ٤٨] وبقية المواضع: [المزمل: ١٩]، [المدثر: ٤٩، ٥٤]، [الإنسان: ٢٩]، [عبس: ١١].

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٢/ ٥)؛ أضواء البيان (٣/ ٦).

﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩]، أما ما سواهم فهم معرضون عنها، كما حكى الله تعالى حالهم بقوله: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ۝٤٩﴾ [المدثر: ٤٩].

وقد ورد هذا الوصف بالمصدر للمبالغة في الوصفية، فالقرآن في ذاته تذكرة لمن يريد أن يتذكر، سواء تذكر أم لم يتذكر، وهو تذكرة للمتقين في الماضي والحال والمستقبل؛ لأن المصدر لا إشعار له بوقت، بخلاف الفعل وما أشبهه(١).

ووصف القرآن بأنه (ذكرى) و(تذكرة) لم يرد إلا في القرآن المكي، وهو مناسب لحال أهل مكة ومن على شاكلتهم؛ لأن الناس بحاجة كبيرة إلى كتاب الله وما فيه من عظة واعتبار، وإذا كان الناس بحاجة إلى ذلك، فأهل مكة ومن على حالهم، أشد احتياجاً إلى القرآن الكريم الذي ينقذهم مما هم فيه، من الضلالة والفساد، ويذكرهم بربهم وخالقهم ﷻ(٢).

❁ ❁ ❁

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ١٤٩).

(٢) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (٢١٥).

المبحث الخامس

وصف القرآن بأنه مبين

«الباء والياء والنون أصل واحد، وهو بعد الشيء وانكشافُه.. وبان الشيء، وأبان إذا اتضح وانكشف»[١].

و«(بان) الشيء (يَبِيْن) (بياناً) اتضح، فهو (بيِّن)، وكذا (أبان) الشيء فهو (مبين) و(أبَنْتُه) أنا أي: أوضحته»[٢].

«وبان الشيء واستبان وتبين وأبان وبَيَّنَ بمعنى واحد»[٣].

«والعرب تقول (بَيّنتُ) الشيء (تبييناً) و(تِبياناً) بكسر التاء، وتفعال بالكسر يكون اسماً، فأما المصدر فإنه يجيء على تَفعال بالفتح مثل التَّكذاب، والتَّصداق»[٤].

«والبينة: الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة»[٥].

ووجه وصف القرآن بأنه (مبين) لأن ألفاظه وجمله وتراكيبه، أبانت عن المعاني التي تحويها، في يسر مع جزالة في الألفاظ، وسهولة مع قوة في المعاني، فهو بيّن وواضح وضوحاً «يناسب كل إنسان مهما كان عقله وذكاؤه وعلمه وعصره، فإذا قرأه أي إنسان عربي أو يجيد العربية، أو تلي عليه، أدرك منه معاني وعظات ومفاهيم، ووقف خاشعاً منبهراً، وشعر أول ما شعر بأنه واضح جلي، لا غموض فيه ولا لبس، مهما كانت حصيلته من المعرفة»[٦]، ولأنه أبان وأفصح عن كل ما تحتاجه البشرية من مقومات في الحياة الدنيا،

---

(١) معجم مقاييس اللغة (بين) (١٤٧).
(٢) مختار الصحاح (ب ي ن).
(٣) لسان العرب (بين) (١٣/٦٧).
(٤) تاج العروس (بين) (٢٤/٢٩٩).
(٥) المفردات للراغب (بان) (١٥٧).
(٦) أسماء القرآن د. الخمساوي ص(٥٤).

وزاد يتبلغون به إلى الحياة الأخرى، «فمعرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يجب له تعالى وما لا يجب، والعقيدة الإسلامية، وأحكام العبادات والمعاملات، وجميع الشؤون الاجتماعية، والأحوال الشخصية، وكل ما تحتاجه المجموعة البشرية في كل زمان ومكان، وأحكام المعاد والبعث والنشور، والحساب والجزاء والعقاب وغير ذلك هو مبين وموضح في كتاب الله تعالى.. وصدق الله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢]»[١]. وهو أيضاً بينات وعلامات على كونه من عند الله تعالى، ومفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام[٢].

وورد وصف القرآن بأنه (مبين) بتصاريفه المتعددة، إحدى وثلاثين مرة في كتاب الله تعالى، وجاء بأساليب متنوعة، واستعمالات مختلفة، ومن ذلك وصفه بأنه (مبين) في اثني عشر موضعاً[٣]، ووصفه بأنه (مبين) في جميع المواضع يحتمل وجهين:

١ ـ أنه اسم فاعل من (أبان) اللازم: بمعنى أنه بان وظهر إعجازه وكونه من عند الله تعالى، لما فيه من المعاني العظيمة، والنظم المعجز، وهذا فيه تنويه به؛ لأن وصفه بأنه بين وواضح، أرفع من وصفه بأنه موضح ومبين.

٢ ـ أنه اسم فاعل من (أبان) المتعدي: بمعنى أنه بيَّن وأظهَر ما الناس بحاجة إليه، وما كان خافياً عليهم[٤]، فالمبين أفاد معنيين، أحدهما: أن

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ٢٠٠).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم (١/ ١٣٤).

(٣) والآيات هي: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] وبقية المواضع: [الحجر: ١]، [النحل: ١٠٣]، [الشعراء: ٢، ١٩٥]، [النمل: ١]، [القصص: ٢]، [يس: ٦٩]، [الزخرف: ٢]، [الدخان: ٢].

(٤) انظر: الكشاف (٢/ ٢١٨)؛ البحر المحيط (٧/ ٨)؛ إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٦٣)؛ روح المعاني (٦/ ٩٨)؛ التحرير والتنوير (٦/ ١٠)، (٨/ ٩٢)، (٨/ ٢١٨).

شواهد صدقه وإعجازه وهديه لكل متأمل، وثانيها: أنه مرشد مفصل، وهذا من استعمال اللفظ في معنييه كالمشترك[١].

وقد اقترن هذا الوصف باسم (الكتاب) في سبعة مواضع، وذلك للدلالة على أنه وإن كان كتاباً كغيره من الكتب، إلا أنه فُضِّل عليها وسما بها، بوصفه بأنه مبين في نفسه ولغيره، بل وفي أعلى مراتب الإبانة التي لا يعتريها نقص أو قصور في جميع جوانبه، لئلا يظن ظان أنه إذا كان كتاباً، فمن السهل الإتيان بمثله، أو محاولة معارضته، أو مقارنته بغيره من الكتب.

وورود هذا الوصف بصيغة التنكير، للدلالة على التفخيم والتعظيم من شأنه، حيث إنه مبين لجميع ما تحتاجه البشرية في الحياة الأولى والأخرى، وأما وروده معرفاً (المبين) فللدلالة على الشهرة والكمال حيث لا يدانيه بيان، ولا يقاربه فصاحة، فيما سواه من الكتب الأخرى التي هي من وضع البشر وجهدهم.

وورد وصفه كذلك بأنه (مبينات) وذلك في ثلاثة مواضع[٢]، وفيها قراءتان سبعيتان، فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو[٣] بفتح الياء بصيغة اسم المفعول (مبيَّنات) والبقية بكسر الياء (مبيِّنات) بصيغة اسم الفاعل[٤]، وعلى القراءة الأولى يكون المعنى: أن الله تعالى بيَّنها وأوضحها، وفي إسناد التبيين للآيات مجاز عقلي، أما على القراءة الثانية، ففيها وجهان: إما أن قوله:

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٨/ ٩٢)، (٨/ ٢١٨).

(٢) والآيات هي: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [النور: ٣٤] وبقية المواضع: النور [٤٦]، الطلاق [١١].

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي، ثم المازني البصري، شيخ القراء والعربية، وأمه من بني حنيفة، اختلف في اسمه على أقوال أشهرها زبان، وقيل: العريان، أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة، فعرض بمكة على مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعكرمة بن خالد وابن كثير وغيرهم، وإليه انتهت الإمامة في القراءة في البصرة، توفي سنة ١٥٤هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٦٦)؛ معرفة القراء (١/ ١٠٠).

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (٢/ ٢٩٧) معجم القراءات القرآنية، إعداد: أحمد مختار (٣/ ٣٧١).

(مبينات) اسم فاعل (بين) المتعدية، وعليه فالمفعول محذوف؛ أي: مبينات الأحكام والحدود، أو تكون (مبينات) وصف من (بيَّن) اللازمة، فهي صفة مشبهة، وعليه فالمعنى آيات مبينات أي: بينات واضحات، وكلا المعنيين معروف ومستعمل في اللغة العربية[١].

وقد بيَّن الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [النور: ٣٤] منته على عباده المتقين، حيث أنزل إليهم آيات مبينات مما يستوجب عليهم شكر هذه النعمة بالتمسك بها، وعدم الإعراض عنها.

وفي الآية الأخرى: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور: ٤٦]، حيث لم يعطفها على ما سبقها ولم يقيد إنزال الآيات بأنها للمؤمنين، وذلك أن المقصود من سياق الآية هو إقامة الحجة، وإثبات الدليل على من كفر وجحد، ثم أعرض عن هذا القرآن وصد عنه، ولذا ختمها الله ﷻ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦] سبحانه ما أعظمه من خالق، وما أجله من كتاب[٢].

وورد وصفه ـ أيضاً ـ بأنه (بينات) في ثلاثة عشر موضعاً[٣]، وقد اقترن هذا الوصف بالوصف الآخر (آيات) في اثني عشر موضعاً، للدلالة على أنها آيات بينات لمن أنصف نفسه، ولم يدْعُه إلى هلاكها الهوى والبغيُ والإعراضُ، إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة، ولُبٍّ سليم، تصديق من أتى بمثل الذي أتى به محمد ﷺ من الآيات البينات الواضحات، التي لا

---

(١) الكشاف (٤/ ٣٠٥)؛ البحر المحيط (٦/ ٥٥٣)؛ إرشاد العقل السليم (٦/ ١٧٤)؛ أضواء البيان (٤/ ١١٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٨/ ٢٦٧).

(٣) والآيات هي: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [البقرة: ٩٩] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ [يونس: ١٥] وبقية المواضع: [البقرة: ١٨٥]، [مريم: ٧٣]، [الحج: ١٦، ٧٢]، [النور: ١]، [العنكبوت: ٤٩]، [سبأ: ٤٣]، [الجاثية: ١٧]، [الأحقاف: ٧]، [الحديد: ٩]، [المجادلة: ٥].

نقص فيها ولا خلل(١).

وفي أغلب المواضع التي ذكر فيها هذا الوصف، يكون السياق للذين كفروا وصدوا عن القرآن(٢)، وذلك للرد عليهم وبيان أن تلك الآيات التي كفروا بها قد بينت ووضحت، على أكمل وجه، وأعلى بيان، فلا حجة لهم في الكفر بها، ولا متمسك لهم في الإعراض عنها، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «ومعنى كونها بينات: أنها واضحات الحجة عليهم، ومفعمة بالأدلة المقنعة»(٣)، ولكن الجهل وظلم النفس يورد المرء الموارد ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢]، فهي آيات بينات «تحصل بها الهداية لمن استهدى، وإقامة الحجة على كل من عاند، وهي في الوضوح والدلالة، قد بلغت مبلغاً عظيماً، ووصلت إلى حالة لا يمتنع من قبولها إلا من فسق عن أمر الله، وخرج عن طاعة الله، واستكبر غاية التكبر»(٤).

وورد وصفه بأنه (تبيان) في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] أي: واضحاً بيناً «في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد فهو مبين فيه أتم تبيين، بألفاظ واضحة، ومعانٍ جليلة، حتى إنه تعالى يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة، وأدلة متنوعة، لتستقر في القلوب، فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح، معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس»(٥).

وقد وردت آثار كثيرة تدل على أن القرآن تبيانٌ لكل شيء، ومن ذلك ما

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٣٠٤).

(٢) حيث ورد في ثمانية مواضع. انظر على سبيل المثال: [البقرة: ٩٩] [يونس: ١٥]، [مريم: ٧٣]، [الحج: ٧٢]، [سبأ: ٤٣].

(٣) التحرير والتنوير (٧/ ١٥٤).

(٤) تيسير الكريم الرحمٰن (٦٠).

(٥) تيسير الكريم الرحمٰن (٤٤٧).

روي عن ابن مسعود ﷺ: أنزل في القرآن كلُّ علم، وبين لنا فيه كلُّ شيء، ولكن علمَنا يقصر عما بُيِّن لنا في القرآن[١]. وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال: «**لَعَنَ الله الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، قال: فَبَلَغَ ذلك امْرَأَةً من بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لها أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فقالت: ما حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فقال عبد اللهِ: وما لي لَا أَلْعَنُ من لَعَنَ رسول اللهِ ﷺ وهو في كِتَابِ اللهِ، فقالت الْمَرْأَةُ: لقد قرأت ما بين لَوْحَيْ الْمُصْحَفِ فما وَجَدْتُهُ؟ فقال: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لقد وَجَدْتِيهِ قال الله ﷻ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟...﴾**» الحديث[٢]، وقال الشافعي مرة بمكة: سلوني عما شئتم، أخبركم عنه من كتاب الله تعالى[٣].

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٤).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) انظر: معرفة السنن والآثار (٤/ ٢٣٣)، وقد أفاض السيوطي في (الإكليل في استنباط الدليل) وأطال بنقل الآثار والأحاديث في إثبات أن القرآن تبيان لكل شيء. انظر: (١/ ٢٣٥ ـ ٢٨٢)، ومسألة بيان القرآن الكريم للعلوم والمعارف الدينية مما يحتاج إليه الناس في حياتهم ظاهر في الآية، ووجه ذلك: أنه تبيان لكل شيء من أمور الدين باعتبار أن فيه نصاً على بعضها، وإحالة لبعضها على السنة حيث أمر الله تعالى باتباع النبي عليه الصلاة والسلام وطاعته، وقال فيه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤] وحث على الإجماع وقد رضي رسول الله ﷺ لأمته باتباع أصحابه، وهم قد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب. انظر: الكشاف (٣/ ٤٦٢)؛ إرشاد العقل السليم (٥/ ١٣٥).. أما كون القرآن مشتمل حتى على العلوم الدنيوية كالطب والهندسة والجبر.. فهذا مما اختلف فيه كثيراً، وذلك راجع إلى عموم (كل) فمن قال العموم هنا مقتصر على العلوم الدينية فقط أخرج العلوم الدنيوية، وقال بهذا جماعة.. الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٣٣)؛ والصنعاني (٢/ ٣٦٢)؛ والسمعاني (٣/ ١٩٥)؛ والقرطبي (٦/ ٤٢٠)؛ وابن رجب في التفسير (١/ ٦١٦)؛ والزحيلي في تفسيره (١٤/ ٢٠٦).. وغيرهم. ومن قال إن العموم على ظاهره فيشمل الدينية والدنيوية، أدخل فيه جميع العلوم الدنيوية، وقال بهذا الزركشي حيث أشار إلى أن القرآن مشتمل على علوم الأولين والآخرين(٢/ ٣٢٠)؛ والسيوطي في الإكليل (١/ ٢٥٣)؛ والمرسي نقل =

وورد وصفه بأنه (بيان) وذلك في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(هذا) فقيل: إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧] الآية؛ أي: هذا الذي عرفتكم يا معشر أصحاب محمد ﷺ بيان للناس، قاله ابن إسحاق، واستدل بأن (هذا) إشارة إلى حاضر، إما مرئي وإما مسموع، وهو في هذا الموضع إلى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة، ورجحه ابن جرير، وأبو السعود[(١)].

وقيل: إن (هذا) إشارة إلى القرآن، قاله الحسن وقتادة وابن جريج[(٢)][(٣)]، ورجحه العز بن عبد السلام[(٤)]، والثعلبي، والواحدي، وابن

= كلامه السيوطي في الإتقان (٢/ ٢٧١). ولعل الأظهر في المسألة أن كل شيء لنا فيه مصلحة فقد بينه القرآن، وما ليس لنا فيه مصلحة فإنه لا حاجة إلى ذكره، وقد يكون هذا الشيء الذي لم يذكر موكولاً إلى عقول الناس وتجاربهم، كما في كثير من طبائع الأشياء، والأمور الطبيعية سواء الفلكية، أو الجيولوجية، أو غير ذلك، ويدل عليه - أيضاً - قوله عليه الصلاة والسلام: **«أنتم أعلم بأمور دنياكم»**. انظر للاستزادة في هذه المسألة: روح المعاني (١٤/ ٢١٦)؛ والإكليل (١/ ٢٣٥)؛ وجواهر القرآن للغزالي (١/ ٤٤)؛ وتفسير القرآن الكريم (سورة يس) (٢٥٠).

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٧٤)؛ إرشاد العقل السليم (٢/ ٨٨).

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، ويكنى أبا الوليد، وكان جريج عبداً لأم حبيب بنت جبير، وكانت تحت عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص، وكان ثقة فاضلاً، فقيهاً، وكان كثير الحديث، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩١)؛ تقريب التهذيب (٣٦٣).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٦٩)؛ الدر المنثور (٢/ ٣٢٩).

(٤) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، الشيخ الإمام العلامة، وحيد عصره، أبو محمد، سلطان العلماء، عز الدين، أبو محمد السلمي الدمشقي ثم المصري، جمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية، واختلاف أقوال الناس ومآخذهم، حتى قيل إنه بلغ رتبة الاجتهاد، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد، وصنف التصانيف المفيدة، ومنها: (التفسير) و(القواعد الكبرى) و(مجاز القرآن) وغيرها، توفي سنة ٦٦٠هـ. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٣٥)؛ طبقات الشافعية (٢/ ١١٠).

كثير، والرازي[١]، وهو الأظهر، أما كون الإشارة (هذا) للقريب، فغير مسلم، وذلك أن (هذا) و(ذلك) اسما إشارة أصلهما (ذا) واختصاص (ذلك) للبعيد، و(هذا) للقريب إنما هو أمر عرفي، أما في أصل اللغة فلا فرق بينهما، بل يقوم كل واحد من اللفظين مقام الآخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥]، ثم قال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ثم قال: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٦][٢]. وأيضاً تفريق الله تعالى في هذه الآية بين البيان للناس عموماً والهدى والموعظة للمتقين، مما يشهد لهذا القول، حيث إن بيان القرآن وإيضاحه متيسر لعموم الناس مؤمنهم وكافرهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: ٣٤]، وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [الحج: ٧٢]، وأما هداية التوفيق والموعظة فهي خاصة بالمتقين، كما قال تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وكذلك لا توجد دلالة على قصر اسم الإشارة على الآية السابقة، بل القول إن المراد بذلك جميع الآيات هو أولى بالسياق، وأوفق في النظم.. والله تعالى أعلم.

وورد وصفه بأنه (بينة) في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧] أي: دلالة واضحة، وآية بينة، وهي القرآن الكريم، وفي ذلك إزالة الحجة عن أيدي قريش وسائر العرب، بأنهم لم يكن لهم كتاب، فكأنه قال: وهذا القرآن يا معشر العرب أنزل عليكم لئلا تقولوا، إنما أنزلت التوراة والإنجيل بغير لساننا، وعلى غيرنا، ونحن لم نعرف ذلك، فهذا كتاب بلسانكم ومع رجل منكم[٣].

وإن كان بعض المفسرين أشار إلى أن (البينة) هنا اسم جنس يدخل فيه

---

(١) انظر: تفسير العز بن عبد السلام (٨٩)؛ الكشف والبيان (٣/ ١٧١)؛ الوجيز (١/ ٢٣٣)؛ تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٤٢)؛ التفسير الكبير (٩/ ١١).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢/ ١٣).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦٧٨).

كلُّ ما بيَّن الحق[١]، أو أنه الرسول ﷺ[٢]، ولكن الصحيح ـ والله أعلم ـ أن المراد بـ(البينة) القرآن الكريم، حيث إن الله ﷻ أشار إلى حجة أولئك المشركين بأنهم لم ينزل عليهم كتاب؛ كمن سبقهم من اليهود والنصارى.. فرد الله عليهم بأنه قد جاءهم بينة.. وهو الكتاب الذي أنزل إليهم[٣].

أما قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [محمد: ١٤]، الأظهر أنها بينة عامة شاملة، وهي البرهان العقلي والأمر الجلي[٤]، حيث ذكر الله تعالى أن ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦] معادلة لما تقدم، والمعنى أفمن كان يريد الحياة الدنيا، كمن كان على بيِّنة من ربه،[٥] والآية الأخرى تقرب من هذا المعنى.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البينة: ١]، قال قتادة: (البينة): القرآن[٦]، وقال ابن جريج وعكرمة[٧]: المراد الرسول ﷺ، ورجحه ابن جرير، والقرطبي، وابن جزي[٨].. وغيرهم، حيث فسرتها الآية التي بعدها ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ فيكون (الرسول) بدل، وإن كان هناك من جمع بين هذين القولين

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمٰن (٢٨١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ١٤٤).

(٣) وهو قول ابن جرير الطبري (١٠/ ٩)؛ والسمعاني (٢/ ١٥٨)؛ وابن عطية في المحرر الوجيز (٦٧٨)؛ وابن كثير (٢/ ٢٥٨)؛ والشوكاني في الفتح (٢/ ١٨٠).. وغيرهم.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٣)؛ التفسير الكبير (١٧/ ١٦١)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٧٨)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٢)؛ مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٥/ ٦٤).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٢).

(٦) انظر: الدر المنثور (٨/ ٥٨٨).

(٧) المرجع نفسه.

(٨) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٢٢)؛ الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٤٠)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٢١).

وقالوا: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١] أي: الرسول ﷺ وما يتلوه من القرآن[1]، وهو الأوفق.. والله أعلم.

(١) انظر: الكشف والبيان (١٠/ ٢٦٠)؛ معالم التنزيل (١٤٢٥)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٩٥)؛ الوجيز (٢/ ٢٢١).

المبحث السادس

وصف القرآن بأنه «مفصل» و«تفصيل»

«الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تميز الشيء من الشيء، وإبانته عنه، يقال: فصلت الشيء فصلاً»(١).

والتفصيل: التبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود: ١](٢).

«والتفصيل: التبيين والتوضيح، مشتق من الفصل، وهو تفرق الشيء عن الشيء، ولما كانت الأشياء المختلطة إذا فصلت تَبِيْنُ بعضها من بعض، أطلق التفصيل على التبيين بعلاقة اللزوم، وشاع ذلك حتى صار حقيقة»(٣).

ووجه وصف القرآن بأنه (مفصل) لأنه مُوَضَّحٌ ومُبَيَّنٌ فيه الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والنافع من الضار، بأعظم بيان، وأجمل تفصيل، ولأن آياته فرقت وجعلت تفاصيل في معانٍ مختلفة، فبعضها في وصف ذات الله تعالى وشرح صفات تنزيهه وتقديسه، وقدرته ورحمته وحكمته، وبعضها في أحوال التكاليف المتوجهة نحو القلوب والجوارح، وبعضها في الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، وبعضها في المواعظ والنصائح والتوجيه والإرشاد، وبعضها في تهذيب الأخلاق ورياضة النفس، وبعضها في قصص الأولين، وتاريخ الغابرين(٤)، و«بالجملة فمن أنصف علم أنه ليس في يد

---

(١) معجم مقاييس اللغة (فصل) (ص٨١٨).

(٢) انظر: مختار الصحاح (ف ص ل)؛ بصائر ذوي التمييز (فصل) (٤/ ١٩٤)؛ تاج العروس(فصل) (٣٠/ ١٦٨).

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٢٦٠).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٧/ ٨٢).

الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة، والمباحث المتباينة، مثل ما في القرآن»[١].

«لقد نزل هذا الكتاب مفصلاً، محتوياً على المبادئ الأساسية التي تقوم عليها نظام الحياة جملة، كما أنه تضمن أحكاماً تفصيلية في المسائل التي يريد الله تثبيتها في المجتمع الإنساني، مهما اختلفت مستوياته الاقتصادية والعلمية والواقعية جملة.. وبهذا وذاك كان هذا الكتاب غناء عن تحكيم غير الله في شؤون الحياة»[٢].

وقد ورد وصف القرآن بأنه (مفصل) بتصاريفه المتعددة، إحدى عشرة مرة في كتاب الله تعالى، ومن ذلك وصفه بأنه (مفصل) في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، حيث أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام القائلين لك كُفَّ عن آلهتنا ونكف عن إلٰهك، ليس لي أن أطلب قاضياً بيني وبينكم؛ لأنه لا حكم أعدل من حكم الله، ولا قائل أصدق من قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، مبيناً فيه حكم كل شيء، من العقائد والشرائع والآداب، وفيما تختصمون فيه من أمري وأمركم، فهو الذي كفاكم مؤونة المسألة في الآيات، بما أنزله إليكم من الكتاب المفصل[٣].

و(الحَكَم): الحاكم المتخصص بالحكم الذي لا ينقض حكمه، فهو أخص من الحاكم، ولذلك كان من أسمائه تعالى: الحكم، ولم يكن منها الحاكم[٤].

وورد وصفه بأنه (فصلت آياته) وذلك في موضعين[٥]، ووصف الآيات

---

(١) المرجع نفسه.
(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١١٩٤).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٥٠٦)؛ والتفسير المنير (٨/ ١٤).
(٤) التحرير والتنوير (٤/ ١٤).
(٥) الآيتان هما: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١] ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ٣].

بأنها مفصلة؛ لأنها كالعقد المفصل بالفرائد التي تجعل من اللآلئ، ووجه جعلها كذلك، اشتمالُها على دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص، أو لأنها قطعت وجزئت سورة سورة، وآية آية، أو لكونها نزلت منجمة ومفرقة، أو فصِّل فيها ما يحتاج إليه العباد؛ أي: جعلت مبينة ملخصة، أو جعلت فصولاً حلالاً وحراماً وأمثالاً، وترغيباً وترهيباً، أو لكونها ميزت بحسن النظم والمعنى، وجعلت تفاصيل في أساليب مختلفةٍ، ومعاني متغايرةٍ، من أحكام وقصص ومواعظ وأمثال ووعد ووعيد[١].

وكلها أوجه صحيحة، يفوق بعضها بعضاً دلالةً وصحةً وجمالاً، يقول الراغب [٤٢٥هـ]: «﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود: ١]، إشارة إلى ما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩]»[٢].

و(ثم) في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود: ١]، ليست للترتيب في الزمان، وإنما لترتيب الأحوال؛ كقولك: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل[٣].

وكون الآيات أحكمت ثم فصلت؛ أي: أحكمت في المعاني والألفاظ من الدّخل والخلل، وفصلت بالأمر والنهي، والترغيب والترهيب، وتمييز بعضها من بعض، بالبيان عما فيها من الحلال والحرام، فهو كاملٌ صورةً ومعنى[٤].

وورد وصفه ـ أيضاً ـ بـ(فصلناه) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وفي هذه الآية تفخيم وتعظيم لشأن هذا القرآن، وذلك من وجوه:

---

(١) انظر: الكشاف (٣/ ١٨١)؛ تفسير السمرقندي (٢/ ١٣٧)؛ التفسير الكبير (١٧/ ١٤٣)؛ الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٠)؛ إرشاد العقل السليم (٢/ ٨)؛ روح المعاني (١١/ ٢٠٤).

(٢) المفردات للراغب (٦٣٨).

(٣) انظر: الكشاف (٣/ ١٨١)؛ التفسير الكبير (١٧/ ١٤٣)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٠).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣١٠)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٧٢).

١ ـ قوله تعالى: ﴿جِئْنَٰهُم﴾ و﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ حيث أضاف المجيء والتفصيل إليه، والعظيم لا يأتي ولا ينسب إليه إلا ما هو عظيم وجليل لديه.

٢ ـ وصف القرآن بأنه (كتاب) بالتنكير؛ أي: كتاب عظيم جليل، قد حوى واشتمل على أعلى وأجلِّ ما في الكتب الأخرى.

٣ ـ وصف القرآن بأنه (مفصل) أي: مفصل فيه العقائد والأحكام، والمواعظ والقصص، وسائر معانيه، أو نزل منجماً مفرقاً، أو في فصول مختلفة، وهذا فيه بيان لعلو هذا الكتاب، وكماله في البيان والإرشاد[(١)].

٤ ـ تنكير (فصلناه) وذلك للتعظيم؛ أي: عالمين على أكمل وجه بذلك، حتى جاء حكيماً متقناً[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: عالمين كيف نفصل أحكامه، ومواعظه وقصصه وسائر معانيه، حتى كان حكيماً قيماً غير ذي عوج[(٣)]، فيكون حالاً من الفاعل، وقيل التقدير: مشتملاً على علم كثير فيكون حالاً من المفعول[(٤)].

ووصف القرآن بأنه (تفصيل) وذلك في موضعين[(٥)]، والتفصيل هو التبيين ـ كما سبق ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧]، ذكر بعض المفسرين أن الآية وصف للقرآن الكريم، بأنه فصَّل وبيَّن ما وجب وثبت من الفرائض التي افترضها الله ﷻ والحلال والحرام، و(الكتاب) هنا بمعنى وجب وثبت؛ كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤][(٦)]. قاله ابن

---

(١) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٩٥)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٢١٧).

(٢) روح المعاني (٨/ ١٢٧). (٣) الكشاف (٢/ ٤٤٥).

(٤) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٩٥)؛ إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٣١)؛ روح المعاني (٨/ ١٢٧).

(٥) والآيتان هما: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧] ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يوسف: ١١١].

(٦) يقول الفيروزآبادي: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ مصدر أريد به الفعل؛ أي: كتب الله عليكم وهذا قول حذاق النحويين.. ويعبر عما ذكرنا من الإثبات والتقدير والإيجاب =

جرير، والبغوي، والزمخشري، وغيرهم[(١)].

وقيل: إن المراد بـ(الكتاب) الكتب السماوية كلها، و(ال) هنا لتعريف الجنس، حيث وصف القرآن بأنه مبين لما جاء مجملاً في الكتب السالفة، وناسخ لما لا مصلحة للناس في دوام حكمه، ودافع للمتشابهات التي ضل بها أهل الكتاب، فكل ذلك داخل في معنى التفصيل، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾[(٢)]، والذي يظهر لي ـ والله أعلم بمراده ـ أن المراد بـ(الكتاب) في الآية جنس الكتب السماوية، وذلك لوجوه:

١ ـ أنه لا وجه لتخصيص وبيان وتفصيل القرآن للأمور الواجبة أو المحرمة فحسب، بل إن كتاب الله تعالى جاء بتفصيل عام وشامل لكل ما يتعلق بالأمور الدينية ـ على الصحيح ـ، كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾، يقول الرازي [٦٠٤هـ] عند تفسيره لآية يونس: «فثبت أن القرآن مشتمل على تفاصيل جميع العلوم الشريفة، عقليها ونقليها، اشتمالاً يمتنع حصوله في سائر الكتب، فكان ذلك معجزاً، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾»[(٣)].

٢ ـ دخول (ال) على الكتاب، مما يستبعد معه أن يكون بمعنى وجب؛ لأنه إن أريد به هذا المعنى جاء مضافاً، أو منكراً. . ، ولكن بدون (ال) كما في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣][(٤)]، وهو هنا إما

= والغرض بالكتابة. . قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ العلم بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٣١ ـ ٣٣٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٨٢)؛ معالم التنزيل (٦٠١)؛ الكشاف (٣/ ١٣٧)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٤٩)؛ مدارك التنزيل (٢/ ١٢٩)؛ محاسن التأويل (٦/ ٢٨)؛ إرشاد العقل السليم (٤/ ١٤٥)؛ روح المعاني (١١/ ١١٨)؛ حاشية محيي الدين زاده (٤/ ٥٧١).

(٢) التحرير والتنوير (٥/ ١٦٩). انظر: التفسير الكبير (١٧/ ٧٧)؛ فتح القدير (٢/ ٤٤٥)؛ فتح البيان عن مقاصد القرآن (٦/ ٦٣).

(٣) التفسير الكبير (١٧/ ٧٧).

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٣٢).

للجنس، أو للعهد[1].

٣ ـ أن هذا هو ما يقتضيه السياق، «وذلك أنه لما كان القرآن سلطاناً قاهراً على صدقه ـ أي: النبي ﷺ ـ زاده ظهوراً بما اشتمل الكتاب الآتي به عليه من التفصيل الذي هو نهاية العلم ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: الجامع المجموع فيه الحكم والأحكام، وجوامع الكلم من جميع الكتب السماوية في بيان مجملاتها، وإيضاح مشكلاتها، فهو ناظر إلى قوله: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] فهو برهان على أنه هو الهادي وحده، فهو الحقيق بالاتباع والتفصيل بتبيين الفصل بين المعاني الملتبسة حتى تظهر كل معنى على حقه»[2]، هذا مبلغ علمي، وما توصل إليه جهدي واجتهادي، وأسأله سبحانه أن أكون قد وفقت وهديت.

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يوسف: ١١١] المراد القرآن الكريم، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] قاله قتادة[3]، وعليه أغلب المفسرين[4]، وقيل المراد: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من واقعة يوسف عليه السلام مع أبيه وإخوته[5]، يقول الرازي [٦٠٤هـ]: «فإن جعل هذا الوصف وصفاً لكل القرآن أليق من جعله وصفاً لقصة يوسف وحدها»[6] وهو الأوفق والأقرب للسياق.

ومن أساليب وروده ما جاء بصيغة الفعل المضارع (نفصل) وذلك في خمسة مواضع[7]، ووروده بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والتكرار

---

(١) ويكون المراد بـ(الكتاب) القرآن. انظر: فتح القدير (٢/ ٤٤٥).

(٢) نظم الدرر (٩/ ١٢١).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢١٣)؛ والدر المنثور (٤/ ٥٩٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٠٤)؛ المحرر الوجيز (١٠٢٥)؛ معالم التنزيل (٦٦٦)؛ الكشاف (٣/ ٣٣١)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٥٥).. وغيرهم.

(٥) انظر: التفسير الكبير (١٨/ ١٨٢)؛ البحر المحيط (٥/ ٤٥٦).

(٦) التفسير الكبير (١٨/ ١٨٢).

(٧) والآيات هي: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الأنعام: ٥٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٤] وبقية المواضع: الأعراف [٣٢]، التوبة [١١]، الروم [٢٨].

والاستمرار وتناول الماضي والآتي(١). فالله تعالى يفصل الآيات وينوعها بين ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، وأحكام وآداب، وقصص وأخبار، لقوم يعلمون ويعقلون؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بهذا التفصيل، وذلك البيان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، فأهل العلم والعقل والفقه يتأملون ويتفكرون فيها، وينظرون إليها بعين البصيرة، أما من عداهم فقد حُرموا من هذا التفصيل؛ لأنهم أعرضوا عن كتاب الله تعالى، وصدوا عنه، وفي هذا تعريض بهم وبيانٌ لجهلهم، وضلالِ عقولهم، وأنهم قوم لا يعلمون(٢).

ولم يرد هذا الوصف بتصاريفه المتعددة إلا في القرآن المكي، وذلك لقيام الحجة على الكافرين، بأن القرآن الكريم واضح المعاني، جلي الأحكام، متقن الإحكام، فإعراضهم عنه، وكفرهم به، ليس لأنهم لا يعلمون مراد الله فيه، بل لوجود الجحد والعناد منهم، بعد أن أيقنت بحقيقته أنفسهم، وشهدت على ذلك قلوبهم ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣](٣).

والفصل ورد في القرآن على أربعة معاني:

١ ـ بمعنى: خروج القافلة ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ [يوسف: ٩٤].

٢ ـ بمعنى: التبيين ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يوسف: ١١١].

٣ ـ بمعنى: القضاء ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ [المرسلات: ٣٨].

٤ ـ بمعنى: الفطام ﴿وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥](٤).

(١) انظر: حاشية الشهاب (٤/ ١١٠)؛ التحرير والتنوير (٤/ ٩٧).
(٢) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٧٧)؛ التحرير والتنوير (٤/ ٩٩).
(٣) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (٢٨٨).
(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز (٤/ ١٩٥).

المبحث السابع

وصف القرآن بأنه موعظة

«الواو والعين والظاء كلمةٌ واحدة، فالوعظ: التخويف، والعظة: الاسم منه»(١).

والوَعظ والعِظَة والمَوْعظة: النصح والتذكير بالعواقب، فهو زجر مقترن بتخويف(٢).

قال الخليل [١٧٥هـ]: «واتعظ تقبل العظة، وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه، مما يرق له قلبه»(٣).

ووجه وصف القرآن بأنه (موعظة) لاشتماله على المواعظ والزواجر التي تُلَيِّن القلوب، وتهدي النفوس، إلى الخير وتَقَبُّله، وتحذره طرق الشيطان وخطواته، وتأخذ بيد المؤمن فتسوقه وتدله إلى جنة عرضها الأرض والسماء، ويعرض عنها الكافر والمنافق فيتخبط ويهوي في دركات جهنم يوم الجزاء، «فالقرآن الكريم موعظة نافعة جامعة مؤثرة دائمة، موعظة لا كالمواعظ، موعظة هدفها النفع والانتفاع، هدفها الخير والسعادة، والصلاح والإصلاح، موعظة حكيمة محكمة، موعظة هي سياط القلوب تارة، وفرحها واستبشارها تارة أخرى، موعظة زاجرة عن المنكرات وجميع المحرمات، موعظة أمرت بكل خير، ونهت عن كل شر، موعظة يجب تلقيها بالرضا والقبول والتسليم، موعظة تحيا بها القلوب، وتنتعش بها الأرواح، وتتحرك لها المشاعر، وتهتز

---

(١) معجم مقاييس اللغة (وعظ) (١٠٥٩).

(٢) انظر: مختار الصحاح (و ع ظ)؛ المفردات للراغب (وعظ) (٨٧٦)؛ بصائر ذوي التمييز (٥/ ٢٤٠).

(٣) العين (وعظ) (٢/ ٢٢٨).

لها العواطف، فالقرآن الكريم هو الموعظة العظيمة النافعة»[(١)]. وكيف لا تكون موعظة والقائل هو الله تعالى، والآخذ جبريل عليه السلام والمتلقي محمد ﷺ[(٢)].

وورد وصف القرآن بأنه (موعظة) خمس مرات في الكتاب العزيز، وجاء بأساليب متنوعة، ومن ذلك وصفه بأنه (موعظة) حيث ورد في أربعة مواضع[(٣)]، ومجيئه بصيغة التنكير للدلالة على التفخيم والتعظيم[(٤)]، فهو موعظة، بلغ الرتبة العالية، والدرجة الرفيعة، في الوعظ والزجر والإرشاد، حيث لا يدانيه وعظ، ولا يساويه زجر، ولذا فإن الله تعالى وصف هذا القرآن بأنه موعظة لكل الناس، مؤمنهم وكافرهم؛ لأن الجميع مخاطب بهذه المواعظ، وبتلك الزواجر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧]، وحقيقة الموعظة القرآنية أنها زجر وتخويف، مع دلالة وتوجيه فهي «موعظة تدعو إلى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب مما في القرآن من الأوامر والنواهي»[(٥)]، بخلاف الأحداث والأمور والقصص الأخرى التي فيها عظات ومواعظ، فهي تقف ـ غالباً ـ عند حدِّ الزجر والترهيب فحسب[(٦)].

وقد بين الله تعالى أن الموعظة إنما هي للمتقين، وقصرها عليهم، وذلك لأنهم هم المنتفعون بها، المستفيدون منها، كما قال تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن (٢/ ١٨).
(٢) انظر: التفسير الكبير (٢/ ١٤).
(٣) والآيات هي: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧] وبقية المواضع: هود [١٢٠]، النور [٣٤].
(٤) انظر: إرشاد العقل السليم (٤/ ١٥٥)؛ روح المعاني (١١/ ١٣٩)؛ التحرير والتنوير (٥/ ١٩٣).
(٥) مدارك التنزيل (٢/ ١٣٣).
(٦) انظر: أسماء القرآن د. خمساوي (٢١٨).

وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١]، أما من سواهم فإنها لا تنفعهم، ولا تؤثر فيهم؛ لأنه ران على قلوبهم، وعميت أعينهم، وصمت آذانهم، ف﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩][(١)].

وذكر سبحانه أن هذه الموعظة (من ربكم) كما قال تعالى: ﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وفي التعرض لعنوان الربوبية، دعوةٌ وترغيبٌ لجميع الخلق بالاستجابة لله تعالى والإيمان به، والتصديق بكتابه، فإن الذي نزل إليكم الكتاب بما يحويه من مواعظ وزواجر ودلائل وإرشاد، هو ربكم المحسن إليكم، المتفضل عليكم بسائر النعم، العالم بما يصلحكم وينفعكم في الدنيا والآخرة، وكذلك بيان أن تلك الموعظة قد بلغت الغاية في الكمال والإتقان؛ كمثيلاتها من الأوصاف[(٢)].

ووصف القرآن بأنه (موعظة) باعتبار كونه سبباً وآلة للوعظ والزجر والتوجيه والإرشاد، والواعظ في الحقيقة هو الله تعالى، ولكن جعل عين الموعظة مبالغة في كونه موعظة، ودلالة على بلوغه الكفاية في الوعظ والإرشاد[(٣)].

أما قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، فقد اختلف المفسرون في المشار إليه بـ(هذه) فقيل: الدنيا، حيث روي عن قتادة[(٤)]، يقول الرازي [٦٠٤هـ]: «وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضع»[(٥)]، وقيل: السورة: قاله ابن عباس، وأبو موسى الأشعري[(٦)] رضي الله عنهم وسعيد بن

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣٥٩)؛ التفسير الكبير (٩/ ١١)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (١٤٩)؛ أضواء البيان (٤/ ١١٤).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم (٤/ ١٥٥)؛ التحرير والتنوير (٥/ ٢٠١).

(٣) انظر: روح المعاني (١١/ ١٣٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٦٤٧)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٦).

(٥) التفسير الكبير (١٨/ ٦٤).

(٦) هو عبد الله بن قيس بن سليم ين حضار بن حرب الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ، وقد استعمله النبي ﷺ ومعاذا على زبيد وعدن، وولي إمرة الكوفة، توفي سنة ٤٢هـ. انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٧٩)؛ سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٠).

جبير، وأبو العالية، والحسن، وقتادة[١]، وغيرهم، ورجحه ابن جرير، والسمعاني، والواحدي[٢]، قال أبو جعفر [٣١٠هـ]: «وأولى التأويلين بالصواب في تأويل ذلك من قال وجاءك في هذه السورة الحق؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله»[٣]، وهو الأظهر، وإذا صح وصف السورة بأنها موعظة، صح وصف سائر القرآن بأنه موعظة؛ لأن معنى الكلام وجاءك في هذه السورة (موعظة) مع ما جاءك في سائر سور القرآن، أو إلى ما جاءك من الموعظة في سائر سور القرآن[٤]. ويشهد لذلك أيضاً المواضع السابقة التي فيها نص على وصف جميع القرآن بأنه موعظة.

ومن أساليب وروده ما جاء بصيغة المضارع (يعظكم) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ومجيئه بصيغة المضارع لبيان أن وعظ الله تعالى بالقرآن متجدد تجدداً استمرارياً، وفي هذا دعوة إلى كل العقلاء بالنظر والتأمل في القرآن الكريم، لتتجدد لهم المواعظ في كل حين، وفي كل وقت، وكل هذا العطاء دليل على كرم القرآن، وصدق الله حين قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧][٥].

وورد هذا الوصف في القرآن المكي والمدني، لحاجة الناس جميعاً إلى وعظ القرآن، والاستماع إلى مواعظه، ليرتدع ويعود المذنب والمقصر في جنب الله، ويتوب الكافر والمنافق، ويدخل في دين الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٦٤٤ ـ ٦٤٧)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٦)؛ الدر المنثور (٤/ ٤٩٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٦٤٧)؛ تفسير السمعاني (٢/ ٤٦٩)؛ الوجيز (١/ ٥٢٧)، وقيل: الأقاصيص المذكورة، وهو في الحقيقة يدخل ضمن القول الثاني، وقيل: الآية بعينها. انظر: زاد المسير (٤/ ١٧٣)، وهو ظاهر الضعف، وقد اقتصر جمهور المفسرين على القولين السابقين فقط.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٦٤٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٦٤٧).

(٥) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (٣٨٨).

المبحث الثامن

وصف القرآن بأنه نذير

«النون والذال والراء كلمة تدل على تخويف أو تَخوُّف، منه الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف»[١].

و(الإنذار) الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف.. و(النذير) و(المنذر) و(الإنذار) أيضاً، والجمع (النُّذر)[٢].

و«النذير: المنذر، ويقع على كل شيء فيه إنذار، إنساناً كان أو غيره»[٣].

ووجه وصف القرآن بأنه (نذير) لاشتماله على الدلائل الواضحات، والحجج البينات، والبراهين الساطعات، التي تنذر وتخوف الكافرين المكذبين، والغافلين اللاهين، عن الله تعالى وعن كتابه، بنار تلظى لا يصلاها إلا الأشقى، إن هم بقوا على تكذيبهم وعنادهم وعصيانهم لله تعالى، «فهو نذير من الكفر والشرك، ونذير من النفاق، ونذير من الجور والظلم والطغيان، ونذير من الغل والحقد والحسد، ونذير من البدع والمعاصي، ونذير من الغيبة والنميمة، ونذير من ترك الواجبات وفعل المحرمات، ونذير من الغمز والهمز واللمز، ونذير من الكبر والفخر والخيلاء، ونذير من الحكم بغير ما أنزل الله، ونذير من الكذب والخيانة والغش، ولا بدع ولا غرابة فالقرآن المجيد نذير بحكمه وأحكامه، وبوعده ووعيده، ونذير بفصاحته وبلاغته، وبحسن سياقه

(١) معجم مقاييس اللغة (نذر) (٩٨٤).

(٢) انظر: مختار الصحاح (ن ذ ر)؛ معجم مقاييس اللغة (نذر) (٧٩٨).

(٣) المفردات للراغب (نذر) (٧٩٨).

وجمال تركيبه، ونذير بحلاوته وطلاوته، ونذير بتشويقه وأخذه بمجامع القلوب»[١].

وورد وصف القرآن بأنه (نذير) في خمسة مواضع من كتاب الله تعالى، وجاء بأساليب متنوعة، ومن ذلك وصفه بأنه (نذير) في قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ [فصلت: ٤] أي: منذراً لمن كذب به وأعرض عنه، وقصر في حقه، ولم يعمل بما فيه، بأمر الله في عاجل الدنيا، وخلود الأبد في نار جهنم في أجل الآخرة[٢].

ومجيء الوصف (نذيراً) باسم الفاعل، للتنبيه على كونه كاملاً في هذه الصفة، كما يقال: شعر شاعر وكلام قائل[٣]، فمن لم ينتفع وتؤثر فيه نذارة القرآن وتخويفه، فلن تؤثر فيه نذارة وتخويف غيره من باب أولى، وقد بين الله تعالى أنه أرسل رسوله محمداً ﷺ بالحق بشيراً ونذيراً، وبين أنه إنما ينذر ويخوف بهذا القرآن المجيد، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، وذلك أنه أبلغ نذارة، وأعظم تخويف، ولكن.. ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، والقرآن الكريم (نذير) لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، ولكنه منذر نذارة خاصة للكافرين؛ لأنهم هم الواقعون فيما أنذروا به، من النكال والعذاب الأليم[٤].

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(النذير) في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]، فقيل: هو القرآن الكريم[٥]، وقيل: المراد بالنذير هو الرسول ﷺ، كما ذكر الله تعالى في أكثر من آية في كتابه أنه أُرسِل إلى الناس كافة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ٢٢٣) بتصرف.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٧٦)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٧٤٤).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢٧/ ٨٢).

(٤) انظر: أضواء البيان (١/ ٤٠٧).

(٥) انظر: زاد المسير (٦/ ٧٢)؛ وتفسير السمرقندي (٢/ ٥٢٨).

رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، فاسم (ليكون) مضمر يعود على عبده[(١)]، وذلك أن المنذر والنذير من صفات الفاعل للتخويف، وإذا وصف به القرآن فهو مجاز، وحمل الكلام على الحقيقة إذا أمكن هو الواجب[(٢)]، قال بهذا القول قتادة، وابن زيد، ومقاتل[(٣)]، ورجحه جمع من المفسرين منهم ابن جرير، والسمعاني، والرازي، والقرطبي، وغيرهم[(٤)]، وكذلك أنه اقترن في أكثر من آية في كتاب الله تعالى وصف الرسول ﷺ بأنه نذير ومنذر بهذا القرآن، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [السجدة: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة، وخير ما يفسر به القرآن هو القرآن، وهو الأقرب والأظهر، يقول السلمي [٤١٢هـ]: «﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] أي: ليكون للخلق سراجاً ونوراً يهتدون به إلى أحكام القرآن، ويستدلون به على طريق الحق، ومنهاج الصدق»[(٥)].

أما قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ [النجم: ٥٦]، فقيل المراد بالنذير هنا: القرآن[(٦)]، وقيل: ما ذكره من أخبار الأولين؛ أي: هذا بعض الأمور التي هي منذرة، ففيه تقديم وتأخير وهو قول أبي مالك

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ٢).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٤/ ٤٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٩)؛ تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٥)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٠)؛ الدر المنثور (٦/ ٢٣٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٥)؛ تفسير السمعاني (٤/ ٥)؛ التفسير الكبير (٢٤/ ٤٠)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢)؛ تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤١٢)؛ البحر المحيط (٦/ ٥٨١)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ٧٤)؛ أضواء البيان (٤/ ١٣١).

(٥) حقائق التفسير (٢/ ٥٨).

(٦) انظر: الكشاف (٥/ ٦٥٠)؛ زاد المسير (٨/ ٨٥)؛ إرشاد العقل السليم (٨/ ١٦٦).

الغفاري[(١)(٢)]، ومقاتل[(٣)]، ورجحه الطبري[(٤)]، وقيل: المراد هو الرسول ﷺ حيث أنذر كما أنذر الرسل أقوامهم من قبله، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] وهو قول قتادة[(٥)]، وابن جريج ومحمد بن كعب[(٦)(٧)]، وابن زيد[(٨)]، ورجحه جمع من المفسرين كالثعلبي، والسمعاني والسمرقندي، وابن كثير، والسعدي[(٩)]، وغيرهم.

وذكر الرازي[(١٠)] [٦٠٤هـ]: أن القول الأول وهو القرآن بعيد لفظاً ومعنى، أما من حيث المعنى فلأن القرآن ليس من جنس الصحف الأولى؛ لأنه معجز وتلك لم تكن معجزة، وأما لفظاً فلأن النذير إن كان كاملاً فما

---

(١) هو أبو مالك الغفاري تابعي معروف اسمه غزوان، اشتهر بكنيته، ثقة، من التابعين. انظر: الإصابة (٧/ ٤٠٠)؛ تقريب التهذيب (٤٤٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٩٤)؛ الدر المنثور (٧/ ٦٦٦).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٩٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٩٤). وانظر: التفسير الكبير (٢٩/ ٢٣).

(٥) انظر: تفسير الصنعاني (٣/ ٢٥٥)؛ وتفسير الطبري (٢٢/ ٩٣)؛ الدر المنثور (٧/ ٦٦٦) حيث قال: (أنذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله) وفي رواية سعيد عنه: (إنما بعث محمد ﷺ بما بعث به الرسل قبله) ونسب أبو حيان القول إليه في البحر المحيط (٨/ ٢٤١) وغيره، لكن ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٨٥)؛ والشوكاني في فتح القدير (٥/ ١١٧) ذكروا أن قتادة رحمه الله ممن يقول بالقول الأول وهو (القرآن) وبحثت عن نقل آخر لقتادة فلم أجد إلا النقل السابق فقط، وهو ظاهر في تأييده للقول الثالث، والله أعلم.

(٦) هو محمد بن كعب القرظي، أبو عبد الله أو أبو حمزة، حليف الأنصار تابعي مشهور، ولد في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، ثقة ثبت، توفي سنة ١٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٦)؛ تقريب التهذيب (٥٠٤).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ١٢١)؛ والبحر المحيط (٨/ ٢٤١)؛ فتح القدير (٥/ ١١٧).

(٨) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٩٣)؛ تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٥).

(٩) انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٥٧)؛ تفسير السمعاني (٥/ ٣٠٤)؛ تفسير السمرقندي (٣/ ٣٤٨)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٣٢)؛ تيسير الكريم الرحمن (٨٢٣).

(١٠) التفسير الكبير (٢٩/ ٢٣).

ذكره من حكاية المهلكين أولى لأنه أقرب، ويكون على هذا من بقي على حقيقة التبعيض؛ أي: هذا الذي ذكرنا بعض ما جرى ونبذاً مما وقع، أو يكون لابتداء الغاية، بمعنى هذا إنذار من المنذرين المتقدمين، يقال: هذا الكتاب وهذا الكلام من فلان.

فتبين مما سبق أن أضعف الأقوال الثلاثة قول من قال إن المراد القرآن، أما القولان الآخران فكلاهما له وجه صحيح، ويؤيده السياق والمعنى، وهو اختيار أئمة التفسير وجهابذته، وإن كنت أميل إلى القول الثالث، وذلك أن الله ﷻ ذكر طرفاً من إنذارات الرسل لأقوامهم، وتخويفهم إياهم، وتحذيرهم من المعصية والكفر بالله تعالى، ثم بعد ذلك بين أنه وإن كان الرسل قد أنذروا قومهم فكذلك هذا الرسول ينذركم كما أنذر الرسل قومهم من قبل، فهو ليس بدعاً من الرسل، فآمنوا به وصدقوه، حتى لا يصيبكم مثل ما أصابهم، وكذلك أن الله تعالى أثبت الوحدانية له سبحانه بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [النجم: ٥٥]، ثم أشار إلى يوم القيامة بقوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ [النجم: ٥٧] فناسب أن يكون النذير هو الرسول؛ ليكون في الآيات الثلاث المرتبة، إثبات أصول ثلاث مرتبة، وهي وحدانية الله تعالى ثم رسول الله ﷺ ورسالته، ثم الحشر والقيامة[(١)].

ومن أساليب وروده، مجيئه بصيغة المضارع، وذلك في أربعة مواضع[(٢)]، للدلالة على التجدد والاستمرار والتكرار لهذا الإنذار، فكلما عصى الإنسان، وابتعد عن الله تعالى، تأتيه النذر من هذا القرآن، وكلما استمر الكافر والمكذب بالله، فإن نذر القرآن تخوفه وتتوعده بالبأس الشديد من الله تعالى، ولذا فإن الله تعالى بيَّن أن هذا القرآن ينذر بأساً شديداً من لدنه، وقد بين بعض المفسرين أن هذا البأس يكون في الدنيا، وذلك من القتل

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٩/ ٢٣).

(٢) والآيات هي: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن﴾ [الكهف: ٢] ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الكهف: ٤]، وبقية المواضع: إبراهيم [٥٢]، الأحقاف [١٢].

على أيدي المسلمين في الجهاد، أو الأسر، أو الحال الشديدة في هذه الدنيا أيّاً كان نوعها، وعلى أي صورة وقعت، وفي هذا إيماء بالتهديد والوعيد للمشركين بما سيلقونه من القتل أو الأسر كيوم بدر.. وغيره[١]، ثم بين ﷻ أن هذا البأس الشديد سيكون ـ أيضاً ـ في الآخرة للكافرين والمكذبين، وذلك بالعذاب الشديد والخلود في النار ـ أعاذنا الله منها ـ كما قال تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ [الكهف: ٤] فإن الإنذار هنا إنذار مخصوص، مقابل لما بشر به المؤمنون، من الأجر الحسن في الآخرة، وهي جنة عرضها السماوات والأرض[٢].

وفي تقديم الإنذار على التبشير في آيتي الكهف، البداءة بالأهم؛ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، والتخلية قبل التحلية[٣]، ولأن الإنذار هو الأنسب بالمقام، وفي حذف المفعول لـ(لينذر) للعلم به بقرينة ما بعده، وليعم الإنذار، ولبيان أن الأهم هو بيان المنذر به لا المنذرين؛ لأنه الأشد في التخويف والترهيب[٤].

وإنذار القرآن ليس مقتصراً على الكافرين والمكذبين بالله وكتبه ورسله فحسب، بل ومنذر للذين ظلموا أنفسهم من أهل البدع، وأصحاب المعاصي، وأرباب المنكرات من المسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢] ففي هذه الآية قابل الله تعالى الذين ظلموا أنفسهم من المسلمين، بالمحسنين وهم المؤمنون الأتقياء، الذين بلغوا الرتبة العالية، والمكانة السامية، في العبادة والخشية لله تعالى[٥]، ويشمل الكل عموم قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ [فصلت: ٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٤٥)؛ والتحرير والتنوير (٦/ ٢٤٩).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ٢٥٠).
(٣) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (١٥٥).
(٤) انظر: التفسير الكبير (٢١/ ٦٥).
(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٢٦).

وقد بين الله تعالى أن الخشية والخوف منه، هو أساس وأصل الطاعة والاستجابة لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢]، قال الزمخشري [٥٣٨هـ]: «لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به، دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد؛ لأن الخشية أم الخير كله»[١].

أما قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٧٠] قيل: هو القرآن، قاله ابن كثير، والسعدي[٢]، ولكن الأظهر أن المنذر هنا هو الرسول ﷺ وهو قول مقاتل[٣]، ورجحه ابن جرير، وابن أبي زمنين، والسمرقندي[٤]، ويؤيده قراءة نافع وابن عامر بالتاء (لتنذر)[٥]، وكذلك السياق حيث أثبت سبحانه أنه لا يعلم الشعر، وما كان ينبغي له، بل كل ما جاء به إنما هو ذكر وقرآن مبين لينذر بهذا الكتاب والذكر من كان حياً.. كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢]، يقول الرازي [٦٠٤هـ]: «قرئ بالتاء خطاباً مع النبي ﷺ، وبالياء على وجهين، أن يكون المنذر هو النبي ﷺ حيث سبق ذكره.. وثانيهما أن يكون المراد أن القرآن ينذر، والأول أقرب إلى المعنى؛ لأن المنذر صفة للرسل أكثر وروداً من المنذر صفة للكتب، وأما الثاني أقرب إلى اللفظ؛ لأن القرآن أقرب المذكورين إلى قوله: ﴿لِّيُنذِرَ﴾»[٦].

❁ ❁
❁

(١) الكشاف (٣/ ٣٩٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٦٦)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٦٩٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٩١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٨١)؛ تفسير القرآن العزيز (٤/ ٥٢)؛ تفسير السمرقندي (٣/ ١٢٤).

(٥) انظر: السبعة في القراءات (٥٤٤).

(٦) التفسير الكبير (٢٦/ ٩٣).

المبحث التاسع

وصف القرآن بأنه الهدى

«الهاء والدال والحرف المعتل، أصلان: أحدهما: التقدم والإرشاد، ومنه قولهم: هديتُه الطريق هداية؛ أي: تقدمته لأرشده، وكل متقدم لذلك هادٍ.. وينشعب عن هذا فيقال: الهدى خلاف الضلالة، تقول: هديته هدىً»(١).

والهدى: الرشاد والدِّلالة، يذكر ويؤنث، هداه الله هُدىً، وهَدْياً وهِدَاية، وهِدْيَة بكسرهما: أرشده فاهتدى وتهدى(٢).

ويرد (هدى) في القرآن على ثلاثة أوجه: معدى بنفسه؛ كقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، ومعدى باللام: ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ومعدى بإلى: ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: ٢٢](٣).

والهدى والهداية في موضوع اللغة واحد، لكن خص الله ﷻ لفظة (الهدى) بما تولاه وأعطاه، واختص هو به، دون ما هو إلى الإنسان، نحو ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾ [الأنعام: ٧١]، أما الاهتداء فهو يختص بما يتحراه الإنسان على طريق الاختيار، إما في الأمور الدنيوية، أو الأخروية، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ [الأنعام: ٩٧]، ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (هدى) (١٠٢٧).

(٢) انظر: مختار الصحاح (هـ د ى)؛ وبصائر ذوي التمييز (٥/ ٣١٢)؛ القاموس المحيط (الهدى) (١٧٣٣).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (هدى) (٤/ ٣٧١)؛ مختار الصحاح (هـ د ى)؛ بصائر ذوي التمييز (٥/ ٢١٢).

[البقرة: ١٥٠][(١)(٢)].

ووجه وصف القرآن بأنه (هدى)؛ لأن فيه دلالة وإرشاداً إلى الحق، وتفريقاً بينه وبين الباطل[(٣)]، ولاشتماله على الآيات الواضحات، والدلائل البينات، والمعالم الجليات، الهادية والدالة إلى خيري الدنيا والآخرة، ولا غرو فإن من أنزله، وتكلم به، وأمر بالإيمان به، هو خالق الخلق، والعالم بما يصلح عباده، وبما يقوّم حياتهم ومعيشتهم في الحياة الدنيا، ويوم يرجعون إليه.

«ولا يشك مسلم ولا يرتاب عاقل، بأن القرآن الكريم هو الهدى، هو الهدى من الضلالة والعمى، والهدى من الكفر والنفاق، والهدى من الظلم والاعتداء، والهدى من الحيرة والارتباك، والهدى من الفسق والجور، والهدى من الفساد والشقاء، ومن كل محنة وبلاء.. يهدي القرآن الكريم، والنبراس العظيم، البشريةَ كلَّها في كل زمان ومكان إلى ما به عزُها وفخرُها ومجدها وخيرها وطمأنينتها وراحتها في الدنيا، وسعادتها في الآخرة»[(٤)].

وقد ورد وصف القرآن بأنه (هدى) في أربعة وعشرين موضعاً، وورد بأساليب عدَّة، ومن ذلك مجيئه محلاً بـ(ال) في موضعين[(٥)]، وفي قوله تعالى:

---

(١) انظر: المفردات للراغب (هدى) (٨٣٩).

(٢) وأنواع الهدايات أربع: [أحدها] الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] أي: أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال.. [النوع لثاني] هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام فإنها سبب وشرط لا موجب.. [النوع الثالث] هداية التوفيق والإلهام وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها وهي المذكورة في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨].. [النوع الرابع] غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما. انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٣٤).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٥)؛ الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١٣).

(٤) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ١٨٩) بتصرف.

(٥) وهما: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١٣].

﴿وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥] (ال) هنا للعهد؛ أي: أن القرآن بجملته من محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ هدى، ثم خُص منه وشُرِّف بذكر البينات منه؛ كالحلال والحرام والمواعظ وما فيه من الحكم والأحكام(١)، وتكرار الهدى في الآية تنويه وتعظيم لشأن هذا الكتاب، وتضخيم لأمره، وتأكيد لمعنى الهداية فيه(٢).

وقيل المراد بـ﴿وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥] أي: أنه بينات من جملة ما هدى به الله من وحيه، وكتبه السماوية السابقة الهادية، فالهدى هنا يشمل الكتب الإلٰهية كلها(٣)... ولكن الصحيح أن المراد بـ﴿ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ في الآية هو كتاب الله ﷻ، وهو قول جمهور المفسرين(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ﴾ [الجن: ١٣]، حكى الله تعالى في الآية وصف الجن لهذا الكتاب العزيز، وأقر ذلك وأثبته، مما يدل على أن هذا القرآن المجيد، هو الهدى بعينه المشتمل على الدلائل الواضحات، والدلائل المعجزات(٥) فهو يغني عما سواه من الآيات والدلائل الأخرى، وذلك في حق من تدبره و﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٢٧].

أما (الهدى) في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الصف: ٩](٦) فيشمل جميع الدلائل والمعجزات، وعلى رأسها كتاب الله

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٦٥)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٧١)؛ إرشاد العقل السليم (١/ ٢٠٠).

(٢) انظر: روح المعاني (٢/ ٦١).

(٣) انظر: الكشاف (١/ ٣٨٣)؛ والبحر المحيط (٢/ ٦٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٩٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣١١)؛ تفسير السمعاني (١/ ١٨٣)؛ معالم التنزيل (٩١)؛ تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٩٣)؛ تفسير السمرقندي (١/ ١٤٩).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم (٩/ ٤٥)؛ روح المعاني (٢٩/ ٨٩).

(٦) وقد تكررت الآية في سورة [التوبة: ٣٢] وفي سورة [الفتح: ٢٨].

تعالى، يقول السُّدِّي: التوحيد والقرآن والإسلام(١)، وهو قول أغلب المفسرين(٢).

وقيل: القرآن، قاله الواحدي(٣) والنسفي(٤)، والذي يظهر أن المراد بـ(الهدى) في الآية القول الأول، حيث لا توجد دلالة تفيد تخصيص هذا العموم، وهو الموافق للسياق؛ حيث إن الرسول ﷺ جاء بمعجزات ودلائل كثيرة، تثبت أنه رسول من عند الله تعالى، كانشقاق القمر والقرآن والعروج إلى السماء.. وغير ذلك من الآيات، ويشهد له ـ أيضاً ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤] وذلك بعد ذكر مقترحاتهم الكثيرة، بيَّن الله تعالى أنه جاءهم من الآيات والدلائل ما هو أعظم وأكبر فلم يكفهم، وطلبوا غيرها، ولكن الحقيقة أنهم لن يزالوا متمسكين بالحجة الباطلة، والدليل الباهت ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤].. وهو قول أئمة المفسرين وجهابذته، والله أعلم.

ومن أساليب وروده ما جاء بصيغة التنكير وذلك في ثمانية عشر موضعاً من كتاب الله تعالى(٥)، و(هدى) مصدر، وتنزيله منزلة الوصف إما على حذف

---

(١) انظر: الدر المنثور (٤/ ١٧٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٢٢)؛ تفسير السمرقندي (٢/ ٥٤)؛ المحرر الوجيز (٨٤٠)؛ التفسير الكبير (١٦/ ٣٢)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٦٠)؛ التفسير المنير (١٠/ ١٨٥).. وغيرهم.

(٣) انظر: مدارك التنزيل (٢/ ٨٦)؛ الوجيز (١/ ٤٦١)، وأبو السعود والألوسي ذكروا في آية التوبة أن المراد بـ(الهدى) القرآن. انظر: إرشاد العقل السليم (٤/ ٦١)؛ روح المعاني (١٠/ ٨٦)، أما في الآيات الأخرى (الفتح والصف) فذكروا أن المراد: القرآن والمعجزة أو الدليل الواضح والحجة الساطعة وهو أعم. انظر: إرشاد العقل السليم (٨/ ٢٤٥)؛ وروح المعاني (٢٦/ ١٢٢، ٢٨/ ٨٨).

(٤) هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، حافظ الدين أبو البركات، كان إماماً في جميع العلوم، ومصنفاته في الفقه، والأصول أكثر من أن تحصى، وصنف المدارك في التفسير، توفي في بغداد سنة ٧١٠هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢٦٣).

(٥) والآيات هي: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧] ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢] ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ =

مضاف، فيكون المعنى: هذا القرآن ذو هدى؛ أي: يحصل الهدى لمن اتبعه، أو يكون للمبالغة في اتصاف القرآن بالهدى، حتى أطلق عليه أنه هو نفس الهدى، وفي هذا إشارة إلى بلوغ الغاية في إرشاد الناس وهدايتهم ودلالتهم، حتى كان هو عين الهدى، تنبيهاً على رجحان هداه على هدى الكتب التي قبله[١]. ووصفه بأنه (هدى) جارٍ على طريقة المجاز العقلي، وإنما الهادي هو الله تعالى أو الرسول ﷺ بسبب الكتاب[٢].

وقد ذكر الله ﷻ أن هذا القرآن هدى للناس، كما في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥] وهي هداية دلالة وإرشاد، وبيان وعلم، لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، صالحهم وفاجرهم، وهي الهداية العلمية[٣]، أما الهداية العملية فإنه هدى للمسلمين والمؤمنين والمحسنين فحسب ـ كما سيأتي ـ وذلك أن «هداية القرآن لا تنقطع، وكل درجة من درجات العبادة يصل إليها صاحبها بهداية القرآن، ويحتاج إلى هداية القرآن ليصل إلى ما هو أعلى منها»[٤].

وبما أن الدعوة إلى الله ابتدأت من مكة، وكان الذين استجابوا لداعي الله ورسوله ﷺ آنذاك قلة قليلة، بيَّن الله ﷻ أن هذا القرآن هدى وبشرى للمسلمين[٥]، وأنه يهديهم ويدلهم إلى أعلى المقامات القلبية، وأرفع الدرجات التعبدية؛ لأنهم كانوا حديثي عهد بجاهلية وكفر، «ويفهم من دليل خطاب هذه الآية ـ أي: مفهوم مخالفتها ـ أن غير المسلمين ليسوا كذلك،

= [لقمان: ٣] ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وبقية المواضع: البقرة [١٨٥]، آل عمران [١٣٨]، الأنعام [١٥٧]، الأعراف [٥٢] [٢٠٣]، يونس [٥٧]، يوسف [١١١]، النحل [٨٩]، النمل [٢، ٧٧]، فصلت [٤٤]، الجاثية [١١، ٢٠].

(١) انظر: أضواء البيان (٥/ ٢٠)؛ التحرير والتنوير (١/ ٢٢٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٨/ ٢١٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة) (٢/ ٣٣٣).

(٤) أسماء القرآن د. خمساوي ص(٢٠٨).

(٥) حيث لم يقترن وصف الهدى بـ(المسلمين) إلا في موضعين فقط من سورة النحل، وهي سورة مكية.

وهذا المفهوم من هذه الآية صرح به جل وعلا في مواضع أخر ـ منها ـ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]»[١]، وسياق الآيتين مناسب للعهد المكي. . والله أعلم.

وقد قرن الله تعالى هذا الوصف بـ(المؤمنين) في أكثر من آية في كتابه[٢]، ووجه قصر الهداية على المؤمنين؛ لأنهم هم الذين اهتدوا بهدي القرآن[٣]، واتبعوا سبيله، واقتفوا أثره، فنالوا هذه المرتبة الشريفة، والدرجة الرفيعة، أما غيرهم فهو عليهم عمى ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤] حيث اتخذوا هذا القرآن هزواً، وغرتهم الحياة الدنيا، وفي موضع آخر بين الله تعالى أنه هدى لقوم يوقنون، الذين يؤمنون ويصدقون ويؤمنون بحقيقة هذا القرآن، وخُصوا بذلك؛ لأنهم هم الذين انتفعوا به، دون من كذب به من أهل الكفر فكان عليهم عمى وله حزناً[٤].

وبين الله تعالى في آيتين أنه هدى للمتقين، «وتخصيص الهدى بالمتقين يدعونا إلى وقفة متأنية نرى فيها لماذا خصهم مع أن هداية القرآن عامة وشاملة؟ القرآن من حيث هو نور وهدى للناس أجمعين، ومن حيث الانتفاع به، والفوز بهدايته، لا يكون إلا لمن اتبعه، وأخضع هواه لما جاء به، فتخصيص الهدى بالمتقين لأنهم المقتبسون من أنواره، المنتفعون بهدايته، وإن كانت هدايته شاملة لكل ناظر من مؤمن وكافر، ولكن لا يظفر بنتائجه إلا من اتبعه واهتدى بهداه، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه»[٥].

والله تعالى أخبر أنه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] والمتقون مهتدون أصلاً. . فما المقصود من ذلك؟ يقال أولاً: أنه ليس من شرط هذا المتقى

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٨٦).
(٢) انظر على سبيل المثال: آية [البقرة: ٩٧]، [الأعراف: ٥٢، ٢٠٣]، [يونس: ٥٧].
(٣) انظر: التفسير الكبير (٣/ ١٨٠)؛ روح المعاني (١/ ٣٣٣).
(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٨٧).
(٥) حديث القرآن عن القرآن، محمد الراوي، ط١(الرياض: دار العبيكان، ١٤١٥ هـ) ص(٢١) بتصرف.

المؤمن كونه كان من المتقين المؤمنين قبل سماع القرآن، فإن هذا ممتنع؛ إذ لا يكون من لم يسمع شيئاً من القرآن مؤمناً متقياً، ولكن لبيان أن الانتفاع بالقرآن والاهتداء والاتعاظ والرحمة، وإن كان موجباً له، لكن لا بد مع الفاعل من القابل؛ إذ الكلام لا يؤثر فيمن لا يكون قابلاً له، وإن كان من شأنه أنه يهدى ويعظ ويرحم، وهذا حال كل كلام، ولبيان أن المهتدين بهذا هم المؤمنون المتقون ويستدل بعدم الاهتداء به على عدم الإيمان والتقوى في الرجل[١]، أو يقال: إنه سماهم عند مشارفتهم، لاكتساء لباس التقوى متقين؛ كقول الرسول ﷺ: «**من قتل قتيلاً فله سلبه**» متفق عليه[٢][٣].

وقرن الله تعالى ـ أيضاً ـ هذا الوصف بـ(المحسنين) والإحسان أعلى درجات العبودية للعبد، وحقيقته ما أخبر به النبي ﷺ في حديث جبريل عندما سأله عن الإحسان قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ**» متفق عليه[٤] فبين سبحانه أن هذا القران يهدي ويدل ويوصل إلى أعلى الدرجات في العبودية وهو الإحسان، وأنه لا غنى للعبد عن هدى وهداية القرآن، حتى ولو وصل إلى هذه المرتبة الرفيعة العالية، فقد جاء في الأثر: «**ولا يَشْبَعُ منه الْعُلَمَاءُ ولا يَخْلَقُ على كَثْرَةِ الرَّدِّ ولا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ**»[٥] وأن من زعم أن العبودية لها حد معين تنتهي إليه، وتسقط بعده التكاليف، ويكتفي بنفسه عن هداية القرآن وتعاليم الإسلام، فباطل لا حقيقة له.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٦/ ١٥) بتصرف.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فرض الخمس، باب: من لم يخمس الأسلاب، ومن قتل قتيلاً، حديث [٢٩٧٣]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: استحقاق القاتل سلب المقتول، حديث [١٧٥١].

(٣) انظر: الكشاف (١/ ١٤٦)، ويقال مثل هذا التوجيه في المواضع الأخرى المشابهة لهذه الآية.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي عليه الصلاة والسلام، حديث [٥٠]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث [٨].

(٥) سبق تخريجه.

وتخصيص الهداية العملية بالمؤمنين والمتقين يدل على أن غير المؤمنين وغير المتقين، غير منتفعين بالهداية، وهو يشمل من دونهم في المرتبة، وإن كان على خير وصلاح، ولكن نصيبه من هداية القرآن ليس كنصيب من هو فوقه، ويشمل كذلك ـ من باب أولى ـ من كان على نقيضه تماماً، وهو من ليس له من التقوى ولا الإيمان ولا الإسلام نصيب(١).

ومن أساليب وروده ما جاء بصيغة الفعل المضارع (يهدي)، وذلك في أربعة مواضع(٢)، ومجيئه بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والتكرار، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «والعدول عن الوصف إلى صيغة المضارع لإشعارها بتجدد الهداية وتكرارها»(٣)، فالقرآن لم يزل ولا يزال هدى.

وقد بيَّن الله تعالى أنواع هدايته، ومن ذلك هدايته إلى (طريق مستقيم) وهو دين الله القويم الذي لا اعوجاج فيه ولا ميل(٤)، وهو ﴿صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، وإيثار هذين الوصفين هنا دون بقية الأسماء الحسنى، «إيماء إلى أن بقية المؤمنين حين يؤمنون بأن القرآن هو الحق والهداية، استشعروا من الإيمان أنه صراط يبلغ بهم إلى العزة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقين: ٨] وإلى الحمد أي: الخصال الموجبة للحمد وهي الكمالات من الفضائل والفواضل»(٥)، ويهدي ويدل إلى الرشد الذي هو النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، حيث إن الرُّشد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية(٦).

---

(١) انظر: الهداية في القرآن الكريم، العباس الحازمي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، إشراف: د. محمد بن إبراهيم الشافعي، ١٤١٧هـ، ص(٥٩).

(٢) والآيات هي: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠] وبقية المواضع: [سبأ: ٦]، [الجن: ٢].

(٣) التحرير والتنوير (٩/١٤٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٨/٢٦٦).

(٥) التحرير والتنوير (٩/١٤٦).

(٦) انظر: المفردات للراغب (رشد) (٣٥٤).

وجماع ذلك كله ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ولأفسح المجال لصاحب القلم السيال، وأعطي القوس باريه، أدع الأستاذ سيد قطب [١٩٦٦م] يتحدث عن ظلال هذه الآية العظيمة الجامعة المانعة، فيقول: «هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم، وفيما يهديهم، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان.. يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق.. يهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا هي مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنْفَصم، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض.. ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.. ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض: أفراداً وأزواجاً، وحكومات وشعوباً، ودولاً وأجناساً، وتقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى، ولا تميل مع المودة والشنآن، ولا تصرفها المصالح والأغراض، الأسس التي أقامها العليم الخبير بخلقه، وهو أعلم بمن خلق، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان..»(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢١٥)؛ وللإمام الشنقيطي رحمه الله كلام رائع طويل عن هذه الآية. انظر: (٢/ ١١٨ ـ ١٤١).

الفصل الثالث

الأوصاف الصريحة الدالة على بركة القرآن وتأثيره

ويشتمل على:

- مدخل.
- المبحث الأول: وصف القرآن بأنه خير.
- المبحث الثاني: وصف القرآن بأنه رحمة.
- المبحث الثالث: وصف القرآن بأنه شفاء.
- المبحث الرابع: وصف القرآن بأنه عجباً.
- المبحث الخامس: وصف القرآن بأنه كريم.
- المبحث السادس: وصف القرآن بأنه مبارك.
- المبحث السابع: وصف القرآن بأنه مثاني.
- المبحث الثامن: وصف القرآن بأنه نور.

مدخل

أنزل الله تعالى كتابه الكريم، مشتملاً على كل خير، حاوياً كل فضل، دالاً على ما فيه صلاح المعاش والمعاد، فلا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذر منه، ولا سعادة ولا فلاح ونجاح إلا حثَّ عليه ورغب فيه.. وبما أن القرآن الكريم نزل على أمة جاهلية، لا علم لها بكتاب، ولا معرفة لها بخطاب رباني، ذكر الله تعالى في ثنايا هذا الكتاب العظيم نعوتاً وأوصافاً تبين بركته على القلوب، وتأثيره على النفوس والأخلاق، بأسلوب غض طري، جامعاً بين الجزالة والسلاسة، والقوة والعذوبة، حتى تأثر به المؤمن والكافر، والصادق والكاذب، يقول جُبَيْر بن مُطْعِم ﷺ: سمعت النبي ﷺ يَقْرَأُ في الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فلما بَلَغَ هذه الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧] كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ» متفق عليه[(١)]، ويقول الوليد بن المغيرة عندما سمع آيات الله تعالى: «ووالله إن لقوله الذي يقول ـ يعني: القرآن ـ حلاوة وإن عليه لطلاوة وأنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله»[(٢)]، وقد جسد أحد المستشرقين الفرنسيين[(٣)]، ـ بعد أن أسلم ـ عظمة تأثير هذا القرآن

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة الطور، حديث [٤٤٧٦]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: القراءة في المغرب، حديث [٧٠٥].

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٥٠)، وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه؛ والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٩٨)، وعزاه إلى ابن إسحاق وابن أبي حاتم والبيهقي؛ وصححه الألباني. انظر: صحيح السيرة النبوية (١٥٨).

(٣) وهو ايتين دينيه (١٨٦١ ـ ١٩٢٩م) تعلم في فرنسا وقصد الجزائر، فكان يقضي في =

ودلالاته، بقوله: «إن كان سِر أسلوب القرآن.. وجمال معانيه.. يُحدث مثل هذا التأثير في نفوس علماء لا يمتُّون إلى العرب.. ولا إلى المسلمين بصلة، فماذا ترى أن يكون من قوة الحماسة التي تستهوي عرب الحجاز، وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الجميلة؟؟.. لقد كانوا لا يسمعون القرآن إلا وتمتلك نفوسهم انفعالات هائلة مُباغتة، فيظلون في مكانهم وكأنهم سُمِّروا فيها..»(١).

والأوصاف الصريحة الدالة على بركة القرآن وتأثيره هي (رحمة، شفاء، خير، عجباً، كريم، مبارك، مثاني، نور).

= بلده (بوسعادة) نصف السنة من كل عام، وأشهر إسلامه، وتسمى بناصر الدين، وحج إلى بيت الله الحرام، ومن آثاره: محمد في السيرة، وحياة العرب بالفرنسية. انظر: قالوا عن الإسلام (٦٣).

(١) انظر: قالوا عن الإسلام، إعداد: د. عماد الدين خليل، ط١ (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ) ص(٦٣).

المبحث الأول

وصف القرآن بأنه خير

«الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه، فالخير خلاف الشر؛ لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه.. ثم يُصَرَّف الكلام فيقال: رجلٌ خير وامرأةٌ خيرة: فاضلة، وقوم خيار وأخيار»[(١)].

و«الخير ضد الشر، وجمعه (خيور) و(خيار) و(أخيار)»[(٢)].

«وخار خَيْراً، صار ذا خيرٍ»[(٣)].

والخير: ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل والفضل، والشيء النافع وضده الشر، وقيل: الخير ضربان: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال، وعند كل أحد.. وخير وشر مقيدان، وهو أن يكون خيراً لواحد شراً لآخر[(٤)].

ووجه وصف القرآن بأنه (خير) لكونه حاوياً بين دفتيه كل خير، فأخباره خير، وقصصه خير، وأحكامه خير، وأوامره خير، ونواهيه خير، ووعده خير، ووعيده خير، وليس خيراً مقتصراً على الدار الآخرة، وما أعده الله للمؤمنين المتقين من النعيم، والفضل العظيم، بل وفي الدنيا من صلاح النفس والمجتمع، ودلالة إلى كل ما يجلب الخير الدنيوي، والطمأنينة «فالقرآن خير، وبالخير نزل.. فالذي أوتي القرآن أوتي الخير كله»[(٥)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (خير) (٣١٨).

(٢) مختار الصحاح (خ ي ر)؛ المصباح المنير (الخير) (١٨٥).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (خ ي ر) (٥/ ٢٥٧).

(٤) انظر: المفردات للراغب (خير) (٣٠٠)؛ بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٧٢).

(٥) أيسر التفاسير (٧٥٧ ـ ٧٥٨).

وورد وصف القرآن بأنه (خير) في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠] حيث ورد هذا الوصف على لسان المؤمنين، عندما تسألهم الوفود عن الذي نزل على محمد ﷺ ويتلوه غضاً طرياً.. قال السدي: اجتمعت قريش فقالوا إن محمداً رجلٌ حلوُ اللسان إذا كلَّمه الرجل ذهب بعقله، فانظروا أناساً من أشرافكم، المعدودين المعروفة أنسابهم، فابعثوهم في كل طريق من طرق مكة، على رأس كل ليلة أو ليلتين، فمن جاء يريده فردوه عنه، فخرج ناس منهم في كل طريق، فكان إذا أقبل الرجل وافداً لقومه ينظر ما يقول محمد، فينزل بهم، قالوا له: أنا فلان ابن فلان فيعرفه بنسبه، ويقول: أنا أخبرك عن محمد فلا يريد أن يعنى إليه، هو رجل كذاب لم يتبعه على أمره إلا السفهاء والعبيد ومن لا خير فيه، وأما شيوخ قومه وخيارهم فمفارقون له فيرجع أحدهم، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ [النحل: ٢٤] فإذا كان الوافد ممن عزم الله له على الرشاد، فقالوا له مثل ذلك في محمد، قال: بئس الوافد أنا لقومي، إن كنت جئت حتى إذا بلغت إلا مسيرة يوم رجعت قبل أن ألقى هذا الرجل، وأنظر ما يقول وآتي قومي ببيان أمره فيدخل مكة فيلقى المؤمنين فيسألهم ماذا يقول محمد: فيقولون: ﴿خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [النحل: ٣٠][(١)]، وقيل: بل هو من كلام بعضهم لبعض[(٢)]، والأول أصح، وهو قول أكثر المفسرين، يقول الألوسي [١٢٧٠هـ]: «ولم نجد في السائل هنا خلافاً، كما في السائل فيما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ [النحل: ٢٤] والذي رأيناه في كثير مما وقفنا عليه من التفاسير،

---

(١) انظر: الدر المنثور (٥/ ١٢٥)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم؛ وذكره الطبري (١٤/ ٢١١)؛ ونقله مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٢٠)؛ وجمع من المفسرين كالثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ١٤)؛ والسمرقندي في تفسيره (٢/ ٢٧٢)؛ والقرطبي في جامعه (١٠/ ١٠٠).. وغيرهم، وروي قريباً منه عن قتادة. انظر: المراجع نفسها.

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٠/ ١٠)؛ إرشاد العقل السليم (٥/ ١٠٧)؛ روح المعاني (١٤/ ١٢٢).

أن السائل الوفد الذي كان سائلاً أولاً في بعض الأقوال المحكية هناك..»[1].

ومجيء الوصف بصيغة التنكير للدلالة على التفخيم والتعظيم، فهو شامل لكل خير دنيوي من صلاح في المعاش، وتنظيم للأحوال الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية... وخير أخروي من الفوز بالنعيم، والنجاة من الجحيم، فالمؤمنون كشفوا عن حقيقة القرآن بأوجز بيان وأجمعه، وهو كلمة خير[2].

ووجه نصب الوصف (خيراً)؛ لأنه منصوب بفعلٍ مضمر تقديره (أنزل خيراً) وفي هذا اعتراف بأن الله تعالى أنزله، وهو جواب للمقرِّ والمصدق بحقيقته، حيث لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بيناً مكشوفاً.. وجواب المؤمنين بخلاف جواب الكافرين المكذبين للقرآن، حيث إنهم زعموا أنه أساطير الأولين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤]، ورفعوا الوصف على تقدير أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو أساطير الأولين، حيث عدلوا بالجواب عن السؤال فلم يعترفوا بأن الله تعالى أنزله.. ولو كان الوصف منصوباً لكان الكلام متناقضاً؛ لأن قولهم أساطير الأولين يقتضي التكذيب بأن الله أنزله، والنصب بفعل مضمر يقتضي التصديق بأن الله أنزله[3].

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ﴾ [النحل: ٣٠] لم تقترن الجملة بأداة الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤] وذلك أن قولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ لما كان كذباً اختلقوه، وكان مظنة أن يقلع عنه قائله، وأن يرعوي إلى الحق، وأن لا يجمع عليه القائلون، قرن بأداة الشرط المقتضية تكرار ذلك، للدلالة على إصرارهم على الكفر، بخلاف ما هنا فإن الصدق مظنة استمرار قائله عليه، فليس بحاجة إلى التنبيه على تكرارٍ منه[4].

---

(١) روح المعاني (١٤/ ١٣١).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ١٤١).
(٣) انظر: الكشاف (٣/ ٤٣٣)؛ التفسير الكبير (٢٠/ ٢٠)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٥٢)؛ إرشاد العقل السليم (٥/ ١٠٧).
(٤) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ١٤١).

المبحث الثاني

وصف القرآن بأنه رحمة

«الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرِّقة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رَحِمَه يرحمه، إذا رقَّ له وعطف عليه»[١]، والرُّحم والمَرْحمة والرَّحمة بمعنى[٢].

والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرِّقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، وإذا وصف بها الباري سبحانه فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد دون الرِّقة، فركز تعالى في طبائع الناس الرِّقة، وتفرد بالإحسان[٣].

وذكر الجرجاني [٨١٦هـ] أن الرحمة: إرادة إيصال الخير[٤].

ووجه وصف القرآن بأنه (رحمة)؛ لأن من آمن به، واتبع سبيله، واقتفى أثره، تناله رحمة الدنيا، من استقامة في الحال، وصلاح للمجتمع، وانتظام في الحياة المدنية والسياسية والاقتصادية، بل وجميع شؤون الحياة.. ورحمة الآخرة من النجاة والعتق من النيران، والفوز والظفر بالجنان، حيث النعيم المقيم، والمستقر الخالد، في جنة حسنت مستقراً ومقاماً ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟

---

(١) معجم مقاييس اللغة (رحم) (٤٢٥).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (رحم) (٤٢٥)؛ ومختار الصحاح (ر ح م)؛ ولسان العرب (رحم) (١٢/ ٢٣٠).

(٣) انظر: المفردات للراغب (رحم) (٣٤٧).

(٤) التعريفات (١٤٦).

يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧][١]، فالقرآن «من فهمه وعقله كان رحمة له»[٢]، فهو رحمة لأنه سبب لاهتداء الناس إلى الدين الذي يكون به رضى الله تعالى عن المؤمنين، وبه هدايتهم من الضلال.. وهو رحمة لأنه يقرأ ويتعبد به المؤمن، فينالُ من الله خير الجزاء.. وهو رحمة لأنه من تلاه واعتبر به رقَّ قلبُه، وصفا عقله، واطمأنت نفسُه.. وهو رحمة لأنه حرز من الشيطان وحصان من الغفلة.. وهو رحمة لأن فيه شفاءً للصدور وثباتاً للقلوب.. وهو رحمة لاشتماله على أحكام الشريعة ونظم المعيشة، التي يحيا بها الإنسان حياة سعيدة[٣]، اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك.

وورد وصف القرآن بأنه (رحمة) في اثني عشر موضعاً[٤]، وجاءت في جميع المواضع بصيغة التنكير، للدلالة على التعظيم والتفخيم، حيث لا يُقادر قدرها، ولا يُدْرك شأنها[٥]، فهو رحمة في هذه الدنيا حيث أخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.. ورحمة في الآخرة بالفوز والحصول على أرفع الدرجات، وأعلى المقامات، في جنات عدن، في مقعد صدق عند مليك مقتدر[٦].

ومجيء الوصف (رحمة) بالمصدر للدلالة على المبالغة، وقوة جلب

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٤/ ٢٣٤). (٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٦).

(٣) انظر: أسماء القرآن د. خمساوي (٩٠).

(٤) والآيات هي: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧] ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] وبقية المواضع: [يونس: ٥٧]، [يوسف: ١١١]، [النحل: ٦٤، ٨٩]، [الإسراء: ٨٢]، [النمل: ٧٧]، [العنكبوت: ٥١]، [لقمان: ٣]، [الجاثية: ٢٠].

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم (٤/ ١٥٥)؛ والتحرير والتنوير (٨/ ١٥).

(٦) وقد ألمح الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه إذا اجتمع وصفي (الهدى والرحمة) في آية واحدة فالمراد بالهدى في الدنيا، والرحمة في الآخرة. انظر: التفسير الكبير (١٨/ ١٨٢)، (٢٧/ ٢٢٨)، ولكن الأظهر أن الرحمة تشمل خيري الدنيا والآخرة، مما يوجبه عموم التنكير في الوصف، وهو الأصل، وقول عامة المفسرين والله أعلم.

الرحمة لمن آمن به وصدقه، فكأنه عين الرحمة[1]، وإلا في الحقيقة أن الراحم هو الله ﷻ، والقرآن الكريم إنما هو سبب للرحمة فقط.

وقصر الله تعالى الرحمة بهذا القرآن على المؤمنين فقط؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالوحي، ويتبعون ما أمروا به، ويجتنبون ما نهوا عنه، ويؤمنون بما تضمنه[2]، أما من سواهم فقد اتخذوا هذا القرآن مهجوراً، وكفروا به وصدوا عنه، فأنى لهم الرحمة والهداية، بل سيكون حجة عليهم في الدنيا، ووبالاً وخسارة في الآخرة ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ۝٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠].

وقد بين الله تعالى أنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون، دون للمؤمنين أو الذين آمنوا[3]، للإيماء أن الإيمان كالسجية لهم، والعادة الراسخة التي تتقوم بها قوميتهم[4]، وفي ذلك مدح لهم، وثناء عليهم، لاستجابتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ وإيمانهم بكتابه الكريم، وفي موضع آخر بأنه هدى ورحمة لقوم يوقنون؛ لأن الرحمة تتوقف على إيمان الشخص ويقين قلبه، واستسلامه لله سبحانه؛ لأنه «حين يستيقن القلب ويستوثق يعرف طريقه، فلا يتلجلج ولا يتلعثم ولا يحيد، وعندئذٍ يبدو له الطريق واضحاً، والأفق منيراً، والغاية محددة، والمنهج مستقيماً، وعندئذٍ يصبح هذا القرآن له نوراً وهدى ورحمة بهذا اليقين»[5]، وهو كذلك رحمة للذين بلغوا الرتبة العالية، والمكانة السامية، في العبادة والطاعة والخشية لله تعالى، وهم المحسنون ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان: ٤] فاللهم ارحمنا برحمتك، واجعلنا من عبادك المتقين المحسنين.

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٠٢)؛ روح المعاني (٨/ ٦١)؛ التحرير والتنوير (٤/ ١٥٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٨٧)؛ المحرر الوجيز (٧٧٣)؛ التفسير الكبير (١٨/ ١٨٢)؛ البحر المحيط (٤/ ٥٧٢).

(٣) انظر على سبيل المثال: آيتي [الأعراف: ٢٠، ٥٢]، [يوسف: ١١١]، [النحل: ٦٤]، [العنكبوت: ٥١].

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٦/ ١٩٧).

(٥) في ظلال القرآن (٥/ ٣٢٢٩).

وقد جمع الله تعالى في كتابه بين وصفي (الهدى والرحمة)[(١)]؛ لأن الرحمة لا تحصل إلا لمن اهتدى، واتبع سبيل المؤمنين، أما الضال والمعرض عن الله تعالى وعن كتابه، فإنه لا ينال رحمة الله، ولذا قدم الله تعالى ذكر الهدى على الرحمة لأنها سبب وعلَّة الرحمة، وأن الهدى تسبق الرحمة، فإذا اهتدى المرء نال رحمة الله تعالى[(٢)]، قال ابن سعدي [١٣٧٦هـ]: «فالهدى هو العلم بالحق والعمل به، والرحمة هي ما يحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل لمن اهتدى به، فالهدى أجلُّ الوسائل، والرحمة أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدي به، ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين، وإذا حصل الهدى وحلَّت الرحمة الناشئة عنه، حصلت السعادة والفلاح والربح والنجاح، والفرح والسرور»[(٣)].

وفي الموضعين الآخرين قرن الله تعالى بين الوصفين (شفاء ورحمة) وقدم (شفاء) على (رحمة) لأن إزالةَ أمراض القلوب من الظلم والطغيان، والحسد والحقد، والغل والضغينة، مقدَّم على السعي في تكميل موجبات الصحة، فبدأ الله تعالى بذكر الشفاء، ثم أتبعه بذكر الرحمة[(٤)]، وكما قيل: التخلية قبل التحلية.

ولم يرد هذا الوصف إلا في السور المكية فحسب؛ لأنه يتضمن ترغيب الناس في الإيمان بالله تعالى، والتصديق برسوله، اللذين يحصل بسببهما الرحمة والطمأنينة في الدارين، والأُنس بالله تعالى، وتعلق القلب به، وعدم الخوف والخشية إلا منه، وأيضاً تعريض بكفار مكة، وبيان لضعف عقولهم، وتحقق غفلتهم، إذ كيف يعرضون عنه وهو يحمل الرحمة والبشرى والشفاء لمن آمن به وصدقه، ولكن تلك هي عاقبة الغفلة والهوى ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

---

(١) وذلك في جميع المواضع ما عدا آيتي الإسراء والعنكبوت.
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/٣٠٩ ـ ٣١٧).
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن (٣٦٧).
(٤) انظر: التفسير الكبير (٢١/٢٩).

وقد ورد وصف (الرحمة) في القرآن على عشرين وجهاً، منها:

١ ـ بمعنى: سيد المرسلين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٢ ـ وبمعنى: توفيق الطاعة والإحسان ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٣ ـ وبمعنى: الإسلام والإيمان ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥].

٤ ـ وبمعنى: ماء المطر ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٨].

٥ ـ وبمعنى: الكتاب المنزل على موسى بن عمران عليه السلام ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الأحقاف: ١٢].

٦ ـ وبمعنى: الجنة دار السلام ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦][(١)].

---

(١) انظر: بقية الأوجه في بصائر ذوي التمييز (٣/ ٥٥ ـ ٥٧).

المبحث الثالث

وصف القرآن بأنه شفاء

«الشين والفاء والحرف المعتل يدل على الإشراف على الشيء، يقال: أشفى على الشيء إذا أشرف عليه، وسمي الشفاء شفاء لغلَبته للمرض وإشفائه عليه»(١).

و(شفي) الحرف يائيٌ واويٌ، (الشفاء) ككساء (الدَّواء)، وأصله البرء من المرض، ثم وضع موضع العلاج والدواء(٢).

والشفاء من المرض: موافاة شفا السلامة، وصار اسماً للبُرْء من المرض، ودواء النفس(٣).

ووجه وصف القرآن بأنه (شفاء) لاشتماله على الدلائل الواضحات، والآيات البينات، التي يكون بها شفاء من سقم الكفر والضلال، والتيه والضياع، والجهل والظلم، والبغي والعدوان، فتهتدي القلوب إلى خالقها، وتطمئن النفوس إلى بارئها، وتستنير بكتاب موجدها ﷻ، وتؤمن وتصدق بأثر هذا الكتاب على القلب والبدن، وحاجتهما إليه.

فالقرآن الكريم «شفاء من الكفر والشرك والنفاق، وشفاء من الجهل والغرور، وشفاء من الخلاعة والمجون وفساد الأخلاق، وشفاء من الظلم والجور، وشفاء من الفسوق والفجور، وشفاء من البدع والمعاصي، وشفاء من

---

(١) معجم مقاييس اللغة (شفى) (٢٥٠٩).

(٢) انظر: تاج العروس (شفي) (٣٨/ ٣٨٢).

(٣) انظر: المفردات للراغب (شفا) (٤٥٩)؛ بصائر ذوي التمييز (شفا) (٣/ ٣٣٠)؛ المعجم الوسيط (الشفاء) (٤٨٨).

الحيرة والشك، وشفاء من الشهوات والشبهات، وشفاء من الشطحات والشطط، ومن الوسوسة والقلق، وشفاء من الغل والحقد والحسد، وشفاء من الجرائم وجميع المحرمات، وشفاء من الجاهلية الجهلاء، والهمجية العمياء.. فالقرآن الكريم شفاء من كل محنة وفتنة، وشفاء من أمراض القلوب والأبدان، وشفاء من الأفكار الخبيثة والمذاهب الفاسدة.. فهو شفاء من كل ما يعود على الفرد والمجتمع بالضرر، ومما يعود على البشرية جمعاء بالضرر في دنياها وأخراها»(١).

وورد وصف القرآن بأنه (شفاء) في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى(٢)، وجاءت كلها بصيغة التنكير (شفاء) للدلالة على التعظيم والتفخيم من شأنه(٣)، فهو شفاء للقلوب من الغل والحقد والحسد، وشفاء للصدور من الضلال والضياع، والتخبط والشطط، وشفاء للأمراض والأسقام القلبية والبدنية، وشفاء «من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع، وأمراض الشبهات القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة، وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير والرهبة عن الشر، ونمتا على تكرر ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه، وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرَّفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان، مما يزيل الشبه القادحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين»(٤) بل وأعم من ذلك، فالقرآن الكريم شفاء - أيضاً - من الأمراض العصرية، كأمراض السياسة والاقتصاد والاجتماع

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن (٢/ ٣٠) بتصرف.

(٢) والآيات هي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس: ٥٧] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (٥/ ١٦٥)؛ إرشاد العقل السليم (٤/ ١٥٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمٰن (٣٦٧).

والحضارة.. بهذا المفهوم الموسع الشامل يجب أن ننظر إلى الشفاء القرآني، وأن نتناوله بهذه السعة والإحاطة، ولا نقصره على آلام الرأس والسن والبطن(١).

وفي قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] بيان أن القرآن شفاء للصدور، والصدر موضع القلب، وهو مجاز مرسل، وذلك من قبيل إطلاق المحل وإرادة الحال؛ أي: أنه شفاء للقلوب التي في الصدور، وهو أعز موضع في الإنسان(٢)، يقول الراغب [٤٢٥هـ]: «يقول بعض الحكماء: حيثما ذكر الله تعالى القلب، فإشارة إلى العقل والعلم نحو: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧]، وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك، وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها»(٣)، وتخصيص الشفاء هنا بما في الصدور لأن أمراض القلوب وأسقامها أشد وأعظم من أمراض الأبدان؛ كالشك والنفاق والحسد والحقد والغل، وغير ذلك(٤).

وقد أومأ وصف القرآن بالشفاء إلى تمثيل حال النفوس - بالنسبة إلى القرآن - كحال المعتل السقيم الذي تغير نظام مزاجه، فأصبح مضطرب النفس، متغيِّر الأحوال، فهو يترقب الطبيب الذي يدبر له الشفاء، ولا بد لهذا الطبيب من موعظة للمريض يحذره بها، مما هو سبب علته، ثم بعد ذلك ينعت له الدواء الذي به شفاؤه من العلة، والنظام الذي ينبغي له سلوكه لتدوم الصحة والسلامة، فإن هو انتصح بنصائح الطبيب أصبح معافى سليماً، وحيا حياة طيبة.. وإن خالف وترك ما أمره به ضل وتخبط وأصبح جسده مثقلاً بالأمراض والأسقام، وأنَّى له الشفاء(٥)، وهكذا القرآن من ائتمر بأوامره، وانتهى عن مناهيه، أصبح معافاً سليماً مستمتعاً بحياته، مؤملاً الفوز والظفر في

---

(١) انظر: مفاتيح للتعامل مع القرآن (٢٩).
(٢) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٣٩٠)؛ معالم التنزيل (٦٠٣)؛ التفسير المنير (١١/ ١٩٩).
(٣) المفردات (٤٧٧).
(٤) انظر: روح المعاني (١١/ ١٧٦).
(٥) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ٢٠٢).

الآخرة، ومن أعرض عن القرآن تخبط في ظلمات الكفر والجهل والضياع، ظلمات بعضها فوق بعض، خسر دنياه وآخرته، ذلك هو الخسران المبين، نسأل الله العافية والسلامة، والثبات على هذا الدين.

وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]، إشارة إلى التكرير والتكثير والتجديد في إنزال القرآن الكريم؛ لأن فيه شفاء للرسول ﷺ وأتباعه، ومن تبعهم، وَرَداً على أولئك الذين طَمِعوا في تبديل القرآن، بقرآن ليس فيه ذكر لأصنامهم ومعبوداتهم ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥][(١)].

و(من) هنا لبيان الجنس[(٢)]، وقيل تبعيضية[(٣)]، وردَّه المفسرون، إذ لا يمكن أن يكون بعض القرآن شفاء، وبعضه لا شفاء فيه، وقالوا بل هي بيانية، وقد وجه ابن عطية [٥٤٦هـ] القول بالتبعيض بقوله: «وأنكر بعض المتأولين أن تكون (من) للتبعيض؛ لأنه تحفَّظ من أن يلزمه أنَّ بعضه لا شفاء فيه، وليس يلزمه هذا، بل يصح أن تكون (من) للتبعيض بحسب أن إنزاله إنما هو مبعَّض»[(٤)] أي: أن التبعيض عائد إلى (ننزل) أما القرآن فهو شفاء كله، وهو الصحيح، والله أعلم.

وتقديم البيان (من القرآن) للاهتمام بشأنه والثناء عليه، وللدلالة على تمكن ذلك الوصف منه بحيث يعرف به، والمعنى: وننزل الشفاء والرحمة وهو القرآن[(٥)].

ولما كان الحديث في الآية يخص المؤمنين، وذلك من خلال ذكر النعم

---

(١) المرجع نفسه (٦/ ١٨٩).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٧١)؛ الكشاف (٣/ ٥٤٧)؛ التفسير الكبير (٢١/ ٢٩)؛ زاد المعاد (٤/ ٣٢٢)؛ روح المعاني (١٥/ ١٤٥)؛ التحرير والتنوير (٦/ ١٨٩).

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٧٧)؛ البحر المحيط (٦/ ٩٣) ذكره عن الحوفي.

(٤) المحرر الوجيز (١١٦٢).

(٥) انظر: روح المعاني (١٥/ ١٤٥)؛ التحرير والتنوير (٦/ ١٨٩).

الجليلة التي أنعم الله بها عليهم، والمنن التي تفضل عليهم بها، وَرَدَ السياق في التبشير والبشرى لا في الإنذار والتخويف، ولذا لم يقترن معها وصف الموعظة التي هي: «زجر مقترن بتخويف»[١] كما في آية يونس، حيث جاء الخطاب فيها لعموم الناس مؤمنهم وكافرهم، وصادقهم وكاذبهم[٢]، فالقرآن شفاء لمن خالط قلبه بشاشةُ الإيمان، ومحبةُ الرحمٰن، والسمعُ والطاعةُ للواحد الديان، فأشرقت نفسه لتلقي ما في القرآن، من روح وريحان، فالقرآن: «شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة فهو يصل القلب بالله، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن، ويرضى فيستروح الرضى من الله والرضى عن الحياة.. والقرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان، وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب، وتدفع به إلى التحطم والبِلى والانهيار.. والقرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعور والتفكير، فهو يعصم العقل من الشطط، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة، ويكفه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدي.. والقرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات، وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها، فتعيش في ظل نظامه الاجتماعي، وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة»[٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، يقول ابن القيم [٧٥١هـ]: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، لم يقاومه الداء أبداً.. وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدّعها، أو على الأرض لقطّعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه،

(١) المفردات للراغب (٨٧٦).
(٢) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (٦٨).
(٣) في ظلال القرآن (٤/٢٢٤٨) بتصرف.

لمن رزقه الله فهماً في كتابه.. فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله»(١).

واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في معنى كونه شفاء على قولين(٢):

الأول: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وإزالة الريب، وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله تعالى فقط، وهذا ظاهر وبين، وهو الأصل، ويدل عليه التنصيص على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

الثاني: أنه شفاء للقلوب، وكذلك الأمراض الظاهرة الحسية، وذلك بالرقى والتعوذ ونحو ذلك، ويشهد له حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «انْطَلَقَ نَفَرٌ من أَصْحَابِ النبي ﷺ في سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حتى نَزَلُوا على حَيٍّ من أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذلك الْحَيِّ فَسَعَوْا له بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فقال بَعْضُهُمْ: لو أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ وَسَعَيْنَا له بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ من شَيْءٍ؟ فقال بَعْضُهُمْ: نعم والله إني لَأَرْقِي وَلَكِنْ والله لقد اسْتَضَفْنَاكُمْ فلم تُضَيِّفُونَا فما أنا بِرَاقٍ لَكُمْ حتى تَجْعَلُوا لنا جُعْلاً، فَصَالَحُوهُمْ على قَطِيعٍ من الْغَنَم فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عليه وَيَقْرَأُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، فَكَأَنَّمَا نُشِطَ من عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي وما بِهِ قَلَبَةٌ، قال: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الذي صَالَحُوهُمْ عليه، فقال بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فقال الذي رَقَى: لَا تَفْعَلُوا حتى نَأْتِيَ النبي ﷺ فَنَذْكُرَ له الذي كان فَنَنْظُرَ ما يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا على رسول اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا له فقال: **«وما يُدْرِيكَ أنها رُقْيَةٌ»**، ثُمَّ قال: **«قد أَصَبْتُمْ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لي مَعَكُمْ سَهْماً»** متفق عليه(٣).

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٢٢) بتصرف.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣١٦)؛ محاسن التأويل (٦/ ٥١٦)؛ فتح البيان (٧/ ٤٤٤)؛ التفسير المنير (١٥/ ١٥٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الإجارة، باب: ما يعطى في الرقية على أحياء =

قال ابن القيم [٧٥١هـ]: «فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللَّديغ بقراءة الفاتحة عليه فأغنته عن الدواء وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء، هذا مع كون المحل غير قابل، إما لكون هؤلاء الحي غيرَ مسلمين، أو أهلَ بُخْلٍ ولُؤْم، فكيف إذا كان المحل قابلاً»[١]. وعن عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ النبي ﷺ كان يَنْفِثُ على نَفْسِهِ في مَرَضِهِ الذي قُبِضَ فيه بِالْمُعَوِّذَاتِ فلما ثَقُلَ كنت أنا أَنْفِثُ عليه بِهِنَّ فَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا» متفق عليه[٢].

وقد نص على هذا جمع من المفسرين؛ كالرازي، وابن جزي، والقرطبي، والسعدي، والشنقيطي[٣].

قال القنوجي [١٣٠٧هـ]: «ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين، من باب عموم المجاز، أو من باب حمل المشترك على معنييه»[٤].

وهو الأظهر، ويشهد له ـ أيضاً ـ الأحاديث ـ السابقة ـ التي فيها نص على رقية النبي ﷺ نفسه بالمعوذات.. ومن المقرر أن النبي ﷺ معصوم من الزلل والشبهات والشهوات المحرمة، ومع ذلك ورد عنه أنه يرقي نفسه بالقرآن مما لا يمكن حمله إلا على المعنى الثاني، وكذلك مجيئه بصيغة التنكير، وهي ـ بناء على الأصل ـ تفيد العموم والشمولية، كما هو مقرر عند النحويين[٥]، وكذلك الواقع والتجربة، يقول ابن القيم [٧٥١هـ]: «وأما شهادة التجارب بذلك

= العرب بفاتحة الكتاب، حديث [٢١٥٦]، ومسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: جواز أخذ الأجرة على الرقية، حديث [٢٢٠١].

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: الرقى بالقرآن والمعوذات، حديث [٥٤٠٣]، ومسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: رقية المريض بالمعوذات، حديث [٢١٩٢].

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢١/ ٢٩)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٧٧)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣١٦)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٧٥١)؛ أضواء البيان (٢/ ٣٢٦).

(٤) فتح البيان (٧/ ٤٤٤)، وقال نحوه: القاسمي في محاسن التأويل (٦/ ٥١٦)؛ وابن عاشور في التحرير والتنوير (٦/ ١٩٠).

(٥) انظر ـ على سبيل المثال ـ: شرح قطر الندى وبل الصدى (١١٦).

فهي أكثر من أن تذكر وذلك في كل زمان، وقد جربت أنا من ذلك في نفسي وفي غيري أموراً عجيبة، ولا سيما مدة المقام بمكة، فإنه كان يعرض لي آلام مزعجة بحيث تكاد تقطع الحركة مني، وذلك في أثناء الطواف وغيره، فأبادر إلى قراءة الفاتحة وأمسح بها على محل الألم، فكأنه حصاة تسقط، جربت ذلك مراراً عديدة، وكنت آخذ قدحاً من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مراراً فأشربه فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء، والأمر أعظم من ذلك ولكن بحسب قوة الإيمان وصحة اليقين والله المستعان»[١]، ويقول في موضع آخر مبيناً منافع الرقى القرآنية: «واعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضراً، وإن كان مؤذياً، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال المتعوذ»[٢].

وهكذا فإن الرقية بذكر الله تعالى، أو بكتابه الكريم، من أعظم أسباب العلاج والشفاء للكثير من الأمراض الحسية والمعنوية، ومن الآفات النازلة بالناس، بل إنها من أسباب الوقاية أيضاً وحفظ الصحة، لكن أثرها يتناسب مع قوة إيمان الراقي وضعفه[٣].

ولم يرد هذا الوصف إلا في القرآن المكي، وفي ذلك حسنُ دعوة للناس واستمالةٌ بلطف للإقبال على القرآن العظيم، ليحصلوا من نظرهم فيه، وإقبالهم عليه، على العلاج والشفاء مما هم فيه من أمراض مستعصية من كفر وغفلة وإعراض.. مما لا علاج لها إلا بهذا القرآن الحكيم، وفيه تعريض بأهل مكة ومن على حالهم بفساد قلوبهم، وانتشار السم في أبدانهم، وأنهم ضالون مضلون حتى يتبعوا هذا القرآن الكريم، ويقتفوا آثاره[٤].

---

(١) مدارج السالكين (١/٥٧ ـ ٥٨). (٢) الطب النبوي (١٤٣).

(٣) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر الجديع، ط٤، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ) ص(٢٣٠).

(٤) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (٦٢).

المبحث الرابع

وصف القرآن بأنه (عجباً)

«العين والجيم والباء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على كِبر واستكبار للشيء.. وتقول من باب العَجَب: عَجِب يَعجَبُ عَجباً، وأمر عجيب، وذلك إذا استُكبر واستُعظم»(١).

«والعَجب والتعجب: حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء، ولهذا قال بعض الحكماء: العجب ما لا يعرف سببه، ومنه قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] أي: لم يعهد مثله، ولم يعرف سببه»(٢).

و«العجب إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده، يقال: أمر عجب وعجيب وعجاب وعجب عاجب وعجاب على المبالغة»(٣).

وبين العجيب والعجاب فرق، فالعجاب الذي جاوز حد العجب، مثل الطويل والطُّوال، فالطويل في الناس كثير، والطُّوال: الأهوج الطول.. والعجيب الأمر يتعجب منه(٤).

ووجه وصف القرآن بأنه (عجباً) لأن ألفاظه من أفصح الألفاظ، ومعانيه من أوضح المعاني، وتراكيبه من أروع التراكيب، فلا يجاريه كتاب، ولا يدانيه خطاب، قد بلغ أعلى المراتب، وأرفع المطالب، في الوضوح والسهولة، مع قوة في المعاني وجزالة، فهو «عجب في نفسه لفصاحة كلامه، وحسن مبانيه،

---

(١) معجم مقاييس اللغة (عجب) (٧١٧). (٢) المفردات للراغب (عجب) (٥٤٧).
(٣) المحكم والمحيط الأعظم (ع ج ب) (١/ ٣٣٩).
(٤) انظر: العين (عجب) (١/ ٢٣٥)؛ المحكم والمحيط الأعظم (١/ ٣٣٩)؛ القاموس المحيط (عجب) (١٤٤).

ودقة معانيه، وغرابة أسلوبه، وبلاغة مواعظه، وكونه مبايناً لسائر الكتب»[١].

فها هم الجن تفاجؤوا بسماع تلك الآيات المباركات «مفاجأة أطارت تماسكهم، وزلزلت قلوبهم، وهزت مشاعرهم، وأطلقت في كيانهم دفعة عنيفة من التأثر امتلأ بها كيانهم كله وفاض، فانطلقوا إلى قومهم بنفوس مملوءة بما لا تملك له دفعاً، ولا تملك عليه صبراً قبل أن تفيضه على الآخرين»[٢].

وورد وصف القرآن بأنه (عجباً) على لسان الجن، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن: ١]، «ومعنى القول هنا: إبلاغ مرادهم إلى من يريدون أن يبلغوه إليهم من نوعهم بالكيفية التي يتفاهمون بها، إذ ليس للجن ألفاظ تجري على الألسن فيما يظهر، فالقول هنا مستعار للتعبير عما في النفس، مثل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].. ويجوز أن يكون قولاً نفسياً؛ أي: خواطر جالت في مدركاتهم جولان القول الذي ينبعث عن إرادة صاحب الإدراك به، إبلاغ مدركاته لغيره، فإن مثل ذلك يعبر عنه بالقول؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨]»[٣]، ولعل الصحيح أنه قولهم حقيقة، وهو ما تلفظوا به؛ لأنه الأصل، ولا دليل على إخراجه من الأصل ـ وهو التلفظ ـ، ويشهد لذلك الآيات والأحاديث النبوية الصحيحة الصريحة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ الآيات [الأحقاف: ٢٩، ٣٠].

وكذلك مخاطبتهم النبي ﷺ وسؤالهم إياه الزاد، كما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه «.. فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فلم نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ

(١) البحر المحيط (٨/ ٤٨٥).
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٧٢٦).
(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٢٠) بتصرف.

لَيْلَةٍ بَاتَ بها قَوْمٌ، فقال: «**آتاني دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ معه فَقَرَأْتُ عليهم الْقُرْآنَ**»، قال: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ، فقال: «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عليه يَقَعُ في أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ ما يَكُونُ لَحْماً وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ..**» الحديث(١).

وكذلك مخاطبة الشيطان لأبي هريرة ﷺ في الحديث الطويل، وفيه.. «قال: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ من اللهِ حَافِظٌ ولا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حتى تُصْبِحَ»، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فقال لي رسول اللهِ ﷺ: «**ما فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ**»، قلت: يا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي الله بها فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قال: «**ما هِيَ؟**» قلت: قال لي: إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ من أَوَّلِهَا حتى تَخْتِمَ ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وقال لي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ من اللهِ حَافِظٌ ولا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حتى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ على الْخَيْرِ. فقال النبي ﷺ: «**أَمَا إنه قد صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ تَعْلَمُ من تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**» قال: لَا، قال: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**» الحديث(٢).

والشيطان من الجن، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].. يقول شيخ الإسلام [٧٢٨هـ]: «فإن من الناس من رآهم وفيهم من رأى من رآهم، وثبت ذلك عنده بالخبر واليقين، ومن الناس من كلمهم وكلموه، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم، وهذا يكون للصالحين وغير الصالحين، ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب، وكذلك ما جرى

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، حديث [٤٥٠].

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الوكالة، باب: إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه، حديث [٢١٨٧].

لغيرنا»[١]، وأيّاً مّا كان فهذا الوصف ورد من مقال الجن، وأثبت الله تعالى هذا الوصف وصدقه، وجعله مما يتلى في كتابه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو يُعدُّ وصفاً من أوصاف القرآن الصريحة، والله أعلم.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [الجن: ١]، دلالة على أنه في هذه الحادثة لم يرهم، ولم يخصهم بالقراءة، وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته، فسمعوه يتلو آيات مباركات، فرجعوا إلى قومهم وقالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً[٢].

ووصف القرآن بأنه (عجباً) عند من يتلقاه بإذعان، وحسن إنصات، وتدبر وتأمل في آياته، دون المعرض عنه، الغير ملتفت إليه.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٣٢). وانظر للاستزادة في هذه المسألة: فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام عن الجان، جمع: مشهور حسن؛ وأحكام الجان، بدر الدين محمد الشبلي؛ عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبد الكريم عبيدات، وعالم الجن والشياطين للأشقر.. وغيرها.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٩/ ٢٨٩)؛ وحاشية الشهاب (٩/ ٢٨٩).

المبحث الخامس

وصف القرآن بأنه كريم

«الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما شَرَفٌ في الشيء في نفسه، أو شرفٌ في خلق من الأخلاق، يقال: رجل كريم، وفرس كريم.. والكرم في الخلق، يقال: هو الصفح عن الذنب»(١).

و«الكَرَم ضد اللؤم، وقد (كرُم) (كَرَماً) فهو كريم، وقوم كرام وكرماء.. والكريم الصفوح»(٢).

و«كرم الشيء (كرماً) نَفَسَ وَعَزَّ، فهو كريم»(٣).

«وقال بعضهم: الكرم مثل الحرِّيَّة، إلا أن الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة؛ كإنفاق مال في تجهيز غزاة، وتحمل حمالة يوقى بها دم قوم.. وقيل: الكرم إفادة ما ينبغي لا لغرض، فمن وهب المال لجلب نفع أو دفع ضرر، أو خلاص من ذم فليس بكريم»(٤).

والكريم: اسم جامع لصفات المدح والثناء والحمد(٥).

ووجه وصف القرآن بأنه (كريم) لكونه طاهر الأصل، ظاهر الفضل، لفظه فصيح، ومعناه صحيح، فكل من أقبل عليه نال منه ما يرغب، وحصل كل ما يريد(٦)، ولكونه اشتمل على أصول العلوم المهمة، والمعارف

---

(١) معجم مقاييس اللغة (كرم) (٨٩٠). (٢) مختار الصحاح (ك ر م).
(٣) المصباح المنير (الكرم) (٥٣١).
(٤) تاج العروس (كرم) (٣٣/ ٣٣٥). وانظر: المفردات للراغب (كرم) (٧٠٧).
(٥) انظر: التفسير الكبير (٢٩/ ١٦٦)؛ حاشية الشهاب (٨/ ٤٢٦).
(٦) انظر: التفسير الكبير (٢٩/ ١٦٧).

الضرورية، والأخلاق والآداب والقيم الأساسية، واحتوى على معالي الأمور، التي فيها صلاح المعاش والمعاد، فهو يعطي الخير الكثير، والفضل العميم، بالدلائل التي تؤدي إلى الحق، وتدل عليه، فالفقيه يستدل به ويأخذ منه، والحكيم يستمد منه ويحتج به، والأديب يستفيد منه، ويتقوى به، فكل خير وفضل فإنما هو يستمد من كتاب الله، ويستفاد منه(١)، ولأنه يكرم قارئه بالأعطيات الجزال، والحسنات المدرار، كما قال الحبيب المختار عليه الصلاة والسلام: «**من قَرَأَ حَرْفاً من كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ (ألم) حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(٢)، ويعظم حافظه في الدنيا والآخرة، قال المصطفى ﷺ: «**إِنَّ من إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ**»(٣)(٤)، ولكونه فضل على سائر الكتب السابقة.. فوصفه بأنه كريم «تفضيل للقرآن على أفراد نوعه من الكتب الإلهية، مثل التوراة والإنجيل والزبور...، وفضله عليها بأنه فاقها في استيفاء أغراض الدين، وأحوال المعاش والمعاد، وإثبات المعتقدات بدلائل التكوين، والإبلاغ في دحض الباطل دحضاً لم يشتمل على مثله كتاب سابق وخاصة الاعتقاد، وفي وضوح معانيه، وكثرة دلالته مع قلة ألفاظه، وفي فصاحته وحسن آياته، وحسن مواقعها في السمع، وذلك من آثار ما أراد الله به من عموم الهداية به، والصلاحية لكل أمة، ولكل زمان، فهذا وصف القرآن بالرفعة على جميع الكتب حقاً لا يستطيع المخالف طعناً فيه»(٥).

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٩/ ١٦٧)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٢٢٤)؛ إرشاد العقل السليم (٨/ ٢٠٠)؛ فتح القدير (٥/ ١٦٠)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٨٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، حديث [٢٩١٠]، وقال: حديث حسن صحيح، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١١٨)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: تنزيل الناس منازلهم، حديث [٤٨٤٣]؛ وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٢١)؛ وحسنه الألباني.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٢٤).

(٥) التحرير والتنوير (١١/ ٣٣٣).

وورد وصف القرآن بأنه (كريم) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧]، ومرجع الضمير إما إلى معلوم مستحضرٍ في الذهن، وهو الكلام الذي أنزل على محمد ﷺ وكان معروفاً عند الكل، وكان الكفار يقولون إنه شعر وإنه سحر، فرد الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧]، أو إلى مذكور، وهو جميع ما نزل قبل هذه الآية، أو إلى ما سبق الآية من آيات في نفس السورة، من التوحيد والحشر والدلائل المذكورة، والمتلوة عليهم(١).

ومجيئه بصيغة التنكير للدلالة على التعظيم والتفخيم من شأنه، فهو كريم بمصدره، حيث إنه كلام رب كريم، نزل به ملك كريم، على نبي كريم، وكريم بذاته لكونه في كتاب مكنون(٢)، مصون محفوظ بحفظ الله تعالى، لا يتطرق إليه خلل، ولا يعتريه نقص أو قصور، حيث اشتمل على كل خير، واحتوى كل فضل، وكريم باتجاهاته ودلالاته فهو دال على كل بر وفضل، ناهٍ عن كل بلاء وشر(٣).

واقتران الوصف في الآية بالاسم العلم (القرآن) الدال على أنه مقروء في كل حين وزمان، وبما أن الكلام إذا قرئ كثيراً يهون في الأعين والآذان، ويمل منه، ويرغب عنه، وتعرض النفوس عن سماعه، بين الله تعالى أنه

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٩/ ١٦٦)؛ التحرير والتنوير (١١/ ٣٣٣).

(٢) والكتاب المكنون قيل: اللوح المحفوظ، قاله أنس بن مالك وابن عباس ومجاهد ومقاتل. انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦٣)؛ وتفسير مقاتل (٣/ ٣١٨)؛ والدر المنثور (٨/ ٢٦)، ورجحه البغوي (١٢٧٣)؛ وابن كثير (٤/ ٣٨٢)؛ والسمرقندي (٣/ ٣٧٦).. وغيرهم، وهو الأظهر، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾... وقيل: الصحف التي بأيدي الملائكة الذين ينزلهم الله لوحيه ورسالته. انظر: تيسير الكريم الرحمٰن (٨٣٦)؛ ورجحه ابن القيم. انظر: التبيان في أقسام القرآن (١٤١).. وقيل: الكتب التي فيها القرآن، أو صحف القرآن. انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٩٢). وقيل: التوراة والإنجيل، قاله عكرمة. انظر: الدر المنثور (٨/ ٢٦)؛ والمحرر الوجيز (١٨١٦).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢/ ١٧)؛ في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٧١).

(كريم) أي: لا يهون بكثرة التلاوة، ويبقى أبد الدهر كالكلام الغض، والحديث الطري، الذي تتشوف النفوس إلى قراءته، وتستلذ الآذان إلى سماعه[١]، كما جاء في الأثر: «**ولا يَخْلَقُ على كَثْرَةِ الرَّدِّ**»[٢] ولهذا يقترن هذا الوصف أكثر من غيره في الإشارة إلى القرآن، فلا يقال ـ غالباً ـ إلا: (القرآن الكريم)، دون بقية الأوصاف.

والله تعالى وصف بـ(الكريم) سبعة أشياء في كتابه، وصف به نفسه فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦]، وسمى موسى كريماً: ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧]، وسمى ثواب الأعمال كريماً: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]، وسمى عرشه كريماً: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ۝٢٦﴾ [النمل: ٢٦]، وسمى جبريل كريماً: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ [الحاقة: ٤٠]، وسمى كتاب سليمان كريماً: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]، وسمى القرآن كريما: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧][٣].

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٩/ ١٦٥).
(٢) سبق تخريجه في مبحث (بلاغ) في الفصل الأول من هذا الباب.
(٣) انظر: التفسير الكبير (٢/ ١٧).

المبحث السادس

وصف القرآن بأنه مبارك

«الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء، ثم يتفرع فروعاً، يقارب بعضها بعضاً، يقال: بَرَكَ البعير بُرُكاً»[(١)]. «واعتبر منه معنى اللزوم، فقيل: ابتركوا في الحرب أي: ثبتوا ولازموا موضع الحرب»[(٢)].

وقال الخليل [١٧٥هـ]: البركة الزيادة والنماء، والتبريك: الدعاء بالبركة[(٣)]. «ويقال: لا بارك الله فيه؛ أي: لا نماه»[(٤)].

والبركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، وهو يصدر من حيث لا يُحَسُّ، وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر.. قيل: لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك، وفيه بركة[(٥)].

والمبارك وصف للبركة في الشيء، يقال: بارك الله الشيء، وبارك فيه، وعليه، وضع فيه البركة، فهو مبارك[(٦)].

ووجه وصف القرآن بأنه (مبارك) لأنه مشتمل على الخير العظيم، والفضل العميم، فآياته مبارك فيها لأنها إما مرشدة إلى خير وفضل، وإما صارفة عن شر وضلال، وهذا هو سبيل الخير في العاجل والآجل، وألفاظه مبارك فيها لأن الله تعالى أودع فيها بركة لقارئها والمشتغل بها في الدارين، ومعانيه مبارك فيها لأنها احتوت على ما به كمال النفس وطهارتها بالمعارف

---

(١) معجم مقاييس اللغة (برك) (١٠٨). (٢) المفردات للراغب (برك) (١١٩).

(٣) العين (برك) (٥/ ٣٦٨). وانظر: المصباح المنير (بركه) (٤٥).

(٤) جمهرة اللغة (ب رك) (١/ ٣٢٥).

(٥) انظر: المفردات للراغب (برك) (١٢٠)؛ بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٨).

(٦) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (ب رك) (٧/ ٢٣)؛ والمصباح المنير (برك) (٤٥).

النظرية ثم العملية.. فالبركة ملازمة لقراءته وفهمه[١].

وكون القرآن مباركاً «يقتضي كثرة خيره ونمائه وزيادته، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة وزيادة دينية أو دنيوية أو أخروية فإنها بسببه، وأثرٍ عن العمل به، فإذا كان ذكراً مباركاً وجب تلقيه بالقبول والانقياد والتسليم، وشكرٍ لله على هذه المنحة الجليلة، والقيام بها، واستخراج بركته بتعلم ألفاظه ومعانيه.. ومقابلتُه بضدٍّ هذه الحالة من الإعراض عنه، والإضراب عنه صفحاً، وإنكاره وعدم الإيمان به، فهذا من أعظم الكفر، وأشد الجهل والظلم»[٢]، ولأنه ـ أيضاً ـ ثابت ودائم لا يتطرق إليه النسخ ولا التغيير، كما حصل للكتب السابقة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩][٣]. فكتاب الله تعالى ذكرٌ مبارك، أنزله ملك مبارك، في ليلة مباركة، على نبي مبارك، لأمة مباركة[٤].. فلك الحمد ربنا على ما أوليتنا من نعم، وتفضلت علينا بسائر المنن.

وورد وصف القرآن بأنه (مبارك) في أربعة مواضع من كتاب الله تعالى[٥]، ووردت كلها بصيغة التنكير (مبارك) للدلالة على التعظيم والتفخيم[٦]، والشمولية لجميع نواحي الخير والهدى والرشاد «فهو مبارك بكل معاني البركة.. إنه مبارك في أصله، باركه الله تعالى وهو ينزله من عنده، ومبارك في محله الذي علم الله أنه له أهلٌ، قلبُ محمد ﷺ الطاهر الكريم الكبير.. ومبارك في حجمه ومحتواه، فإن هو إلا صفحات قلائل بالنسبة لضخام الكتب التي يكتبها البشر، ولكنه يحوي من المدلولات

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣/ ٣٧٠) (٩/ ٢٥١).
(٢) تيسير الكريم الرحمٰن (٥٢٥) بتصرف. (٣) انظر: التفسير الكبير (١٤/ ٥).
(٤) انظر: التفسير الكبير (٢/ ١٧).
(٥) والآيات هي: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥] ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥٠] ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: ٢٩].
(٦) انظر: تفسير المنار (٧/ ٥١٩).

والإيحاءات والمؤثرات والتوجيهات في كل فقرة منه ما لا تحتويه عشرات من هذه الكتب الضخام، في أضعاف أضعاف حيزه وحجمه!!.. وإنه لمبارك في أثره، وهو يخاطب الفطرة والكينونة البشرية بجملتها خطاباً مباشراً عجيباً لطيف المدخل، ويواجهها من كل منفذ وكل درب وكل ركن، فيفعل فيها ما لا يفعله قول قائل..»(١)، فالقرآن أحق أن يُسمى مباركاً من كل شيء، وذلك لكثرة خيره ومنافعه واشتماله على وجوه البركة كلها، الدالة والنافعة في الدنيا والآخرة(٢).

ومن ذلك ما يُحسه المشتغل بهذا الكتاب الكريم ـ سواء كان بحفظ أو تفسير أو مدارسة ـ ويشعر به، من أنواع البركات التي تتوالى عليه، من بركة في الوقت، ويُسرٍ في الأمر، وشغف قلبي، وميول نفسي إلى الاستزادة والاستمرار في التحصيل والطلب، في طمأنينة وانشراح، ولذة وأنس.. يقول الإمام الرازي [٦٠٤هـ]: «وقد جرت سنة الله تعالى بأن الباحث عنه والمتمسك به ـ أي: القرآن ـ يحصل له عز الدنيا، وسعادة الآخرة.. وأنا قد نقلت أنواعاً من العلوم النقلية والعقلية(٣)، فلم يحصل لي بسبب شيء من العلوم من أنواع السعادات في الدين والدنيا مثل ما حصل بسبب خدمة هذا العلم»(٤)، ويقول الإمام الألوسي [١٢٧٠هـ] في حديثه عن بركة القرآن: «ولقد عاد علينا ولله تعالى الحمد من بركته ما عاد»(٥)، هذه أقوال بعض من ترجم ما في قلبه، وأباح ما في نفسه، وأفصح عن شعوره وأحاسيسه، وإلا فهي حقيقة لا تنكر، ونعمة لا تجحد ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

وقد استفتح الله تعالى الآيات الثلاث(٦)، باسم الإشارة (هذا) للدلالة

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ١١٤٧) بتصرف.

(٢) انظر: جلاء الأفهام، محمد بن أبي بكر، المعروف بـ(ابن القيم)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط٢، (الكويت: دار العروبة، ١٤٠٧هـ) ص(٣٠٤).

(٣) وكان من المشهورين بالاشتغال في علم الكلام.

(٤) التفسير الكبير (١٣/ ٦٦). (٥) روح المعاني (١٧/ ٥٨).

(٦) أعني: آيتي الأنعام، والأنبياء.

على وضوح أمره، وسهولة فهمه، وتمييز له على سائر الكتب السابقة؛ لأن حضوره في الأذهان بمنزلة حضور ذاته[١]، و- أيضاً - تَقَدَّم على الآيات الثلاث ذكرٌ للتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ، وما فيها من أوصاف، فهي قد استحضرت في الأذهان، ومثلت للعيان، فناسبت الإشارة للقرآن، لبيان شهرته وحقيقته وحضوره في الأذهان مثلها، وأنه حق من الرحمٰن، أما في الموضع الرابع[٢] فلم يجر في السياق ذكر للكتب السماوية السابقة، بل تقدم ذكر القرآن الكريم في أول السورة ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [ص: ١]، ولما كان معلوماً من السياق لتقدم التصريح به، حسن في هذا المقام حذف المسند إليه (المبتدأ) للعلم به، ووجود القرينة الدالة عليه[٣].

وقد اقترن وصف القرآن بأنه (مبارك) في جميع مواضع وروده، بالوصف (منزل)، وأسند الإنزال إلى ضمير العظمة، لبيان كماله وشهرته، وعظمته عند من أنزله، حيث إن العظيم لا ينسب إليه إلا ما هو عظيم وجليل.. إلا أنه تقدم على الوصف بأنه (مبارك) في ثلاثة مواضع[٤]؛ لأنه الأنسب للسياق، والأليق بالنظم، حيث إن السياق في بيان إنكار الكفار أن يُنزَّل على بشر شيءٌ من السماء.. فكان وصف الإنزال هنا أولى بالتقديم وآكد من وصفه بأنه مبارك، كما أن الشيء إذا وصف بأنه منزل من عند الله تعالى لهداية الخلق ودلالتهم كانت البركة أمراً حتمياً فيه، فصفة البركة كالمؤكدة لما قبلها؛ لأن ما قبلها تضمنها، أما في الموضع الرابع ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠]، فلم يرد في معرض إنكار أن ينزل الله شيئاً - كما في تلك الآيات - بل جاء عقب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وقدم وصف القرآن بأنه (مبارك) على (الإنزال) لأنه الأنسب بالسياق، الذي يرفع من قدر القرآن الكريم ويسمو

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٧١)؛ التحرير والتنوير (٧/ ٩٠).

(٢) آية (ص).

(٣) انظر: خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (٢٠).

(٤) في آيتي (الأنعام)، و(ص).

بمكانته، ويعلي أهله[1].

ولم يرد وصف القرآن بأنه (مبارك) إلا في القرآن المكي، وفي ذلك حث لأهل مكة ومن على شاكلتهم على التصديق بهذا الكتاب، والعمل بما فيه، حيث إنه يجلب كل خير، ويدفع كل بلاء ومكروه وشر.. وتهكم وتعريض بمن لم يؤمن به، وقد اشتمل على البركة العاجلة والآجلة، إذ النفس السوية تبحث عما ينجيها من ظلمات الكفر والضلال والضياع، فكيف يعرضون عن هذا النور المبين، الذي حوى كل خير وفلاح ديني ودنيوي وأخروي؟!.

وقد وردت البركة في القرآن على أربعة عشر وجهاً، منها:

١ - في الكعبة ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

٢ - في المطر ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا﴾ [ق: ٩].

٣ - في السلام ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

٤ - في المسجد الأقصى ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

٥ - في شجرة الزيتون ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

٦ - في القرآن ﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥٠].

٧ - في الأرض ﴿وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠][2].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٤/ ٢٣١ - ٢٣٢)؛ والنهر الماد (١/ ٧١٧ - ٧٧٢)؛ وخصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن (١٨).

(٢) انظر بقية الأوجه في: بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٨ - ٢٠٩).

المبحث السابع

وصف القرآن بأنه مثاني

«الثاء والنون والياء أصلٌ واحد، وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين، وذلك قولك ثَنَيْتُ الشيء ثَنْياً»[١].

«والثَّنْي والاثنان أصل لمتصرفات هذه الكلمة، ويقال ذلك باعتبار العدد، أو باعتبار التكرير الموجود فيه، أو باعتبارهما معاً»[٢].

ومنه الثُّنوى والثناء: وهو ما يذكر في محامد الناس، فَيُثْنَى حالاً فحالاً ذكره، يقال: أثنى عليه خيراً، والاسم (الثناء)[٣].

ووجه وصف القرآن بأنه (مثاني) لأنه تثنى فيه القصص والعبر، والحِكم والحدود، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، والأمر والنهي، لتكون أرسخ في النفوس، وأفقه للقلوب[٤]. ولأنه يثنى في التلاوة ويقرأ باستمرار، فلا تمل النفس من سماعه، ولا القلب من حلاوته، كما قال الوليد بن المغيرة لما سمع آيات الله تتلى: «ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله»[٥]، وأنه كلما تكرر غرض من أغراضه، زاده تكراره قبولاً وحلاوة في التالي والسامع[٦]. أو لاشتمال سوره وآياته على الثناء

(١) معجم مقاييس اللغة (ثني) (١٧٢).
(٢) المفردات للراغب (ثني) (١٧٨)؛ بصائر ذوي التمييز (٢/ ٣٤٥).
(٣) انظر: المفردات للراغب (١٧٨)؛ ومختار الصحاح (ث ن ي).
(٤) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٢٣٠)؛ التفسير الكبير (٢/ ١٦)؛ إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٥١)؛ روح المعاني (٢٣/ ٢٥٩)؛ التحرير والتنوير (٩/ ٣٨٧).
(٥) سبق تخريجه، في أول الفصل.
(٦) انظر: الكشاف (٥/ ٣٠٠)؛ مدارك التنزيل(٤/ ٥٢)؛ إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٥١)؛ التحرير والتنوير (٩/ ٣٨٧).

على الله تعالى والحمد له، فهي تثني ببلاغتها وإعجازها وفصاحتها على المتكلم بها ﷻ[١]. أو لأن فيه بيان قصص الكتب الماضية، فيكون البيان ثانياً للأول الذي تقدمه، فيبين الأولَ الثاني[٢]. وكلها أوجه صحيحة يشملها المعنى اللغوي، وتدل عليها الآية، فالقرآن «تثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته وحسنه، فإنه تعالى لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مدة واحدة في جميع القرآن لم يقع منه موقعاً، ولم تحصل النتيجة منه.. ولهذا ينبغي لقارئ القرآن المتدبر لمعانيه أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير ونفع غزير»[٣].

وورد وصف القرآن بأنه (مثاني) في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، فكل شيء وقع زوجين زوجين مثل الأمر والنهي، والعام والخاص، والمجمل والمفصل، والظلمة والضوء، واللوح والقلم، والعرش والكرسي، والرجاء والخوف.. فكل ما سوى الحق زوج، وأن كل شيء مبتلى بضده ونقيضه، إلا الأحد الفرد الصمد الذي أنى يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، ﷻ[٤].

والله تعالى ثنى في كتابه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وأعادها وكررها فيما موضع من كتابه؛ لأن النفوس أنفر شيء من حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرر عليها عوداً على بدء لم يرسخ فيها، ولم يعمل عمله، ولذا كان من عادته ﷺ أن يكرر الحديث ويعيده ثلاث مرات[٥]، ليكون أدعى

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ٩٤)؛ روح المعاني (٢٣/ ٢٥٩).
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧٦)؛ الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١٤).
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن (٧٢٣) بتصرف. (٤) انظر: التفسير الكبير (٢٦/ ٢٣٧).
(٥) وقد بوب البخاري في كتاب: العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، وذكر =

في التركيز، وأثبت في القلب[١]، وكذلك أن هذا التكرار لا يخلو من فائدة، إما زيادة علم أو حكم، أو تأكيد وحث على فعل أو ترك، أو تنبيه على لازم أو ملزوم، أو تكون الدلالة في موضع خفية، وفي الموضع الآخر ظاهرة بينة، فتوضحها وتبينها.

فإن قيل (مثاني) جمع، فكيف وصف به المفرد (كتاب)؟ فيقال: إنما صح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل، فهو ينقسم إلى سور وآيات وكلمات، وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير، ألا ترى أنك تقول: القرآن سور وآيات؟ وكذلك تقول: أحكام ومواعظ مكررات، فهو جمع بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولك: (برمة أعشار) و(ثوب أخلاق)[٢].

أما قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: ٨٧] فاختلف المفسرون في المراد بالسبع المثاني، فقيل: السبع الطوال (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف) واختلف في السابعة فقيل: يونس، وقيل براءة، وقيل براءة والأنفال.. قاله ابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية، وسعيد بن جبير في رواية[٣]، ولكن يَرِد عليه أن آية الحجر مكية، وبعض السبع الطوال سور مدنية[٤].

وقيل: سبع معانٍ أنزلت في القرآن: أمر، ونهي، وبشارة، ونذارة، وضرب الأمثال، وتعداد النعم، وأخبار الأمم، قاله زياد بن أبي مريم[٥][٦]،

= حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا سلم سلم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حديث [٩٤].

(١) انظر: الكشاف (٥/ ٣٠٠).

(٢) انظر: الكشاف (٥/ ٣٠٠)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ٩٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٠٧ ـ ١١٢)؛ الكشف والبيان (٥/ ٣٤٨)؛ زاد المسير (٤/ ٤١٤)؛ الدر المنثور (٥/ ٩٥).

(٤) انظر: أضواء البيان (٢/ ١٠٦).

(٥) هو زياد بن أبي مريم الجزري، الأموي، مولى عثمان بن عفان القرشي، وثقه العجلي. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٣٠)؛ تقريب التهذيب (٢٢١).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١١٩)؛ زاد المسير (٤/ ٤١٤).

والحقيقة أن القرآن يشتمل على أكثر من سبع معاني؛ كالأخلاق والآداب، والمواعظ وغيرها.

وقيل القرآن كله، قاله الضحاك وطاوس[١][٢]، ولكن يعترضه تخصيص المثاني بالسبع.

وقيل: فاتحة الكتاب، قاله عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية الأكثرين عنه، وأبو هريرة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء[٣].. ورجحه ابن جرير، والقرطبي، والشنقيطي[٤].

وهو الأظهر لورود النص عليه في حديث أبي سَعِيدِ بن الْمُعَلَّى قال: كنت أُصَلِّي في الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رسول اللهِ ﷺ فلم أُجِبْهُ، فقلت: يا رَسُولَ اللهِ إني كنت أُصَلِّي، فقال: «**أَلَمْ يَقُلْ الله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**» ثُمَّ قال لي: «**لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ في الْقُرْآنِ قبل أَنْ تَخْرُجَ من الْمَسْجِدِ**»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فلما أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قلت له: أَلَمْ تَقُلْ لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ في الْقُرْآنِ، قال: «**الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ**»[٥] فهذا نص صحيح صريح من النبي ﷺ على أن المراد بالسبع المثاني هي فاتحة الكتاب، وجميع الأقوال

---

(١) هو طاوس بن كيسان، أبو عبد الرحمٰن اليماني، كان رأساً في العلم والعمل، من سادات التابعين، وأدرك خمسين صحابياً، وكان كاملاً في الفقه والتفسير، وكان مجاب الدعوة، حج أربعين حجة، وتوفي حاجاً بمكة قبل التروية بيوم، وصلى عليه هشام بن عبد الملك، توفي سنة ١٠٦هـ. انظر: المنتظم (٧/ ١١٥)؛ طبقات المفسرين للداودي (١٢).

(٢) المرجعين نفسيهما.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١١٢ ـ ١١٩)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٥٥)؛ الدر المنثور (٥/ ٩٤)؛ أضواء البيان (٢/ ١٠٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٢١)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٥٥)؛ أضواء البيان (٢/ ١٠٦).

(٥) سبق تخريجه.

الأخرى تخالف هذا التفسير عن النبي ﷺ فلا يلتفت إليها.

ولا يمنع من تسمية غير فاتحة الكتاب بالمثاني، كما ورد في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، فوصف الكتاب كله بالمثاني، يقول ابن جرير [٣١٠هـ]: «فيكون معنى الكلام: ولقد آتيناك سبع آيات، مما يَثْني بعضُ آيه بعضاً، وإذا كان ذلك كذلك، كانت المثاني جمع مَثْناة، وتكون آي القرآن موصوفة بذلك؛ لأن بعضها يثني بعضاً، وبعضها يتلو بعضاً، بفصول تفصل بينها»[١].

ووجه وصف فاتحة الكتاب بـ(السبع المثاني) قيل: لأنها تثنى في كل ركعة، وقيل: لأن الله استثناها لأمة محمد ﷺ فلم يعطها لأمة قبلهم، وقيل: لأنها ما أثني به على الله تعالى؛ لأن فيها حمد الله وتوحيده وذكر مملكته[٢].

(١) تفسير الطبري (١٤/ ١٢٥).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٥/٣٤٨)؛ النكت والعيون (٣/ ١٧٠)؛ زاد المسير (٤/ ٤١٣)؛ التفسير الكبير (١٩/ ١٦٤).

المبحث الثامن

وصف القرآن بأنه نور

(النُّور) الضياء، والجمع (أَنْوَار) و(أنار) الشيء (إنارة) و(نوراً) (تنويراً) و(اسْتَنَار) (استنارة) بمعنى؛ أي: أضاء[١].

و(النور) الضوء أياً كان، وقيل: هو شعاعه وسطوعه، وهو ما يبين الأشياء[٢]، ويعين على الإبصار، وهو ضربان: دنيوي، وأخروي، والدنيوي ضربان: ضرب معقول بعين البصيرة كنور القرآن، وضرب محسوس بعين البصر وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين، أما الأخروي فمنه قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣][٣].

وقال بعضهم: النار والنور من أصل واحد، وهما كثيراً ما يتلازمان، لكن النار متاع للمقوين في الدنيا، والنور متاع للمتقين في الدنيا والآخرة[٤].

ويقال: نار فهو نيِّر، وأنار فهو منير، وشيء منير ومستنير ونير[٥].

ووجه وصف القرآن بأنه (نور) لأنه يضيء للسالكين المتمسكين به طريقهم، وينيرُ لهم دروبهم، ويدلهم إلى أفضل وأعلى الأعمال والأقوال والأخلاق، التي فيها عزهم ونجاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، حتى يصبحوا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.. وهو يهدي التائهين، ويرشد

---

(١) انظر: مختار الصحاح (ن و ر)؛ المصباح المنير (النور) (٦٢٩).
(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (ن و ر) (١٠/ ٣١٨)؛ تاج العروس (نور) (١٤/ ٢٠٠).
(٣) انظر: المفردات للراغب (النور) (٨٢٧)؛ بصائر ذوي التمييز (٥/ ١٣٣).
(٤) انظر: المرجعين نفسيهما.
(٥) انظر: أساس البلاغة (نور) (٦٥٧)؛ النهاية (٥/ ١٠٩).

الضالين عنه، المعرضين عن نوره، المتخبطين في ظلمات الكفر والجهل والضلال، حتى يستنيروا به، ويستبصروا بنوره، ويهتدوا بهداه.. فالقرآن «نور يتلألأ، نور لا كالأنوار، نور يا له من نور، نور لا أفول له، ولا يعتريه اضمحلال، نور ينير الطريق للسالكين، نور يهتدي به كل تائه وحيران، نور أطلَّ من العلى على كل الملأ، نور أشعته تشفي من أمراض الشهوات والشبهات، نور أشعته مترامية فوق دنيا البشرية، نور يحرق المغالطات، نور أضاء من رب الأرض والسماوات، نور وهاج يضمحل به اللحاج والحجاج، نور أعشى ويعشي كل خفاش، نور ترتاح له نفوس المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، نور يشير إلى طريق الأمن ومدرج السلامة»[(١)].

وورد وصف القرآن بأنه (نور) في أربعة مواضع من كتاب الله تعالى[(٢)]، وجاء في أساليب متنوعة، ومن ذلك مجيئه بصيغة التنكير في موضعين[(٣)]، وذلك لبيان عظمة هذا النور، وشموليته لجميع جوانبه، وشتى نواحيه، فأخباره نور، وأحكامه نور، وشرائعه نور، وتلاوته نور.. ولكن لا يتجلى هذا النور إلا لمن آمن به واتبعه وصدقه، حتى ينعكس هذا النور على نفسه وبصيرته، فيصبح يرى الأمور على حقيقتها، ويبصر الأشياء على طبيعتها؛ لأنه نور مبين في نفسه، منوِّر لغيره بإظهاره الحقائق وكشفه عنها[(٤)]، فهو كله نور وأي نور «نور تتجلى تحت أشعته الكاشفة حقائق الأشياء واضحة، ويبدو مفرق الطريق بين الحق والباطل محدداً مرسوماً.. في داخل النفس وفي واقع الحياة سواء.. حيث تجد النفس من هذا النور ما ينير جوانبها أولاً، فترى كل شيء

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ٢١٦).

(٢) والآيات هي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝﴾ [النساء: ١٧٤] ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾ [التغابن: ٨].

(٣) في آيتي (النساء) و(الشورى).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٦٣)؛ روح المعاني (٦/ ٤٣).

فيها ومن حولها واضحاً.. حيث يتلاشى الغش وينكشف، وحيث تبدو الحقيقة بسيطة كالبديهية، وحيث يعجب الإنسان من نفسه كيف كان لا يرى هذا الحق وهو بهذا الوضوح وبهذه البساطة؟!.. وحين يعيش الإنسان بروحه في الجو القرآني فترة.. يحس يسراً وبساطة ووضوحاً في رؤية الأمور.. ويشعر أن مقررات كثيرة كانت قلقة في حسه قد راحت تأخذ أماكنها في هدوء، وتلتزم حقائقها في يسر.. ومهما قلت في هذا التعبير فإنني لن أصور بألفاظي حقيقته، لمن لم يذق طعمه ولم يجده في نفسه، ولا بد من المكابدة في مثل هذه المعاني، ولا بد من التذوق الذاتي، ولا بد من التجربة المباشرة»[١].

وفي قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا﴾ فقيل: عائد إلى الإيمان، قاله ابن عباس والضحاك[٢]؛ لأنه الأقرب إلى الضمير.. وقيل: عائد إلى الإيمان والكتاب معاً[٣]، وحسنه الرازي[٤] ووحّد الضمير لأن معناهما واحد؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة: ١١].. وقيل: عائد إلى الكتاب أو الروح وكلاهما بمعنى، قاله السدي[٥] ومقاتل[٦]، ورجحه جمع غفير من المفسرين كالطبري، وابن أبي زمنين، وابن عطية، وابن كثير، وابن جزي، وأبي السعود، والسعدي، والشنقيطي[٧]، وغيرهم.

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٨٢٢) بتصرف.

(٢) انظر: معالم التنزيل (١١٦٤)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٦٠)؛ البحر المحيط (٧/ ٧٠٠)؛ روح المعاني (٢٥/ ٦٠).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٣٢٦)؛ التفسير الكبير (٢٧/ ١٦٤)؛ البحر المحيط (٧/ ٧٠٠)؛ روح المعاني (٢٥/ ٦٠).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٧/ ١٦٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٣).

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٨٣).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٤)؛ تفسير القرآن العزيز (٤/ ١٧٤)؛ المحرر الوجيز =

وهو الأظهر، ولعل مرجع الضمير في (جعلناه) على أول الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ وهو القرآن[١]؛ لأنه الأنسب للسياق، وخروجاً من القول بتوحيد الضمير، أو يقال إلى (الكتاب) ووحد الضمير لأنه قصد به الخبر عن (الكتاب)[٢].

ومما يعزز هذا القول، وصف الله تعالى لهذا الكتاب المبين بـ(النور) في أكثر من آية من كتابه كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] وغيرها، وخير ما يفسر به القرآن هو القرآن، وكذلك أن كتاب الله تعالى نور للقلوب بما يحويه من الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته وتوحيده، فهو مشتمل على الإيمان، بل إن أسس وأصول الإيمان هي لُبُّه ومعظمه، مما يوحيه ويدل عليه، وصف هذا الكتاب في أول الآية (روحاً)، فهو ـ أيضاً ـ الأنسب في المعنى.

يقول الشوكاني [١٢٥٠هـ]: «ولكن جعلنا الروح الذي أوحيناه إليك ضياء ودليلاً على التوحيد والإيمان نهدي به من نشاء هدايته»[٣].

وأما كون النبي ﷺ لا يدري ما الكتاب قبل القرآن فواضح لا إشكال فيه، وأما الإيمان ففيه إشكال؛ لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم وإرسالهم؛ كقول النبي ﷺ عندما سئل: هل عبدت وثناً قط؟ قال: لا، قالوا: فهل شربت خمراً قط؟ قال: لا، وما زلت أعرف الذي هم عليه[٤]. وقد ذكر المفسرون أجوبة على ذلك فمما قالوا: أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة،

= (١٦٧٤)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٥٥)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٤)؛ إرشاد العقل السليم (٨/ ٣٨)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٧٦٢)؛ أضواء البيان (٤/ ٤٣٩). وانظر: تنوير المقباس (٤١١)؛ وفتح القدير (٤/ ٥٤٥)؛ ومدارك التنزيل (٤/ ١٠٨).

(١) انظر: أضواء البيان (٤/ ٤٣٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٥).

(٣) فتح القدير (٤/ ٥٤٥).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٥/ ٨٨)، وقال: خبر غريب؛ الدر المنثور (٧/ ٣٦٤) وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل وابن عساكر.

وإنما كمل له معرفتها بعد البعثة، فالإيمان هنا يعني به كمال المعرفة[١]، أو يقال: إن المراد بالإيمان في الآية الصلاة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أو على حذف مضاف؛ أي: ما كنت تدري ما الكتاب ومن أهل الإيمان، يعني من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن، أو يقال: بأن صفات الله تعالى على قسمين، منها ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقل، ومنها لا يمكن معرفته إلا بالدلائل السمعية، فهذا القسم الثاني لم تكن معرفته حاصلة قبل النبوة[٢]، وهذه أوجه الأجوبة وقيل غير ذلك[٣].

وأما قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، فقد اختلف المفسرون في المراد بـ (النور) فقيل: هو القرآن، قاله ابن أبي زمنين، وابن كثير، والنسفي، والسعدي[٤].

وقيل: هو محمد ﷺ أو الإسلام[٥]، وقيل: هو محمد ﷺ، قاله قتادة[٦] والنحاس[٧][٨]، ورجحه الطبري، والثعلبي، وأبو السعود، والواحدي[٩].

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٤).

(٢) الكشاف (٥/ ٤٢٣)؛ التفسير الكبير (٢٧/ ١٦٤)؛ والأوجه الأخيرة مما يقوي القول بأن المراد بالنور في الآية القرآن الكريم.

(٣) انظر: الكشاف (٥/ ٤٢٣)؛ التفسير الكبير (٢٧/ ١٦٤).

(٤) انظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٧)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٨)؛ مدارك التنزيل (١/ ٢٧٥)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٢٢٦).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٢٣)؛ معالم التنزيل (٣٦٧)؛ التفسير الكبير (١١/ ١٥٠)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/ ١١١٨)؛ فتح القدير (٢/ ٢٣).

(٦) انظر: زاد المسير (٢/ ٣١٦)؛ روح المعاني (٦/ ٩٧).

(٧) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس، النحوي المصري أبو جعفر، كان من الفضلاء، وله تصانيف مفيدة، منها «تفسير القرآن الكريم» وكتاب «إعراب القرآن» وكتاب «الناسخ والمنسوخ»، توفي سنة ٣٣٧هـ وقيل ٣٣٨هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٧/ ٢٣٧)؛ طبقات المفسرين (٧٢).

(٨) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٨٤).

(٩) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٦٤)؛ الكشف والبيان (٤/ ٣٩)؛ إرشاد العقل السليم (٣/ ١٨)؛ الوجيز (١/ ٣١٣). وانظر: تنوير المقباس (٩٠).

وهو الأظهر لأن العطف يوجب في الأصل المغايرة، يقول الرازي [٦٠٤هـ]: «وقيل النور والكتاب هو القرآن، وهذا ضعيف؛ لأن العطف يوجب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه»[(١)]، وهو الأقرب للسياق؛ لأن الله تعالى بين لأهل الكتاب في مطلع الآية، أنه قد جاءهم رسول، ثم نعته بأنه نور، لظهوره بالمعجزات وإظهاره للحق، ونور لمن استنار به، ليكون ذلك أدعى لاستجابتهم، والإيمان بما جاء به[(٢)]، ويقويه ـ أيضاً ـ ورود وصف النبي ﷺ بأنه نور في كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٦].. فهذه بعض الأوجه التي تقوي القول بأن المراد بـ(النور) في الآية هو محمد ﷺ.. والله أعلم.

أما قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٢][(٣)]، فالمراد بـ (نور الله) دين الله تعالى، والدلائل الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ، قاله السدي والضحاك ومقاتل[(٤)]، حيث أراد هؤلاء اليهود والنصارى والمشركون أن يطفئوا نور الله تعالى، بشتى الوسائل، وبجميع السبل، ومن ذلك وصفهم النبي ﷺ بأنه مجنون، وأنه شاعر، وأنه ساحر... إلخ، ووصفهم القرآن بأنه أساطير الأولين، وإنما يعلمه بشر... إلخ، حتى تعرضوا لذات النبي ﷺ وشخصيته، حيث أرادوا قتله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقاتلوا أصحابه رضوان الله عليهم.. كل هذا وذاك لإطفاء نور الإسلام، وإلغاء دين الله تعالى، وأنى لهم ذلك، فالله تعالى متم نوره ولو كره الكافرون[(٥)].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (١١/ ١٥٠).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٦٤)؛ حاشية الشهاب (٣/ ٤٤٣).
(٣) وكذلك آية الصف [١١].
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن أبي سليمان (٢/ ٤٤)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٥)؛ الدر المنثور (٤/ ١٧٥).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٢٢)؛ الكشف والبيان (٥/ ٣٥)؛ المحرر الوجيز (٨٣٩)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٦٠)؛ الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٢١)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٣٣٥)؛ أيسر التفاسير (٥٤٦).. وغيرها.

وقيل المراد بـ (نور الله) القرآن، قاله الكلبي[(١)(٢)]، وابن زيد[(٣)]، ولعل هذا التفسير، من باب تفسير الشيء ببعضه، وإلا فالأظهر والذي عليه أغلب المفسرين، أنه دين الله تعالى ويدخل فيه دخولاً أولياً القرآن، يقول ابن عطية [٥٤١هـ]: «وقالت فرقة النور: القرآن ولا معنى لتخصيص شيء مما يدخل تحت المقصود بالنور»[(٤)].

ومن أساليب وروده، ما جاء محلاً بـ (ال) وذلك في موضعين[(٥)]، وفي هذا دلالة على أنه النور الحقيقي الذي ينير القلب فيشرق بذاته، ويبصر الحقيقة بنفسه، فيسير بنور، وعلى نور، وإلى نور ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، «فما في الكتاب الذي أنزله الله تعالى من الأحكام والشرائع والأخبار أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة، ويمشي بها في حندس الليل البهيم»[(٦)].

وفي قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ظاهر الآية أن القرآن أنزل مع محمد ﷺ وهذا خلاف الحقيقة، بل القرآن نزل مع جبريل عليه السلام، ولكن المعنى هنا أن القرآن نزل مع نبوته؛ لأن استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به، فنبوته عليه الصلاة والسلام ظهرت مع ظهور القرآن[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] فيه تعظيم وتفخيم لشأن القرآن، وبيان لكماله وشرفه، حيث أسند الفعل إلى ضمير العظمة، وفي هذا تعظيم له ـ سبحانه ـ ومن ثم كان هذا الأمر دليلاً على عظم هذا القرآن،

---

(١) هو محمد بن السائب الكلبي بن بشر بن عمرو بن الحارث، ويكنى بأبي النضر، كان عالماً بالتفسير وأنساب العرب وأحاديثهم، وكان متهماً بالكذب، ورمي بالرفض، توفي سنة ١٤٦هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٣٥٨)، تقريب التهذيب (٤٧٩).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٣٥)؛ معالم التنزيل (٥٥٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٦١٤).

(٤) المحرر الوجيز (٨٣٩).

(٥) في آيتي: الأعراف، والتغابن.

(٦) تيسير الكريم الرحمٰن (٨٦٧).

(٧) انظر: الكشاف (٢/ ٥١٨)؛ التفسير الكبير (١٥/ ٢٢).

وفخامة شأنه، وجلالة قدره[١]، وفي الالتفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم لزيادة الترغيب في الإيمان بهذا القرآن، وتذكير بأنه منزل من عند الله تعالى؛ لأن ضمير المتكلم أشد دلالة على معاده من ضمير الغائب، ولتقوية داعي المأمور[٢].

أما قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾ [الحج: ٨][٣] فقيل: إن المراد بـ(الكتاب المنير) القرآن، وهو وإن كان يدخل في قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فإفراده بالذكر كإفراد جبريل عليه السلام بالذكر بعد ذكر الملائكة[٤]، ورجحه الشوكاني[٥].

وقيل: المراد بـ(الكتاب المنير) الوحي، والمقصود به الأدلة السمعية، حيث إن فريقاً من الناس يجادل في شأن الله تعالى مما يتعلق بذاته أو صفاته أو شرائعه.. بغير علم ولا هدى، والمراد بـ(العلم) العلم الضروري، و(الهدى) العلم النظري الاستدلالي، ولا (كتاب منير) أي: بوحي من الله تعالى، يقول ابن جرير [٣١٠هـ]: «أي: بغير كتاب من الله آتاه لصحة ما يقول»[٦]، واختاره جمع من المفسرين؛ كابن جرير، والسمرقندي، والزمخشري، والرازي، وأبي السعود، والألوسي[٧].

وهو الأظهر، وذلك لتكون الآية قد تضمنت نفي الدليل العقلي ضرورياً كان أو استدلالياً، ونفي الدليل النقلي بأقسامه، مما يبين معه ضعف مجادلتهم وقولهم[٨]، وكذلك العطف يوجب المغايرة في الأصل، وهو قول جمهور المفسرين ـ كما سبق ـ، والله أعلم.

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم (٨/ ٢٥٧)؛ روح المعاني (٢٨/ ١٢٣)؛ بلاغة القرآن في حديثه عن القرآن (٢/ ٤٧٧).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (١١/ ٢٧٣).
(٣) وفي سورة لقمان [٢٢].
(٤) انظر: فتح القدير (٣/ ٤٣٩).
(٥) انظر: المرجع نفسه.
(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٤٦٨).
(٧) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٦٨)؛ تفسير السمرقندي (٢/ ٤٥٠)؛ الكشاف (٤/ ١٧٩)؛ التفسير الكبير (٢٥/ ١٣٤)؛ إرشاد العقل السليم (٦/ ٩٦)؛ روح المعاني (١٧/ ١٢٢).
(٨) انظر: فتح القدير (٣/ ٤٣٩).

الفصل الرابع

الأوصاف المختلف فيها

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: الأوصاف الراجحة.
- المبحث الثاني: الأوصاف المرجوحة.

مدخل

وصف الله تعالى كتابه الكريم بأوصاف كثيرة، ونعته بنعوت عديدة، تبين حقيقته وصدقه، وبيانه وإرشاده، وبركته وتأثيره.. ومن تلك الأوصاف، أوصاف اختلف المفسرون فيها، وتباينت آراؤهم، وتعددت أقوالهم، فمنهم من يرى أن المراد بها القرآن، ومنهم من يخالف في ذلك، فهي ليست بأوصاف صريحة، ولا نعوت مجمع عليها..

وسأخصص هذا الفصل للحديث عنها، والكلام فيها، وذلك بذكر أبرز الأقوال في الوصف، معزوة إلى قائليها، وبيان ترجيح من رجح بينها، ثم أخلص ـ فيما أحسب ـ إلى القول الراجح فيها، مبيناً أوجه الترجيح، مدعماً ذلك بالأدلة والقرائن ـ حسب الطاقة والقدرة ـ.

وقسمت الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: الأوصاف الراجحة.

المبحث الثاني: الأوصاف المرجوحة.

والأوصاف كلها هي:

١ ـ الأوصاف الراجحة: (روح، شاهد، العلم، القصص، مسطور، نبأ عظيم).

٢ ـ الأوصاف المرجوحة: (إمام، برهان، حبل الله، داعي الله، الزبور، صراط مستقيم، الطيب، العروة الوثقى، الغيب، فضل الله ورحمته، الكوثر، مناد، الميزان، النجوم).

المبحث الأول

الأوصاف الراجحة

ويشتمل على ستة مطالب:

- المطلب الأول: وصفه بأنه روح.
- المطلب الثاني: وصفه بأنه شاهد.
- المطلب الثالث: وصفه بأنه العلم.
- المطلب الرابع: وصفه بأنه القصص.
- المطلب الخامس: وصفه بأنه مسطور.
- المبحث السادس: وصفه بأنه نبأ عظيم.

* * *

ويشتمل على الأوصاف التي خلص الباحث فيها إلى ترجيح كونها أوصافاً للقرآن الكريم، وذلك من خلال أقوال المفسرين، والقرائن والدلائل المرجحة.

المطلب الأول

وصفه بأنه روح

ورد الوصف (روح) في أكثر من آية من كتاب الله تعالى[1]؛ كقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وأصل الروح مشتق من الريح، يقول ابن فارس

---

(١) بلغت إحدى وعشرين آية، مجردة من (ال) وغير مجردة.

[٣٩٥هـ]: «الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدل على سعة وفسحة واطراد، وأصل ذلك كله الريح»(١)، والروح ما به حياة النفس، وهو يذكر ويؤنث، وجمعه أرواح(٢)، يقول ابن منظور [٧١١هـ]: «والروح: هو الذي يعيش به الإنسان، لم يخبر الله تعالى به أحداً من خلقه، ولم يعط علمه العباد»(٣).

وكلمة (الروح) من الألفاظ القرآنية التي كثرت فيها أقوال العلماء، وتباينت آراؤهم، حتى إنه يُعَدُّ من أكثر الألفاظ المشتركة التي تعددت معانيه مع تعدد وروده في القرآن الكريم(٤).

وذكر بعض المفسرين أن (الروح) يراد به القرآن في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى(٥)، وسأبسط الحديث عنها، بذكر أقوال السلف والمفسرين فيها، والترجيح بينها، والله المستعان.

[١] الموضع الأول: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل: ٢].

اختلف المفسرون ـ رحمهم الله ـ في المراد بالروح في الآية الكريمة على أقوال، أبرزها:

الأول: القرآن الكريم، قاله الضحاك(٦)، والربيع بن أنس(٧)،

---

(١) معجم مقاييس اللغة (روح) (٤٠٨).

(٢) انظر: مختار الصحاح (روح)؛ القاموس المحيط (الروح) (٢٨٢).

(٣) لسان العرب (روح) (٢/ ٤٦٣).

(٤) انظر: معاني الروح في القرآن الكريم، عبد العزيز الحربي، ط١ (الرياض: مكتبة ودار ابن حزم، ١٤٢٧هـ) ص(٦).

(٥) والآيات هي: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل: ٢] ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥﴾ [غافر: ١٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

(٦) انظر: الدر المنثور (٥/ ١٠٩).

(٧) انظر: النكت والعيون (٣/ ١٧٨)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٦٧).

وابن زيد[(١)].

الثاني: الرحمة، قاله قتادة[(٢)]، والحسن[(٣)].

الثالث: الوحي، قاله ابن عباس[(٤)].

واختاره جمع من المفسرين؛ كابن أبي زمنين، وابن كثير، والشوكاني، والسعدي، والشنقيطي[(٥)].

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ أن قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ هو الموافق لقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وخير ما يفسر به القرآن، هو القرآن.. وفيه إشارة ـ أيضاً ـ على أن المراد عموم الوحي المنزل على الأنبياء.

٢ ـ أن من فسره بالرحمة، فهو من باب تفسير اللازم بالملزوم؛ لأن الوحي والقرآن رحمة، فهما من رحمة الله تعالى، والرحمة أشمل مقتضيات الوحي[(٦)]..

٣ ـ دلالة السياق، حيث ورد قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ بعد قوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ والإنذار لا يكون إلا بالوحي، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ [الأنبياء: ٤٥][(٧)].

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٢٨).

(٢) انظر: تفسير الصنعاني (٢/ ٣٥٣)؛ الكشف والبيان (٦/ ٦)؛ معالم التنزيل (٧٠٤)؛ الدر المنثور (٥/ ١٠٩).

(٣) انظر: النكت والعيون (٣/ ١٧٨)؛ زاد المسير (٤/ ٤٢٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٦٢)؛ زاد المسير (٤/ ٤٢٨)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٦٧)؛ الدر المنثور (٥/ ١٠٩).

(٥) انظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٩٥)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٧٤٠)؛ فتح القدير (٣/ ١٤٧)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٤٣٥)؛ أضواء البيان (٢/ ١١٥).

(٦) انظر: معاني الروح في القرآن الكريم (٢٦).

(٧) انظر: أضواء البيان (٢/ ١١٥).

٤ ـ أن القول بـ(الوحي) أعم، فهو يشمل القرآن وغيره، وذلك أن النبي ﷺ أوحي إليه القرآن وغير القرآن، وكذلك أوحي إلى غيره من الأنبياء، وكلهم دعوا إلى عبادة الله وحده، وأنه لا شريك له، فلا وجه لقصره على القرآن.

٥ ـ أنه قول جمهور المفسرين.

فتبين أن (الروح) في الآية يراد به الوحي.. وأنه لا وجه في قصره على القرآن فحسب، وإن كان يدخل فيه دخولاً أولياً ـ كما سبق بيانه ـ.

أما الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥﴾ [غافر: ١٥]، فالقول فيها كالقول في الآية السابقة، سواء بسواء[١].

[٢] الموضع الثاني: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

اختلف المفسرون ـ أيضاً ـ في المراد بـ(روحاً) في هذه الآية على أقوال، أبرزها:

الأول: الرحمة، قاله قتادة[٢]، والحسن[٣].

الثاني: الوحي، قاله السدي[٤]، ومقاتل[٥].

واختاره الزمخشري والنسفي[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٩٥)؛ النكت والعيون (٥/ ١٤٧)؛ المحرر الوجيز (١٦٣١)؛ معالم التنزيل (١١٣٧)؛ زاد المسير (٧/ ٢١٠).

(٢) انظر: تفسر الصنعاني (٣/ ١٩٣)؛ تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٢).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٣٢٦)؛ معالم التنزيل (١١٦٣)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٥٤)؛ البحر المحيط (٧/ ٧٠٠).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٤٣)؛ الكشف والبيان (٨/ ٣٢٦)؛ معالم التنزيل (١١٦٣).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ١٨٣). والمراجع نفسها.

(٦) انظر: الكشاف (٥/ ٤٢٢)؛ مدارك التنزيل (٤/ ١٠٨).

الثالث: القرآن، قاله ابن عباس[(١)]، ومالك بن دينار[(٢)]، والضحاك[(٣)].

واختاره جمع من المفسرين؛ كابن أبي زمنين، والراغب الأصفهاني[(٤)]، والسمعاني، والرازي، وابن كثير، وابن القيم، وابن جزي، والسعدي[(٥)].. وغيرهم.

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ أن القول بالرحمة لا ينافي، القول بالقرآن؛ لأن الرحمة معنى عام، ومفهوم شامل، والقرآن مشتمل عليها، ففيه الرحمة والهداية، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩].

٢ ـ أن الخطاب في الآية للنبي ﷺ خاصة، وفيه بيان لنعمة عظيمة، ومنة كبيرة، ألا وهي إيحاء الروح إليه ـ وهو القرآن ـ والسنة داخلة في القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، فهو أيضاً يشمل القول الثاني[(٦)].

٣ ـ دلالة السياق، حيث ذكر الله تعالى أنه جعل (الروح) نوراً، كما قال تعالى: ﴿وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا﴾ والنور هو القرآن ـ كما سبق ـ[(٧)]، وقد ذكر

---

(١) انظر: زاد المسير (٧/ ٢٩٨)؛ الدر المنثور (٧/ ٣٦٤).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٣٢٦)؛ معالم التنزيل (١١٦٣)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٥٤).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢١٢)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٥٤).

(٤) هو الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، أبو القاسم، الملقب بالراغب، أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل، وله تصانيف تدل على تبحره فيه، ومن ذلك (تفسير القرآن) (المفردات في غريب القرآن) (الذريعة محاضرات في الأدب).. وغيرها كثير، اختلف في وفاته كثيراً، فقيل ٥٠٢هـ وقيل ٤١٠هـ وقيل ٤٢٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)؛ الوافي بالوفيات (١٣/ ٢٩).

(٥) انظر: تفسير القرآن العزيز (٤/ ١٧٤)؛ المفردات (٣٦٩)؛ تفسير السمعاني (٥/ ٨٨)؛ التفسير الكبير (٢٧/ ١٦٣)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٥٥)؛ الروح (٣٢٦)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٤)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٧٦٢).

(٦) انظر: معاني الروح في القرآن (٤١).

(٧) انظر: مبحث (نور) من الفصل السابق.

بعض المفسرين أن الضمير في (جعلناه) يعود على الروح[١]، فهذا مما يقوي القول بأن المراد بالروح هنا القرآن.

٤ ـ أنه قول جمهور المفسرين.

ووصف القرآن بأنه (روح) لكونه سبباً للحياة الطيبة، والسعادة السرمدية في الآخرة، الموصوفة بأنها دار الحيوان، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤][٢].

وبما أن الروح يحيا به الجسد، فكذلك القرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، وذلك لما فيه من الخير الكثير، والعلم الغزير[٣]، فالقرآن «روح تحيا به القلوب الميتة، كما تحيا الأرض بوابل السماء، فتستنير بعد ظلامها، وتستقيم بعد نكستها وزيغها، وهو روح وحياة للإنسانية أجمع، الإنسانية التي قتلها الغرور، وأماتها الجهل، ونخر في أعضائها السوس، وتسربت إليها الأمراض الفتاكة، فانتكست وتعثرت وتدهورت.. ولا صحة لها، ولا حياة طيبة إلا بالقرآن العزيز، الذي سماه الله روحاً، روحاً حية نابضة»[٤].

ومجيء الوصف بصيغة التنكير، للدلالة على التفخيم والتعظيم[٥] من شأن هذا الكتاب الكريم، والذكر الحكيم، فهو روح وحياة لو أنزل على جبل أصم لتصدع من خشية الله تعالى، فما أعظمه من كتاب، وما أجله من خطاب.

فتبين مما سبق أن الله تعالى وصف كتابه الكريم بأنه (روح)، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢] في أصح

(١) انظر: ـ على سبيل المثال ـ أضواء البيان (٤/ ٤٣٩).
(٢) انظر: المفردات للراغب (٣٦٩).
(٣) انظر: التفسير الكبير (٢/ ١٥)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٧٦٢).
(٤) الهدى والبيان في أسماء القرآن (٢/ ٤٤ ـ ٤٥) بتصرف.
(٥) انظر: إرشاد العقل السليم (٨/ ٣٨)؛ روح المعاني (٢٥/ ٥٨).

أقوال المفسرين.. فاللهم انفعنا وارفعنا بهذا الكتاب العظيم.

* * *

المطلب الثاني

وصفه بأنه شاهد

ورد الوصف (شاهد) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وشهد أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، يقال: شَهِد له بكذا؛ أي: أدى ما عنده من الشهادة، فهو شاهِد(١).

وقد اختلف المفسرون كثيراً في المراد بـ(الشاهد) في الآية السابقة، على أقوال عِدَّة(٢)، ومن أبرزها:

الأول: أنه علي بن أبي طالب، على أن المراد بالذي على بينة هو محمد ﷺ ويتلوه بمعنى يتبعه، و(منه) من آل محمد(٣)، قال ابن كثير [٧٧٤هـ]: «وقيل: هو عليٌّ، وهو ضعيف لا يثبت له قائل»(٤).

الثاني: أنه جبريل عليه السلام على أن المراد بـ(يتلوه) أي: يتبعه، والمعنى: ويتبع هذا النبي ﷺ شاهد، وهو جبريل عليه السلام، و(منه) أي: من الله.. أو بمعنى يقرؤه ويتلوه، وهو شاهد لمحمد ﷺ أن الذي يتلوه جاءه من عند الله تعالى، ورجح هذا المعنى ابن جرير(٥).

وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، ومجاهد، وإبراهيم

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (شهد) (٥١٧)؛ مختار الصحاح (ش هـ د).

(٢) أوصلها ابن الجوزي إلى ثمانية أقوال، زاد المسير (٤/ ٨٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٧)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤)؛ الكشف والبيان (٥/ ١٦١)؛ تفسير السمعاني (٢/ ٤١٨)؛ التفسير الكبير (١٧/ ١٦١)؛ الدر المنثور (٤/ ٤١٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٧٨).

(٥) تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٧).

النخعي[(١)][(٢)].. وغيرهم.

وعزا القول السمعاني والبغوي إلى أكثر المفسرين[(٣)].

واختاره ابن جرير والواحدي[(٤)]، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧]، وذلك أن نبي الله ﷺ لم يتل قبل القرآن كتاب موسى، فيكون دليلاً على صحة قول من قال: عني به محمد ﷺ أو علي، ولا يعلم أحد كان تلا ذلك قبل القرآن غير جبريل[(٥)]. وذلك على أن (يتلوه) بمعنى يقرؤه.

الثالث: أنه محمد ﷺ على أن المراد بـ(يتلوه) يتبعه، أو يقرؤه ويتلوه.

وهو قول الحسين بن علي[(٦)]، والحسن وقتادة وعكرمة[(٧)].

الرابع: أن الشاهد هو القرآن، ويتلوه بمعنى يتبعه.

وهو قول ابن زيد والحسين بن الفضل[(٨)] وشهر بن حوشب[(٩)][(١٠)].

---

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن الأسود، أبو عمران النخعي، كان إماماً في الفقه يعظمه الأكابر، كان شديد الهيبة، يهاب كما يهاب الأمير، وكان يتخوف من الفتوى ويحتقر نفسه، ويقول احتيج إلي، ويكره أن يستند إلى السارية، ولا يتكلم حتى يسأل، وهو ثقة فقيه، توفي سنة ٩٦هـ. انظر: المنتظم (٧/ ٢٠)؛ تقريب التهذيب (٩٥).

(٢) انظر: المراجع السابقة، وزاد المسير (٤/ ٨٥).

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤١٨)؛ معالم التنزيل (٦١٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٧)؛ الوجيز (١/ ٥١٦).

(٥) المرجع نفسه.

(٦) هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، أبو عبد الله، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وكان يشبه رسول الله ﷺ استشهد في محرم على يدي جيش يزيد بن معاوية، في المحنة المشهورة، سنة٦١هـ. انظر: المنتظم (٥/ ٣٤٨)؛ الإصابة (٢/ ٧٦).

(٧) المراجع السابقة.

(٨) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي ثم النيسابورى، أبو علي، المفسر الأديب، إمام عصره في معاني القرآن، توفي سنة ٢٨٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٤)؛ طبقات المفسرين للداودي (٤٨).

(٩) هو شهر بن حوشب، أبو سعيد الأشعري الشامي، مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية، كان من كبار علماء التابعين، وقرأ القرآن على ابن عباس، توفي سنة ٩٨هـ وقيل ١٠٠هـ وقيل ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٢)؛ تقريب التهذيب (٢٦٩).

(١٠) المراجع السابقة.

واختاره الزمخشري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير[١].

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ دلالة السياق، وذلك أن المراد بالبينة في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ على الصحيح أنها بينة عامة شاملة ـ كما سبق ـ[٢]؛ كالفطرة والهداية العامة.. وغيرها، والتفاصيل إنما تؤخذ من الشريعة، والفطرة تصدقها وتؤمن بها، فبين الله تعالى أن هذا القرآن شاهد وموافق للفطر السليمة، والعقول السوية ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ كما هو حال كل كتاب سماوي وشريعة ربانية، ثم قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي: من قبل القرآن.. حيث أنزلهما الله رحمة وهداية لمن آمن بها وصدقها[٣].

٢ ـ أن تسمية جبريل عليه السلام شاهداً لا نظير له، وكذلك تسمية علي شاهداً لا يوجد مثل ذلك في الكتاب ولا في السنة، بخلاف شهادة الله؛ فإن الله أخبر بشهادته لرسوله في غير موضع، وسمى ما أنزله شهادة منه، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة١٤٠][٤]، فدل على أن كلام الله الذي أنزله وأخبر فيه بما أخبر شهادة منه[٥].

٣ ـ أن القول بأن المراد بـ(الشاهد) القرآن، يشمل القول الثاني والثالث؛ فإن جبريل ومحمداً عليهما الصلاة والسلام كليهما قد بلغا القرآن، فجبريل عليه السلام، إلى محمد ﷺ، ومحمد ﷺ إلى الأمة، وجبريل لم يقل شيئاً من تلقاء نفسه، وكذلك محمد ﷺ وأيضاً شهادتهما شهادة

(١) انظر: الكشاف (٣/ ١٨٩)؛ مجموع الفتاوى (١٥/ ٦٥)؛ تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٧٨).

(٢) انظر: مبحث (مبين).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٧٨).

(٤) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٥٨) عند هذه الآية: (قال الحسن البصري: كانوا يقرءون في كتاب الله الذي أتاهم إن الدين الإسلام، وإن محمداً رسول الله وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا براء من اليهودية والنصرانية فشهدوا لله بذلك، وأقروا على أنفسهم لله فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٦٦).

القرآن[١].. وكلما كان التفسير شاملاً لجميع أجزاء المراد فهو أولى من الاقتصار على بعضه.

ووصف القرآن بأنه (شاهد) لاشتماله على الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب، والحكم والأحكام، بأبلغ معنى، وأوجز أسلوب، مما فيه صلاح المعاش والمعاد لمن آمن به وصدقه، وفساد الحال لمن صد عنه وكفر به..

والقرآن شاهد على وحدانية الله تعالى وكمال صفاته وجمال نعوته، وشاهد على صدق رسوله ﷺ، وشاهد على الكتب السابقة؛ لأنه مصدق لها ومهيمن عليها ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وشاهد لمن يتلوه ويقرأه ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ فَيُشَفَّعَانِ**»[٢][٣].

فتبين مما سبق أن المراد بـ(الشاهد) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ القرآن الكريم، وذلك في أصح أقوال المفسرين.. والله أعلم بمراده.

* * *

المطلب الثالث

وصفه بأنه العلم

ورد الوصف (العلم) في أكثر من آية من كتاب الله تعالى، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]،

---

(١) انظر: المرجع نفسه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده [٦٥٨٩]؛ والحاكم في مستدركه (١/ ٧٤٠)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم؛ وصححه الألباني (صحيح وضعيف الجامع الصغير٣٨٨٢).

(٣) انظر: أسماء القرآن في القرآن للخمساوي (١١٤).

وقـولـه: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ [يونس: ٩٣]، والعلم في الأصل «يدل على أثر في الشيء يتميز به عن غيره»(١)، ومنه العِلم وهو ضد الجهل، يقال: علم الشيء يعلمه علماً، إذا عرفه وأحاط به علماً(٢).

ولفظ (العلم) ورد في القرآن على أضرب أربعة(٣)، هي:

الأول: العلم: القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١].

الثاني: العلم: النبي ﷺ ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧].

الثالث: العلم: علم الكيمياء، ومنه قول قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨].

الرابع: العلم: الشرك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

وورد الضرب الأول في ثمانية مواضع من كتاب الله تعالى(٤)، وذلك على قول بعض المفسرين، وسأكتفي بالحديث عن موضعين فقط(٥).

[١] الموضع الأول: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (علم) (٦٦٣). (٢) انظر: مختار الصحاح (ع ل م).

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٥/ ٢٨٣).

(٤) والآيات هي: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥] ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] وبقية المواضع: آل عمران [٦١] يونس [٩٣] الرعد [٣٧] الشورى [١٤] الجاثية [١٧].

(٥) وذلك للأسباب الآتية: ١ ـ أن الموضعين هما أقوى وأوجه المواضع في بيان أن المراد بالعلم هو القرآن. ٢ ـ أن الأقوال تتكرر ـ غالباً ـ في المواضع الأخرى. ٣ ـ صعوبة الحديث عن جميع المواضع. ٤ ـ أن المقصود من ذلك كله هو إثبات الوصف أو عدم إثباته.

وهذه الآية تعرف باسم (آية المباهلة)[١]، وقد اختلف المفسرون ـ رحمهم الله ـ في المراد بـ(العلم) المذكور فيها، على قولين:

الأول: أن المراد أي: ما جاءك عن طريق الوحي؛ لأنه ورد في القرآن بيان لحقيقة وأوصاف عيسى ﷺ، وكذلك في السنة؛ كحديث عبد اللهِ بن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**أَرَانِي لَيْلَةً عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ ما أنت رَاءٍ من آدم الرِّجَالِ له لمه كَأَحْسَنِ ما أنت رَاءٍ من اللِّمَمِ قد رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً مُتَّكِئاً على رَجُلَيْنِ أو على عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَسَأَلْتُ من هذا؟ فَقِيلَ: هذا الْمَسِيحُ ابن مَرْيَمَ**» متفق عليه[٢]، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة.

واختاره الرازي[٣].

الثاني: القرآن، وذلك ما تضمنته الآيات السابقة لهذه الآية، وغيرها من الآيات التي فيها ذكر لعيسى ﷺ وبيان لحقيقته، وذكر بعض أوصافه، وهو قول ابن عباس[٤]، ومحمد بن إسحاق[٥][٦]، ومقاتل[٧].

واختاره جمع من المفسرين؛ كالزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي،

---

(١) وقد سميت بعض الآيات بأسماء، منها آية الكرسي، وآية الدين.. إلخ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: اللباس، باب: الجعد، حديث [٥٤٥١]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، حديث [٢٤٦].

(٣) التفسير الكبير (٨/ ٧١). وانظر: البحر المحيط (٢/ ٧٦٦).

(٤) انظر: الدر المنثور (٢/ ٢٣١).

(٥) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل: ابن كوثان، العلامة الحافظ الأخباري، أبو بكر، وقيل أبو عبد الله القرشي المطلبي، مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية، وكان جده يسار من سبي عين التمر في دولة خليفة رسول الله، وهو أول من دون العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحراً عجاجاً، ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي، توفي سنة ٥٠ وقيل ٥١ وقيل ٥٢هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٣٢١)؛ سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣).

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٦).

(٧) انظر: تفسير مقاتل (١/ ١٧٤).

وابن تيمية، والقاسمي، والشوكاني[1].

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ بدلالة السياق، حيث ذكر الله تعالى طرفاً من شأن عيسى عليه السلام، ثم أخبر نبيه ﷺ أن من حاجَّه في شأن عيسى وقضيته، فليدعه إلى المباهلة، وأتى بـ(من) الدالة على أن النبي ﷺ أمر بالمباهلة بعد أن تروى من العلم، واستيقن أمره، وعلم حاله، وذلك من خلال الآيات الواردة فيه.. لأن (من) تدل على أن هناك مهلة بين العلم الذي جاءه وبين المحاجة التي وقعت[2].

٢ ـ أن ما ورد في السنة النبوية من ذكر عيسى ابن مريم عليه السلام، لا يَعْدُو أن يكون ـ غالباً ـ ذكراً لبعض أوصافه الخلْقية، أو بياناً لبعض ما ورد في القرآن من كونه ولد بدون أب.. أو أنه تكلم في المهد.. مما لا يستدل به في المحاجة، ولا يكون دليلاً مستقلاً بمفرده، بخلاف ما ورد في القرآن من بيان لحقيقته، وأصل خلقته.. التي هي أصل في الخلاف، ومجمع النزاع، بين المسلمين والنصارى.

٣ ـ أنه قول أئمة التفسير وجهابذته، واختيار جمهوره.

ووصف القرآن بأنه (العلم) لأنه سبب العلم، وتسمية السبب باسم المسبب مجاز مشهور[3]، فقد اشتمل على أصول العلم ومسائله التي فيها صلاح المعاش والمعاد، وبها هداية البشرية، ودلالتهم إلى كل خير وفضل، ولأن من تمسك به، واقتفى أثره، نال علماً عظيماً، ونهل من معين لا ينضب، ومورد لا ينقطع، فالقرآن «هو العلم حقاً، هو العلم العظيم، هو العلم النافع، هو العلم الزكي من الرب العلي، هو العلم الذي مع سنة

---

(١) انظر: الكشاف (١/ ٥٦٤)؛ المحرر الوجيز (٣١٠)؛ زاد المسير (١/ ٣٩٩)؛ مجموع الفتاوى (١٤/ ٢)؛ محاسن التأويل (٢/ ٣٧٤)؛ فتح القدير (١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران) (١/ ٣٥٥).

(٣) انظر: التفسير الكبير (١٧/ ١٢٧).

رسول الله ﷺ ترتاح له النفوس، وتطمئن له القلوب، هو مشعل الهداية، ونبراس الطريق، هو العلم الذي يهدي البشرية الضالة إلى ما به خيرها في الدنيا وسعادتها في الآخرة، وهو العلم الغزير الذي ينابيعه صافية، وأنهاره متدفقة، ودوحاته سامقة، وظله ظليل، يسع كل مخلوق.. بل هو روح الحياة وسفينة النجاة»(١).

والتعريف في الوصف (العلم) لبيان كماله وشهرته، وأنه لا علم بعده، ولا معرفة إلا به، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «فجعل ما أنزل إليه هو العلم كله على وجه المبالغة»(٢).

[٢] الموضع الثاني: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ [يونس: ٩٣].

اختلف المفسرون في المراد بـ(العلم) في هذه الآية، على ثلاثة أقوال:

الأول: أن المراد بـ(العلم) علم التوراة، والمراد ببني إسرائيل، الذين كانوا في العهد الأول مع موسى عليه السلام، حيث كانوا على ملة واحدة، وجماعة واحدة، فلما جاءتهم التوراة تفرقوا واختلفوا(٣).

ورجحه السمعاني، وابن عطية(٤).

الثاني: أن المراد بـ(العلم) القرآن، على تأويل أن بني إسرائيل الذين كانوا في زمان النبي ﷺ، واختلافهم فيه؛ كقول بعضهم إنه من كلام الله، وبعضهم إنه من كلام محمد.. وهو قول ابن عباس(٥)، وابن زيد(٦).

الثالث: أن المراد بـ(العلم) المعلوم، وهو محمد ﷺ حيث وردت

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ٢٥٦).
(٢) التحرير والتنوير (١/ ٣٧).
(٣) انظر: الكشاف (٣/ ١٧٣)؛ التفسير الكبير (١٧/ ١٢٧)؛ تفسير البيضاوي (٥/ ١٠١).
(٤) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٠٣)؛ المحرر الوجيز (٩٢٦).
(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ٦٣).
(٦) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٨٤)؛ معالم التنزيل (٦٠٩)؛ التفسير الكبير (١٧/ ١٢٧)؛ الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٨١)؛ البحر المحيط (٥/ ٢٤٧).

أوصافه في التوراة والإنجيل، فلما جاءهم بالبينات وبالقرآن اختلفوا فمنهم من آمن؛ كعبد الله بن سلام.. ومنهم من كفر، روي ذلك عن ابن عباس[١]، ومقاتل[٢]، ورجحه ابن جرير[٣].

وهو الأظهر، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، قال أبو العالية: أي: من بعد ما تبين أن محمداً رسول الله، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل فكفروا به حسداً وبغياً إذ كان من غيرهم، وكذا قال قتادة والربيع بن أنس[٤]، فقد كان اليهود ينتظرون خروج النبي ﷺ ويظنون أنه سيخرج فيهم؛ لأن الأنبياء السابقين كانوا من ذرية إسحاق.. فلما علموا أنه خرج في العرب من نسل إسماعيل، حاربوه وناصبوه العداوة حسداً من عند أنفسهم، كما جاء في الحديث عَنِ الْفَلْتَانِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: كُنَّا قُعُوداً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَشَخَصَ بَصَرُهُ إِلَى رَجُلٍ يَمْشِي فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «**يَا فُلانُ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ**» قَالَ: لا، قَالَ: «**أَتَقْرَأُ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**وَالإِنْجِيلَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**وَالْقُرْآنَ؟**» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَشَاءُ لَقَرَأْتُهُ، قَالَ: ثُمَّ أُنْشِدَهُ، فَقَالَ: «**تَجِدُنِي فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ؟**» قَالَ: نَجِدُ مِثْلَكَ وَمَثَلَ أُمَّتِكَ وَمَثَلَ مُخْرِجَكَ وَكُنَّا نَرْجُو أَنْ تَكُونَ فِينَا فَلَمَّا خَرَجْتَ تَخَوَّفْنَا أَنْ تَكُونَ أَنْتَ فَنَظَرْنَا فَإِذَا لَيْسَ أَنْتَ هُوَ...» الحديث[٥].

---

(١) تنوير المقباس (١٧٩).
(٢) تفسير مقاتل (٢/ ١٠٤).
(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٢٨٥). وانظر: الكشاف (٣/ ١٧٣)؛ إرشاد العقل السليم (٤/ ١٧٤)؛ البحر المحيط (٥/ ٢٤٧).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١٣).
(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥٤١)؛ والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٣٢)؛ والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧٩) وعزاه إلى الطبراني وأبي نعيم والبيهقي.. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٢): ورجاله ثقات من أحد الطريقين.

وكما قال هرقل: «وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم»[(١)].

يقول ابن جرير [٣١٠هـ]: «فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل، حتى جاءهم ما كانوا به عالمين، وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد ﷺ مجمعين على نبوة محمد، والإقرار به وبمبعثه، غير مختلفين فيه بالنعت الذي كانوا يجدونه مكتوباً عندهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم، وآمن به بعضهم»[(٢)].

فتبين مما سبق أن وصف القرآن بـ(العلم) مذكور في كتاب الله تعالى، في قوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] على أصح قولي المفسرين.

هذا ما ظهر لي، وتوصل إليه جهدي واجتهادي، والله تعالى أعلم بمراده.

* * *

المطلب الرابع
وصفه بأنه القصص

ورد الوصف (القصص) في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]، وقوله: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣] وأصله تتبع الأثر، يقول ابن فارس [٣٩٥هـ]: «القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء.. ومن الباب القِصة والقَصص، كل ذلك يتتبع فيذكر»[(٣)]، والقص البيان، والقصص: هو الخبر المقصوص وضع موضع

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾، حديث [٤٢٧٨]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: كتاب النبي عليه الصلاة والسلام إلى هرقل، حديث [١٧٧٣].

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٢٨٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة (قص) (٨٢٦).

المصدر حتى صار أغلب عليه[١]، ويقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء[٢].

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(القصص) في الآيات السابقة، هل المراد قصة معينة، أم جميع قصص القرآن، فيطلق كوصف عام عليها؟ على أقوال عدة، وآراء مختلفة.. إليك أقوالهم وأدلتهم:

[١] **الموضع الأول:** ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢].

اختلف المفسرون في المراد باسم الإشارة (هذا) هل هو القرآن أم قصة عيسى عليه السلام فقط؟ على قولين:

الأول: أن المراد القرآن، وفيه بيان أن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ هو القصص الحق.

واختاره القرطبي[٣]، وعزاه أبو حيان إلى الجمهور[٤].

الثاني: أن المراد قصة عيسى عليه السلام وأنه خلق من غير أب... إلخ.

قاله ابن عباس وابن جريج وابن زيد ومقاتل[٥].

ورجحه جمع من المفسرين؛ كابن جرير وابن عطية والراغب والرازي وابن كثير وأبي حيان والشوكاني وابن عثيمين[٦].. وغيرهم.

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ دلالة السياق، حيث ذكر الله تعالى قصة عيسى، وأصل خلقه وبيان حقيقته.. ثم ختم ذلك ببيان أن هذا هو القصص الحق الذي لا يشوبه

---

(١) انظر: لسان العرب (قص) (٧/ ٧٤).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (ق ص) (٨/ ٢١١). (٣) انظر: الجامع (٤/ ١٠٥).

(٤) البحر المحيط (٢/ ٧٦٩).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (١/ ١٧٤)؛ تفسير الطبري (٥/ ٤٦٧)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٨)؛ المحرر الوجيز (٣١١)؛ البحر المحيط (٢/ ٧٦٩)؛ الدر المنثور (٢/ ٢٣٣).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٦٧)؛ المحرر الوجيز (٣١١)؛ تفسير الراغب (١/ ٦٠٧)؛ التفسير الكبير (٨/ ٧٤)؛ تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٥)؛ البحر المحيط (٢/ ٧٦٩)؛ فتح القدير (١/ ٣٤٧)؛ تفسير القرآن الكريم (آل عمران) (١/ ٣٦٠).

باطل، ولا يعتريه كذب، بل هو صدق ويقين ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾.

٢ ـ أن قصة عيسى ﷺ وأصل خلقه، وطبيعته، مما اختلف فيها اليهود والنصارى كثيراً، وتباينت أقوالهم، وافترقت آراؤهم.. فبين الله تعالى في كتابه لنبيه ﷺ حقيقة ذلك كله، وأصل خلقه، وأنه رفعه في السماء.. وبين أن هذا هو القصص الحق في عيسى ﷺ وما سواه من الروايات إنما هي أكاذيب إسرائيلية باطلة، لا أساس لها من الصحة.

٣ ـ أنه قول أئمة التفسير وجهابذته، واختيار جمهوره، والله أعلم.

[٢] الموضع الثاني: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣].

اختلف المفسرون في المراد بـ(أحسن القصص) هل هي قصة يوسف فقط، أم القرآن كله؟ على قولين:

الأول: أن المراد قصة يوسف ﷺ خاصة، وسماها الله تعالى أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، ومن سير الملوك والمماليك والعلماء، ومكر النساء، والصبر على أذى الأعداء، وقيل: لامتداد الأوقات فيما بين مبتداها إلى منتهاها، وقيل: لزيادة التشريف، وقيل: أعجب القصص، وقيل: أحكم القصص.. وقيل غير ذلك[١].

ورجحه الثعلبي[٢].

الثاني: أن المراد القرآن الكريم، وما ورد فيه من الأخبار الماضية، والأنباء السالفة، والقرون الخالية، حيث روى عون بن عبد الله قال: ملَّ أصحاب رسول الله ﷺ ملّة فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله تعالى ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] قال: ثم نعته فقال: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٥/ ١٩٦)؛ تفسير السمعاني (٣/ ٦)؛ معالم التنزيل (٦٣٤)؛ زاد المسير (٤/ ١٧٩)؛ روح المعاني (١٢/ ١٧٥).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٥/ ١٩٦).

﴿مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] إلى آخر الآية، قال: ثم ملوا ملة أخرى، فقالوا يا رسول الله حدثنا شيئاً فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص، فأنزل الله ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ①﴾ إلى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ③﴾ [يوسف: ٣] قال فإن أرادوا الحديث دلهم على أحسن الحديث وإن أرادوا القصص دلهم على أحسن القصص»(١).

قاله الضحاك ومقاتل(٢).

واختاره جمع من المفسرين؛ كابن جرير، ابن أبي زمنين، وابن تيمية، والقرطبي، وابن عاشور(٣).. وغيرهم.

وهو الأظهر(٤)، وذلك من وجوه:

١ - دلالة السياق، حيث أعقب الله تعالى الوصف ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ بقوله تعالى: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾ والباء في (بما) للسببية، متعلقة بـ(نقص)؛ لبيان أن القصص الوارد في القرآن أحسن من غيره؛ لأنه وارد من العليم الحكيم، فهو لا يوحي إلا بما يعلم أنه أحسن نفعاً للسامعين في أبدع الألفاظ والتراكيب(٥).

٢ - قوله تعالى في آخر السورة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، فبين سبحانه أن العبرة والعظة في قصص الأنبياء

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣/٨)؛ وحسنه محقق جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٠٤) [١٩١٤].

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٣٨)؛ الدر المنثور (٤/ ٤٩٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٣/٧)؛ تفسير القرآن العزيز (٢/ ٣١٥)؛ مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٠)؛ الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١١٩)؛ التحرير والتنوير (٥/ ٢٠٤).

(٤) ويقرب من هذا القول، الكلام في قوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦] حيث رجح مقاتل (١/ ٤٢٥)؛ والسمرقندي (١/ ٥٨٠)؛ والرازي (١٥/ ٤٨).. وغيرهم، أن المراد هو القرآن، وروي عن ابن عباس، تنوير المقباس (١٤٢).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ٢٠٤).

والمرسلين، وأمر بالنظر في عاقبة من كذبهم وعاقبتهم بالنصر.. مما يدل على أن المراد بـ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ قصص القرآن كلها[١].

٣ ـ أن قصص الأنبياء كنوح وموسى عليهما السلام وغيرهما أعظم من قصة يوسف عليه السلام بلا شك، فكيف تخص من بينها، يقول شيخ الإسلام [٧٢٨هـ]: «ومن المعلوم أن قصة موسى عليه السلام وما جرى له مع فرعون وغيره أعظم وأشرف من قصة يوسف بكثير كثير..»[٢].

٤ ـ أن قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ لبيان أن قصص القرآن وأخباره.. أفضل وأحسن مما لم يقص خبره فيه، يقول شيخ الإسلام [٧٢٨هـ]: «فقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ يتناول كل ما قصه في كتابه فهو أحسن مما لم يقصه ليس المراد أن قصة يوسف أحسن ما قص في القرآن وأين ما جرى ليوسف مما جرى لموسى ونوح وإبراهيم وغيرهم من الرسل؟ وأين ما عُودي أولئك مما عُودي فيه يوسف؟ وأين فضل أولئك عند الله وعلو درجتهم من يوسف صلوات الله عليهم أجمعين وأين نصر أولئك من نصر يوسف...»[٣].

٥ ـ أنه الموافق لوصف القرآن بـ(القصص) في قوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦] في أصح قولي المفسرين.

ووصف القرآن بأنه (القصص) لأنه يجب اتباعه، واقتفاء أثره، والعمل به، كما قال تعالى ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] أي: اتبعي أثره[٤]، ولكون القرآن يتتبع قصص المتقدمين، وأخبار الماضين، وأحوال الغابرين، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢][٥].

فالقرآن الكريم «قصص وأخبار عما كان في سالف الدهور والأزمان، وإخبار عما يكون في مستقبل حياة العالم، حتى يستقر أهل الجنة في النعيم،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٢١).
(٢) المرجع نفسه.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) انظر: التفسير الكبير (٢/ ١٥).
(٥) المرجع نفسه.

وأهل النار في الجحيم، هذا آخر المطاف، وهذا منتهى الدورة.. والقرآن قصص وإخبار بأروع تعبير وأحسن أسلوب وأجمل تركيب، وأبين بيان، عن عظمة الله ومجده وكبريائه، وعما يجب لله وما لا يجب، وعن أسمائه تعالى وصفاته..»(١).

ووصف القصص بأنه ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ لأن قصص القرآن أحسن من قصص غيره، لصدقه وسلاسة عبارته، وحسن نظمه، وإعجاز أسلوبه، ورونق معانيه، وبما يتضمنه من العبر والحكم.. فكل قصص القرآن هو أحسن القصص في بابه، وكل قصة في القرآن هي أحسن من كل ما يقصه القاص في غير القرآن(٢).

فتبين مما سبق أن الله تعالى وصف القرآن بأنه (القصص) في قوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾، في أصح قولي المفسرين، والله أعلم.

* * *

المطلب الخامس

وصفه بأنه مسطور

ورد الوصف (مسطور) في قول الله تعالى: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [الطور: ٢] وسَطَرَ أصل مطرد يدل على اصطفاف الشيء؛ كالكتاب والشجر.. والسَّطْر والسَّطَر الصف من الكتاب، يقال: سطر فلان كذا، كتب سَطْراً سَطْرا(٣).

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(الكتاب) الموصوف بالمسطور، على أقوال عدة، أبرزها:

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن (١/ ٢٧٤) بتصرف.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمٰن (٣٩٣)؛ التحرير والتنوير (٥/ ٢٠٣).
(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (سطر) (٤٥٨)؛ المفردات للراغب (سطر) (٤٠٩).

الأول: أنه اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس[(١)].

الثاني: أنه التوراة، قاله الكلبي[(٢)]، وذلك أنه قرن بالطور، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى ﷺ، فهو الأنسب والأقرب[(٣)].

الثالث: أنه كتاب الأعمال، قاله مقاتل والزجاج[(٤)].

قال مقاتل [١٥٠هـ]: «تخرج إليهم أعمالهم يوم القيامة في رق منشور»[(٥)]، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]، حيث وصفه الله تعالى بأنه منشور، وهو الموافق لقوله: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾.

الرابع: أنه القرآن الكريم، قاله الحسن البصري[(٦)].

ورجحه ابن القيم، والشنقيطي[(٧)].

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ أن الله تعالى أكثر من الإقسام بالقرآن، في أكثر من آية من كتابه؛ كقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الدخان: ١، ٢]، وقوله: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ١، ٢] وقوله: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص: ١] وغير ذلك، بخلاف الأقوال الأخرى، فهذا مما يقوي أن

---

(١) انظر: تنوير المقباس (٤٤٣)؛ النكت والعيون (٥/ ٣٧٧)؛ زاد المسير (٨/ ٤٥). وانظر: تفسير السمعاني (٥/ ٢٦٦)؛ الكشاف (٥/ ٦٢٣)؛ التفسير الكبير (٢٨/ ٢٠٥)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٠٥)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٥٩)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٧١)؛ البحر المحيط (٨/ ٢٠٧)؛ روح المعاني (٢٧/ ٢٧)؛ أضواء البيان (٥/ ١٩٢).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٢٣)؛ معالم التنزيل (١٢٣٧). وانظر: المراجع السابقة.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم (٨/ ١٤٦)؛ تفسير القرآن الكريم (الحجرات ـ الحديد) (١٧٤).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٢)، والمراجع السابقة.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٢).

(٦) انظر: تفسير السمعاني (٥/ ٢٦٦) والمراجع السابقة.

(٧) انظر: التبيان في أقسام القرآن (١٦٦)؛ أضواء البيان (٥/ ١٩٢).

المراد هنا القرآن الكريم[(١)].

٢ ـ أنه الموافق لوصف القرآن بأنه في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة.. والصحف هي الرَّق[(٢)]، وكونه بأيدي سفرة هو كونه منشوراً[(٣)].

٣ ـ دلالة السياق، وذلك أن الله تعالى ذكر الطور الذي أوحي منه إلى موسى، وذكر الكتاب الذي هو القرآن أوحي إلى محمد ﷺ فيكون الله تبارك وتعالى ذكر أشرف الرسالات في بني إسرائيل إيماء بذكر الطور، وذكر أشرف الرسالات التي بعث بها من بني إسماعيل وهو محمد ﷺ.. فيكون ذلك متضمناً للنبوتين المعظمتين، نبوة موسى ونبوة محمد ﷺ وكثيراً ما يقرن بينهما، كما في سورة والتين والزيتون[(٤)].

٤ ـ أما كونه اللوح المحفوظ فبعيد لأنه ليس برق، وكذلك التوراة فهي أنزلت في ألواح ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] فهي ليست في رق، وكونها صحائف الأعمال فالأظهر أن المراد كتاب منزل من عند الله تعالى، وأقسم الله به لعظمته وجلالته، وما تضمنه من آيات ربوبيته وأدلة توحيده.. فلم يتبق من الأقوال إلا القرآن[(٥)].

ووصف القرآن بأنه (مسطور) لأنه مكتوب، فهو مكتوب في السماء، كما قال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾﴾ [عبس: ١٣، ١٤] ومكتوب في الأرض، كما دل عليه حديث ثابت بن زيد: «.. فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِن الرِّقَاعِ وَالْأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ..»[(٦)]، وقد صُفَّ ونظم في المعاني والدلالات، ورتب بين الآيات في السور، والسور في الكتاب، فسبحانه ما أعظمه من كتاب، وما أجله من خطاب.

---

(١) انظر: أضواء البيان (٥/ ١٩٢).
(٢) الرَّقَّ: ما يكتب فيه، وهو جلد رقيق. (مختار الصحاح ر ق ق).
(٣) انظر: التبيان (١٦٦).
(٤) انظر: التبيان (١٦٦)؛ تفسير القرآن الكريم (الحجرات ـ الحديد) (١٧٤).
(٥) انظر: التبيان (١٦٦).
(٦) سبق تخرجه.

ومجيئه بصيغة التنكير لأنه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب، فهو قد تميز عن سائر الكتب بحيث لا يسبق إلى أفهام السامعين من النبي ﷺ لفظ الكتاب إلا ذلك، وفيه بيان لعظمته وجلالة قدره[١].

ووصف هذا الكتاب بأنه في رق منشور، وهو المفرَّق الذي يكون بأيدي كل قارئ، كما هو حال القرآن الكريم اليوم، أو يراد به الصحف التي بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة[٢].

المطلب السادس
وصفه بأنه نبأ عظيم

ورد الوصف (نبأ) في موضعين من كتب الله تعالى، قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: ٦٧، ٦٨] وقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النبأ: ١ ـ ٣] والنبأ الخبر، يقال: (نَبَأ) و(نبَّأ) و(أنبأ) أي: أخبر[٣]، ولكنه يختص بالخبر ذي الفائدة العظيمة الذي يحصل به علم أو غلبة ظن، فهو «خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن»[٤]، ولا يطلق (النبأ) إلا إذا تضمن الخبر الأوصاف الثلاثة، وحقه أن يتعرى عن الكذب؛ كخبر الله تعالى وخبر رسوله ﷺ والكلام المتواتر[٥].

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(النبأ) في الموضعين السابقين هل هو القرآن أم غيره؟ على أقوال..

[١] الموضع الأول: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: ٦٧، ٦٨].

---

(١) انظر: الكشاف (٥/ ٦٢٣)؛ التفسير الكبير (٢٨/ ٢٠٦).
(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم (الحجرات ـ الحديد) (١٧٤).
(٣) انظر: مختار الصحاح (ن ب أ). (٤) المفردات للراغب (نبأ) (٧٨٨).
(٥) المرجع نفسه.

ذكر المفسرون في المراد بـ(النبأ العظيم) عدة أقوال، هي:

الأول: نبأ النبوة والرسالة، وأن محمداً ﷺ رسول من عند الله تعالى، فهو نبأ عظيم أعرض عنه المشركون بالله، وكفروا بذلك(١).

الثاني: نبأ القيامة وما يحصل في ذلك اليوم العظيم من بعث ونشور وحساب وثواب أو عقاب.. قاله قتادة(٢)، والحسن(٣)، ونظيره قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النبأ: ١ ـ ٣]، وتؤيده ـ كذلك ـ الآيات السابقة، وما ذكر فيها من انقسام الناس في هذا اليوم العظيم إلى مؤمنين متقين، وطاغين مكذبين.. وذكر للحوار الذي يكون بين أهل النار ـ أعاذنا الله منها ومنهم ـ ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝٥٩ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٦٠ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۝٦١﴾ [ص: ٥٩ ـ ٦١].

واختاره ابن سعدي(٤).

الثالث: نبأ القرآن الكريم، وأنه نبأ عظيم وجليل، ومع ذلك أعرضوا عنه، ولم يلتفتوا إليه، ووصفوه بأنه أساطير الأولين، وأنه من قول محمد، وقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: ٧].. وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي(٥)، وسفيان(٦). واختاره جمع من المفسرين؛ كابن جرير، وابن أبي

---

(١) انظر: الكشاف (٥/ ٢٨٠)؛ التفسير الكبير (٢٦/ ١٩٦)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٦)؛ البحر المحيط (٧/ ٥٤١)؛ إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٣٤).

(٢) انظر: زاد المسير (٧/ ١٥٤).

(٣) انظر: البحر المحيط (٧/ ٥٤١).

(٤) تيسير الكريم الرحمٰن (٧١٦). وانظر: المحرر الوجيز (١٦٠٥)؛ معالم التنزيل (١١١٩)؛ التفسير الكبير (٢٦/ ١٩٦)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٢٦)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ١٨٩).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٠)؛ الكشف والبيان (٨/ ٢١٥)؛ معالم التنزيل (١١١٩)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٦)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٢٦)؛ الدر المنثور (٧/ ٢٠٢).

(٦) تفسير الثوري (٢٢١).

زمنين، والثعلبي، والسمعاني، والسمرقندي، وأبي السعود، وابن عثيمين[١].. وغيرهم.

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ مناسبته للسياق، حيث سبق في الآيات السابقة ذكر للقرآن الكريم، كما في افتتاحية السورة، وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].. ثم بعد ذلك ختمت بوصفه أنه (نبأ عظيم).

٢ ـ أنه يشمل الأقوال الأخرى ويجمعها، حيث ورد في القرآن الكريم إثبات النبوة، وتصديق الرسالة، وكذلك بيان لحقيقة البعث والحساب والجزاء.. يقول أبو السعود [٩٥١هـ]: «والأظهر أنه القرآن، وما ذكر ـ أي: الأقوال السابقة ـ داخل فيه دخولاً أولياً كما يشهد به آخر السورة»[٢].

٣ ـ أنه ورد وصف القرآن بأنه عظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] فهو موافق لوصف النبأ ـ القرآن ـ هنا، وأيضاً إعراض المشركين عن كتاب الله تعالى مذكور في قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ [فصلت: ٤]، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [صٓ: ٦٨]، وأولى ما يفسر به القرآن، هو القرآن.

٤ ـ أنه قول أئمة التفسير وجهابذته، واختيار جمهوره.

ووصف القرآن بأنه (نبأ) لاشتماله على الأخبار العظيمة، والأنباء المفيدة، النافعة في الدنيا والآخرة، الدالة إلى كل خير، الناهية عن كل شر، فهو ينبئ عن الله تعالى وعظمته، وينبئ عن صفات الله وأسمائه، وينبئ عن أحكام العبادات والمعاملات، وينبئ عن الأمم السابقة، وأحوالهم الغابرة،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٠)؛ تفسير القرآن العزيز (٤/ ٩٩)؛ الكشف والبيان (٨/ ٢١٥)؛ تفسير السمعاني (٤/ ٤٥٢)؛ تفسير السمرقندي (٣/ ١٦٥)؛ إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٣٤)؛ تفسير القرآن الكريم (سورة ص) (٢٣٠).

(٢) إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٤٣).

وينبئ عن البعث والنشور والحساب والعقاب، وينبئ عن الرسالة المحمدية الخاتمة، وينبئ عن كل شيء من البداية إلى النهاية.. بل وعن كل ما تحتاجه المجموعة البشرية في دينها ودنياها[١].

وقد وصف هذا (النبأ) بأنه عظيم، لبيان مكانته، وسمو منزلته، وجلالة قدره، وأنه في أعلى مراتب الأنباء، وأرفع درجات الأخبار، ولا غرو فهو كلام العظيم، وخطاب الجليل ﷻ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، فالقرآن: «نبأ عظيم، عظيم وعظيم، عظيم في أسلوبه، وعظيم في روعته، وعظيم في معناه، وعظيم في جمال تركيبه، وعظيم في حكمته، وعظيم في وعده ووعيده، وعظيم في ترغيبه وترهيبه، وعظيم في أحكامه، وعظيم في أمره ونهيه، وعظيم في أخباره، وأقاصيصه وأمثاله»[٢]، ومما يبين عظمة هذا النبأ ـ أيضاً ـ، وروده بصيغة التنكير الدال على التفخيم والتعظيم من شأنه، وشموليته لجميع جوانبه، وشتى نواحيه.

[٢] الموضع الثاني: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النبأ: ١ ـ ٣].

اختلف المفسرون في المراد بـ(النبأ العظيم) الذي اختلفوا فيه، على ثلاثة أقوال، هي:

الأول: نبوة محمد ﷺ ورسالته، وما جاء به من شرع حكيم، ودين قويم.. حكاه الزجاج[٣]، وهو قول الحسن[٤].

الثاني: القرآن الكريم، حيث اختلفوا في وصفه، فمنهم من قال: إنه أساطير الأولين، ومنهم من قال: إنه من قول محمد، ومنهم من قال: إنما يعلمه بشر... إلخ.

---

(١) انظر: الهدى والبيان في أسماء القرآن (٢/ ٣٥).
(٢) الهدى والبيان في أسماء القرآن (٢/ ٣٤)
(٣) انظر: زاد المسير (٩/ ٤).
(٤) انظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٣٥)؛ المحرر الوجيز (١٩٣٨)؛ زاد المسير (٩/ ٤)؛ تفسير السمرقندي (٣/ ٥١٤)؛ البحر المحيط (٨/ ٥٧٢).

واستدل له بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: ٦٧، ٦٨].

وهو قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل[١]، وقتادة في رواية[٢]، وعزا الثعلبي والبغوي القول إلى الأكثرين[٣].

الثالث: يوم القيامة، والبعث بعد الموت، وذلك أن المشركين زمن النبي ﷺ استبعدوا البعث بعد الموت، كما حكى الله عنهم: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ [ق: ٢].

ويستدل له بقوله تعالى في وسط السورة: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ۝١٧﴾ [النبأ: ١٧].

وهو قول قتادة وابن زيد[٤]، وأبي العالية والربيع بن أنس والضحاك[٥].

ورجحه جمع من المفسرين؛ كابن أبي زمنين، والرازي، وابن كثير، والقرطبي، وأبي السعود، والواحدي[٦].. وغيرهم.

وهو الأظهر، وذلك لمناسبته لسياق السورة وموضوعها، فقد وردت فيها الدلائل والبراهين والحجج، على قدرة البعث بعد الموت، وأحوال الناس في ذلك الموقف العظيم.

وبراهين البعث بعد الموت أربعة: خلق الأرض والسماوات، وإحياء الأرض بالنبات، ونشأة الإنسان من العدم، وإحياء الموتى بالفعل في الدنيا

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٣٩)؛ تفسير الطبري (٢٤/ ٥)؛ تفسير السمعاني (٦/ ١٣٥)؛ المحرر الوجيز (١٩٣٨)؛ الدر المنثور (٨/ ٣٩٠).

(٢) انظر: تفسير الصنعاني (٣/ ٣٤٢).

(٣) انظر: الكشف والبيان (١٠/ ١١٣)؛ معالم التنزيل (١٣٧٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥)؛ الدر المنثور (٨/ ٣٩٠).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٣٥)؛ زاد المسير (٩/ ٤)؛ فتح القدير (٥/ ٣٦٣).

(٦) انظر: تفسير القرآن العزيز (٥/ ٨٢)؛ التفسير الكبير (٣١/ ٤)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٩٤)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٧٠)؛ إرشاد العقل السليم (٩/ ٨٤)؛ الوجيز (٢/ ١١٦٥).

لمعاينتها.. وكلها مذكورة في هذه السورة(١).

وقد نصب الإمام الرازي(٢) أوجهاً مقنعة لهذا القول، تكفي وتشفي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ والظاهر أن المراد منه، أنهم سيعلمون هذا الذي يتساءلون عنه حين لا تنفعهم تلك المعرفة، ومعلوم أن ذلك هو يوم القيامة.

٢ ـ أنه تعالى بين كونه قادراً على جميع الممكنات، بقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ [النبأ: ١٨]، وذلك يقتضي أنه تعالى إنما قدم هذه المقدمة لبيان كونه تعالى قادراً على إقامة القيامة.

٣ ـ أن العظيم اسم لهذا اليوم، بدليل قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ [المطففين: ٤، ٥].

٤ ـ أن يوم القيامة أعظم الأشياء؛ لأن ذلك منتهى فزع الخلق وخوفهم منه، فكان تخصيص اسم العظيم به لائقاً.

فتبين مما سبق أن الله تعالى وصف القرآن بأنه (نبأ عظيم) في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ [صٓ: ٦٧] على أصح أقوال المفسرين في ذلك.. أما قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ: ٢] فالأظهر أن المراد به يوم القيامة، على ما رجحه جمهور المفسرين، والله أعلم.

---

(١) انظر: الأوجه وأدلتها في أضواء البيان (٥/ ٥٣٦).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٣١/ ٥).

المبحث الثاني

الأوصاف المرجوحة

ويشتمل على أربعة عشر مطلباً، وهي:

- المطلب الأول: وصفه بأنه إمام.
- المطلب الثاني: وصفه بأنه برهان.
- المطلب الثالث: وصفه بأنه حبل الله.
- المطلب الرابع: وصفه بأنه داعي الله.
- المطلب الخامس: وصفه بأنه الزبور.
- المطلب السادس: وصفه بأنه صراط مستقيم.
- المطلب السابع: وصفه بأنه الطيب.
- المطلب الثامن: وصفه بأنه العروة الوثقى.
- المطلب التاسع: وصفه بأنه الغيب.
- المطلب العاشر: وصفه بأنه فضل الله ورحمته.
- المطلب الحادي عشر: وصفه بأنه الكوثر.
- المطلب الثاني عشر: وصفه بأنه منادٍ.
- المطلب الثالث عشر: وصفه بأنه الميزان.
- المطلب الرابع عشر: وصفه بأنه النجوم.

ويشتمل على الأوصاف التي خلص الباحث فيها إلى مرجوحية كونها أوصافاً للقرآن الكريم، وذلك من خلال أقوال المفسرين، والقرائن والدلائل المرجحة.

المطلب الأول

وصفه بأنه إمام

ورد الوصف (إمام) في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، والإمام هو الذي يقتدى به، ويقدم في الأمور، سواء كان إنساناً يقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً.. أو غير ذلك، محقاً كان أو مبطلاً، وجمعه أئمة[١].

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(الإمام) في الآية الكريمة على أقوال، أبرزها:

الأول: أنه الكتاب الذي أنزل عليهم؛ كالتوراة والإنجيل والقرآن... إلخ، قاله ابن زيد والضحاك[٢].

وقيل: اختاره ابن جرير[٣].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (أم) (٣٣)؛ المفردات للراغب (أم) (٨٧)؛ مختار الصحاح (ا م م).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/٦ ـ ٨)؛ الكشف والبيان (٦/ ١١٥)؛ النكت والعيون (٧/ ٢٥٨)؛ المحرر الوجيز (١١٥٧)؛ زاد المسير (٥/ ٦٤ ـ ٦٥)؛ التفسير الكبير (٢١/ ١٥)؛ تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٣)؛ أضواء البيان (٢/ ٣٢٢).

(٣) قاله ابن كثير في تفسيره (٣/ ٧٣)؛ والشنقيطي في أضواء البيان (٢/ ٣٢٢)؛ والذي يظهر من كلام ابن جرير في التفسير (١٥/ ٨) أنه لم يرجح هذا القول؟!، وأنا أسوق لك كلامه بنصه، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اختلفت أهل التأويل في معنى الإمام الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه يدعو كل أناس به، فقال بعضهم: هو نبيه ومن كان يقتدي به في الدنيا ويأتم به، ذكر من قال ذلك.. وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه يدعوهم بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ذكر من قال ذلك.. وقال آخرون: بل معناه يوم ندعو كل أناس بكتابهم الذي أنزلت عليهم فيه أمري ونهيي، ذكر من قال ذلك.. وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك يوم ندعو كل أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به ويأتمون به في الدنيا؛ لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما ائتم واقتدي به، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أولى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها).اهـ فترجيحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشمل القول الأول والثالث، وإن كان إلى الأول أقرب وأظهر، أو يكون ترجيحه خارجاً عن الأقوال السابقة كلها، =

الثاني: نبيهم، فتدعى كل أمة بنبيها، فيقال: أمة عيسى، أمة محمد.. قاله أنس بن مالك وقتادة ومجاهد في رواية(١).

واستدل له بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النحل: ٨٤](٢).

الثالث: رئيسهم وقائدهم، فيدعى كل قوم بمن يأتمون به، فأهل الإيمان أئمتهم الأنبياء، وأهل الكفر أئمتهم سادتهم وكبراؤهم، قاله ابن عباس في رواية أبي صالح عنه(٣).

ورجحه الشنقيطي(٤)، واستدل له بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١]، وبحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ.. «**يَجْمَعُ اللهُ الناس يوم الْقِيَامَةِ فيقول: من كان يَعْبُدُ شيئا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ**»(٥).

الرابع: كتاب أعمالهم، وهي الأعمال التي عملوها في الدنيا، قاله ابن عباس في رواية العوفي عنه، وأبو العالية والحسن والضحاك ومقاتل(٦).

ورجحه ابن كثير، والزحيلي(٧).

= ويعد قولاً رابعاً، ويشهد له حديث: «**يَجْمَعُ اللهُ الناس يوم الْقِيَامَةِ فيقول: من كان يَعْبُدُ شيئا فَلْيَتْبَعْهُ فَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ**».

(١) انظر: المراجع السابقة، وتفسير الصنعاني (٢/ ٣٨٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٣)؛ أضواء البيان (٢/ ٣٢٢).

(٣) انظر: المراجع السابقة.

(٤) انظر: أضواء البيان (٢/ ٣٢٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم، حديث [٧٠٠٠]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، حديث [١٨٢].

(٦) انظر: المراجع السابقة، وتفسير مقاتل (٢/ ٢٦٦).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٧٣)؛ التفسير المنير (١٥/ ١٢٩).

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ موافقته الصريحة لقول الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وقوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨]، وخير ما يفسر به القرآن هو القرآن.

٢ ـ مناسبته للسياق، حيث بين الله تعالى بعد قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] انقسام الناس إلى قسمين، الأول: ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]، والثاني: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢]، وهذا كله يوم القيامة، والفاء (فمن) تفيد الترتيب والتعقيب، يقول الشنقيطي [١٣٩٣هـ]: «وقوله بعد هذا ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]، من القرائن الدالة على ترجيح ما اختاره ابن كثير، من أن الإمام في هذه الآية كتاب الأعمال»[(١)].

٣ ـ أن القول بأن المراد بـ(الإمام) الكتاب، لا دليل عليه، وهو بعيد، وكذلك إرادة النبي؛ لأن الرسول يدعى يوم القيامة للشهادة على قومه فقط، كما هو صريح في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾ [النحل: ٨٩]، لا أنهم يدعون على رؤوس الخلائق يا أمة محمد يا أمة عيسى.. وفي ذلك فرق، وهذا على القول أن المراد يوم القيامة.. وقيل هو في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧] والمعنى: فإذا جاء رسولهم في الدنيا وبعث صاروا من حتم الله بالعذاب لقوم، والمغفرة لآخرين لغاياتهم، فذلك قضاء بينهم بالقسط[(٢)].

والقول بأن المراد به رئيسهم وقائدهم بدلالة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١] مرجوح؛

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٣٢٢).

(٢) المحرر الوجيز (٩١٢).

لأن المراد في الدنيا، كما قال تعالى في آخر الآية: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ مما يدل على أن هذا في الدنيا، وإن كان هذا القول من أقرب الأقوال إلى الصحة بعد القول بأنه كتاب الأعمال، وذلك بدلالة الحديث المتفق عليه «.. **يَجْمَعُ الله الناس يوم الْقِيَامَةِ فيقول: من كان يَعْبُدُ شيئا فَلْيَتْبَعْهُ. فَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ**»(١).

وإن كان في الحقيقة أن الأقوال الأربعة كلها يطلق عليها (إمام) وذلك أن الإمام هو ما يؤتم به ويهتدى إليه(٢).. ولكن أقربها إلى معنى ودلالة الآية، القول الرابع، والله أعلم.

فتبين أن إطلاق الوصف (الإمام) على القرآن في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] قول مرجوح، ولا دليل عليه، وأن الصحيح هو كتاب الأعمال ـ كما سبق ـ والله تعالى أعلم بمراده.

* * *

المطلب الثاني

وصفه بأنه برهان

ورد الوصف (برهان) في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤] والبرهان الحجة الظاهرة، والبينة الباهرة، وهو يقتضي الصدق أبداً لا محالة(٣).

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(البرهان) في الآية الكريمة على قولين:

الأول: هو القرآن الكريم، قاله قتادة ومقاتل(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١١٥٧)؛ الجواهر الحسان (٣/ ٤٨٧).

(٣) انظر: المفردات للراغب (بره) (١٢١).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٢٧٤)؛ زاد المسير (٢/ ٢٦٤)، والوارد عن قتادة أنه قال: =

يقول الرازي [٦٠٤هـ]: «وكيف لا يكون برهان، وقد عجزت الفصحاء عن أن يأتوا بمثله»[(١)].

الثاني: هو النبي ﷺ، قاله سفيان الثوري[(٢)]، ووصف بأنه برهان؛ لأن معه البرهان وهو المعجزة، أو لأن حرفته إقامة البرهان على تحقيق الحق وإبطال الباطل[(٣)].

واختاره جمع من المفسرين؛ كابن جرير، والثعلبي، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والواحدي، وأبي حيان[(٤)].. وغيرهم، وعزا القول السمعاني والبغوي وأبو حيان إلى أكثر المفسرين[(٥)].

يقول ابن جرير [٣١٠هـ]: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، يقول: قد جاءكم حجة من الله تبرهن لكم بطول ما أنتم عليه مقيمون من أديانكم ومللكم، وهو محمد ﷺ الذي جعله الله عليكم حجة، قطع بها عذركم، وأبلغ إليكم في المعذرة، بإرساله إليكم مع تعريفه إياكم صحة نبوته وتحقيق رسالته»[(٦)].

= ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال بينة من ربكم. انظر: تفسير الطبري (٧/ ٧١٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٢٥)؛ الدر المنثور (٢/ ٧٥٣)؛ والبينة تشمل القرآن وغيره؟!

(١) التفسير الكبير (٢/ ١٦).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٢٥)؛ زاد المسير (٢/ ٢٦٤)؛ الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٧).. وفي تفسير الثوري (٥٦) سفيان عن أبيه سعيد بن مسروق عن رجل لا يحفظ اسمه.. ومثله الدر المنثور (٢/ ٧٥٣) فالأظهر أنه ليس قولاً لسفيان، وإنما رواية رواها عن أبيه عن رجل.. خلافاً لرواية ابن أبي حاتم والقرطبي..

(٣) انظر: التفسير الكبير (١١/ ٩٤)؛ البحر المحيط (٣/ ٥٧٠)؛ الجامع للقرطبي (٦/ ٢٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٧١٢)؛ الكشف والبيان (٣/ ٤٢١)؛ المحرر الوجيز (٥٠٢)؛ التفسير الكبير (١١/ ٩٤)؛ الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٧)؛ الوجيز (١/ ٣٠٤)؛ البحر المحيط (٣/ ٥٧٠).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (١/ ٥٠٧)؛ معالم التنزيل (٣٥٣)؛ البحر المحيط (٣/ ٥٧٠).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٧١٢).

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ دلالة السياق، وذلك أن الله تعالى امتن على الناس بإرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]، فعطف إنزال النور المبين الذي هو القرآن ـ على قول جميع المفسرين ـ على برهان الذي هو محمد ﷺ، والأصل في العطف أنه يقتضي المغايرة.

٢ ـ إذا تقرر أن: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ أنه القرآن، فالأولى حمل (برهان) على الرسول ﷺ إذ حمل الكلام على التأسيس أولى من حمله على التأكيد[(١)].

٣ ـ أن (البرهان) هو الحجة والبينة في اللغة، وتفسير الآية بأن المراد هو محمد ﷺ يشمل دلائل النبوة كلها من المعجزات الظاهرة، والآيات الساطعة.. إلخ مما هو أنسب وأقرب إلى المعنى اللغوي من غيره، يقول ابن سعدي [١٣٧٦هـ]: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه وتبين ضده وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية والآيات الأفقية والنفسية»[(٢)].

٤ ـ أنه قول جمهور المفسرين.

فتبين مما سبق أن الوصف (برهان) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يراد به النبي ﷺ في أصح قولي المفسرين، وعليه فلا يظهر وجه لصحة وصف القرآن بأنه (برهان) في الآية، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٤٧٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن (٢١٧).

المطلب الثالث

وصفه بأنه حبل الله

حث الله تعالى المؤمنين بالاعتصام بحبل الله جميعاً، وعدم التفرق والاختلاف والشقاق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والحَبْل سبب يتوصل به إلى الشيء، يقول الراغب [٤٢٥هـ]: «الحبل المستطيل من الرَّمل، واستعير للوصل، ولكل ما يتوصل به إلى الشيء»[(١)]، فكل من يمشي على طريق دقيق فإنه يخاف أن يزل منه، فإذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك الطريق أَمِنَ من الخوف، وسار على هدوء وطمأنينة، مستبصراً لما أمامه، ثابتاً موقناً، لا يزعزعه شيء[(٢)].

وقد اختلف المفسرون ـ رحمهم الله ـ في المراد بهذا الحبل المُوْصِل إلى بر الأمان، والفوز بالغفران، على أقوال هي:

الأول: أنه القرآن، فكل من تمسك به ساقه إلى الجنان، والفوز والمغفرة والرضوان، من الرحيم الرحمٰن، وهو قول ابن مسعود في رواية شقيق عنه، وقتادة والسدي[(٣)].

واستُدِل لهذا القول بما روي عن النبي ﷺ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما: كتاب الله، هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة**»[(٤)]، وكما جاء في الأثر: «وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم»[(٥)].

---

(١) المفردات للراغب (حبل) (٢١٧). (٢) انظر: التفسير الكبير (٨/ ١٤٢).

(٣) انظر: تفسير الصنعاني (١/ ١٢٩)؛ تفسير الطبري (٥/ ٦٤٥)؛ المحرر الوجيز (٣٣٨)؛ معالم التنزيل (٢٢٩)؛ زاد المسير (١/ ٤٣٢)؛ الدر المنثور (٢/ ٢٨٤).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي رضي الله عنه، حديث [٢٤٠٨].

(٥) سبق تخريجه.

ورجح هذا القول ابن العربي[(١)] والنسفي[(٢)].

الثاني: الجماعة، وهو قول ابن مسعود في رواية الشعبي عنه[(٣)].

واستدل له بما روي عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة**»، قالوا: يا رسول الله: ومن هذه الواحدة؟ قال: «**الجماعة» ثم قال**: «﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾»[(٤)].

وكذلك سياق الآية، حيث ذكر الله تعالى بعد الأمر بالاعتصام، النهي عن التفرق، مما يدل على أن المراد بـ(الحبل) الجماعة.

الثالث: عهد الله تعالى، المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وهو قول قتادة ومجاهد وعطاء[(٥)].

ويشهد له قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] أي: عهد[(٦)].

الرابع: شرع الله تعالى القويم، والدين الإسلامي الحنيف، وهو قول ابن عباس وابن زيد ومقاتل بن سليمان[(٧)].

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري الأندلسي، الحافظ أحد الأعلام، وكان من أهل التفنن في العلم والاستبحار، صنف (التفسير) و(أحكام القرآن) و(شرح الموطأ) ولي القضاء ببلدة، توفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٦)؛ طبقات المفسرين للداودي (١٨٠).

(٢) انظر: أحكام القرآن (١/ ٣٨١)؛ مدارك التنزيل (١/ ١٧٠).

(٣) انظر: تفسير الصنعاني (١/ ١٢٩)؛ تفسير الطبري (٥/ ٦٤٥)؛ المحرر الوجيز (٣٣٨)؛ معالم التنزيل (٢٢٩)؛ زاد المسير (١/ ٤٣٢)؛ الدر المنثور (٢/ ٢٨٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الفتن، باب: افتراق الأمم، حديث [٣٩٩٣]، وأحمد في مسنده [١٢٠٧٠]؛ وابن جرير في تفسيره (٥/ ٦٤٧)؛ وصححه الألباني.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٦٤٦)؛ زاد المسير (١/ ٤٣٢)؛ الدر المنثور (٢/ ٢٨٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٦٨٢)؛ المحرر الوجيز (٣٤٣).

(٧) انظر: المراجع نفسها، وتفسير مقاتل (١/ ١٨٤)؛ وتنوير المقباس (٥٣).

ورجحه الواحدي، وجلال الدين المحلي[(١)]، وابن عثيمين[(٢)].

وجميع الأقوال الأربعة صحيحة، ولها ما يعضدها من الكتاب أو السنة - كما سبق - وهي في الحقيقة أقوال متقاربة، ومعانٍ متشابهة، وأسباب لجلب العصمة والاعتصام بالله متنوعة، يقول ابن جرير [٣١٠هـ] «﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعاً.. وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله»[(٣)].

ولكن لعل أولى الأقوال بالصحة، وأقواها حجة، وأشملها مفهوماً ودلالة، القول الرابع حيث إنه يشمل الأقوال كلها، فإن من تمسك بالشرع الحكيم، والدين القويم، فإنه يرشده إلى التمسك والاهتداء والاسترشاد بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، والوفاء بعهد الله تعالى، ويحثه على الاجتماع وعدم التفرق والاختلاف؛ ولذا سمي شرع الله تعالى حبلاً لأنه موصل إلى الله بشتى الوسائل والطرق، يقول الرازي [٦٠٤هـ]: «لما كان النازل في البئر يعتصم بحبل، تحرزاً من السقوط فيها، كان كتاب الله وعهده ودينه وطاعته وموافقته لجماعة المؤمنين حرزاً لصاحبه من السقوط في قعر جهنم، جعل ذلك حبلاً لله، وأمروا بالاعتصام به»[(٤)]. وكذلك أنه متى ما أمكن حمل النص على المعنى الكلي الشامل لجميع التفسيرات، فهو أولى من الاقتصار على بعض أجزائه[(٥)].

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الشيخ جلال الدين المحلي الشافعي، برع في الفنون فقهاً وكلاماً وأصولاً ونحواً ومنطقاً وغيرها، ومصنفاته كثيرة، وأجل كتبه التي لم تكمل تفسير القرآن، توفي سنة ٨٦٤هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٣٣٦).

(٢) انظر: الوجيز (١/ ٢٢٥)؛ تفسير الجلالين (٦٣)؛ تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران) (١/ ٥٩٤).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٦٤٣).

(٤) التفسير الكبير (٨/ ١٤٢).

(٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧).

فتبين مما سبق أن الوصف (حبل الله) في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] يراد به شرع الله تعالى، ودينه القويم.. وأن الأولى عدم قصره على كتاب الله تعالى فحسب، بل هو أعم وأشمل منه، وإن كان يدخل فيه دخولاً أولياً. والله تعالى أعلم بمراده.

* * *

المطلب الرابع

وصفه بأنه داعي الله

ورد الوصف (داعي الله) في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١] والدعاء هو النداء، إلا أن النداء قد يقال: بيا، أو أيا، من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر[١].

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(داعي الله) على قولين:

الأول: أن المراد بداعي الله هو القرآن الكريم، وهو رأي أبي السعود[٢].

الثاني: أن المراد بداعي الله هو محمد ﷺ، وهو قول ابن عباس ومقاتل[٣].

واختاره جمع من المفسرين كابن جرير، والسمعاني، والثعلبي، وابن أبي زمنين، وابن عطية، والبغوي، والرازي، وابن كثير، والسمرقندي، وابن الجوزي، والقرطبي[٤].. وغيرهم.

---

(١) انظر: المفردات للراغب (دعا) (٣١٥)؛ بصائر ذوي التمييز (دعا) (٢/ ٦٠٠).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم (٨/ ٨٩). وانظر: روح المعاني (٢٦/ ٣٢)؛ فتح القدير (٥/ ٢٦)؛ التحرير والتنوير (١٠/ ٦١).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٢٩)؛ تنوير المقباس (٤٢٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٧٣)؛ تفسير السمعاني (٥/ ١٦٣)؛ الكشف والبيان (٩/ ٢٣)؛ تفسير القرآن العزيز (٤/ ٢٣١)؛ المحرر الوجيز (١٧١٦)؛ معالم التنزيل =

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ أنه الموافق لقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، والنداء هو الدعاء ـ كما سبق ـ وقوله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٦]، فالنبي ﷺ موصوف بأنه داع إلى الله تعالى، وخير ما يفسر به القرآن هو القرآن.

٢ ـ أن حمل (داعي الله) على القرآن مجاز؛ وذلك لاشتماله على طلب الاهتداء بهدى الله، والدعوة إليه، وحمله على الرسول ﷺ حقيقة، والحقيقة مقدمة على المجاز في كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ[(١)].

٣ ـ أنه قول جمهور المفسرين.

فتبين مما سبق أن الوصف (داعي الله) المراد به الرسول ﷺ في أصح قولي المفسرين، وعليه فلا يظهر وجه لصحة وصف القرآن بأنه (داعي الله) في هذه الآية، والله أعلم.

* * *

المطلب الخامس

وصفه بأنه الزبور

ورد الوصف (الزبور) في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] والزبور الكتاب والكتابة، يقال: زبرت الكتاب زبراً أي: كتبته، فهو زبور بمعنى: مفعول من زَبَر، مثل رسول، وجمعه (زُبُر)[(٢)].

= (١١٩٢)؛ التفسير الكبير (٢٨/٢٨)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/٢١٨)؛ تفسير السمرقندي (٣/٢٧٩)؛ زاد المسير (٧/٣٩٠)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢١٧).

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٣٨٧).

(٢) انظر: مختار الصحاح (ز ب ر)؛ المصباح المنير (زبره) (٢٥٠).

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(الزبور) في الآية الكريمة، على أقوال أبرزها:

الأول: أن (الزبور) القرآن، و(الذكر) التوراة، قاله سعيد بن جبير في رواية[(١)]؛ أي: كتبنا في القرآن من بعد التوراة.

الثاني: أن (الزبور) الكتب التي أنزلت بعد التوراة، و(الذكر) التوراة، قاله ابن عباس في رواية العوفي عنه، والضحاك[(٢)].

الثالث: أن (الزبور) جنس الكتب التي أنزلها الله تعالى على جميع الأنبياء، و(الذكر) أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ.. قاله سعيد بن جبير في رواية، ومجاهد، وابن زيد ومقاتل[(٣)].

ورجحه ابن جرير، والسعدي[(٤)].

الرابع: أن (الزبور) كتاب داود عليه السلام و(الذكر) التوراة، قاله الشعبي، وروي عن ابن عباس والحسن وقتادة[(٥)].

ورجحه ابن جزي، والألوسي[(٦)].

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ أن اسم (الزبور) أطلق في القرآن على كتاب داود عليه السلام وذلك في موضعين قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥][(٧)]، وأولى ما يفسر به القرآن هو القرآن، قال الراغب [٤٢٥هـ]: «وخص الزبور بالكتاب المنزل على داود عليه السلام»[(٨)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٣)؛ زاد المسير (٥/ ٣٩٧).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٣)؛ زاد المسير (٥/ ٣٩٧)؛ الدر المنثور (٥/ ٦٨٥).
(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٢)؛ تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٤)؛ الكشف والبيان (٦/ ٣١٣)؛ تفسير السمعاني (٣/ ٤١٢)؛ تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٧٠)؛ زاد المسير (٥/ ٣٩٧).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٤)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٥٣١).
(٥) انظر: المراجع السابقة.
(٦) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ٣٣)؛ روح المعاني (١٧/ ١٠٣).
(٧) وفي سورة النساء كذلك.
(٨) المفردات للراغب (٣٧٧).

٢ ـ أن لفظ الزبور مفرد، ودلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجميع[١].

٣ ـ أن النص ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ قد ورد في زبور داود[٢]، كما هو وارد في التوراة، كما حكى القرآن من قول موسى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨]، يقول ابن عاشور [١٣٩٣هـ]: «ولم أذكر الآن الجملة التي تضمنت هذا الوعد في المزامير، ووجدت في محاضرة للإيطالي المستعرب (فويدو) أن نص هذا الوعد من الزبور باللغة العبرية هكذا (صديقين برشون أرض).. أي: الصديقون يرثون الأرض»[٣].

٤ ـ قال الراغب [٤٢٥هـ]: «وقال بعضهم: الزبور، اسم للكتاب المقصور على الحِكَم العقلية دون الأحكام الشرعية.. ويدل على ذلك زبور داود عليه السلام لا يتضمن شيئاً من الأحكام»[٤] بخلاف التوراة والإنجيل والقرآن.. فقد أطلق عليها (كتاب).

وإن كان القول الثالث له وجاهته وقوته، يقول ابن جرير [٣١٠هـ]: «ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض، وذلك أن الزبور هو الكتاب، يقال: منه زبرت الكتاب وذبوته إذا كتبته، وأن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه فهو ذكر»[٥].

فتبين مما سبق أن الوصف (الزبور) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ لا يصح إطلاقه على القرآن، وأنه من أضعف الأقوال المحكية في هذه الآية الكريمة، وأن الأظهر في المراد بـ(الزبور) زبور داود، أو عموم الكتب المنزلة، والله تعالى أعلم بمراده.

* * *

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ٣٣). (٢) المرجع نفسه.
(٣) التحرير والتنوير (٧/ ١٦٢). (٤) المفردات (٣٧٧).
(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٤).

المطلب السادس
وصفه بأنه الصراط المستقيم

ذكر الله تعالى هذا الوصف في أكثر من آية من كتابه[١]؛ كقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا ميل فيه ولا عوج، يقول ابن جرير [٣١٠هـ]: «وأجمعت الحجة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا عوج فيه، وكذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي[٢]:

أمير المؤمنين على صراطٍ إذا اعوج الموارد مستقيم[٣]

... والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى، ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه»[٤].

وقد اختلف المفسرون ـ رحمهم الله ـ في المعنى الذي استعير له ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في المواضع التي ورد فيها، وتباينت أقوالهم في المراد به، وسأكتفي بالحديث عن موضعين فقط[٥]..

---

(١) تصل إلى خمس وثلاثين آية.

(٢) هو جرير بن عطية بن الخَطَفي، أبو حزرة التميمي الشاعر المشهور، كان من فحول الشعراء في الإسلام، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم، ولما مات الفرزدق وبلغ خبره جريراً بكى، وقال: أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده لقد كان نجمنا واحداً، وكان كل واحد منا مشغولاً بصاحبه وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه فكان كذلك، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: المنتظم (٧/ ١٤٨)؛ الوافي بالوفيات (١١/ ٦٢).

(٣) في ديوانه (٥٤٨).

(٤) تفسير الطبري (١/ ١٧١).

(٥) وذلك للأسباب الآتية: ١ ـ صعوبة الحديث عن كل آية، إذ الآيات تجاوزت الثلاثين آية. ٢ ـ أن الكلام فيها ـ غالباً ـ مكرر، حتى إن ابن أبي حاتم ذكر الأقوال =

[١] **الموضع الأول:** ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦].

ذكر المفسرون أقوالاً في المراد بـ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في هذه الآية، وهي:

الأول: أنه القرآن الكريم، وهو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود في رواية(١).

واستدل له بما روى الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم**»(٢).

الثاني: أنه الرسول ﷺ وصاحباه، وهو قول أبي العالية(٣).

الثالث: الدين الإسلامي، وهو قول ابن عباس، وابن مسعود في رواية، وجابر بن عبد الله(٤)، وابن زيد وابن الحنفية(٥)(٦)، ومقاتل بن سليمان(٧).

= والروايات في المواضع الأولى، ثم بعد ذلك أصبح يشير إليها.. فتجده يقول (وقد تقدم تفسير الصراط المستقيم غير مرة). انظر: على سبيل المثال (٦/ ١٩٤٣) (٦/ ٢٠٤٧) (٨/ ٢٦٢١). ٣ ـ أن الموضعين اللذين تم اختيارهما، هما ما استشهدا به من جمع أسماء القرآن، فقد استشهد أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك على هذا الوصف بقوله تعالى: (﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ (البرهان١/ ٣٧١)، واستشهد الفيروزآبادي بقوله تعالى: (﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ (بصائر ذوي التمييز ١/ ٩٣). ٤ ـ أن المفسرين أطالوا الحديث فيهما بذكر الأقوال والترجيح بينها، بخلاف بقية المواضع.

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٧٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٠)؛ الكشف والبيان (١/ ٢٠)؛ المحرر الوجيز (٤٥)؛ الدر المنثور (١/ ٣٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) هو محمد ابن الإمام علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب القرشي الهاشمي المدني، أخو الحسن والحسين، وأمه من سبي اليمامة، زمن أبي بكر الصديق وهي خولة بنت جعفر الحنفية، رأى عمر وروى عنه وعن أبيه وعن أبي هريرة وعثمان، وعمار بن ياسر ومعاوية وغيرهم، توفي سنة ٨٠هـ. انظر: المنتظم (٦/ ٢٨٨)؛ سير أعلام النبلاء (٤/ ١١٠).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٧٥).

(٧) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٢٥).

ورجحه الزمخشري، والسمرقندي، وأبو السعود، والنسفي(١).

وجميع هذه الأقوال يصدق بعضها بعضاً، ويشهد بعضها لبعض، وهي بمجموعها ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، يقول ابن جرير [٣١٠هـ]: «والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي.. أن يكون معنياً به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك، من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمره به، والانزجار عما زجر عنه، واتباع منهاج النبي ﷺ ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، وكل عبد صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم»(٢)، وقال نحوه ابن عطية وابن كثير(٣).

وقال ابن القيم [٧٥١هـ]: «ولا ريب أن ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه علماً وعملاً، وهو معرفة الحق وتقديمه وإيثاره على غيره فهو الصراط المستقيم، وكل هذه الأقوال المتقدمة دالة عليه، جامعة له»(٤).

وكل ما أمكن حمل النص على المعنى الكلي الشامل لجميع التفسيرات، فهو أولى من الاقتصار على بعض أجزائه(٥).

وقصر الوصف هنا على معنى القرآن فحسب، مردود من وجهين:

الأول: أن قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾، والذين أنعم الله عليهم، بيَّنهم الله تعالى

---

(١) انظر: الكشاف (١/ ١٢١)؛ تفسير السمرقندي (١/ ٤٣)؛ إرشاد العقل السليم (١/ ١٨)؛ مدارك التنزيل (١/ ٨).

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٧١).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٤٥)؛ تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٠). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٤).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٥٩).

(٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧).

في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩]، ومعلوم أن من تقدمنا لم يكن عندهم قرآن[١]..

الثاني: أن العلماء تكلموا في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه المرفوع، بل وضعفوه، وأن الصحيح أنه من قول علي رضي الله عنه قال ابن كثير [٧٧٤هـ]: «والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا، والله أعلم، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم من رفعه»[٢]، وقال في موضع آخر: «وقد روي موقوفاً على علي وهو أشبه»[٣].

وعليه فلا يظهر وجه لوصف القرآن بـ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ في هذه الآية، بل هو يشمل القرآن وغيره، والله تعالى أعلم بمراده.

[٢] الموضع الثاني: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

اختلف المفسرون في المراد بـ(الصراط)، على قولين:

الأول: أنه القرآن، وتكون الإشارة إلى الوصايا المتقدمة في الآيتين السابقتين، أو إلى القرآن كله[٤].

الثاني: أنه الإسلام، وهو قول ابن مسعود وابن زيد[٥].

ورجحه جمع من المفسرين؛ كابن جرير، وابن أبي زمنين، وابن عطية،

---

(١) انظر: التفسير الكبير (١/ ٢٠٧). وانظر: الكشاف (١/ ١٢١).
(٢) انظر: فضائل القرآن في مقدمة تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة (١/ ٢١).
(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٠).
(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ١٨٨)؛ زاد المسير (٣/ ١٥٤)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٦).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٦٧١)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤١٢)؛ الدر المنثور (٣/ ٣٨٦).

والزمخشري، والسمرقندي، والقرطبي، والشوكاني[(١)].. وغيرهم.

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ أن الله تعالى فسر هذا الصراط المستقيم بالإسلام والدين القويم، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦١]، وأولى ما يفسر به القرآن هو القرآن.

٢ ـ أنه ورد التفسير النبوي بذلك، حيث روى الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَطَّ خَطّاً هَكَذَا أَمَامَهُ، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ ﷻ»، وَخَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ وَخَطَّيْنِ عَنْ شِمَالِهِ، قَالَ: «هَذِهِ سَبِيلُ الشَّيْطَانِ»، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الأَسْوَدِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾»[(٢)].

٣ ـ أن هذا القول يشمل القول السابق، سواء كانت الإشارة إلى الوصايا المتقدمة، أو إلى القرآن؛ لأن الشريعة الإسلامية شاملة للكتاب والسنة.. وغيرهما، قال الرازي [٤٠٦هـ]: «لما بين تعالى في الآيتين المتقدمتين ما وصى به، أجمل في آخره إجمالاً يقتضي دخول ما تقدم فيه، ودخول سائر الشريعة فيه، فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾، فدخل فيه كل ما بينه الرسول ﷺ من دين الإسلام، وهو المنهج القويم والصراط المستقيم»[(٣)].

٤ ـ أنه قول جمهور المفسرين.

فتبين مما سبق أن إطلاق هذا الوصف ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ في القرآن الكريم، يراد به الإسلام، والدين القويم.. ويدخل فيه دخولاً أولياً القرآن

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٦٧١)؛ تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٠٦)؛ المحرر الوجيز (٦٧٧)؛ الكشاف (٢/ ٤١٢)؛ تفسير السمرقندي (١/ ٥١٢)؛ الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٣٧)؛ فتح القدير (٢/ ١٠٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب: اتباع سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، حديث [١١]، وأحمد في مسنده [١٤٨٥٣]؛ وصححه الألباني.

(٣) التفسير الكبير (١٤/ ٤).

الكريم.. ولكن لا يقصر عليه؛ لأنه أعم وأشمل منه، كما هو وارد في القرآن الكريم، ومفسر في السنة النبوية.

وتبين كذلك أن من استدل على أن الصراط المستقيم يراد به القرآن سواء في الموضعين السابقين، أو في بقية المواضع إنما اعتمد على حديث علي رضي الله عنه ـ السابق ـ وقد سبق تخريجه، وبيان تضعيف العلماء للحديث، وأن الصحيح أنه من قوله رضي الله عنه، و ـ أيضاً ـ هو وصف عام أطلقه علي رضي الله عنه، ولا يريد به تفسير آية محددة، أو موضع معين ـ فيما يظهر ـ فالأولى أن تحمل الآيات على المعنى الأصلي الذي هو الإسلام، الوارد في القرآن، والمفسر في السنة النبوية، ومن ذلك ما رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، على كتفي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى الصراط داع يدعو، يقول: يا أيها الناس اسلكوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو على الصراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب، قال: ويلك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والستور حدود الله..**» الحديث[(١)]. وغيره من الأحاديث.

* * *

المطلب السابع

وصفه بأنه الطيب

ورد الوصف (الطيب) في قول الله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٤]، والطيب أصل يدل على خلاف الخبيث، يقال: طاب يطيب طيبة فهو طيب[(٢)]، وأصل الطَّيِّب: ما تستلذه

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [١٧١٨٤]؛ والحاكم في مستدركه (١/ ١٤٤)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم؛ وصححه الألباني (صحيح وضعيف الجامع الصغير [٣٨٨٧]).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (طيب) (٦٠٥)؛ المفردات للراغب (طيب) (٥٢٧)؛ مختار الصحاح (ط ي ب).

الحواس، وما تستلذه النفس[(١)].

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(الطيب) في الآية السابقة، على أقوال عدة، حاصلها قولان اثنان، هما:

الأول: أن المراد ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ في الدنيا، فقيل: كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، قاله ابن عباس والضحاك وابن زيد[(٢)]، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤]، واختاره ابن جرير، وابن أبي زمنين، وابن سعدي[(٣)].

وقيل: القرآن، قاله السدي[(٤)].

وقيل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[(٥)].

الثاني: أن المراد ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ في الآخرة، وهو قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤]، وقول الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤][(٦)].

واختاره الزمخشري، وابن كثير، وأبو السعود، وابن عاشور[(٧)].

---

(١) انظر: المفردات (٥٢٧)؛ بصائر ذوي التمييز (طيب) (٣/ ٥٣١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٥٠٠)؛ الكشف والبيان (٧/ ١٥)؛ تفسير السمعاني (٣/ ٤٣١)؛ معالم التنزيل (٨٦٣)؛ تفسير السمرقندي (٢/ ٤٥٤)؛ التفسير الكبير (٢٣/ ٢١)؛ زاد المسير (٥/ ٤١٨)؛ الجامع للقرطبي (١٢/ ٣٠)؛ الدر المنثور (٦/ ٣٤)؛ تنوير المقباس (٢٧٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٥٠٠)؛ تفسير القرآن العزيز (٣/ ١٧٦)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٥٣٦).

(٤) انظر: المراجع السابقة.

(٥) انظر: النكت والعيون (٤/ ١٥)؛ زاد المسير (٥/ ٤١٨).

(٦) انظر: المراجع السابقة.

(٧) انظر: الكشاف (٤/ ١٨٤)؛ تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٨٧)؛ إرشاد العقل السليم (٦/ ١٠٢)؛ التحرير والتنوير (٧/ ٢٣٤).

وهو الأظهر، وذلك من وجهين:

١ ـ أنه الموافق لقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤]، وقوله: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٣]، وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقوله: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥]، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة، وأولى ما يفسر به القرآن هو القرآن.

٢ ـ دلالة السياق، وذلك أن الله تعالى ذكر حال أهل النار، وما يلبسونه من ثياب، ويلاقونه من عذاب، وقول خزنة جهنم لهم: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].. ثم ذكر مقابل ذلك حال أهل الجنة ـ جعلنا الله منهم ـ وما أعده من جنات تجري تحتها الأنهار، وما يحلونه من أساور من ذهب ولؤلؤ، ويلبسونه من الحرير، مقابل ثياب أهل النار، وما ينادون به، ويقال لهم: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ مقابل ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

فتبين مما سبق أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ في الآخرة، وذلك بقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤]، وقول الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤] وعليه.. فلا يظهر وجه صحيح لوصف القرآن بأنه (الطيب) في هذه الآية الكريمة، والله أعلم.

* * *

المطلب الثامن

وصفه بأنه العروة الوثقى

ورد هذا الوصف في موضعين من كتاب الله تعالى، قال سبحانه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ

﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، والعروة ما يتعلق به من عُراه أي: ناحيته، وهي الموضع الذي يمسك به، ويقبض عليه، ويكون كالحلقة في طرف الشيء.. وهو أقوى ركن، وأشد من غيره، وقد تكون العروة في حبل يشد طرفه إلى بعضه ويعقد، فيصير مثل الحلقة فيه، ويكون أقوى من غيره(١)، والوثقى: المحكمة المتقنة للشد والربط(٢).

وفي الآيتين تشبيه بحال المؤمن المتمسك بأقوى ركن، وأعظم جانب، حيث لا تميل به الأهواء، ولا تؤثر فيه الشبهات، فهو راسخ القدم، ثابت النفس، مطمئن القلب في هذه الدنيا.. إلا أن المفسرين اختلفوا في الشيء المشبه به، الموصوف بـ(العروة الوثقى) على أقوال:

الأول: أنه القرآن، قاله أنس بن مالك(٣).

الثاني: كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وسفيان والضحاك(٤).

الثالث: الإسلام، قاله السدي ومجاهد ومقاتل(٥)، ورجحه جمع من المفسرين؛ كالسمعاني، والسمرقندي، والرازي، والغرناطي، والسعدي(٦).

وجميع هذه الأقوال صحيحة متقاربة في المعنى، متحدة في الدلالة.. ولكن لعل أشملها وأوسعها معنى ودلالة في المراد بـ(العروة الوثقى) أنه الدين الإسلامي، الذي من تمسك به نجا وظفر في الدنيا والآخرة، فإنه لا انقطاع له دون الجنة، وذلك من وجوه:

---

(١) انظر: المفردات للراغب (عرى) (٥٦٣)؛ الكشاف (١/ ٤٨٧)؛ التحرير والتنوير (٢/ ٢٩).

(٢) المراجع نفسها.

(٣) انظر: تفسر ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٦)؛ تفسير القرآن العظيم (١/ ٤١٧)؛ الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٨٢)؛ البحر المحيط (٢/ ٤٥٤)؛ الدر المنثور (٢/ ٢٢).

(٤) المراجع نفسها. وانظر: تفسير الطبري (٤/ ٤٦٠)؛ المحرر الوجيز (٢٣٢).

(٥) المراجع نفسها. وانظر: تفسير مقاتل (١/ ١٣٧).

(٦) انظر: تفسير السمعاني (١/ ٢٦٠)؛ تفسير السمرقندي (١/ ١٩٥)؛ التفسير الكبير (٧/ ١٥)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩٠)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (١١١).

١ ـ أنه الموافق للتفسير النبوي، فقد روى البخاري ومسلم عن عبد اللهِ بن سَلَام قال: رأيت كَأَنِّي في رَوْضَةٍ، وسط الرَّوْضَةِ عَمُودٌ، في أَعْلَى الْعَمُودِ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لي: ارْقَهْ، قلت: لَا أَسْتَطِيعُ، فَأَتَانِي وَصِيفٌ فَرَفَعَ ثِيَابِي، فَرَقِيتُ فَاسْتَمْسَكْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَانْتَبَهْتُ وأنا مُسْتَمْسِكٌ بها، فَقَصَصْتُهَا على النبي ﷺ، فقال: تِلْكَ الرَّوْضَةُ رَوْضَةُ الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الْإِسْلَامِ وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَى لَا تَزَالُ مُسْتَمْسِكاً بِالْإِسْلَامِ حتى تَمُوتَ» متفق عليه(١)، وأولى ما يفسر القرآن بعد القرآن هو السنة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

٢ ـ دلالة السياق، وهي ظاهرة، حيث نص الله تعالى على أن من آمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى التي هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.. وأركان الإسلام الخمسة.. بل قال ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عن الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الْإِيمَانِ**»(٢).

٣ ـ أنه متى ما أمكن حمل النصوص على المعنى الكلي الشامل لجميع التفسيرات الأخرى، فهو أولى وأحرى من التفسير بالجزء، أو بالمثال(٣)، وتفسير (العروة الوثقى) بالإيمان يشمل جميع الأقوال الأخرى.

٤ ـ أنه قول أكثر المفسرين، يقول ابن جرير [٣١٠هـ]: «والعروة في هذا المكان مَثَلٌ للإيمان الذي اعتصم به المؤمن، فشبهه في تعلقه به

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: مناقب عبد الله بن سلام، حديث [٣٦٠٢]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن سلام، حديث [٢٤٨٤].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان، حديث [٣٥].

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧).

وتمسكه، بالمتمسك بعروة الشيء الذي له عروة يتمسك بها، إذ كان كل ذي عروة فإنما يتعلق من أراده بعروته، وجعل جل ثناؤه الإيمان.. من أوثق عرى الأشياء، بقوله: ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾»[(١)].

فتبين مما سبق أن المراد بـ: ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ في الآيتين هو الدين الإسلامي المشتمل على الإيمان والإسلام والقرآن.. وأنه لا يقصر على القرآن فقط.. وعليه فالأظهر أن العروة الوثقى لا تعد وصفاً للقرآن الكريم، بل هي أعم وأشمل منه.

* * *

المطلب التاسع

وصفه بأنه الغيب

ورد الوصف (الغيب) في أكثر من آية في كتاب الله تعالى[(٢)]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ [التكوير: ٢٤]، وأصل الغيب: كل ما غاب عنك، وتستر عن الأنظار، ثم يقاس عليه[(٣)]، واستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب[(٤)].

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(الغيب) في الآية الكريمة، على قولين:

الأول: أنه القرآن الكريم، قاله ابن مسعود وابن زيد وزر بن حبيش[(٥)]

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٤٥٩).

(٢) تجاوزت الأربعين آية.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (غيب) (٧٧٩)؛ مختار الصحاح (غ ي ب).

(٤) انظر: المفردات (غيب) (٦١٦).

(٥) هو زر بن حبيش بن حباشة بن أوس بن هلال أو ابن بلال الأسدي من بني أسد بن خزيمة، يكنى أبا مريم، وقيل يكنى أبا مطرف، أدرك الجاهلية، ولم ير النبي ﷺ وهو من جلة التابعين، من كبار أصحاب ابن مسعود، أدرك أبا بكر وعمر وروى عن عمر وعلي وروى عنه الشعبي وإبراهيم النخعي، وكان عالماً بالقرآن قارئاً فاضلاً، توفي سنة ٨٣هـ. انظر: الاستيعاب (٢/ ٥٦٣)؛ الإصابة (٢/ ٦٣٣).

ومقاتل[١].

والمعنى: وما محمد ﷺ على القرآن بمتهم، بل هو ثقة فيما يؤديه عن الله تعالى.

واختاره السمرقندي والرازي[٢].

الثاني: الوحي ـ عموماً ـ، والمعنى: وما محمد ﷺ على الوحي الذي جاءه من عند الله تعالى بمتهم.. قاله ابن عباس والضحاك وعكرمة[٣].

واختاره ابن جرير، والثعلبي، والسمعاني، والزمخشري، وابن جزي الغرناطي، والسعدي، وابن عثيمين[٤].. وغيرهم.

وهو الأظهر، وذلك أنه متى ما أمكن حمل النصوص على المعنى الشامل لجميع التفسيرات فهو أولى وأحرى، ولا شك أن القرآن يدخل دخولاً أولياً في (الوحي)، وهو ـ أيضاً ـ قول جمهور المفسرين، بل قال ابن القيم [٧٥١هـ]: «وأجمع المفسرون على أن الغيب في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ هٰهنا القرآن والوحي»[٥].

فالأمر هين، والخطب يسير، ولكن حمله على العموم أولى وأقرب لاشتماله على القرآن وغيره.. وهو الموافق للاستعمال اللغوي ـ كما سبق ـ.

ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، قال زر بن حبيش: أي: القرآن[٦]، قال الراغب [٤٢٥هـ]: «والغيب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٧)؛ تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٨)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦١٨)؛ الدر المنثور (٨/ ٤٣٥).

(٢) انظر: تفسير السمرقندي (٣/ ٥٣١)؛ التفسير الكبير (٣١/ ٦٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٨)؛ الدر المنثور (٨/ ٤٣٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٨)؛ الكشف والبيان (١٠/ ١٤٢)؛ تفسير السمعاني (٦/ ١٧٠)؛ الكشاف (٦/ ٣٢٧)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ١٨٢)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٩١٣)؛ تفسير القرآن الكريم (جزء عم) (٨٠).

(٥) التبيان في أقسام القرآن (٧٨).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٤٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٦)؛ النكت والعيون (١/ ٦٩).

بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بدائه العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام.. ومن قال: الغيب القرآن، ومن قال: هو القدر، فإشارة إلى بعض ما يقتضيه لفظه»(١).

فتبين مما سبق أن الوصف (الغيب) في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ الأولى حمله على عموم الوحي، وعدم قصره على القرآن فحسب، وهو ما رجحه جمهور المفسرين، والله أعلم.

* * *

المطلب العاشر

فضل الله ورحمته

ورد الوصف (فضل الله ورحمته) في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨]، وذلك بعد ذكر الأوصاف الصريحة للقرآن الكريم، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]، وقد ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة في المراد بـ(الفضل) و(الرحمة) بلغت ثمانية أقوال(٢)، وهي من باب اختلاف التنوع لا التضاد ـ والحمد لله ـ، ويمكن أن تجمع في قولين فقط، وهما:

الأول: القول بالتخصيص، واختلفت أقوال المفسرين في بيان المراد من كليهما، فقيل: الفضل الإسلام، والرحمة القرآن، قاله ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة عنه، وزيد بن أسلم(٣) وقتادة وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، وهلال بن يساف(٤)، وروي عن الحسن ومجاهد(٥).

---

(١) المفردات (٦١٦ ـ ٦١٧).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٠).

(٣) هو زيد بن أسلم العدوي أبو أسامة ويقال أبو عبد الله المدني الفقيه مولى عمر، وهو ثقة، توفي سنة ١٣٦هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٤١)؛ تقريب التهذيب (٢٢٢).

(٤) هو هلال بن يساف، ويقال بن إساف الأشجعي، مولاهم الكوفي ثقة. انظر: تقريب التهذيب (٥٧٦).

(٥) انظر: تفسير الصنعاني (٢/ ٢٩٦)؛ تفسير الطبري (١٢/ ١٩٥)؛ تفسير ابن أبي حاتم =

وقيل: الفضل القرآن، والرحمة الإسلام، قاله زيد بن أسلم والضحاك وابن زيد ومقاتل[١].

وقيل: فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلهم من أهل القرآن، قاله أبو سعيد الخدري[٢] وابن عباس - رضي الله عنهم جميعاً - في رواية العوفي عنه، والحسن في رواية[٣].

وقيل: فضل الله الإسلام، ورحمته تزيينه في القلوب، قاله ابن عمر[٤][٥].

وقيل: فضل الله الإسلام، ورحمته السنة، قاله خالد بن معدان[٦][٧].

وقيل غير ذلك[٨]..

الثاني: القول بالعموم، ويراد به ما نالهم من الهدى والنور والفرقان،

= (٦/ ١٩٥٨)؛ المحرر الوجيز (٩١٣)؛ زاد المسير (٤/ ٤٠)؛ الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٥٣)؛ الدر المنثور (٤/ ٣٦٧).

(١) المراجع نفسها. وانظر: تفسير مقاتل (٢/ ٩٦).

(٢) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، أول مشاهده الخندق وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ سنناً كثيرة، وروى عنه علماً جماً، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، توفي سنة ٧٤هـ. انظر: الاستيعاب (٢/ ٦٠٢)؛ الإصابة (٣/ ٧٨).

(٣) المراجع نفسها.

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل، كان إسلامه بمكة مع إسلام أبيه عمر بن الخطاب، ولم يكن بلغ يومئذ، وهاجر مع أبيه الى المدينة، ويكنى بأبي عبد الرحمٰن، وكان لعبد الله بن عمر من الولد اثنا عشر وأربع بنات، توفي سنة ٧٣هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٤/ ١٤٢)؛ سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٣).

(٥) انظر: الكشف والبيان (٥/ ١٣٥).

(٦) هو خالد بن معدان، أبو عبد الله الكلاعي الحمصي، عالم أهل بلده في زمانه، حدث عن خلق من الصحابة، توفي سنة ١٠٣هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٥)؛ سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣٦).

(٧) انظر: الكشف والبيان (٥/ ١٣٥)؛ زاد المسير (٤/ ٤٠)؛ الدر المنثور (٤/ ٣٦٧).

(٨) انظر: المراجع السابقة.

والتوفيق إلى اتباع شرع الله، والتمسك به، وما سينالهم من العفو والرحمة والرضوان من الله تعالى.. ويدخل فيه دخولاً أولياً القرآن الكريم.

ورجحه ابن عطية، وابن القيم، والشوكاني، وغيرهم(١).

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ أنه لا يوجد دليل على تخصيص (الفضل) أو (الرحمة) بمعنى من المعاني، والأصل حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص يخصصه، يقول ابن عطية [٥٤٦هـ]: «ولا وجه عندي لشيء من هذا التخصيص إلا أن يستند منه إلى النبي ﷺ، وإنما الذي يقتضيه اللفظ، ويلزم منه أن الفضل هو هداية الله تعالى إلى دينه.. والرحمة هي عفوه وسكنى جنته»(٢).

٢ ـ أن الذين خصصوا (الفضل) أو (الرحمة) بمعنى من المعاني، اختلفت أقوالهم، وتباينت آراؤهم.. بل واختلفت أقوال الإمام الواحد، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عدة روايات في ذلك، ومثله الحسن.. وغيرهما، مما يدل على أنهم أرادوا التمثيل والتقريب، لا الحصر والقطع به.

٣ ـ أن كلاً من الإسلام والقرآن.. قد اشتملا على الفضل والرحمة، يقول ابن القيم [٧٥١هـ]: «والتحقيق أن كلاً منهما ـ الإسلام والقرآن ـ فيه الوصفان الفضل والرحمة، وهما الأمران اللذان امتن الله بهما على رسوله عليه الصلاة والسلام، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢]»(٣)، فلا وجه لقصر ذلك على أحدهما.

٤ ـ أن الإسلام والقرآن يدخلان دخولاً أولياً في عموم قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٩١٣)؛ الضوء المنير (٣/ ٤٥٧)؛ فتح القدير (٢/ ٤٥٣). وانظر: فتح البيان (٦/ ٨٣)؛ التفسير القرآني للقرآن للخطيب (٣/ ١٠٣٥).

(٢) المحرر الوجيز (٩١٣).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٣٢).

فتبين مما سبق أنه لا يصح حمل قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨] على القرآن فحسب، حتى يصبح وصفاً له، بل المراد هو عموم الفضل والرحمة من الله تعالى.

* * *

المطلب الحادي عشر

وصفه بأنه الكوثر

ورد الوصف (الكوثر) في قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١] والكاف والثاء والراء أصل صحيح يدل على خلاف القِّلة، ومن ذلك الشيء الكثير(١)، والكوثر من الرجال السيد الكثير الخير، والكوثر من الغبار الكثير(٢).

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(الكوثر) على أقوال عِدَّة(٣)، يمكن إجمالها في قولين:

الأول: أن المراد بـ(الكوثر) الخير الكثير، والفضل العميم، الذي أعطيه النبي ﷺ روي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير(٤).

ويشمل خيري الدنيا والآخرة(٥)، ومن خير الدنيا النبوة والإسلام والقرآن(٦)، والأولاد وعلماء أمته وكثرة أتباعه، والمؤمنين به.. وخير الآخرة المقام المحمود، والنهر.. وغيرها(٧).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (كثر) (٨٨٦). (٢) مختار الصحاح (ك ث ر).

(٣) أوصلها بعضهم إلى ستة وعشرين قولاً. انظر: البحر المحيط (٨/ ٧٤١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٣)؛ تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٠)؛ النكت والعيون (٦/ ٣٥٥)؛ زاد المسير (٩/ ٢٤٧)؛ الدر المنثور (٨/ ٦٤٧).

(٥) قاله مجاهد. انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٤).

(٦) وهو قول عكرمة والحسن. انظر: المراجع السابقة.

(٧) انظر: تفسير الصنعاني (٣/ ٤٠١)؛ المحرر الوجيز (٢٠٠٧)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٧٢٢)؛ التفسير الكبير (٣٢/ ١١٨)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٢٠)؛ روح المعاني (٣٠/ ٢٤٥)؛ فتح القدير (٥/ ٥٠٢). والمراجع السابقة.

الثاني: أن المراد بـ(الكوثر) نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمداً ﷺ، وهو قول ابن عمر وعائشة وأنس بن مالك وابن عباس وجماعة من الصحابة، ومجاهد وأبي العالية ومقاتل[١].

قال الرازي [٦٠٤هـ]: «وهو المشهور والمستفيض عند السلف والخلف»[٢].

ورجحه جمع من المفسرين؛ كابن جرير، والقرطبي، وأبي حيان، وابن جزي الغرناطي[٣].. وغيرهم.

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ - ورود النص الصحيح الصريح في السنة النبوية على أن المراد بـ(الكوثر) في الآية هو النهر الذي أعطاه الله نبيه محمداً ﷺ في الجنة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَيْنَا رسول اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ بين أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، فَقُلْنَا: ما أَضْحَكَكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ**»، فَقَرَأَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ثُمَّ قال: «**أَتَدْرُونَ ما الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «**فإنه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل عليه خَيْرٌ كَثِيرٌ هو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يوم الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ منهم فَأَقُولُ: رَبِّ إنه من أُمَّتِي فيقول: ما تَدْرِي ما أَحْدَثَتْ**»[٤] وأولى ما يفسر القرآن بعد القرآن، السنة النبوية.

٢ - أنه على فرض صحة القول الأول، وحمل ذلك على عموم معنى (الكوثر)

---

(١) انظر: المراجع السابقة. (٢) التفسير الكبير (٣٢/ ١١٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٥)؛ الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢١٦)؛ البحر المحيط (٨/ ٧٤١)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٢٠)..

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة، حديث [٤٠٠].

في اللغة؛ فإنه لا يَعدُ أن يكون القرآن هو أحد أنواع الخير الذي أعطيه النبي ﷺ، ومثال من أمثلته الدنيوية. . فلا وجه لقصره عليه.

٣ ـ أن كون المراد بـ(الكوثر) القرآن مخالف لما عليه السلف الصالح، وجميع المفسرين[١]، وإذا انفرد مفسر في تفسير آية بقول خالف فيه عامة المفسرين، ولم يكن لقوله هذا دلالة قوية وواضحة، فهو قول شاذ، وقول الجماعة أولى بالصواب[٢].

فتبين مما سبق أن وصف القرآن بـ(الكوثر) في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١] لا يصح، وأن المراد هو النهر العظيم الذي أعطاه الله تعالى نبيه محمداً ﷺ ـ كما سبق ـ والله تعالى أعلم.

* * *

المطلب الثاني عشر

وصفه بأنه منادٍ

ورد الوصف (مناد) في القرآن الكريم، في قوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وأصل النِّداء من النَّدى؛ أي: الرطوبة، يقال: صوت ندي رفيع، واستعارة النداء للصوت من حيث إن من يَكثر رطوبة فمه حَسُن كلامه[٣]، والنداء: هو الصوت الرفيع، يقال: ناداه مناداة ونداء؛ أي: صاح به[٤].

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(المنادي) في قوله تعالى: ﴿مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ على قولين:

---

(١) حيث لم أجد أحداً من المفسرين نص على أنه القرآن، وذلك فيما اطلعت عليه ورجعت إليه، إلا حكاية في قول الحسن البصري، والفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز (١/ ٩٤).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٨٨).

(٣) المفردات للراغب (ندا) (٧٩٧).

(٤) انظر: المرجع نفسه، ومختار الصحاح (ن د ا)

الأول: أنه القرآن الكريم، قاله محمد بن كعب القرظي، وقتادة[(١)].

واختاره ابن جرير الطبري[(٢)]، وذلك أن كثيراً ممن ورد وصفهم في الآيات ليسوا ممن رأى النبي ﷺ ولقيه، فيسمعوا دعاءه إلى الله تعالى ونداءه، ولكنه القرآن، وهو نظير قوله تعالى مخبراً عن الجن إذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١ ـ ٢][(٣)].

الثاني: أنه الرسول ﷺ، قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما[(٤)]، وابن جريج وابن زيد[(٥)]، ومقاتل[(٦)].

واختاره جمع من المفسرين؛ كابن أبي زمنين، والثعلبي، والراغب الأصفهاني، وابن كثير، والسمرقندي، والقرطبي، وابن جزي الغرناطي، والسعدي[(٧)].. وغيرهم.

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ أنه الموافق لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣١٤)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٢)؛ النكت والعيون (١/ ٤٤٢)؛ معالم التنزيل (٢٦٨)؛ الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣١٥).

(٣) المرجع نفسه، وهو مفهوم قول محمد بن كعب وقتادة.

(٤) انظر: معالم التنزيل (٢٦٨)؛ زاد المسير (١/ ٥٢٨)؛ الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣١٤)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٢)؛ النكت والعيون (١/ ٤٤٢)؛ المحرر الوجيز (٣٩٣)؛ زاد المسير (١/ ٥٢٨).

(٦) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٢٠٩)؛ زاد المسير (١/ ٥٢٨).

(٧) انظر: تفسير القرآن العزيز (١/ ٣٤١)؛ الكشف والبيان (٣/ ٢٣٣)؛ تفسير الراغب (٢/ ١٠٤٩)؛ تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٨٣)؛ تفسير السمرقندي (١/ ٦٩٩)؛ الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٧)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٢٧)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (١٦١).

﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، فالنبي ﷺ موصوف بأنه داعٍ إلى الله تعالى، والنداء في حقيقته دعاء ـ كما سبق ـ، وخير ما يفسر به القرآن هو القرآن، وإيثار المنادي على الداعي هنا «للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها إلى الداني والقاصي، لما فيه من الإيذان برفع الصوت»(١).

٢ ـ أن حمل (المنادي) على القرآن مجاز؛ لأنه لما كان مشتملاً على الرشد والهدى، كان من تأمل فيه، وتدبره وآمن به، وصل به إلى الحق.. فصار كأنه يدعو إلى نفسه(٢).

وتفسيره بالرسول ﷺ حقيقة(٣)، والحقيقة مقدمة على المجاز في كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ(٤)، يقول ابن عبد البر [٤٦٣هـ]: «وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق؛ لأنه يقص الحق، وقوله حق»(٥).

٣ ـ أنه يمكن أن يجاب عن قول محمد بن كعب القرظي: «ليس كل الناس سمع النبي ﷺ»(٦)، بجوابين:

أ ـ أن يقال كل من سمع القرآن فكأنما لقي النبي ﷺ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام يدعو بهذا القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩](٧).

ب ـ أن السماع من محمد ﷺ يكون على وجهين: أحدهما: أن يسمعوا صوته مباشرة، بدون واسطة. والثاني: أن يسمعوا من ورثته ما جاء به، وهم العلماء.. وكل هذا داخل في الآية(٨).

---

(١) إرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٢). (٢) انظر: التفسير الكبير (٩/ ١١٨).
(٣) انظر: البحر المحيط (٣/ ١٩٨)؛ روح المعاني (٤/ ١٦٣).
(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٣٨٧).
(٥) التمهيد (٥/ ١٦).
(٦) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣١٤)؛ تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٢).
(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣١٧).
(٨) انظر: تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران) (٢/ ٥٥٣).

٤ ـ أنه قول أئمة التفسير، واختيار جمهوره.

فتبين مما سبق أن وصف (المنادي) في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، لا يراد به القرآن على أصح قولي المفسرين، فلا يُعدُّ وصفاً للقرآن، يقول محمد أبو شهبة [١٤٠٣هـ]: و«في بعض ما عدوه اسماً للقرآن بعداً وتكلفاً في أن المراد به القرآن، وذلك مثل عدهم من الأسماء (منادياً) لقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]»(١).

* * *

المطلب الثالث عشر
وصفه بأنه الميزان

ورد الوصف (الميزان) في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمٰن: ٧]، والوزن أصل يدل على تعديل واستقامة، يقال: وزنت الشيء وزناً، ويقال: قام ميزان النهار، إذا انتصف، والوزن معرفة قدر الشيء(٢).

وقد اختلف المفسرون في المراد بـ(الميزان) في الآية، على أقوال ثلاثة:

الأول: أنه القرآن الكريم، قاله الحسين بن الفضل(٣)(٤).

الثاني: الميزان المعروف، قاله الحسن وقتادة والضحاك ومقاتل(٥).

---

(١) المدخل لأبي شهبة (٢٤).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (وزن) (١٠٥١)؛ المفردات للراغب (وزن) (٨٦٨)؛ مختار الصحاح (وزن).

(٣) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي ثم النيسابوري، أبو علي المفسر الأديب إمام عصره، وكان من العلماء الكبار العابدين، توفي سنة ٢٨٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٤)؛ طبقات المفسرين (٤٨).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٧٨)؛ زاد المسير (٨/ ١٠٧)؛ الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٥٤)؛ إرشاد العقل السليم (٨/ ١٧٧)؛ فتح القدير (٥/ ١٣٢).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣٠٣) والمراجع نفسها.

واختاره الزمخشري والنسفي[(١)].

الثالث: العدل، قاله ابن عباس ومجاهد والسدي[(٢)].

واختاره ابن جرير، والرازي، وابن كثير، والسمرقندي، والسعدي، وابن عثيمين[(٣)].. وغيرهم.

وعزا القول ابن الجوزي وأبو حيان إلى أكثر المفسرين[(٤)].

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ أنه الموافق لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧]، وقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وأولى ما يفسر به القرآن هو القرآن.

٢ ـ أن كون المراد بـ(الميزان) العدل يشمل العدل بين العباد في الأقوال والأفعال، ومن ذلك المكيال الذي تكال به الأشياء والمقادير والمساحات، والميزان المعروف الذي يكال به الطعام.. وغيره، فهو يشمل الميزان المعروف وغيره.. وكلما كان التفسير شاملاً لجميع أجزائه فهو أولى من الاقتصار على بعضه.

٣ ـ دلالة السياق، وذلك أن الله تعالى ذكر في أول السورة العلم وبين شرفه، ثم ذكر أشرف العلوم على الإطلاق وهو القرآن، ثم ذكر العدل، وذكر أخص الأمور له وهو الميزان، ليعمل الناس بالكتاب ويفعلوا بالميزان ما يأمرهم به الكتاب[(٥)].

٤ ـ أنه قول أئمة التفسير، واختيار جمهوره.

---

(١) انظر: الكشاف (٦/٦)؛ مدارك التنزيل (٤/ ٢٠٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٧)؛ والمراجع السابقة.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٧)؛ التفسير الكبير (٢٩/ ٨٠)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٤٦)؛ تفسير السمرقندي (٣/ ٣٥٨)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٨٢٩)؛ تفسير القرآن الكريم (الحجرات ـ الحديد) (٣٠٣).

(٤) انظر: زاد المسير (٨/ ١٠٧)؛ البحر المحيط (٨/ ٢٦٨).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٢٩/ ٨٠).

فتبين مما سبق أن المراد بـ(الميزان) في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمٰن: ٧] العدل في أصح أقوال المفسرين، والله تعالى أعلم بمراده.

* * *

المطلب الرابع عشر

وصفه بأنه النجوم

ورد اسم (النجوم) في القرآن في أكثر من آية في كتاب الله تعالى[1]، سواء بالجمع أو الإفراد، ويراد به في الأصل الكواكب، كما قال ابن القيم [٧٥١هـ]: «النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد بها الكواكب»[2]، إلا أن المفسرين اختلفوا في بعض مواضع ورودها، حيث ذكر بعضهم أن (النجم) و(النجوم) في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم: ١]، وقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥] يراد به القرآن، واستدلوا على ذلك بأدلة.. وإليك أقوالهم وأدلتهم..

[١] **الموضع الأول:** ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم: ١].

اختلف المفسرون في المراد بـ(النجم) في الآية، على أقوال أبرزها: ـ

الأول: أن المراد بـ(النجم) نجوم القرآن الكريم، حيث إنه نزل منجماً ومفرقاً من السماء الدنيا إلى الأرض في ثلاث وعشرين سنة[3]، والعرب تسمي التفريق تنجيماً، والمفرق نجوماً.. ومعنى (هوى) نزوله من علو. وهو قول ابن عباس ومقاتل[4]، ومجاهد[5]، والكلبي[6]، والضحاك[7].

---

(١) بلغت ثلاث عشرة آية.

(٢) التبيان في أقسام القرآن (١٣٧).

(٣) على القول الصحيح. انظر: مبحث (التنزيل) في الفصل الأول من الباب الأول.

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٨٩)؛ معالم التنزيل (١٢٤٢)؛ زاد المسير (٨/ ٦٢)؛ تفسير السمرقندي (٣/ ٣٣٩)؛ تنوير المقباس (٤٤٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٦)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣١٥)؛ الدر المنثور (٧/ ٦٤٠).

(٦) انظر: معالم التنزيل (١٢٤٢).

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٤).

ورجحه الشنقيطي(١)، حيث قال: «أظهر الأقوال عندي وأقربها للصواب في نظري أن المراد بـ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ هنا في هذه السورة، و﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ في الواقعة، هو نجوم القرآن التي نزل بها الملك نجماً فنجماً؛ وذلك لأمرين:

أحدهما: أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى هو أن النبي ﷺ على حق، وأنه ما ضل وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجوم وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨﴾ إلى قوله: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة: ٨٠]، والإقسام بالقرآن على صحة رسالة النبي ﷺ وعلى صدق القرآن العظيم وأنه منزل من الله جاء موضحاً في آيات من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ [يس: ١ ـ ٥]، وقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ١ ـ ٤] وخير ما يفسر به القرآن، القرآن.

والثاني: أن كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم، هو القرآن العظيم، أنسب لقوله بعده: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة: ٧٦]؛ لأن هذا التعظيم من الله يدل على أن هذا المقسم به في غاية العظمة، ولا شك أن القرآن الذي هو كلام الله، أنسب لذلك من نجوم السماء ونجم الأرض والعلم عند الله تعالى»(٢).

الثاني: أن المراد نجوم الأرض، وهو النبات الذي لا ساق له(٣).

وهذا القول ضعيف، ويخالف ظاهر الآية، يقول الشوكاني [١٢٥٠هـ]: «وأما على قول من قال: إنه الشجر الذي لا ساق له.. فلا يظهر للهوى معنى صحيح»(٤).

---

(١) انظر: أضواء البيان (٥/ ٢٠١).
(٢) المرجع نفسه.
(٣) انظر: فتح القدير (٥/ ١٠٥).
(٤) المرجع نفسه.

الثالث: أن المراد بـ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ نجوم السماء؛ أي: الكواكب، بناء على الأصل.. وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وسفيان الثوري، والحسن[١].

ورجحه جمع من المفسرين؛ كابن جرير الطبري، والسمعاني، والرازي، والنسفي، والسعدي[٢].. وغيرهم.

وهو الأظهر، وذلك من وجوه:

١ ـ أنه الموافق لاستعمال القرآن وعادته، وحمل كلام الله تعالى على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله، أولى من الخروج به عن ذلك[٣]، يقول ابن القيم [٧٥١هـ]: «وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى، ولا تسمية نزوله هوياً، ولا عهد في القرآن ذلك فيحمل هذا اللفظ عليه»[٤].

٢ ـ أن معنى (هوى) في اللغة: الخلو والسقوط[٥]، وحمله بمعنى (نزل) فيه بُعدٌ وتحامل على اللغة[٦]، يقول الرازي [٦٠٤هـ]: «المختار هو النجوم التي في السماء؛ لأنها الأظهر عند السامع، وقوله: ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ أدل عليه»[٧].

٣ ـ وهو قول أكثر المفسرين.

يقول ابن القيم [٧٥١هـ]: «قد أقسم ـ سبحانه ـ بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها سبحانه آيةً وحفظاً للوحي من استراق الشياطين له، على

---

(١) انظر: تفسير الصنعاني (٣/ ٢٥٠)؛ تفسير الطبري (٢٢/ ٥)؛ تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٨)؛ تفسير مجاهد (٢/ ٦٢٧)؛ معالم التنزيل (١٢٤٢)؛ زاد المسير (٨/ ٦٢)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣١٥)؛ الدر المنثور (٧/ ٦٤٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٧)؛ تفسير السمعاني (٥/ ٢٨٣)؛ التفسير الكبير (٢٨/ ٢٤١)؛ مدارك التنزيل (٤/ ١٨٧)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٨١٨).

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٧٢).

(٤) التبيان في أقسام القرآن (١٥٣).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (هوي) (١٠١٧).

(٦) انظر: المحرر الوجيز (١٧٧٧).

(٧) التفسير الكبير (٢٨/ ٢٤١).

أن ما أتى به رسوله حق وصدق، لا سبيل للشيطان ولا طريق له إليه، بل قد أحرس بالنجم إذا هوى رصداً بين يدي الوحي وحرساً له، وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه، وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى ولا تسمية نزوله هوياً ولا عهد في القرآن ذلك فيحمل هذا اللفظ عليه»(١).

وسيأتي مزيد أوجه في الحديث عن الموضع الثاني.

واختلف القائلون بهذا القول في تعيين (النجم)، فقيل: نجم الثريا، روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد(٢)، واختاره الطبري(٣).

وقيل: الزهرة، قاله السدي(٤).

وقيل: بل جنس النجوم، واختاره السمعاني، والرازي، وابن القيم، والسعدي(٥)..

ومعنى (هوى) على هذا القول؛ أي: هوى للغروب، أو هوى عند الانكدار يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: ٢]، أو بمعنى الانقضاض والرمي للشياطين الذين يسترقون السمع، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥](٦)، قال ابن عطية [٥٤٦هـ]: «وهذا القول تُسعده اللغة والتأويلات»(٧). وهو الأظهر.

وإطلاق المفرد مراداً به الجمع، مستعمل في القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (١٥٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٥)؛ الدر المنثور (٧/ ٦٤٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٥).

(٤) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٨٩)؛ زاد المسير (٨/ ٦٢).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (٥/ ٢٨٣)؛ التفسير الكبير (٢٨/ ٢٤١)؛ التبيان في أقسام القرآن (١٥٣)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٨١٨).

(٦) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٩٠)؛ المحرر الوجيز (١٧٧٧)؛ زاد المسير (٨/ ٦٢).

(٧) المحرر الوجيز (١٧٧٧).

ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢][١].

وفي القسم بالنجم على صحة ما جاء به النبي ﷺ: «مناسبة عجيبة فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء، فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث من الأنبياء لكان الناس في ظلمة أشد من ظلمة الليل البهيم، والمقسم عليه تنزيه الرسول عن الضلال في علمه، والغي في قصده، ويلزم من ذلك أن يكون مهتدياً في علمه، هادياً حسن القصد، ناصحاً للخلق»[٢]، والنجوم يهتدي الناس بها في البراري، وترشدهم وتدلهم، وكذلك القرآن يرشد ويهدي من آمن به واتبعه وصدقه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

[٢] الموضع الثاني: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ [الواقعة: ٧٥].

اختلف المفسرون في المراد بـ(النجوم) كاختلافهم السابق، وأبرز الأقوال هي:

الأول: أن المراد بالنجوم نجوم القرآن، ومواقعها: قلوب عباده وملائكته وصالحي المؤمنين، أو معانيها وأحكامها التي وردت فيها، أو أوقات نزولها..

وهو قول ابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد، وعكرمة، والكلبي، ومقاتل[٣].

واختاره الشنقيطي[٤]، ويؤيد هذا القول: عود الضمير على القرآن، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: ٧٧]، وذلك أن ذكره لم يتقدم إلا

---

(١) انظر: أضواء البيان (٥/ ٢٠٠)؛ قال الشاعر:

ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد النجم والحصى والتراب.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن (٨١٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣١٧)؛ تفسير الصنعاني (٣/ ٣٢٧)؛ تفسير الطبري (٢٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠)؛ تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٤)؛ المحرر الوجيز (١٨١٥)؛ تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٨١)؛ زاد المسير (٨/ ١٥١)؛ الدر المنثور (٨/ ٢٥).

(٤) انظر: أضواء البيان (٥/ ٢٠١)، وقد سبق ذكر قوله وترجيحه.

على هذا القول[1].

الثاني: أن المراد بالنجوم الكواكب المعروفة، وهو قول مجاهد والحسن وقتادة[2].

واختاره الطبري، والنسفي، وابن القيم، والسعدي[3]، وعزا القول ابن عطية وابن الجوزي وابن جزي إلى جمهور المفسرين[4].

وعلى هذا يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧] يعود على القرآن، وإن لم يتقدمه ذكر، لشهرة الأمر، ووضوح المعنى[5].

وهو الأظهر، وقد نصب ابن القيم[6] أدلة كثيرة تؤيد هذا القول وتنصره، ومن ذلك:

١ ـ أن اسم النجوم عند الإطلاق إنما ينصرف إليها؛ لأنها الأصل.

٢ ـ أنه لم تجر عادته سبحانه باستعمال النجوم في آيات القرآن، ولا في موضع واحد من كتابه، حتى تحمل عليه هذه الآية.

٣ ـ جرت العادة باستعمال النجوم في معنى الكواكب في جميع القرآن، وإن نظير الإقسام بمواقعها هنا، إقسامه بهوى النجم، في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾.

٤ ـ أن الله تعالى إذا أراد أن يقسم بالقرآن، أقسم بنفس القرآن، لا بوصوله إلى عباده، وهذه طريقة القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ٢]، ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [ص: ١]، ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: ١] ونظائره كثيرة.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٨١٥)؛ روح المعاني (٢٧/ ١٥٣).
(٢) انظر: تفسير الصنعاني (٣/ ٢٧٣)؛ تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦١)؛ الدر المنثور (٨/ ٢٥).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦١)؛ مدارك التنزيل (٤/ ٢١١)؛ التبيان في أقسام القرآن (١٥٣)؛ تيسير الكريم الرحمٰن (٨٣٦).
(٤) انظر: المحرر الوجيز (١٨١٥)؛ زاد المسير (٨/ ١٥١)؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٩٢).
(٥) انظر: المحرر الوجيز (١٨١٥).
(٦) انظر: مفتاح دار السعادة (١/ ١٩٧).

٥ - وهو قول جمهور أهل التفسير.

أما مواقعها، فقيل: مواقعها عند غروبها وطلوعها، وهو قول أبي عبيدة[(١)][(٢)].

وقيل: مواضعها ومنازلها من السماء، قاله عطاء[(٣)].

وقيل: انكدارها وانتثارها يوم القيامة، قاله الحسن[(٤)].

فتبين مما سبق أن وصف القرآن بأنه (النجوم) قول مرجوح، وأن الأدلة والقرائن تدل على خلافه.. وأن الصحيح من الأقوال في الآيتين أن المراد بها الكواكب.. والله تعالى أعلم بمراده.

---

(١) هو معمر بن المثنى التيمي، أبو عبيدة النحوي البصري، له تصانيف تقارب مائتي مصنف، منها كتاب «مجاز القرآن» وكتاب «غريب القرآن» وكتاب «معاني القرآن»، توفي سنة ٢٠٩ وقيل ٢١٠ وقيل ٢١١ وقيل ٢١٣هـ. انظر: المنتظم (١٠/٢٠٦)؛ طبقات المفسرين للداودي (٣٠).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/٢٥٢).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/٤٦٣)؛ المحرر الوجيز (١٨١٥)؛ زاد المسير (٨/١٥١).

(٤) المراجع نفسها.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات، وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد عشت مع هذا البحث أقلب مسائله، وأعالج إشكالاته، وأدرس آياته، فظهر لي عدة نتائج أبرزها ما يلي:

١ ـ أن الاسم مشتق من (السموّ) وهو الرفعة أو من (الوسم) وهو العلامة، وكلاهما متقارب في المعنى.

٢ ـ أهل اللغة والنحويون لا يفرقون بين الوصف والصفة، وجعلوهما من باب واحد وقالوا: الهاء في الصفة عوض عن الواو في الوصف.

٣ ـ أسماء القرآن وأوصافه بينهما اشتراك وامتياز فهي تشترك في دلالتها على الذات، ويمتاز كل واحد منها عن الآخر بدلالته على معنى خاص.

٤ ـ علماء التفسير وعلوم القرآن اختلفوا في إحصاء عدد أسماء القرآن بين مستقلٍ ومستكثرٍ فمنهم من اقتصر على اسم واحد فقط ومنهم من اكتفى بأربعة أسماء أو خمسة، ومنهم من أوصلها إلى نيِّف وتسعين، والصحيح أنها خمسة أسماء فقط، وهي: (القرآن، والكتاب، والفرقان، والذكر، والتنزيل) والبقية أوصاف.

٥ ـ أشهر أسماء القرآن (القرآن) وهو العلم الأصلي على كتاب الله تعالى المنزل على نبينا محمد ﷺ.

٦ ـ ورود لفظ (قرآن) مضافاً إلى ما بعده لا يراد به كتاب الله تعالى.

٧ ـ تسمية كتاب الله تعالى بـ(القرآن) باعتبار كونه متلواً بالألسن من القراءة والتلاوة وتسميته بـ(الكتاب) باعتبار كونه مدوناً بالأقلام.

٨ ـ تسمية القرآن بـ(الذكر) يحتمل معنيين:

أ ـ أنه ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرّفهم فيه حدوده وفرائضه.

ب ـ أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وصدق بما فيه.

٩ ـ ورود اسم (الذكر) مضافاً إلى لفظ الجلالة (ذكر الله) لا يراد به القرآن خصوصاً بل عموم الذكر على الصحيح.

١٠ ـ أن هناك فرق بين معنى (نزّل) و(أنزل) وأن المراد بـ(نزّل) بالتضعيف نزوله منجماً و(أنزل) نزوله دفعة واحدة.

١١ ـ الأسماء المردودة المنسوبة للقرآن هي: (الأثارة، أمر الله، تبصرة، الحجة، الرسالة، سبيل الله، شرعة ومنهاجاً، القسط، النعمة) على الصحيح.

١٢ ـ أوصاف القرآن يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:

أ ـ الأوصاف الصريحة الدالة على حقيقة القرآن وصدقه.

ب ـ الأوصاف الصريحة الدالة على بيان القرآن وإرشاده.

جـ ـ الأوصاف الصريحة الدالة على بركة القرآن وتأثيره.

د ـ الأوصاف المختلف فيها.

١٣ ـ الأوصاف الصريحة الدالة على حقيقة القرآن وصدقه هي: (آيات، بلاغ، أحسن الحديث، حق، صدق، صحف، عربي، عزيز، عظيم، عليٌّ، قول، قيم، كلام الله، متشابه، مجيد، مهيمن، وحي).

١٤ ـ كون القرآن (تصديق) و(مصدق) له ثلاثة معانٍ:

أ ـ أن الأنبياء السابقين أخبروا بالقرآن ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم في الأخبار.

ب ـ أن القرآن أخبر أنهم أنبياء فهو مصدق لهم.

جـ ـ أن القرآن وافقهم فيما ذكر في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة.

١٥ ـ وجود ألفاظ في القرآن من غير لغة العرب، ولكن العرب عربت هذه الألفاظ واستعملتها واندمجت في كلامها فصارت من هذا الوجه عربية.

١٦ ـ أنه لما كان (القول) يطلق على ما كان مكتفياً بنفسه وما لم يكن

مكتفياً بنفسه، قرن الله تعالى وصف القرآن بأنه (قول) بالأمر والحث على التدبر والتأمل والاستماع إلى هذا القول للدلالة على أنه كامل في نفسه مكتفياً على غيره.

١٧ ـ أن كون القرآن (غير ذي عوج) إشارة إلى أنه كامل في نفسه، و(قيماً) إشارة إلى كونه مكملاً لغيره.

١٨ ـ الأوصاف الصريحة الدالة على بيان القرآن وإرشاده هي: (بشير، بصائر، الحكيم، ذكرى وتذكرة، مبين، مفصل وتفصيل، موعظة، نذير، هدى).

١٩ ـ أن البشرى والبشارة مطلقاً لا تكون إلا بالخير، وإن حملت على الشر فإنها تقيّد.

٢٠ ـ قصر وصف القرآن بـ(ذكرى وتذكرة) على المؤمنين لأنهم هم المنتفعون بهذا الكتاب المستفيدون منه.

٢١ ـ الصحيح أن الله تعالى بيّن لنا في القرآن كل شيء لنا فيه مصلحة، وأما ما ليس لنا فيه مصلحة فإنه لا حاجة إلى ذكره، وقد يكون موكولاً إلى عقول الناس وتجاربهم.

٢٢ ـ الهدى والهداية في موضوع اللغة واحد، لكن خصّ الله ﷻ لفظة (هدى) بما تولاه وأعطاه واختص هو به، أما الاهتداء فهو يختص بما يتحراه الإنسان على طريق الاختيار.

٢٣ ـ الأوصاف الصريحة الدالة على بركة القرآن وتأثيره هي: (رحمة، شفاء، عجباً، كريم، مبارك، مثاني، نور).

٢٤ ـ مجيء وصف القرآن بأنه (رحمة) بالمصدر للدلالة على المبالغة من قوة جلب الرحمة لمن آمن به وصدقه.

٢٥ ـ اجتماع وصفي (الهدى والرحمة) في آية واحدة للدلالة على أن الرحمة لا تحصل إلا لمن اهتدى واتبع سبيل المؤمنين.

٢٦ ـ القرآن الكريم شفاء للقلوب والأمراض الظاهرة الحسية على الصحيح.

٢٧ ـ وصف القرآن بأنه (كريم) واقترانه بالعَلَم الأصلي للدلالة على أنه

مقروء في كل حين وزمان، وبما أن الكلام إذا قرئ كثيراً يهون في الأعين والآذان، بين الله تعالى أنه (كريم) أي: لا يهون بكثرة التلاوة ويبقى أبد الدهر كالكلام الغض، والحديث الطري.

٢٨ ـ الأوصاف التي يترجح وصفيتها هي: (روح، شاهد، العلم، القصص، مسطور، نبأ عظيم).

٢٩ ـ الأوصاف المرجوحة هي: (إمام، برهان، حبل الله، داعي الله، الزبور، صراط مستقيم، الطيب، العروة الوثقى، الغيب، فضل الله ورحمته، الكوثر، مناد، الميزان، النجوم).

٣٠ ـ (العلم) ورد في القرآن على أضرب أربعة:

أ ـ يراد به القرآن.

ب ـ يراد به النبي ﷺ.

ج ـ يراد به علم الكيمياء.

د ـ يراد به علم الشرك.

التوصيات:

وإن كان لي من توصية في آخر هذا البحث المتواضع والجهد المبارك ـ إن شاء الله ـ، فهي دراسة أسماء القرآن وأوصافه من منظور عقدي، وبيان المذهب الصحيح والمعتقد السلفي فيها، والرد على الشبه والمعتقد الفاسد حيث تمسك بذلك أهل البدع وبنوا عليها بدعهم أو على الأقل نصروا بها بدعهم؛ كاستدلالهم باسم (القرآن) و(التنزيل) وبالأوصاف كـ(القول) و(عربي) على أن كتاب الله مخلوق.. وغير ذلك، وقد اهتم بهذا الجانب الإمام الرازي في تفسيره بإيراد الشبه والرد عليها.. وغيره من المفسرين.

وفي الختام أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينفع بهذا الجهد كاتبه وقارئه ويبارك فيه ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي كل خطأ أو سهو أو تقصير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جدول الأسماء والأوصاف

العدد	الاسم/الوصف الثابتة	الدليل	الصفحة
١	القرآن	﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾	٣٨
٢	الكتاب	﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	٥٣
٣	الفرقان	﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	٧١
٤	الذكر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٨٢
٥	التنزيل	﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾	٩٧
٦	آيات	﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾	١٤٤
٧	بلاغ	﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾	١٥٢
٨	أحسن الحديث	﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾	١٥٧
٩	الحديث	﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾	١٥٧
١٠	محدث	﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾	١٥٧
١١	الحق	﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾	١٦٥
١٢	صحف	﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾	١٧٢
١٣	الصدق	﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾	١٧٧
١٤	تصديق	﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	١٨٠
١٥	مصدق	﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	١٨١
١٦	لا ريب فيه	﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	١٨٢
١٧	عربي	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	١٨٣
١٨	عزيز	﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾	١٨٩
١٩	عظيم	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾	١٩٢

العدد	الاسم/الوصف الثابتة	الدليـــــــــل	الصفحة
٢٠	عليٌّ	﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾	١٩٦
٢١	القول	﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾	١٩٨
٢٢	قيم	﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ قَيِّمٗا﴾	٢٠٥
٢٣	غير ذي عوج	﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾	٢٠٧
٢٤	كلام الله	﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	٢٠٩
٢٥	كلمة	﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾	٢١١
٢٦	كلمات	﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾	٢١٣
٢٧	متشابه	﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾	٢١٥
٢٨	مجيد	﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾	٢٢٠
٢٩	مهيمن	﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾	٢٢٣
٣٠	الوحي	﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾	٢٢٦
٣١	بشير	﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾	٢٣٥
٣٢	بشرى	﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾	٢٣٧
٣٣	بصائر	﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾	٢٤٠
٣٤	الحكيم	﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾	٢٤٤
٣٥	محكم	﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾	٢٤٧
٣٦	حكم	﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ﴾	٢٤٨
٣٧	حكمة	﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾	٢٤٩
٣٨	ذكرى	﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٢٥٣
٣٩	تذكرة	﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	٢٥٦
٤٠	مبين	﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾	٢٥٩
٤١	مبينات	﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ﴾	٢٦٠
٤٢	بينات	﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾	٢٦١
٤٣	تبيان	﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾	٢٦٣

العدد	الاسم/الوصف الثابتة	الدليـــــــل	الصفحة
٤٤	بيان	﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾	٢٦٤
٤٥	بينة	﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾	٢٦٥
٤٦	مفصل	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾	٢٦٩
٤٧	تفصيل	﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢٧١
٤٨	موعظة	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	٢٧٦
٤٩	نذير	﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾	٢٧٩
٥٠	الهدى	﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾	٢٨٨
٥١	خير	﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾	٢٩٨
٥٢	رحمة	﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾	٣٠٢
٥٣	شفاء	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٣٠٦
٥٤	عجباً	﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾	٣١٤
٥٥	كريم	﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾	٣١٨
٥٦	مبارك	﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾	٣٢٤
٥٧	مثاني	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾	٣٢٨
٥٨	نور	﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾	٣٣٢
٥٩	روح	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾	٣٤٣
٦٠	شاهد	﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾	٣٤٩
٦١	العلم	﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾	٣٥٢
٦٢	القصص	﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾	٣٥٨
٦٣	مسطور	﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾	٣٦٣
٦٤	نبأ عظيم	﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾	٣٦٦

العدد	الاسم/الوصف المردودة	الدليـــــل	الصفحة
١	الأثارة	﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١١٦
٢	أمر الله	﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾	١١٨
٣	تبصرة	﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾	١٢٠
٤	الحجة	﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾	١٢٢
٥	الرسالة	﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾	١٢٤
٦	سبيل الله	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	١٢٦
٧	شرعة ومنهاجاً	﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	١٢٨
٨	القسط	﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾	١٣٢
٩	النعمة	﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾	١٣٤
١٠	إمام	﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾	٣٧٣
١١	برهان	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	٣٧٦
١٢	حبل الله	﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾	٣٧٩
١٣	الداعي	﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾	٣٨٢
١٤	الزبور	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾	٣٨٣
١٥	الصراط المستقيم	﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	٣٨٦
١٦	الطيب	﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾	٣٩١
١٧	العروة الوثقى	﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾	٣٩٣
١٨	الغيب	﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾	٣٩٦
١٩	فضل الله ورحمته	﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾	٣٩٨
٢٠	الكوثر	﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾	٤٠١
٢١	منادٍ	﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾	٤٠٣
٢٢	الميزان	﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾	٤٠٦
٢٣	النجوم	﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾	٤٠٨

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات.

ثانياً: فهرس الأحاديث.

ثالثاً: فهرس الآثار.

رابعاً : فهرس الأعلام.

خامساً : المراجع والمصادر.

سادساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾	٦	٢٨٦، ٣٨٦
البقرة		
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾	٢	٢٧، ٥٣، ٦١، ٦٢، ٢٠٦، ٢٨٦
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	٣	١١٠
﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	٤	٣٩٧
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾	٢٣	١٠١
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾	٤٠	٣٨٠
﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾	٥٢	٧٩
﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾	٧٦	١٦٤
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾	٨٥	٤٦
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾	١٠١	٦٦
﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	١٠٥	١٠٧، ٣٠٥
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾	١٠٩	٣٥٧
﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾	١٢٩	٦٣
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾	١٤٠	٣٥١
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	١٨٣	٢٧٢
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾	١٨٥	٤٩، ٧٣، ٢٨٨

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾	٢٠٠	٩٥
﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾	٢١٣	٢٤٥
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾	٢١٩	١٤٦
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾	٢٣٣	١٣٤
﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾	٢٣٩	٩٦
﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾	٢٥٦	٣٩٣
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾	٢٦٩	٢٥٠
آل عمران		
﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾	٣	٧٤، ٩٩، ١٦٧
﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾	٧	٢١٧، ٢٤٨
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾	٢٣	٦٦
﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨)﴾	٥٨	٨٥، ٩٠
﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾	٦١	٣٥٢، ٣٥٣
﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾	٦٢	٣٥٨
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾	٦٤	٧٠
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾	٦٥	٧٠
﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾	٧٨	٦٩
﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	٩٣	١٠٣
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾	٩٦	٣٢٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾	١٠٢	٥
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	١٠٣	٣٧٩
﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾	١١٢	٣٨٠
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾	١٣٥	٩٦
﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨)﴾	١٣٨	٢٦٤، ٢٧٦
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾	١٥٩	٣٠٥
﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾	١٩٣	٣٨٣، ٤٠٣

طرف الآية	رقمها	الصفحة
النساء		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾	١	٥
﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	٢٤	٢٧١
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾	٦٩	٣٨٩
﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾	٧٨	١٦٠
﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾	٧٩	٢٥٦
﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾	٨٢	١٤، ٢١٧
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾	٨٧	٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾	١٢٥	١٣٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ . . .﴾	١٣٦	٩٩
﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	١٥٢	٥٣
﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾	١٥٧	٢٢٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	١٧٤	٣٧٦
المائدة		
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾	١٥	٣٣٦
﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾	٤٢	١٣٢
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾	٤٤	٢٥٩
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾	٤٥	٢٧٢
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا﴾	٤٨	٥٥، ٥٧، ١٢٨، ٢٠٧، ٢٢٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾	٦٧	١٢٤
﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾	٧٥	٢٢٣
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ﴾	٩١	٩٤
الأنعام		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾	١	٣١٠
﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾	١٩	٤٦، ١٥٢، ٢٨٠، ٤٠٥
﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾	٢٥	٩٨
﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾	٣٣	٩٨، ٢٧٤
﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾	٣٨	٤٤، ٥٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾	٣٩	١٤٧
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾	٤٦	١٤٦
﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	٥٩	٦٩
﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾	٧١	٢٨٦
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾	٩٠	٢٥٥
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾	٩١	٤٦، ٩٨
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾	٩٧	٢٨٦
﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	١٠٤	٢٤١
﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾	١٠٦	٢٣١
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ﴾	١١٤	١٦٧، ٢١٢، ٢٦٩
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾	١١٥	١٧٩، ٢١١
﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾	١٢٤	١٢٥، ٣٤٥
﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾	١٤٩	١٢٢
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾	١٥٣	٣٨٦
﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾	١٥٥	٦٢
﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾	١٥٧	٢٦٥
﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . . .﴾	١٦١	٣٩٠
الأعراف		
﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾	٢	٢٥٥، ٢٨١، ٢٨٥
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا . . .﴾	٤٣	٣١٥
﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى . . .﴾	٥٢	٢٧٠
﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	٣٠٥
﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ . . .﴾	٦٩	٩٦، ٢٢٩
﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾	١٢٨	٣٨٥
﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾	١٥٧	٣٣٥، ٣٣٨
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٢٨١
﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)﴾	١٧٤	٢٠٠
﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	١٧٦	٣٥٨
﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾	١٧٩	٢٧٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا . . .﴾	٢٠٣	٢٣١، ٢٤١، ٢٤٢
الأنفال		
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾	٢	٩٤
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾	٣٠	٣٣٧
﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ﴾	٤١	٨٠
﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾	٤٢	٧٣
﴿وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾	٧٥	٦٨، ٧٠
التوبة		
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾	٦	٢١٠
﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ﴾	٢١	٢٣٦
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾	٣٢	١٦٨، ٣٣٧
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾	٣٣	١٦٨
﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾	٤٠	٢١١
﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾	٩٧	١٠٩
﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾	١١١	٤٥
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾	١٢٨	١٩٠
يونس		
﴿الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾	١	٦١، ١٤٨
﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾	٤	١٣٢، ١٣٣
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾	١٥	١٤٨، ٢٤٢، ٣٠٩
﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾	٣٢	١٦٥
﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	٣٧	٢٧١
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾	٤٧	٣٧٤، ٣٧٥
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	٥٧	٢٧٦، ٣٠٨
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾	٥٨	٨، ٣٩٨
﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾	٩٣	٣٥٣، ٣٥٦
﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾	١٠١	١٤٧، ٢٨٠
هود		
﴿الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ﴾	١	٦١، ٢١٦، ٢٤٧، ٢٦٨

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾	١٢	٢٣١
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾	١٥	٢٦٦
﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾	١٧	٢٦٦، ٣٤٩، ٣٥٢
﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾	٤٩	٣٦٠
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾	١١٨	٢٣٧
﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾	١٢٣	١١٨
يوسف		
﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾	١	٦١
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾	٢	١٨٣
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾	٣	٣٥٨
﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ﴾	٩٤	٢٧٤
﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾	١٠٤	٤٠١
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾	١٠٨	٤٠٤
﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾	١٠٩	١٦٩
﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١١١	٥٤، ١٥٧، ٢٧٣، ٢٧٤
الرعد		
﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١٩	٢٥٧
﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾	٢٤	٣٩٢
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾	٢٧	٩٢، ٢٤٨
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾	٢٨	٩٢
﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾	٣٠	٢٢٩
﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾	٣١	١٩٢
﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾	٣٨	٧٠
إبراهيم		
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾	١	١٥٤
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾	٢٤	٣٩٢
﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾	٥٢	٢٨٥

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الحجر		
﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾	١	٢٧، ٦٥
﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾	٦	١٣٥
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾	٩	٨٦، ٩٩
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾	٨٧	١٩٣، ٣٢٩
﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠﴾	٩٠	٤٦
النحل		
﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾	٢	٣٤٣
﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾	١٨	١٣٤، ١٣٥
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾	٢٤	٩٨، ٢٩٩
﴿قَالُوا۟ خَيْرًا﴾	٣٠	٣٠٠
﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾	٤٣	٩٦
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ﴾	٤٤	٨٧، ١٠٦
﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾	٥٣	١٣٤، ١٣٥
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾	٨٤	٢٦٢، ٣٧٤
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا﴾	٨٩	٨، ٤٤، ٦١
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ﴾	٩٧	٢٣٥، ٣٠٢
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾	٩٨	٥٢، ٣٧٥
﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾	١٠٢	١١١
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾	١٠٣	٧٩، ٩٨
﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾	١١٦	٢٢
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾	١٢٥	٢٥١، ٤٠٤
الإسراء		
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾	١	٣٢٦
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾	٩	٦، ٢٣٩، ٢٩٤
﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾	١٢	٢٥٩
﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾	٣٩	٢٢٨، ٢٥٠
﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾	٥٥	٧٥، ٣٨٤

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ﴾	٧١	٣٧٣
﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾	٧٨	٥٠
﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾	٨١	٢٠٤
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾	٨٢	٤٩، ٢٩١، ٣٠٩
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾	٨٩	٤٩
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾	٨٨	١٨٩
﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾	٩٤	٢٨٩
﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾	٩٥	١٠٢
﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾	١٠٦	٧٣، ٧٤، ٧٨
الكهف		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾	١	٥٤
﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾	٢	٢٣٨
﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾	٤	٢٨٤
﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾	٦	١٥٨
﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾	٢٧	٦٩، ٢١٣
﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾	٢٩	١٦٩
﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾	٤٩	٣٧٥
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾	٥٠	٣١٦
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾	٥٤	١١٥
﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾	٥٦	١٦٨
مريم		
﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾	١١	٢٢٦
﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾	١٢	٢٥٠
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾	١٦	٦٠
﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾	٩٣	٨٩

طرف الآية	رقمها	الصفحة
طه		
﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾	٩٩	٨٨، ٩١
الأنبياء		
﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾	٢	٨٨، ٩٤، ١٥٤
﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٥	٣١٠
﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	١٠	٩١، ١٠٦، ١٨٣
﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾	٤٥	٢٣٢، ٣٤٥
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾	٤٨	٧٩، ٨٠، ٣٢٥
﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾	٥٠	٩١، ٣٢٥، ٣٢٦
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾	١٠٥	٣٨٣
﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾	١٠٦	٢٦٥
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾	١٠٧	٣٠٥
الحج		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	٨	٧٠، ٣٣٩
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾	٧٢	٢٦٥
﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾	٧٦	٣٤٥
المؤمنون		
﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾	٧٠	٩٠
﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾	٧١	٩١
النور		
﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾	٣٣	٧٠
﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا﴾	٣٤	٢٦١
﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾	٣٥	٣٢٦
﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾	٤٠	٣٣٥
﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾	٤٦	٢٦١
﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾	٦١	٣٢٦

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الفرقان		
﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾	١	٧٨، ٢٨٠
﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾	٥	٤٨، ٩٨
﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾	٣٠	٣٠٣
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾	٣٢	٧٣، ١٠٢، ١١١
﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾	٤٨	١١٢
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾	٦٠	٩٤
﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾	٧٥	٣٩٣
الشعراء		
﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾	٢	٨٩
﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾	٥	٨٨
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾	٩	٨٩
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢﴾	١٩٢	٢٧، ١٠٦
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾	١٩٣	٢٧، ١٠٤
﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠﴾	٢١٠	١١٢
النمل		
﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾	١	٢٧، ٦٥
﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾	١٨	٣١٥
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ۝٢٦﴾	٢٦	٣٢١
﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾	٢٩	٧٠، ٣٢١
﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	٧٦	٤٩
القصص		
﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾	١١	١١١
﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾	٤١	٣٧٤
﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٤٤﴾	٤٤	١٦٩

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾	٥١	١٩٩
﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾	٧٨	٣٥٣
العنكبوت		
﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾	٤٣	٢٧٤
﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾	٤٩	٢٦٠
﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾	٥٠	٨٧
﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾	٦٤	٣٤٨
﴿أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾	٦٧	١٣٥
الروم		
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾	٥٦	٧٠
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾	٥٨	٤٩
لقمان		
﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٣	٣٠٣
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٦	١٢٦
﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾	٢٢	٣٩٤
السجدة		
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾	٣	٢٨١
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾	٢٢	٢٦٢
الأحزاب		
﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾	٣٤	٢٥١
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾	٤١	٩٤
﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾	٤٢	٩٤
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾	٤٦	٣٣٧، ٣٨٣

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾	٦٣	٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾	٧١	٥
سبأ		
﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾	١٩	١٦٤
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	٢٨	٢٨٢
فاطر		
﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	٢٤	٢٢٩، ٢٨٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾	٢٩	٦٩
يس		
﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾	٢	٢٧، ٤٦، ٤٨، ٢٤٧
﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾	٣	٢٤٧
﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾	١١	٢٧٧، ٣٢١
﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾	١٢	٣٧٥
﴿مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٧٠	٢٨٥
ص		
﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾	١	٤٨، ٨٤، ٣٢٥
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾	٢٩	٨٣
﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾	٢٢	٢٨٦
﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾	٤٥	٢٦٥
﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾	٦٠	٣٦٧
﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾	٦٧	١٩٤، ١٩٥، ٣٦٦
الزمر		
﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾	١	٦٢، ٩٩
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾	٢	١٦٧
﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾	١٨	٢٠٠، ٢٠٢، ٢٣٨
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾	٢٣	٩٣، ١٦٢، ٢١٦، ٣٢٨
﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾	٢٨	٢٠٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾	٣٢	١٧٨
﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾	٣٣	١٧٨
﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾	٧٤	١٨٧
غافر		
﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾	١٥	٣٤٦
﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾	٨٣	٣٥٣
فصلت		
﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾	٢	٢٣٦
﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾	٤	٢٣٦، ٢٨٠
﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾	١٠	٣٢٦
﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾	٤١	٢٧، ١٩٠
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾	٤٢	١٧٠
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾	٤٤	٢٣٨، ٢٥٥، ٢٩١، ٣١٠
الشورى		
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ﴾	٧	٢٨٠، ٢٨١
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾	١٧	٤٠٧
﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾	٢٨	٢٨١، ٣٠٥
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾	٥٢	٣٣٤، ٣٤٣
الزخرف		
﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾	٢	٤٨، ٦٠
﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾	٣	٦٠
﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾	٤	١٩٧، ٢٤٧
﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾	٣٦	٩٥
﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾	٤٤	٨٣
الدخان		
﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾	٢	٢٦٠

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾	١٧	٣٢١
الجاثية		
﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾	٦	١٦٠
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾	١٨	١٣٠
﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	٢٤٢
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾	٢٣	٣٠٤
﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾	٢٨	٧٠، ٣٧٥
﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾	٣٥	١٤٩
الأحقاف		
﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾	٢	١٥٤
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٤	١١٦
﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾	٩	٢٨٢
﴿وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾	١٣	٢٣٨، ٢٨٤
﴿وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾	١٥	٢٧٤
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾	٢٩	٣١٥
﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾	٣١	٣٨٢
محمد		
﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾	١٤	٢٦٦
ق		
﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾	١	٤٨، ٤٩، ٢٢١
﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾	٢	٣٧٠
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾	٦	١٦٨
﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾	٨	١٢٠
﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	٣٧	١٥٣، ٢٨٨، ٣٠٨
﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾	٤٥	١٥٤
الذاريات		
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾	٥٥	٢٥٦

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الطور		
﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾	٢	٣٦٣
﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ۝٣٤﴾	٣٤	١٥٩
النجم		
﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾	١	٤٠٨
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾	٤	١٢٤، ٢٢٧
﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾	٥٥	٢٨٣
﴿هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾	٥٦	٢٨١
﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ۝٥٩﴾	٥٩	١٥٩
القمر		
﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾	٥	٢٤٩
﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝١٧﴾	٢٢	١٨٣، ١٨٥
﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾	٤٥	٤١٢
الرحمن		
﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾	٧	٤٠٦
الواقعة		
﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥﴾	٢٥	٣٩٣
﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾	٧٥	٤٠٨
﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾	٧٧	١٧٦، ٢٧٨، ٣٢٠
﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١﴾	٨١	١٥٩
الحديد		
﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾	٩	١٠٧
﴿فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾	١٣	٣٣٢
﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾	١٦	٩٣، ٩٤
﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾	٢٥	١٣٣، ٤٠٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
المجادلة		
﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾	٨	٣١٥
﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾	١٠	١٩٥، ٢٢١
﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾	١٩	٩٤
﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾	٢١	٢٧٢
الحشر		
﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾	٢١	٤٩، ١٩٢
الصف		
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	٩	٢٨٨
الجمعة		
﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾	٥	١٧٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾	٩	٩١
﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾	١١	٣٣٤
المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	٨٥، ١٩٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	٩	٩٤
التغابن		
﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا﴾	٨	٣٣٥
الطلاق		
﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾	٥	١١٨
﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾	١٠	٩٠

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الملك		
﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾	٥	٤١١
القلم		
﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾	٢	١٣٤
﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾	٥٢	٩١
الحاقة		
﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾	٤٠	٢٠٢، ٣٢١
﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾	٤٣	٢٠٢
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾	٤٨	٢٥٦
الجن		
﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾	١	٣١٤
﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾	١٣	٢٨٨
﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾	١٧	٩٥
المزمل		
﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾	٥	٢٠٣
المدثر		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾	١، ٢	٤١
﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	٤٨، ٩٨
﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾	٤٨	٢٥٧
القيامة		
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾	١٨	٣٩، ٤١
النبأ		
﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾﴾	١	٣٦٦
﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾	١٧	٣٧٠
عبس		
﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾﴾	١١	١٧٤

طرف الآية	رقمها	الصفحة
التكوير		
﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾	٢	٤١١
﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾	٢٤	٣٩٦
الانفطار		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾	٦	٣٢١
﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾	١٩	٨٩
المطففين		
﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤﴾	٤	٣٧١
الانشقاق		
﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٢٤	٢٣٥
البروج		
﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾	١٩	٢٢٢
الأعلى		
﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾	١١	٢٥٦
﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨﴾	١٩	٢٠٧
الفجر		
﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾	٢٢	٤١٢
الضحى		
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾	٩	١٣٥
العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾	١	٢٠٠
القدر		
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾	١	١٠١
﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾	٤	١١٢
البينة		
﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾	١	٢٠٧، ٢٦٦

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾	٢	١٧٥، ٢٦٦
الكوثر		
﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾	١	٤٠١

ثانياً: فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
أتدرون ما الكوثر	١٥٨
إذا نزل عليه جبريل بالوحي	٥١
أَرَانِي ليلة عند الكعبة	٣٥٤
افترقت بنو إسرائيل	٣٨٠
ألا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ	٢٩
ألا إني أوتيت الْكِتَابَ وَمثله معه	١٢٤
ألا وإني تارك فيكم ثقلين	٣٧٩
أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ	٢٩٢
إِنَّ من إجلال اللهِ إكرام ذي الشيبة المسلم	٣١٩
أنا عبد الله ورسوله	٦٩
إنما بعثت لأُتَمِّمَ صالح الأخلاق	١٨٦
الإيمان بضع وسبعون	٣٩٥
تلك الروضة روضة الإسلام	٣٩٥
خفف على داود القرآن	٤٥
دَعْنِي أعلمك كلمات ينفعك الله بها	٣١٦
الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة	٣٥٢
ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً	٣٩١
فخط خطاً هكذا أمامه	٣٩٠
فشخص بصره إلى رجل يمشي في المسجد	٣٥٧
فقدناك فطلبناك فلم نجدك	٣١٦
لَا ما دعوتم الله لهم	١٣٧
لَا يشْكر اللهَ من لا يشكر الناس	١٣٧
لأعلِّمنَّك سورة هي أَعظم السُّور	١٩٣

طرف الحديث	الصفحة
لَا تَغْلِبَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ على اسْمِ صَلَاتِكُمْ	٣٠
لعن الله تعالى الواشمات والمَتوشمات	٥٨
ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات	٤٢
الْماهر بالْقُرآن	١٧٤
من أبلى بلاءً فذكره	١٣٧
من شغله القرآن وذكري	٩٢
من قتل قتيلاً	٢٩٢
من قرأ حرفاً من كتاب الله	٣١٩
وقد كنت أعلم أنه خارج	٣٥٨
وما يدريك أنها رُقْيَة	٣١١
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل	٥١
يجمع الله الناس يوم القيامة	٣٧٤
يُعَوِّذ الحسن والحسين	٢١٢
ينفث على نفسه في مرضه الذي قُبِضَ فيه	٣١٢

ثالثاً: فهرس الآثار

طرف الأثر	صاحبه	الصفحة
أن القرآن نزل دفعة واحدة	ابن عباس	١٠١
أنزل في هذا القرآن كل علم	ابن مسعود	٥٩
إن هذا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ	ابن مسعود	٢٩
آية القراء	مطرف بن عبد الله	٦٩
اجتمعت قريش فقالوا . . .	السدي	٢٩٩
التقابل مصافحة المؤمن	مقسم	١٣٨
دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس	ابن عباس	٦٧
الرجل يجلس مع القوم فيسمع . . .	ابن عباس	٢٠٠
سلوني عما شئتم	الشافعي	٢٦٣
فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ	زيد بن ثابت	١٧٣
فذكر مناقبهم	علي بن أبي طالب	١٣٨
كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها	أبو نضرة	١٣٨
كانت قُرَيْظَة والنَّضير وكانت النَّضِيرُ أشرف من قريظة	ابن عباس	١٣٢
كتاباً متشابهاً حلاله وحرامه	ابن عباس	٢١٧
كَيْف تَسأَلُون أَهْل الكتابِ عن شيءٍ	ابن عباس	١٦٢
لو ضاع لي عقال بعير	ابن عباس	٥٩
ليست تنزل بأحد في الدين نازلة	الشافعي	٥٩
من أَرَاد العِلم فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآن	ابن مسعود	١٥٣
من قال بِهِ صَدَقَ	علي بن أبي طالب	١٥٣
هل عبدت وثناً قط		
هو السفير بذلك	زينب بنت جحش	١٧٥
ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة	الوليد بن المغيرة	٢٩٦
يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم	ابن عباس	٤٧
يقرأ في المغرب بالطُّور	جبير بن مطعم	٢٩٦
يوم فرق الله بين الحق والباطل	عروة بن الزبير	٨١

رابعاً: فهرس الأعلام

الاسم	الشهرة	الصفحة
إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط	البقاعي	٩٢
إبراهيم بن محمد بن السَّري	الزجاج	١٩
إبراهيم بن يزيد بن الأسود	النخعي	٣٥٠
أبو عمرو بن العلاء بن عمار	أبو عمرو البصري	٢٦٠
أبو مالك الغفاري		٣١٥
أبو هريرة الدوسي		١٩٣
أُبي بن كعب بن قيس		٧٨
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام	ابن تيمية	٢٠١
أحمد بن محمد بن عمر المصري	الشهاب الخفاجي	٩٢
أحمد بن محمد بن إبراهيم	الثعلبي	١٢٩
أحمد بن محمد بن إسماعيل	النحاس	٣٣٦
أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود	السمين الحلبي	١٠٣
إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة	السدي	٨٤
إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين		٣٨
إسماعيل بن عمر بن كثير	ابن كثير	٤٦
أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم		٢١١
ايتين دينيه		٢٩٦
جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان		٢١٩
جرير بن عطية بن الخَطَفي		٣٨٦
جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد	القاسمي	٩٣
الحسن بن علي بن أبي طالب		١٣٦
الحسن بن يسار البصري		٦٧
الحسين بن الفضل		٤٠٦

الاسم	الشهرة	الصفحة
الحسين بن الفضل بن عمير البجلي		٣٥٠
الحسين بن علي بن أبي طالب		٣٥٠
الحسين بن محمد بن المفضل	الراغب الأصفهاني	٣٤٧
الحسين بن مسعود بن محمد	البغوي	٥٨
حفص بن سليمان بن المغيرة		١٠٥
حمزة بن حبيب بن عمارة	الزيات	١٠٤
خالد بن معدان		٣٩٩
الربيع بن أنس البكري		٧٢
رفيع بن مهران	أبو العالية الرياحي	٢٥٠
زاذان أبو عمر الكندي		١٣٨
زر بن حبيش بن حباشة		٣٩٦
زياد بن أبي مريم الجزري		٣٢٩
زيد بن أسلم		٣٩٨
زيد بن ثابت بن الضحاك		١٧٢
زينب بنت جحش		١٧٥
سعد بن مالك بن سنان	أبو سعيد الخدري	٣٩٩
سعيد بن جبير بن هشام		١٧٨
سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب		٢١٩
شهر بن حوشب		٣٥٠
الضحاك بن مزاحم الهلالي		٨٥
طاوس بن كيسان		٣٣٠
ظالم بن عمرو	أبو الأسود الدؤلي	١٣٧
عاصم بن أبي النجود الأسدي		١٠٥
عامر بن شراحيل	الشعبي	٢١٩
عبد الحق بن غالب	ابن عطية	٥٩
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم		٥٨
عبد الرحمن بن علي بن محمد	ابن الجوزي	٤٧
عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله	ابن سعدي	٦٨
عبد العزيز بن عبد السلام	العز بن عبد السلام	٢٦٤

الاسم	الشهرة	الصفحة
عبد الله بن أحمد بن محمود	النسفي	٢٨٩
عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم	ابن عامر	١٠٤
عبد الله بن عمر بن الخطاب		٣٩٩
عبد الله بن عمر بن محمد	البيضاوي	٧٦
عبد الله بن قيس بن سليم	أبو موسى الأشعري	٢٧٧
عبد الله بن كثير بن المطلب	ابن كثيرالقارئ	٣٩
عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب		١٩٤
عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج		٢٦٤
عزيزي بن عبد الملك بن منصور	شيذلة	١١٨
عطاء بن أبي رباح		١٧٤
عكرمة البربري		٧١
علي بن أحمد بن محمد	الواحدي	٧٤
علي بن إسماعيل بن أبي بشر	الأشعري	٤٠
علي بن حمزة بن عبد الله	الكسائي	١٠٤
علي بن عيسى بن علي بن عبد الله	الرماني	١٥٤
عمرو بن بحر بن محبوب	الجاحظ	٤٣
القاسم بن سلام		١٨٧
قتادة بن دعامة السدوسي		٣٩
كعب بن زهير بن أبي سُلمة		٢٢٦
مالك بن أنس بن مالك		٦٣
مجاهد بن جبر		٧١
محمد الأمين بن محمد المختار	الشنقيطي	٤٧
محمد بن أبى بكر بن أيوب	ابن القيم	٩٢
محمد بن أحمد بن أبي بكر	القرطبي	٦٣
محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم	جلال الدين المحلي	٣٨١
محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله	ابن جزي	٩١
محمد بن إدريس بن العباس	الشافعي	٣٨
محمد بن إسحاق بن يسار		٣٥٤
محمد بن الإمام علي بن أبي طالب	ابن الحنفية	٣٠٢

الاسم	الشهرة	الصفحة
محمد بن السائب	الكلبي	٣٣٨
محمد بن الطاهر بن عاشور	ابن عاشور	٦٦
محمد بن جرير بن يزيد	الطبري	٤٧
محمد بن جعفر الصادق		٧٢
محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام		٢١٩
محمد بن صالح بن سليمان	ابن عثيمين	٦٦
محمد بن عبد الله بن بهادر	الزركشي	١٨٦
محمد بن عبد الله بن عيسى	ابن أبي زمنين	١٢٩
محمد بن عبد الله بن محمد	ابن العربي	٣٨٠
محمد بن علي بن محمد	الشوكاني	٦٨
محمد بن عمر بن حسين القرشي	الرازي	٥٩
محمد بن كعب القرظي		٢٨٢
محمد بن محمد بن مصطفى العمادي	أبو السعود	٩١
محمد بن يعقوب بن محمد	الفيروزأبادي	٦٨
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف	أبو حيان	٥٩
محمود بن عبد الله الحسيني	الألوسي	٤٦
محمود بن عمر بن محمد	الزمخشري	٦٦
معاوية بن أبي سفيان		١٧٣
معمر بن المثنى التيمي		٤١٤
مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي		١٩٠
مِقسم بن بُجْرة		١٣٨
المنذر بن مالك بن قطعة		١٣٨
منصور بن محمد بن عبد الجبار	السمعاني	٨٤
نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم	السمرقندي	٧٦
هلال بن يساف		٣٩٠
وهب بن منبه بن كامل اليماني		١٧٤
يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور	الفراء	٤٠

خامساً: المراجع والمصادر

- **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**، أحمد بن محمد البنا، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ).
- **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- **أحكام الجان**، بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي، تحقيق: د. السيد الجميلي، (بيروت، دار ابن زيدون).
- **أحكام القرآن**، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الفكر).
- **الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم**، د. محمد سلطاني، ط١ (دمشق، دار العصماء، ١٤٢٠هـ).
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ط٢ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١١هـ).
- **أساس البلاغة**، محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، (دار الفكر ـ ١٣٩٩هـ).
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١ (بيروت، دار الجيل ١٤١٢هـ).
- **أسرار التكرار في القرآن**، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط٢ (القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٦هـ).
- **أسرار التكرار في القرآن**، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط٢ (القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٦هـ).
- **إسعاف المبطأ برجال الموطأ**، عبد الرحمٰن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩هـ).
- **أسماء القرآن الكريم في القرآن**، د. خمساوي أحمد الخمساوي، دار التحرير للطبع والنشر.
- **أسماء القرآن في القرآن**، محمد جميل غازي، (القاهرة، المطبعة المدنية، ١٩٧٥م).
- **الأشباه والنظائر**، عبد الرحمٰن السيوطي، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).

- **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١ (بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ).
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين الشنقيطي، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ).
- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، محمد بن أبي بكر (ابن القيم)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢ (بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ).
- **الإكليل في استنباط التنزيل**، جلال الدبن السيوطي، تحقيق: عامر العرابي، ط١ (جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٢هـ).
- **الأنساب**، عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١ (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٨م).
- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، أبو بكر جابر الجزائري، ط١ (المدينة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٣هـ).
- **بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم**، جمعه: يسري السيد محمد، ط١ (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ).
- **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر الدمشقي (ابن قيم الجوزية)، تحقيق: معرف مصطفى زريق، محمد وهبي، علي عبد الحميد، ط١ (بيروت، دار ابن الخير، ١٤١٤هـ).
- **البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر ابن كثير، (بيروت، مكتبة المعارف).
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، محمد بن علي الشوكاني، (بيروت، دار المعرفة).
- **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي، تحقيق: د. يوسف المرعشلي، جمال الذهبي، إبراهيم الكردي، ط٢ (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٥هـ).
- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، (بيروت، المكتبة العلمية).
- **بلاغة القرآن في حديثه عن القرآن**، رسالة ماجستير، إعداد: عبد العزيز العمار، المشرف: ناصر الخنين، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٠.
- **البيان في علوم القرآن**، د. سليمان القرعاوي، ود. محمد الحسن، ط٢ (الأحساء: مكتبة الظلال، ١٤١٥هـ).

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية.
- **تاريخ بغداد**، أحمد بن على الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عطا، ط١٧ (بيروت، دار الكتب العلمية).
- **التبرك أنواعه وأحكامه**، د. ناصر الجديع، ط٤، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ).
- **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- **التبيان في أقسام القرآن**، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، (بيروت، دار الفكر).
- **التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان**، طاهر الجزائري، اعتناء: عبد الفتاح أبو غدة، ط٣، (بيروت، دار البشائر، ١٤١٢هـ).
- **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه**، علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: د. عبد الرحمٰن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، ط١ (الرياض: مكتبة دار الرشد، ١٤٢١هـ).
- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر ابن عاشور، (تونس، دار سحنون).
- **التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية**، محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ).
- **الترجمان والدليل لآيات التنزيل**، المختار أحمد الشنقيطي، (الرياض، دار روضة الصغير).
- **التسهيل لعلوم التنزيل**، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي، ط٤ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ).
- **التعريفات**، علي محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ).
- **تفسير ابن رجب**، جمعه: طارق بن عوض الله، ط١ (الرياض، دار العاصمة، ١٤٢٢هـ).
- **تفسير البحر المحيط**، يوسف بن علي ابن حيان، تحقيق: د. عبد الرزاق المهدي، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ).
- **تفسير البغوي**، المسمى (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، ط١ (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ).

- **تفسير البيضاوي**، المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ) مع حاشية الشهاب.
- **تفسير الثعالبي**، المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، عبد الرحمٰن بن محمد مخلوف، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).
- **تفسير الثعلبي**، المسمى (الكشف والبيان)، أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري، تحقيق: أبي محمد ابن عاشور، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٤٢٢هـ).
- **تفسير الجلالين**، جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، تصنيف: هاني الحاج، ط١ (الرياض، دار الكيان، ١٤٢٦هـ).
- **تفسير الخازن**، المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل)، علي بن محمد البغدادي، ضبطه وصححه: عبد السلام شاهين، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- **تفسير الخازن المسمى** (لباب التأويل في معاني التنزيل)، علي بن محمد بن إبراهيم، ضبطه: عبد السلام شاهين، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- **تفسير الراغب الأصفهاني** [من أول سورة آل عمران وحتى نهاية الآية ١١٣من سورة النساء]، دراسة وتحقيق: د. عادل الشدي، ط١ (الرياض: مدار الوطن، ١٤٢٤هـ).
- **تفسير السلمي المسمى** (حقائق التفسير)، محمد بن الحسين الأزدي السلمي، تحقيق: سيد عمران، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٢١هـ).
- **تفسير السمرقندي**، المسمى (بحر العلوم)، نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، ط١ (بيروت، دار الفكر، ١٤١٨هـ).
- **تفسير القرآن**، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس بن غنيم، ط١ (الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ).
- **تفسير القرآن**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ).
- **تفسير القرآن**، عز الدين بن عبد السلام المعروف بالعز بن عبد السلام، ط١، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ).

- **تفسير القرآن الحكيم**، المسمى (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م).
- **تفسير القرآن العزيز**، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: حسين عكاشة ومحمد الكنز، ط١، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ).
- **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ط٢ (الرياض، دار طيبة، ١٤٢٢هـ).
- **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن كثير القرشي، ط١، (الرياض، دار السلام، ١٤١٤هـ).
- **تفسير القرآن العظيم**، عبد الرحمٰن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط١ (الرياض: مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ).
- **تفسير القرآن الكريم**، سفيان الثوري، صححه ورتبه: امتياز علي عرشي، ط١ (الهند: وزارة المعارف، ١٣٨٥هـ).
- **تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة)**، محمد بن صالح العثيمين، ط١ (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ).
- **تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)**، محمد بن صالح العثيمين، ط ١ (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ).
- **تفسير القرآن الكريم (الحجرات ـ الحديد)**، محمد بن صالح العثيمين، ط ١ (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ).
- **تفسير القرآن الكريم (جزء عم)**، محمد بن صالح العثيمين، ط٣ (الرياض، دار الثريا، ١٤٢٤هـ).
- **تفسير القرآن الكريم (سورة ص)**، محمد بن صالح العثيمين، ط ١ (الرياض، دار الثريا، ١٤٢٥هـ)
- **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.
- **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).
- **تفسير الماوردي**، المسمى (النكت والعيون)، علي بن محمد الماوردي، راجعه: السيد بن عبد المقصود، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- **تفسير المراغي**، أحمد مصطفى المراغي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، أ. د. وهبة الزحيلي، ط١ (بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ).

- **تفسير النسفي**، المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، عبد الله بن أحمد النسفي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ).
- **تفسير النهر الماد من البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، ضبط: بوران وهديان الضناوي، ط١ (بيروت، دار الجنان، ١٤٠٧هـ).
- **تفسير روح البيان**، إسماعيل حقي البروسوي، ط٧ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ).
- **تفسير مجاهد**، مجاهد بن جبر، تحقيق: عبد الرحمٰن الطاهر محمد السورتي، (بيروت، المنشورات العلمية).
- **تفسير مقاتل بن سليمان**، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تحقيق: أحمد فريد، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).
- **تقريب التهذيب**، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، ط١ (سوريا، دار الرشيد، ١٤٠٦هـ).
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي،محمد عبد الكبير البكري، (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ).
- **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- **تهذيب التهذيب**، أحمد بن علي ابن العسقلاني، ط١ (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ).
- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: أحمد البردوني، الدار المصرية.
- **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**، أحمد بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، ط٣ (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ).
- **التوقيف على مهمات التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط١ (بيروت، دار الفكر المعاصر ١٤١٠،هـ).
- **التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي**، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د محمد رضوان الداية، ط١، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٠).
- **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمٰن اللويحق، ط٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤٢١هـ).

- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، ط١ (القاهرة، دار هجر، ١٤٢٢هـ).
- **جامع بيان العلم وفضله**، يوسف بن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، ط٣ (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤١٨هـ).
- **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (القاهرة، دار الشعب).
- **الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين**، وليد بن أحمد الحسين، ط١، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة.
- **جلاء الأفهام**، محمد بن أبي بكر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط٢، (الكويت، دار العروبة، ١٤٠٧هـ).
- **جمال القراء، وكمال الإقراء**، علي بن محمد السخاوي، تحقيق: عبد الكريم الزبيدي، ط١ (بيروت، دار البلاغة، ١٤١٣هـ).
- **جمهرة اللغة**، محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
- **جواهر القرآن**، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، ط١ (بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤٠٥هـ).
- **حاشية الشهاب**، المسماه (عناية القاضي وكفاية الراضي)، أحمد بن محمد الخفاجي، ضبطه وخرج أحاديثه: عبد الرزاق المهدي، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).
- **حاشية محيي الدين زاده**، محمد بن مصلح القوجوي، ضبطه وصححه: محمد شاهين، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
- **حديث القرآن عن القرآن**، محمد الراوي، ط١ (الرياض، دار العبيكان، ١٤١٥هـ).
- **حجة القراءات**، عبد الرحمٰن بن محمد بن زنجلة.
- **الخصائص**، عثمان ابن جني، تحقيق: محمد النجار، (بيروت، عالم الكتب).
- **خصائص القرآن الكريم**، د فهد الرومي، ط٧،(الرياض، دار طيبة، ١٤١١هـ).
- **خصائص النظم البلاغي لأوصاف القرآن في القرآن الكريم**، علي محمد حميد، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد، رسالة دكتوراه، ١٤١٨هـ.

- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أحمد بن يوسف، تحقيق:أحمد الخراط، ط١، (دمشق، دار القلم، ١٤٠٦هـ).
- **الدر المنثور**، جلال الدين السيوطي، ط١ (بيروت، دار الفكر، ١٤١٣هـ).
- **دراسات في علوم القرآن الكريم**، أ. د. فهد الرومي، ط١١، ١٤٢٣هـ.
- **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، اعتنى: خليل مأمون شيحا، ط١ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٢هـ).
- **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**، محمد الأمين الشنقيطي، اعتناء: عمر السلامي، ط١ (بيروت، التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ).
- **دفع إيهام التشبيه عن أحاديث الصفات**، محمد السمهري، ط١، (الرياض، دار بلنسية، ١٤٢٠هـ).
- **ديوان جرير**، اعتنى به: حمدو طماس، ط١ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٤هـ).
- **ديوان كعب بن زهير**، قرأه وقدم له: د. محمد يوسف، (بيروت، دار صادر، ١٤١٥هـ).
- **ذيل طبقات الحفاظ [للذهبي]**، جلال الدين عبد الرحمٰن ابن أبي بكر السيوطي، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- **الرسالة التدمرية**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد عودة السعوي، ط٨ (الرياض، دار العبيكان، ١٤٢٤هـ).
- **الروح**، محمد بن أبي بكر الدمشقي (ابن قيم الجوزية)، تحقيق: د. السيد الجميلي، ط٦ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ).
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ط٤ (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- **زاد المسير في علم التفسير**، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣ (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤).
- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، ط١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ).
- **السبعة في القراءات**، أبو بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢ (مصر، دار المعارف، ١٤٠٠هـ).
- **سنن ابن ماجه**، محمد بن عبد الله القزويني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع).

- **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع).
- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع).
- **سنن الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م).
- **السنن الكبرى**، أحمد بن شعيب النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، ط١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).
- **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط١ (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ).
- **شرح السنة**، الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: خالد بن قاسم الردادي، ط٢ (الرياض، دار السلف، ١٤١٨هـ).
- **شرح المفصل**، يعيش بن علي بن يعيش النحوي، (بيروت، عالم الكتب).
- **شرح شذور الذهب**، محمد بن عبد المنعم الجوجري، تحقيق: د. نواف الحارثي، ط١، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.
- **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢١هـ).
- **شرح قطر الندى وبل الصدى**، عبد الله بن هشام الأنصاري، ط٤ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢١هـ).
- **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ).
- **الصاحبي**، أحمد بن فارس، تحقيق: أحمد صقر، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، محمد بن حبان أبو حاتم البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ).
- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣ (بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ).

- **صحيح السيرة النبوية**، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (عمان: المكتبة الإسلامية).
- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- **الصدق في القرآن دراسة موضوعية**، مذكر عارف، ط١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ).
- **صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة**، علوي بن عبد القادر السقاف، ط٢ (الرياض، دار الهجرة، ١٤٢٢هـ).
- **صفة الصفوة**، عبد الرحمٰن بن علي أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي، ط٢ (بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٩هـ).
- **الضوء المنير على التفسير**، جمعه: علي الحمد الصالحي من كتب ابن القيم، (الرياض، دار السلام).
- **الطب النبوي**، محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، (بيروت، دار الفكر).
- **طبقات الشافعية**، أبو بكر بن أحمد بن محمد ابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط١ (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ).
- **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، (بيروت، دار صادر، ١٤٠٥هـ).
- **طبقات المفسرين**، أحمد بن محمد الداودي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١ (الرياض: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ).
- **طبقات المفسرين**، عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط١ (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ).
- **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة**، د. عبد الكريم عبيدات، ط٢ (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٩هـ).
- **عالم الجن والشياطين**، د. عمر سليمان الأشقر، ط١٠ (عمان، دار النفائس، ١٤١٧هـ).
- **العجاب في بيان الأسباب**، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط١ (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤١٨هـ).

- **عظمة القرآن الكريم**، محمد الدوسري، ط١ (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ).
- **العقيدة الواسطية**، ابن تيمية، تحقيق: محمد ابن مانع، ط٢، (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، ١٤١٢هـ).
- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، أحمد بن يوسف، تحقيق: د. محمد التونجي، ط١ (بيروت، عالم الكتب، ١٤١٤هـ).
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- **العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامري، الجمهورية العراقية، دائرة الشؤون الثقافية والنسر.
- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، جمع وترتيب: أحمد عبد الرزاق الدويش، ط٤ (الرياض: مؤسسة العنود بنت عبد العزيز، ١٤٢٣هـ).
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي ابن حجر، ط١ (الرياض، دار السلام، ١٤١٨هـ).
- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، صديق حسن خان، راجعه: عبد الله إبراهيم الأنصاري، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ).
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (بيروت، دار الفكر).
- **فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان**، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١ (البحرين: مكتبة التوحيد، ١٤١٩هـ).
- **الفتوحات الإلهية**، بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- **الفروق اللغوية**، الإمام الأديب أبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة، دار العلم والثقافة).
- **الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة**، حسين بن على الرجراجي، تحقيق: الأمين عبد الحفيظ الرغروغي، منشورات كلية الآداب والتربية، جامعة سبها.
- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ط٢٥ (القاهرة، دار الشروق، ١٤١٧هـ).
- **قالوا عن الإسلام**، إعداد: د. عماد الدين خليل، ط١ (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ).

- **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث بالمؤسسة، ط٦ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ).
- **القراءات الشاذة**، الحسين بن أحمد بن خالويه، دار الكندي للنشر والتوزيع.
- **قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية**، حسين الحربي، راجعه: مناع القطان، ط١ (الرياض، دار ابن القاسم، ١٤١٧هـ).
- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، ط١ (جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٣هـ).
- **الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، محمود الزمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، ط١ (الرياض، دار العبيكان، ١٤١٨هـ).
- **كلمة الحق في القرآن الكريم**، موردها ودلالتها، محمد الراوي، ط١، (الرياض، دار العبيكان، ١٤١٥هـ).
- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ).
- **لباب النقول في أسباب النزول**، جلال الدين السيوطي، اعتنى به: عبد المجيد طعمة حلبي، ط١ (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٨هـ).
- **اللباب في علوم الكتاب**، عمر بن علي ابن عادل، تحقيق: د. عادل عبد الموجود، وعلي معوض، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
- **لسان العرب**، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، بيروت، دار صادر.
- **لسان الميزان**، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية ـ الهند ـ، ط٣ (بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٦هـ).
- **لطائف قرآنية**، صلاح الخالدي، ط٢، (بيروت، الدار الدمشقية، ١٤١٩هـ).
- **مباحث في علوم القرآن**، د. صبحي الصالح، ط١٦ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٥م).
- **مباحث في علوم القرآن**، مناع القطان، ط٣،(الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ).
- **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مصر: مكتبة الخانجي.

- **مجلة نهج الإسلام**، إصدار وزارة الأوقاف في الجمهورية العربية السورية، العدد: ٧٧ ـ ٧٨، رئيس تحريرها: محمد زيادة.
- **مجمع الأمثال**، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١ (بيروت، دار المعرفة).
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، علي بن أبي بكر الهيثمي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
- **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمٰن ابن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤١٦هـ.
- **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: أحمد علي، حمدي صبح، (القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٤هـ).
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، عثمان ابن جني، تحقيق: محمد عطا، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن عطية الأندلسي، ط١ (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ).
- **المحكم والمتشابه في القرآن العظيم**، د. عبد الرحمٰن المطرودي، ط١.
- **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط ا (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر الرازي، تصحيح: محمد حلاق، ط١، (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤١٩).
- **المخصص**، علي بن إسماعيل، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر (ابن القيم)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ).
- **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، محمد بن محمد أبو شهبة، ط١ (القاهرة: مكتبة السنة، ١٤١٢هـ).
- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، عبد الرحمٰن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، حققه: د. طيار آلتي قولاج، ط٢ (تركيا، دار وقف الديانة التركي، ١٤٠٦هـ).

- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
- **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ).
- **مسند الإمام أحمد**، أحمد بن حنبل الشيباني، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١م).
- **المصباح المنير**، أحمد بن محمد الفيومي، اعتناء: يوسف الشيخ محمد، ط٢ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ).
- **المصنف**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، ط٢ (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).
- **المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ).
- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط١ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ).
- **معاني الروح في القرآن الكريم**، عبد العزيز الحربي، ط١ (الرياض: مكتبة ودار ابن حزم، ١٤٢٧هـ).
- **معاني القرآن**، يحيى بن زياد الفراء، ط٣ (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ).
- **معاني القرآن الكريم**، أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١ (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ).
- **معاني القرآن وإعربه**، إبراهيم بن السري (الزجاج)، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ط١ (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ).
- **معجم القراءات القرآنية**، د. عبد اللطيف الخطيب، ط١ (دمشق، دار سعد الدين، ١٤٢٢هـ).
- **معجم القراءات القرآنية**، د:أحمد مختار عمر وعبد العال مكرم، ط٣، (بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٧م).
- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، ط٢ (الموصل: مكتبة الزهراء، ١٤٠٤هـ).
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي، ط١ (الرياض، دار الرشد، ١٤١٧هـ).

- **المعجم الوسيط**، تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس، ط١، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ).
- **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، جمع وإعداد: مجمع اللغة العربية بمصر.
- **معرفة السنن والآثار**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: سيد كسروي حسن، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، ط١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ).
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق: بركات يوسف، ط١ (بيروت، دار الأرقم، ١٤١٩هـ).
- **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، صلاح الخالدي، ط١ (الأردن، مكتبة المنار، ١٤٠٦هـ).
- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان، ط٣ (دمشق، دار القلم، ١٤٢٣هـ).
- **مفردات القرآن**، عبد الحميد الفراهي، تحقيق: محمد أجمل أيوب، ط١ (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م).
- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل**، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق: سعيد الفلاح، ط١ (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد الزرقاني، خرج أحاديثه: أحمد شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ).
- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي، ط١ (بيروت، دار صادر، ١٣٥٨هـ).
- **الموسوعة القرآنية المتخصصة**، إشراف وتقديم: أ.د: محمود حمدي زقزوق، (القاهرة: وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ١٤٢٣هـ).
- **النبأ العظيم**، د. محمد دراز، (قطر إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٥هـ).

- **نزول القرآن الكريم**، د. محمد الشايع.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، برهان الدين إبراهيم البقاعي، ط٢ (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ).
- **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ).
- **النفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والجماعة والمعطلة**، أرزقي سعيداني، ط١ (الرياض، دار المنهاج، ١٤٢٦هـ).
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المبارك بن محمد ابن الأثير، خرج أحاديثه وعلق عليه: صلاح بن محمد بن عويضة، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
- **الهداية في القرآن الكريم**، العباس الحازمي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، إشراف: د. محمد بن إبراهيم الشافعي، ١٤١٧هـ.
- **الهدى والبيان في أسماء القرآن**، صالح البليهي، ط٣ (الرياض، دار المسلم، ١٤١٨هـ).
- **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ).
- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١ (دمشق، دار القلم، ١٤١٥هـ).
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة).

سادساً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* المقدمة	٥
* أهمية الموضوع	٧
* أسباب اختيار الموضوع	٨
* خطة البحث	٩
* منهج البحث	١٢
التمهيد	١٧
تعريف الأسماء	١٩
تعريف الأوصاف	٢٢
الفرق بين الاسم والوصف	٢٥
مصدر تسمية القرآن ووصفه	٢٩
الباب الأول	
أسماء القرآن الكريم	
الفصل الأول: أسماء القرآن الثابتة	٣٥
مدخل	٣٦
المبحث الأول: القرآن	٣٨
المبحث الثاني: الكتاب	٥٣
المبحث الثالث: الفرقان	٧١
المبحث الرابع: الذكر	٨٢
المبحث الخامس: التنزيل	٩٧
الفصل الثاني: الأسماء المردودة المنسوبة للقرآن الكريم	١١٣
مدخل	١١٤
المبحث الأول: الأثارة	١١٦
المبحث الثاني: أمر الله	١١٨

الموضوع — الصفحة

المبحث الثالث: تبصرة ١٢٠
المبحث الرابع: الحجة ١٢٢
المبحث الخامس: الرسالة ١٢٤
المبحث السادس: سبيل الله ١٢٦
المبحث السابع: شرعة ومنهاجاً ١٢٨
المبحث الثامن: القسط ١٣٢
المبحث التاسع: النعمة ١٣٤

الباب الثاني

أوصاف القرآن الكريم

الفصل الأول: الأوصاف الصريحة الدالة على حقيقة القرآن وصدقه ١٤١
مدخل ١٤٢
المبحث الأول: وصف القرآن بأنه آيات ١٤٤
المبحث الثاني: وصف القرآن بأنه بلاغ ١٥٢
المبحث الثالث: وصف القرآن بأنه أحسن الحديث ١٥٧
المبحث الرابع: وصف القرآن بأنه الحق ١٦٥
المبحث الخامس: وصف القرآن بأنه صحف ١٧٢
المبحث السادس: وصف القرآن بأنه الصدق ١٧٧
المبحث السابع: وصف القرآن بأنه عربي ١٨٣
المبحث الثامن: وصف القرآن بأنه عزيز ١٨٩
المبحث التاسع: وصف القرآن بأنه عظيم ١٩٢
المبحث العاشر: وصف القرآن بأنه عليٌّ ١٩٦
المبحث الحادي عشر: وصف القرآن بأنه القول ١٩٨
المبحث الثاني عشر: وصف القرآن بأنه قيِّم ٢٠٥
المبحث الثالث عشر: وصف القرآن بأنه كلمات الله ٢٠٩
المبحث الرابع عشر: وصف القرآن بأنه متشابه ٢١٥
المبحث الخامس عشر: وصف القرآن بأنه مجيد ٢٢٠
المبحث السادس عشر: وصف القرآن بأنه مهيمن ٢٢٣
المبحث السابع عشر: وصف القرآن بأنه الوحي ٢٢٦
الفصل الثاني: الأوصاف الصريحة الدالة على بيان القرآن وإرشاده ٢٣٣

الموضوع | الصفحة

مدخل ٢٣٤
المبحث الأول: وصف القرآن بأنه بشير ٢٣٥
المبحث الثاني: وصف القرآن بأنه بصائر ٢٤٠
المبحث الثالث: وصف القرآن بأنه الحكيم ٢٤٤
المبحث الرابع: وصف القرآن بأنه [ذكرى] و[تذكرة] ٢٥٣
المبحث الخامس: وصف القرآن بأنه مبين ٢٥٨
المبحث السادس: وصف القرآن بأنه [مفصل] و[تفصيل] ٢٦٨
المبحث السابع: وصف القرآن بأنه موعظة ٢٧٥
المبحث الثامن: وصف القرآن بأنه نذير ٢٧٩
المبحث التاسع: وصف القرآن بأنه الهدى ٢٨٦
الفصل الثالث: الأوصاف الصريحة الدالة على بركة القرآن وتأثيره ٢٩٥
مدخل ٢٩٦
المبحث الأول: وصف القرآن بأنه خير ٢٩٨
المبحث الثاني: وصف القرآن بأنه رحمة ٣٠١
المبحث الثالث: وصف القرآن بأنه شفاء ٣٠٦
المبحث الرابع: وصف القرآن بأنه [عجباً] ٣١٤
المبحث الخامس: وصف القرآن بأنه كريم ٣١٨
المبحث السادس: وصف القرآن بأنه مبارك ٣٢٢
المبحث السابع: وصف القرآن بأنه مثاني ٣٢٧
المبحث الثامن: وصف القرآن بأنه نور ٣٣٢
الفصل الرابع: الأوصاف المختلف فيها ٣٤١
مدخل ٣٤٢
المبحث الأول: الأوصاف الراجحة ٣٤٣
المطلب الأول: وصفه بأنه روح ٣٤٣
المطلب الثاني: وصفه بأنه شاهد ٣٤٩
المطلب الثالث: وصفه بأنه العلم ٣٥٢
المطلب الرابع: وصفه بأنه القصص ٣٥٨
المطلب الخامس: وصفه بأنه مسطور ٣٦٣
المطلب السادس: وصفه بأنه نبأ عظيم ٣٦٦

الموضوع | الصفحة

المبحث الثاني: الأوصاف المرجوحة ٣٧٢
المطلب الأول: وصفه بأنه إمام ٣٧٣
المطلب الثاني: وصفه بأنه برهان ٣٧٦
المطلب الثالث: وصفه بأنه حبل الله ٣٧٩
المطلب الرابع: وصفه بأنه داعي الله ٣٨٢
المطلب الخامس: وصفه بأنه الزبور ٣٨٣
المطلب السادس: وصفه بأنه الصراط المستقيم ٣٨٦
المطلب السابع: وصفه بأنه الطيب ٣٩١
المطلب الثامن: وصفه بأنه العروة الوثقى ٣٩٣
المطلب التاسع: وصفه بأنه الغيب ٣٩٦
المطلب العاشر: وصفه بأنه فضل الله ورحمته ٣٩٨
المطلب الحادي عشر: وصفه بأنه الكوثر ٤٠١
المطلب الثاني عشر: وصفه بأنه منادٍ ٤٠٣
المطلب الثالث عشر: وصفه بأنه الميزان ٤٠٦
المطلب الرابع عشر: وصفه بأنه النجوم ٤٠٨
الخاتمة ٤١٥
جدول الأسماء والأوصاف ٤١٩
الفهارس ٤٢٣
فهرس الآيات ٤٢٥
فهرس الأحاديث ٤٤٤
فهرس الآثار ٤٤٦
فهرس الأعلام ٤٤٧
فهرس المصادر والمراجع ٤٥١
فهرس الموضوعات ٤٦٧